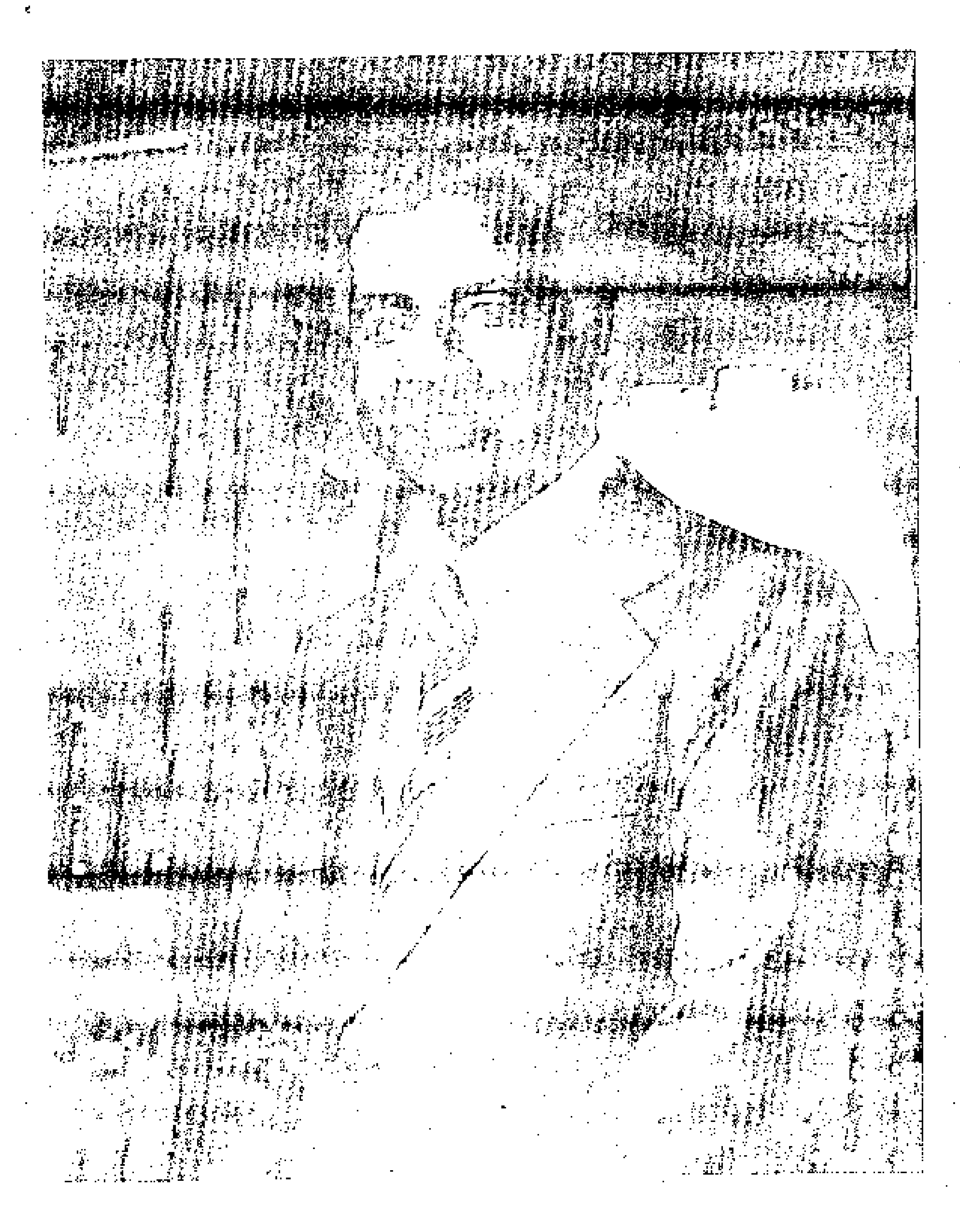
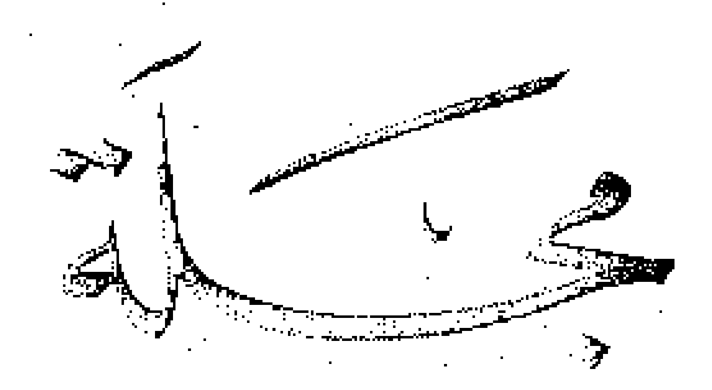
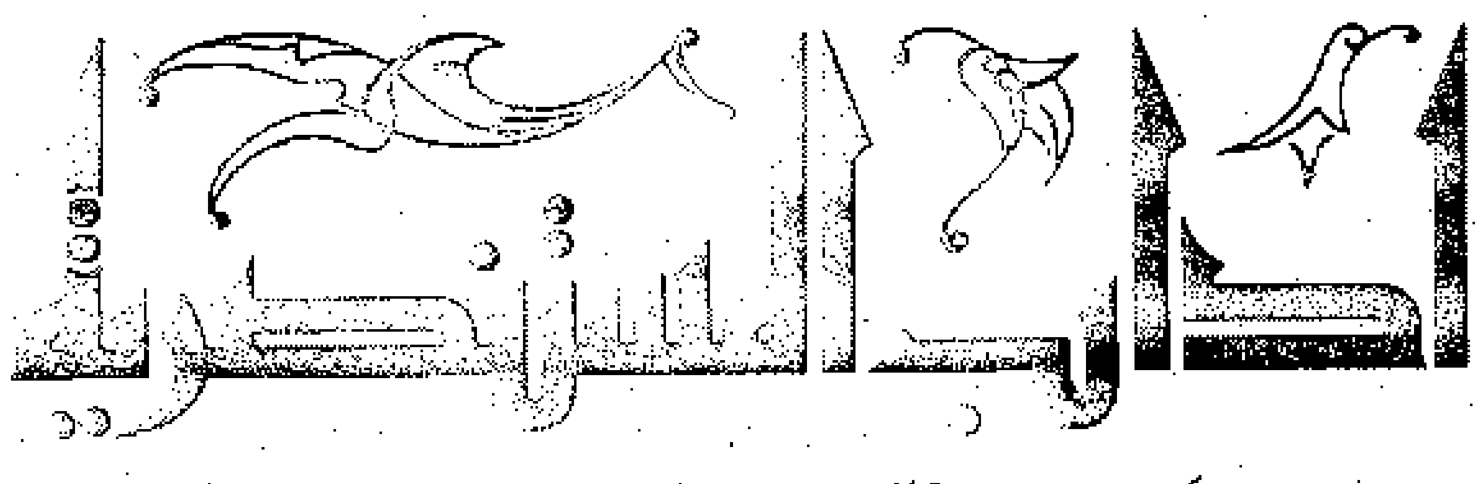


الرئيس القائد صدام حسين







مجلة آداب المستنصرية

تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية

١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م

العدد السابع

٧

كلمة المجلة

يسر هيئة تحرير مجلة آداب المستنصرية أن يصدر العدد السابع من المجلة في موعده المحدد من السنة الدراسية ١٩٨٢ / ١٩٨٣ لتبدأ به مرحلة جديدة من اطوارها في ظل القرار المركزي الذي اوكل الى كلية الآداب في الجامعة المستنصرية مهمة الاستمرار في اصدار مجلتها نيابة عن كليات الآداب الشقيقة في جامعات القطر كافة وان هيئة تحرير المجلة اذ تتشرف بحمل هذه المسؤولية تبذل الجهود المضاعفة للرقاء بأداء الادارة باتجاه الطموح الذي تسعى اليه الكليات المناظرة الشقيقة وانها – في هذا السياق – ترجو أن يمدها الجميع بملاحظات الترشيد والتسديد لمسالك الاعداد القادمة على محجة التطوير المأمول .

من مبدأ شرعية المشاركة العلمية وضرورة تنوع الاختصاصات عمدت كليتنا الى تشكيل هيئة جديدة لتحرير المجلة ضمت في عضويتها صفوة من الاساتذة المختصين من خارج ملاكها استجابة لحجم المهمة المطلوبة من المجلة في صيغتها الموسعة لتكون امينة في التعبير عن الانتاج العلمي للاساتذة والباحثين في كليات الآداب والاقسام المناظرة لاقسامها في كليات التربية .

لقد حرصنا على مبدأ الموازنة بين الاختصاصات وعدد البحوث الواردة من الكليات للنشر في هذا العدد ولكن ظروف البداية ومتطلبات التقويم وتغليب اختصاص على آخر ما يضاف الى البحوث تتحكم في صدور العدد دون الصيغة آملين أن يكون في توالي البحوث القادمة ما يسهم في تحقيق أفضل للاعداد اللاحقة ونجد من المناسب ان نشير – هنا – الى أن هيئة تحرير المجلة قررت اصدارها بمعدل عددين سنويا وانها شرعت في تحضير مواد الاعداد التالية لابداعها الى المطابع في الاوقات المحددة .

لجنة المجلة

المحتويات

ص

« نـــــدوة اللسانيـــات العربيـــــــة »

٤ ـ ٦ رجب ١٤٠٢ هـ

٢٧ ـ ٢٩ نيسان ١٩٨٢ م



« مدى استفادة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من اللسانيات الحديثة »

[[رضى الكشو]]

معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

الجامعة المستنصرية

م/١/أ.م.س

عناصر البحث

تحديد الموضوع :

مدى استفادة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من اللسانيات الحديثة .

I التعريف الحديث للغة وتأثيره على تعليم العربية لغير الناطقين بها .

II مساهمة اللسانيات الحديثة في اعداد مواد تعليم العربية لغير العرب .

III توظيف اللسانيات في استخدام المادة اللغوية في شكل تمارين بنيوية :

(1) تعدد التمارين البنيوية

(2) تمارين الاعادة

(3) تمارين التعويض

التعويض البسيط

التعويض المتعدد العناصر

التعويض بالزيادة في عناصر الجملة أوبالتقليل منها .

التعويض المغير لبقية عناصر الجملة .

(4) التحويل

(5) التركيب

(6) الحوار الموجه

(7) سؤال — جواب

(8) وظيفة التمارين البنيوية

دعوة اللسانيات الى البدء باللغة الشفهية والى التركيز على لغة التخاطب في الاجزاء الاولى من المقررات الدراسية .

V الخلفية اللسانية للوسائل السمعية البصرية

IV الدراسات اللغوية وأثرها في تعميم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

خلاصة عامة .

تحديد الموضوع :

احدثت دروس العالم السويسرى «سوسير» منعرجا جديداً في الابحاث اللسانية حتى ان الباحثين اصبحوا يؤرخون التيارات اللغوية بما قبل «سوسير» وبما بعده وقد استفادت علوم كثيرة من اللسانيات الحديثة من ضمنها تعليم اللغات الحية .

سنحاول في هذا البحث أن نبرز مدى استفادة تعليم العربية لغير الناطقين بها من اللسانيات الحديثة فنتتبع الاسس اللسانية التي استفاد منها تعليم اللغات الحية بوجه عام وتعليم العربية للاجانب بوجه خاص .

وسنشير الى المبدأ اللساني بايجاز ثم نبحث في تطبيقاته فيما نملكه من كتب تعليم العربية لغير الناطقين بها لندرك مدى استفادة هذه المقررات من اللسانيات الحديثة .

نطلق تسمية اللسانيات الحديثة على المبادىء التي وضحها «سوسير» ومن تلاه ولانشير دوما عند عرض بعض المبادئ اللسانية الى مدارسها التي طبقت هذه المبادئ أوتبلورت معها أكثر من غيرها كي لانكثر من التفاصيل كما أننا لانشير دائما الى الفروع اللسانية التي طورت تعليم اللغات الحية مثل اللسانيات التطبيقية واللسانيات الكمية وعلم النفس اللغوى وان كناقد ركزنا على المدرسة البنيوية لاننا نعتقد انها ساهمت كثيراً في تطوير تعليم اللغات الحية ولاتزال .

قد ساهمت بعض العلوم الاخرى مثل علم النفس التربوى الى جانب اللسانيات في تطوير تدريس اللغات الحية غير أننا نكتفي في هذا المجال بالاشارة الى اللسانيات وهذا لايعني انفراد اللسانيات بتطوير تعليم اللغات الحية .

سنحاول ان نبرز مدى استفادة العربية لغير الناطقين بها بالاعتماد على المقررات التي تدرس في المعاهد المختصة بتعليم العربية لغير الناطقين بها لذا لانهتم كثيراً بالمقررات الدراسية التجارية التي راجت في اسواق الكتب.

ا التعريف الحديث للغة وتأثيره على تعليم العربية لغير الناطقين بها :

تغيرت النظرة الى اللغة مع «سوسير» فقد اعتبرها «نظاما من العلامأت» فلم تعد اللغة اذن مجموعة من العناصر المعزولة واصبحنا ننظر اليها على انها «بنية» فليس المهم ان نعرف مجموع عناصر هذه البنية بل المهم أن نعرف العلاقات التي تربط بين هذه العناصراو تفرق بينها . اذن اعتبرت اللغة بالنسبة لسوسير ومدرسة براغ والبنيوية الامريكية بمثابة نظام من العلاقات او بصورة أدق هي مجموعة من الانظمة المرتبطة الواحدة بالاخرى والتي لاتكتسب عناصرها (الاصوات والكلمات الى غير ذلك) قيمة بمعزل عن علاقات الاتحاد والتقابل التي تربطها وقد تقدم كل لغة هذا النظام النحوى الضمني والمشترك بين مجموعة الناطقين بهذه اللغة .

لاتعرّف علامة في لغة ما بأنها كذا الا ضمن مجموعة من العلامات الاخرى وتستمد العلامة قيمتها من التقابلات التي ترتبط بها .

... تكون مجموعة هذه العلاقات نظاما من الرموز أو العلامات . (١)

غير هذا التصور الحديث للغة طرق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها فقد تم العدول في بعض المقررات الدراسية عن تدريس المفردات والاصوات والظواهر النحوية بصفة معزولة فالطريقة القديمة المتمثلة في التركيز على المفردات وعلى القواعد النحوية اثبتت عدم نجاعتها . وبما أن اللغة نظام منسق صار من الضرورى ان نتخلى في التدريس عن الكلمات المعزولة وأن نركز على الطرق التي ترتبط بين مختلف عناصر الجملة لذلك نورد الالفاظ في سياقها الطبيعي كما لانطلق من الجزء لنصل الى الكل بل ننطلق من الكل لنصل الى الجزء وقد يكون الربط بين عناصر الجملة طبيعياً في اللغة الام لكنه جديد على متعلم لغة أجنبية

11 مساهمة اللسانيات الحديثة في اعداد مواد تعليم العربية لغير العرب.

ساهمت اللسانيات الحديثة في وصف اللغات وصفاً علمياً ليطلع المدرسون على المفردات والهياكل اللغوية المتواترة فيستفيدوا منها في تدريسهم وفي تأليف المقررات الدراسية للاجانب .

اهتمت الابحاث اللغوية في الماضي بتاريخ اللغات وبالنظر في العلاقات القائمة بين اللغات دون ان تتعمق كثيراً في دراسة اللغة في حد ذاتها أما اليوم فقد تطورت هذه الابحاث بفضل دروس «سويسير» فصارت وصفية وتزامنية وأصبح اللسانيون يصفون نظام اللغة وصفا آنيا دون لجوء الى التفسيرات التأريخية مهتمين خاصة بدراسة الكلام دراسة علمية .

يصف اللساني اللغة دون ان يصدر حكماً من الاحكام فيلاحظ بطريقة علمية المظاهر اللغوية دون تفضيل صيغة على صيغة أخرى ويستنتج أن هذه الظاهرة اللغوية تنزع الى الاضمحلال وأن هذه الظاهرة اللغوية الاخرى شائعة وقد يدل الشيوع على ان اللفظة أو التركيب حي وبالتالي فهو أحق بالتدريس من تركيب نادر الاستعمال اومن مفردة غريبة .

لانعتمد اذن في تدريسنا اللغة العربية لغير الناطقين بها على معايير اخلاقية اوجمالية في اختيار مواد التدريس بل نستند على التواتر لنعرف الظواهر الحية في اللغة والظواهر التي اضمحلت ولانستطيع أيضاً أن ندرس الاجانب كل تراكيب اللغة العربية وكل مفرداتها انما نبدأ بتعليمهم التراكيب والمفردات المتواترة أكثر من غيرها وهذا ما تفيدنا به اللسانيات الكمية اذ يسعى هذا العلم الفتي الى جرد القول مثلما تم ذلك لضبط الانكليزية الاساسية Basic English وكذلك لضبط الفرنسية الاساسية ولم يقتصر الجرد على المفردات فحسب بل شمل التراكيب ايضا (٢) والمقاطع اللفظية (٣) .

ندرك اذن ان اللسانيات الكمية تخبرنا بطريقة علمية وناجحة عما ندرسه للاجانب في جميع المستويات المعجمية والتركيبية والفونيمية والمقطعية بهذا نزود الدارس بالمفردات والتراكيب الاساسية ندربهم على استخدامها.

لم تحظ العربية — فيما نعلم — بدراسة احصائية شاملة تضبط تواتر مفرداتها وتراكيبها وفونيماتها ومقاطعها اللفظية فقد تمت احصائيات جزئية لجوانب معينة من اللغة انجزها بعض الافراد ويعتبر اشمل احصاء للعربية ماتم في المغرب العربي بنشر في كتاب الرصيد اللغوي الوظيفي وقد أثر هذا النقص على تعليم العربية لغير العرب وأخل بمقرراتنا الدراسية وحرمها من التراكيب والالفاظ المتواترة مثلا اورد كل تأليف مجموعةمن التراكيب والمفردات تصورها المؤلفون اكثر اهمية من غيرها لكنها لا تخضع الى معايير علمية انما قامت على التخمين فحسب فان نظرنا مثلاالى التراكيب المستعملة في المقررات الدراسية لغير العرب لاحظنا اختلافها الشديد. سعى المؤلفين الى التبسيط والى الابتعاد عن الجمل المركبة لكن لايعني كل هذا اهتداءهم عن طريق التخمين الى التراكيب المتواترة ولم ينعكس عدم حصر التراكيب العربية ومفرداتها على تأليف المقررات الدراسية فحسب بل يؤثر على تأليف كتب المطالعة ايضا والمعاجم الخاصة بغير الناطقين بالعربية وكتب الاختبارات الشفهية والكتابية .

يمكننا مبدئياً ان نستفيد من اللسانيات الحديثة في تعليم العربية لغير العرب وذلك باعداد مواد التدريس اعداداً علميا دقيقا ووظيفيا وقد بلغنا في العربية درجة الوعي بضرورة جرد الكلمات والتراكيب العربية على أن المسألة لم تتعد الاحساس بأهمية انجاز مثل هذا العمل .

III توظيف اللسانيات في استخدام المادة اللغوية في شكل تمارين بنيوية:

حظي مفهوم «البنية» بمكانة هامة في اللسانيات التطبيقية لان اللسانيين رأوا في اللغة نظاما من العلامات او الرموز. لذا اصبح التعرف على اللغة قائماً على اكتشاف العلامات الاتحادية والتقابلية التي تربط بين عناصر النظام اللغوى وهو ماتسعى الى تطبيقه التمارين البنيوية وقد ارتكز مفهوم البنية على ظاهرتين لسانيتين هما :

— التماثل والتقابل

يمكن التماثل في البنية من صوغ تمارين التعويض ويمكن التقابل من صوغ تمارين التحويل .

1 — **تعدد التمارين البنيوية .**

تعددت التمارين بما أنها تستخدم مختلف العناصر اللغوية استخداماً منظماً ودقيقاً وقد اشهرها « نلسون بروكس » اثنا عشر نوعاً أما « روبرت لادو »فقد حسبها أربعة عشر وحصرها «روبرت بولتزر» في سبعة (٤) ويعود هذا التفاوت في التصنيف الى اقتصاد البعض على اهم الاصناف والى اعتبار البعض الاخر الفروع اصنافاً قائمة الذات وسنعرض اهم هذه الانواع ونعرف بكيفية صياغتها وبالغاية منها مبدين بعض الملاحظات اللسانية ونسوق مثالا لنوضح به التعريف النظرى .

٢ — **تمارين الاعادة :**

يتردد البعض في ادماج تمارين الاعادة ضمن التمارين البنيوية وتكون تمارين الاعادة بالنسبة للبعض الآخر منطلقاً لبقية التمارين البنيوية بما أنها تعرف الدارس على اداء الجمل وايقاعها ونوع النبر ومكانه وأنواع المقاطع .

يستمع الطالب في هذا التمرين إلى جمل ينطقها الاستاذ ويتولى اعادتها من بعده وتتضمن هذه الجمل ابنية متقابلة فلا يدرس الاستاذ هذه الابنية بصفة معزولة لان عزلها قد يؤدي إلى تحريفها أو إلى التأكيد على عنصر المقابلة فيها .

مثال : يشتري حقيبة جديدة / يشتري الحقيبة الجديدة .....

تركز احياناً تمارين الاعادة على الاداء وينطق الدارس الجملة الاصلية اولا ثم يضيف كل مرة مكملا جديداً فيتغير اداء الجملة باضافة هذه المكملات .

تحسن تمارين التعويض مهارة الاصغاء والنطق كما تعوض الشروح النظرية للقواعد النحوية المتبعة في الطرق القديمة فيدرك الطالب بالسماع التقابل المركز عليه في التمرين ولعله يصل إلى فهمه بالقياس أو بالمقارنة .

لانطيل ولا نكثر من تمارين الاعادة لئلا يضجر الطلبة ولا ننسى أنها مدخل للتمارين البنيوية ونتخلى عن هذا النوع من التمارين عندما نشعر أن الطالب لم يعد يتعلم منه أي شيء .

تمارين التعويض :

لنعرف هذا النوع من التمارين نعتبر الجملة مكونة من عدد من العناصر وقد يحتل كل عنصر مكاناً ثابتاً بالنسبة لبقية عناصر الجملة ولا يحتل كل مكان الا صنفاً معيناً من العناصر فعندما نعوض عنصراً بعنصر آخر من نفس المكان تبقى البنية العامة للجملة ثابتة فلا يتغير الا مدلول الجملة وقد يحدث دخول عنصر ما تغيير العناصر الاخرى للجملة فيؤدي مثلا اسم في صيغة الجمع او المؤنث او المذكر إلى تغيير في عناصر أخرى من الجملة وذلك بأن تصبح مؤنثة او في صيغة الجمع ونذكر مثلا جملة يشتري العامل سيارة وقد نحصل على جمل أخرى من نفس البنية مع اختلاف معجمين فحسب.

وقد نحصل بهذا التعويض على جمل خالية من المعنى مثلا : يشتري الفلاح وزارة او جمل أخرى من هذا القبيل مثلا مات الجندي فجراً ومات الكرسي فجراً . فالجملة الثانية مستقيمة نحوياً لكنها لاتعبر عن معنى معقول ولهذا نحرص على سلامة الجملة نحوياً ودلالياً .

تتنوع تمارين التعويض حسب صعوبتها فأهم تمارين التعويض هي :

(أ) التعويض البسيط .

(ب) التعويض المتعدد العناصر .

(ج) التعويض بالزيادة من عناصر الجملة أو بالتقليل منها

(د) التعويض المغير لبقية عناصر الجملة .

أما «فرانسوا رديكا» فإنه يقسم تمارين التعويض إلى صنفين هما (٥)

1) تعويضات لاتؤدي إلى تغيير فقد نعوض عنصراً بعنصر آخر دون أن يطرأ أي تغيير على بقية العناصر .

2) تعويضات تؤدي إلى تغيير في أحد عناصر الجملة أو في أكثر من عنصر.

وسنتتبع التقسيم الاول لوضوحه .

أ) التعويض البسيط :

يعوض نفس العنصر طول التمرين فلا تحدث اضافة العنصر أي تغيير بالنسبة لبقية العناصر فيتغير مدلول الجملة فحسب . مثال :

أعطني القاموس رجاء (الموسوعة)

أعطني الموسوعة رجاء (عنوان الكتاب)....

يبدأ الطالب بفضل تمارين «التعويض البسيط» في التعرف على عنصر من عناصر الجملة ويتزود بالمفردات الجديدة وقد يحسن ان نلفظ المفردة مع عرض صورة لها في نفس الوقت كما لانورد الفاظاً مجهولة في هذه التمارين أو على الاقل لانكثر منها ليركز الدارس انتباهه على التراكيب ولا نخصص وقتاً طويلا لهذا التمرين لسهوله .

(ب) التعويض المتعدد العناصر :

يتم التعويض بالتناوب في مكانين أو ثلاثة من الجملة الاصلية دون أن يلحقها أي تغيير فيصغي الطالب إلى عنصر التعويض ويحدد مباشرة المكان الذي ينتسب اليه في الجملة فيدرك الطالب بفضل هذا التمرين نوع كل عنصر ومكانه في التركيب . مثال (تعويض عنصرين) :

يركب الرجل الحصان (الدراجة)

يركب الرجل الدراجة (الرياضي)

يركب الرياضي الدراجة (السيارة)...

. يستوعب الدارس بفضل هذا النوع من التمارين تركيباً معيناً كان قد درسه كما يستخدم مفردات درسها أيضاً وهذا مايسهل عليه خزنها في ذاكرته ويتدرب أيضاً على التمييز بين مختلف أنواع المفردات ويكتشف أمكانيات تغير المدلول في تركيب معين.(٦) ونعتني بصوغ هذا النوع من التمارين حتى لاتختلط الامور على الدارس فلا يصلح العنصر المضاف الا لمكان واحد .

(ج) التعويض بالزيادة في عناصر الجملة أو بالتقليل منها :

في تمارين التعويض بالزيادة في عناصر الجملة او بالتقليل منها لاتحل عناصر التعويض في مكان معين انما تضاف إلى بقية عناصر الجملة فتزيد في عددها او تحذف من الجملة فينقص بذلك عدد عناصرها . اذن تطول الجملة الاصلية او تقصر . مثال :

سافر أمس (الصحفي)

سافر الصحفي أمس (الصحفي الأشقر)

سافر الصحفي الأشقر أمس (أمس في الساعة السادسة)....

يمكن ان ننطلق من الجملة الأخيرة فنقلل من عناصرها بصورة تدريجية بهذا يكتشف الطالب عن طريق هذا النوع من التمارين الهياكل البسيطة والهياكل المركبة كما يدرك امكانية تمديد الجملة او اختصارها وهذا التمرين مثل سابقيه مرحلة لتعليم التراكيب الاساسية للغة الثانية وطريقة لاكتشاف خصائص النظام اللغوي .

(د) التعويض المغير لبقية عناصر الجملة :

لايختلف هذا التمرين عن تمارين التعويض انما يلحق التعويض تغييراً في أحد عناصر الجملة أو في أثنين أو ثلاثة منها ولا يكون هذا التغيير جذرياً انما يشمل خاصة التذكير والتأنيث والمفرد والجمع وما شابههما من التغيرات النحوية والصرفية . مثال :

يلحق تعويض عنصر من جملة تغييراً في عنصرين آخرين من هذه الجملة.

لم يعد الزواج صعباً (الاعمال)

لم تعد الأعمال صعبة (بطئ)....

هذا النوع من التمارين كثير الاستعمال شفهياً خاصة لانه يعوض طرق التصريف القديمة فيتدرب الطالب بهذه التمارين على تصريف الافعال وعلى تطبيق القواعد النحوية ضمن سياق معين لابصفة معزولة مثلما هو الحال في الطرق القديمة فقد يلحق التغيير عنصر التعويض نفسه بالاضافة إلى مايجره من تغيرات في بقية عناصر الجملة فتسوق مثلا الفعل مع ضمير الغائب فيحتم استعماله في الجملة تصريفه مع ضمير آخر . وقد نسوق أيضاً الاسم في صيغة المفرد ويحتم استعماله في الجملة صيغة الجمع.

4) **التحويل :**

في تمارين التحويل ننطلق من تركيب اول ونحصل على تركيب ثان فننطلق مثلا من تراكيب بسيطة لنحصل على تراكيب مركبة او ننطلق من تراكيب مركبة لنحصل على تراكيب بسيطة وقد ننطلق أيضاً من صيغة الاثبات لنحصل على صيغة النفي او الاستفهام .

يسمع الطلبة مجموعة من الجمل من الاستاذ ثم يجرون كل مرة نفس التغيير فقد يسمع الطلبة التغيير الذي يلحق الجملة الاولى ويسيرون على منواله وهذا مايجنب الاستاذ الشروح النحوية النظرية وقد يتعلق التغيير بجمل من نفس التركيب او من تراكيب مختلفة فالمهم ان يتعلق التغيير بنفس الظاهرة النحوية في كل جمل التمرين . (٧)

مثال : لم يشاهدوا المقابلة أمس . يشاهدونها اليوم .

لم ينتقد المقال أمس . ينقده اليوم ...

مثال : الشاي بعشرين فلساً . بكم الشاي ؟

البيض بربع دينار . بكم البيض ؟

نستعمل في تمارين التحويل زاداً لغوياً مألوفاً ليهتم الطالب بما يلحق الظواهر النحوية من تغيير فقد تزود بعض تمارين التحويل الطالب بمفردات جديدة وبصيغ تعبيرية أخرى مثل : اريد ان اشاهد المسرحية / اريد مشاهدة المسرحية .

يعسر ان نحصر عدد تمارين التحويل لانها ترتبط اساساً بالتقابلات النحوية واللغوية الكامنة في اللغة ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض هذه التقابلات مثل : صيغة المفرد والجمع / صيغة الاثبات والنفي / صيغة النفي والاستفهام / تغير أزمنة الافعال / الضمير يحل محل الاسم في تركيب ما .

وقد صنف «فرانسوا ركيدا» تمارين التحويل إلى ثلاثة أصناف هي :(٨)

* نحصل على الصنف الاول بزيادة او بادماج عنصر يؤدي إلى تغيير هيكل الجملة .

نقول مثلا : نقاوم العدو. ينبغي ان نقاوم العدو .

ونقول مثلا : يقبل على المطالعة نعم يقبل على المطالعة كثيراً .

* نحصل على الصنف الثاني من تمارين التحويل بحذف عنصر من هيكل الجملة وهو مايؤدي إلى تركيب مغاير ويدخل ضمن هذا التمرين حذف الاسماء وتعويضها بضمير مثلا :

مثال : افكر في عائلتي . أفكر فيها .

أفكر في أبي . أفكر فيه .

* تمارين الاجابة .

لاينتج تغير تركيب الجملة عن اضافة عنصر او حذف عنصر آخر انما ينتج التركيب الجديد عن اجابة حقيقية قدر الامكان لمنبه طويل نسبياً وقد تثبت عناصر التقابل سواء في السؤال والجواب او في الجواب ذاته.(٩)

مثال : هل شاهدت الفلم ؟ لم أشاهد أي فلم .

هل اشتريت الكتاب ؟ لم اشتر أي كتاب .

توجد أنواع أخرى من التمارين البنيوية نشير إلى أهمها دون أن ندخل في كثير من التفاصيل .

5) **التركيب** :

نضم جملتين بسيطتين ونكوّن منهما جملة واحدة تكون مركبة وتوجد علاقة بين الجملتين البسيطتين ليتم ضمهما فترد الجمل الثلاث على نفس المنوال طول التمرين .

مثال : رشدي يزور الطبيب . رشدي يحس بآلام .

رشدي يزور الطبيب لأنه يحس بآلام .

يدرك الطلبة بفضل هذا التمرين كيفية الانتقال من تركيبين بسيطين إلى هيكل مركب . كما يفهمون العلاقة القائمة بين مختلف العناصر .

6) **الحوار الموجـه** .

يتبع الطلبة فيما وضحناه من تمارين لسانية سابقة هياكل معينةينسجون على منوالها وتتبع تمارين الحوار الموجه هياكل معينة غير انها تكون اكثر حيوية ، وطبيعية من التمارين السابقة . (١٠) وينقسم الحوار الموجه إلى نوعين هما :

(أ) التناقض :

نقيم في هذا التمرين تقابلا بين صيغة الاثبات وصيغة النفي في شكل حوار فيسوق الاستاذ هيكلا معيناً فيجيب عنه الطلبة بهيكل يناقضه ويتم مسبقاً الاتفاق على نوع صيغة التقابل وقد يطرب الطلبة ليمثل هذا التمرين من الناحية النفسية لانهم يعاكسون الاستاذ في رأيه ولانهم يعبرون نوعاً ما عن رأي شخصي . مثال :

قد أهتم بهذا الموضوع
أما أنا فلا أهتم به

أو — قد أهتم بمثل هذا الموضوع
أنا أيضاً مازلت أهتم به .

هذا التمرين مفيد لأنه قريب من الواقع ومن صيغ التخاطب ويمكن أن نعرض بفضل هذا التمرين التقابل بين صيغ الاثبات والنفي او بين صيغ النفي والاثبات .

(2) الامر :

يذكر الاستاذ موضوعاً ويحدد نوع السؤال الذي نصوغه منه ولمن نتوجه بالسؤال فتكون الجمل المصوغة في هذا التمرين حواراً بما أنها تتجه إلى شخص ما . مثال :

أطلب من علي أن يخاطبك هاتفياً .
علي . خاطبني هاتفياً !.
اطلب من علي أن يخاطبكما هاتفياً .
علي . خاطبنا هاتفياً !(١١)

(7) سؤال . جواب :

لايندرج هذا التمرين في التمارين اللسانية — إلا أن خضعت الاجابة إلى تركيب معين حدده الاستاذ في الجملة الاولى ولا نثقل هذا التمرين بخيارات جديدة ان قصدنا التركيز على الظواهر النحوية. مثال :

هل كتبت الواجب ؟
لا . نسيت كتابته
هل قابلت المدير ؟
لا . نسيت مقابلته .

يحث هذا التمرين على المحادثة كما يمكن من استخدام المفردات والقواعد التي تزود بها الطالب ويخلص هذا التمرين الطلبة من آلية تمارين الاعادة والتعويض كما يعودهم على اكتساب رد فعل ازاء كل سؤال . يستمع الطالب عندئذ إلى السؤال ويختار العناصر الملائمة للاجابة فيصير في هذه الحالة مفكراً وناطقاً في نفس الوقت وهو مايعده لتمارين المحادثة الحرة .

لقد استفادت بعض كتب العربية لغير الناطقين بها من منهج التمارين البنيوية ، ولم نحصر عدد كل نوع ونسبته من المجموع العام انما المهم في هذا المجال اثبات الاستفادة من هذه الخاصية او عدم الاستفادة منها . وقد لاحظنا تغيب بعض الانواع في جل الكتب المدرسية مثل :

— التعويض بالزيادة في عناصر الجملة او بالتقليل منها .
— الحوار الموجه .
— سؤال — جواب .
— التمارين الصوتية .

لاحظنا أيضاً وجود أنواع من التمارين البنيوية الأخرى مثل رتب الكلمات وكون منها جملة .

(8) وظيفة التمارين البنيوية :

ان اهم ماأدخلته اللسانيات الحديثة لتعليم اللغات الحية للاجانب هو تدريس التراكيب واستعمالها في شكل تمارين بنيوية مع التركيز على ما تواتر منها .

تستند التمارين البنيوية على اللسانيات البنيوية التي جاء بها «سوسير» واتباعه وعلى الابحاث النفسية التي ثارت في الربع الاول من القرن العشرين على التحاليل التجزئية لتؤكد على الوظيفة المنهجية للفكر الانساني ولنمط تفكيره ومواقفه وتذكرنا هذه النظرة بتصور «برقسون» وبعلم النفس

الفاشتلتي Gestalt وهو ما جعل اللسانيات تنطلق من الكل وبالتالي من الجملة وقد تنطوي الجملة بالاضافة الى مجموع الكلمات والاصوات على ماتحدثه الاصوات من جوارات صوتية وعلى ما تحدثه الكلمات من معان حواف وعلى ما تتميز به الجملة من ترابط.

صار من البديهي القول بأن هذه الجمل لها نفس البنية غير أن هذه البديهية اثرت شديد الاثر على تعليم العربية لغير الناطقين بها وعلى اختصار زمن دراسة لغة ثانية.

نلاحظ ان تعليم العربية لغير الناطقين بها استفاد من بعض المبادىء اللسانية المتمثلة في الانطلاق من الجملة اساساً بدلا من المفردة وكذلك باستخدام التمارين البنيوية التي تعتبر من اهم الابتكارات الحقيقية للمنهج اللساني والتي عرضت صيغ الافعال عرضاً جديداً اذ صرفتها في جمل بعد ان كانت تصرف بصورة منعزلة كما ابرزت العلاقات التي تربط بين مختلف عناصر الجملة.

تسهل هذه التمارين البنيوية تعلم اللغات الحية بصفة لاواعية وتحسن نطق الفونيمات والمونيمات والنبر وتساعد على اجادة ايقاع الجملة بما أن هذه التمارين تستجيب للتسجيل في مختبر الصوت.

تجنبنا التمارين البنيوية تدريس القواعد النحوية بصورة نظرية في المراحل الاولى من تدريس اللغة العربية وقد نساير بهذا نوعاً ما الطريقة التي يتعلم بها الطفل لغته الام التي يدركها عن طريق السماع والاستعمال . وقد كانت طرق تعليم اللغات الحية تطيل في شرح القواعد نظرياً دون ان تركز على كثرة الاستعمال فينتج عن هذا ان الطالب قد يفهم القاعدة غير أنه يعجز عن تطبيقها اما التمارين البنيوية فانها تورد القواعد النحوية في اطار جمل خلافاً لما كانت تتبعه الطرق القديمة اذ تعزل الخاصية النحوية وتجردها من سياقها ويقتضي التحليل البنيوي ان نقابل بين بنية وبنية أخرى لندرك خاصية كل بنية وخصائص استعمالاتها .

تظل استفادة العربية لغير الناطقين بها من التمارين البنيوية نسبية رغم ان جل المقررات الدراسية قد تبنتها اذ لم يستند استعمال هذه التمارين على جرد علمي للالفاظ والتراكيب والمقاطع اللفظية العربية انما حاولت المقررات تصور المفردات والتراكيب الشائعة واستخداما في تمارين بنيوية ليدرك الطالب الاجنبي النظام اللغوي العربي .

ليس المهم ان ننطلق في تدريسنا من الجملة ومن تنزيلها في تمرين بنيوي فقط انما ينبغي علينا ايضاً التدرج في عرض هذه التراكيب حسب طرق علمية دقيقة وهو ماتفتقر اليه مقرراتنا العربية لغير الناطقين بها وهو أيضاً مابدأت تبحث عنه بعض المقررات الاجنبية (١٢) وقد وضحت لنا «اللسانيات الخاصة بعلم الوراثة» هذه المسألة وقد بينت انها تحاول أن «تقيم بين كل تراكيب اللغة تسلسلاً دقيقاً ومنطقياً إلى حد أن تركيباً معيناً يولد حتما تركيبا آخر طبق قاعدة يستنبطها العقل ولا يطابق هذا التوليد حتماً التوليد التأريخي الذي نستطيع معرفته» (١٣) وقد يرى «شومسكي» وأنصاره أننا نصل إلى وصف اللغة وصفاً منسجماً وأكثر ايحاء وأكثر تطابقاً لحدس المتكلم ان تصورنا نحو اللغة في شكل تحويلات تطبيقية اعتماداً على نظام دقيق ينطلق من نوع محدد من الجمل النواة ومن القواعد التوليدية المركزة بطريقة جلية على البنية الداخلية لهذه القواعد التوليدية . فيمكن أن نستنبط جملا استفهامية وانشائية انطلاقاً من الجمل المثبتة الملائمة لها وذلك بتطبيق مجموعتين من التغييرات» (١٤) .

أثارت هذه المسألة جدالا عنيفاً وقد عيب على التمارين البنيوية أنها لاتوصل الدارس إلى فهم عدد غير متناه من التراكيب والتلفظ بعدد من التراكيب وقد نزود الدارس بالعديد من التراكيب غير أن مثل هذه التراكيب الاساسية لاتنطبق تماماً على المواقف الحياتية كما أنها لاتكون حتماً منطلقاً للتعبير الحر فيرى علماء النفس التربويون « ان تعلم عادات في سياقها مالا يضمن استعمالها في سياقات أخرى ثم يتساءلون هل ان تطبيق الظواهر

النحوية في التمارين البنيوية يؤدي ضرورة إلى استعمالها دون تحريف أو تردد في المحادثات اليومية وفي اطار المجموعة السكانية الحقيقية» . (١٤)

يرى بعض الباحثين ان طريقة تدريس التمارين البنيوية رتيبة ومضجرة واصطناعية اما انصار هذه الطريقة فانهم يعارضون هذا الرأي ويؤكدون أن الدارس لايكتسب عادات لسانية آلية الا بفضل نظام قاس يوجب الاعادة وترسيخ المعلومات ولكن يبدو أن مسألة اكتساب عادات لسانية تتجاوز هذا التصور وهذا الحرص على الاعادة والمحاكاة ففي الاصل اتبع انصار هذه الطريقة كيفية اكتساب الطفل لغته الام ولاحظوا أن الطفل يكتسب الظواهر النحوية بطريقة استقرائية ولهذا أخر أنصار التمارين البنيوية تدريس النحو النظري . ويقول «ج ميلرت» : لاينبغي ان نبدأ تدريس لغة بالنحو انما نستفيد من امكانيات التفكير لنسهل اكتساب آليات اللغةواستعمالها (١٥) لهذا الح انصار التمارين البنيوية على الاستعمال والاعادة ليتمكن الدارس من اكتساب عادات لسانية ومن فهم نظام اللغة المدروسة قياساً على مايبلغه الطفل اثناء تعلم لغته الام وان كان الطفل يعيش في هذا المحيط اللغوي يومياً وهذه ميزة يفتقدها دارس لغة ثانية .

بينت الابحاث الحديثة أن مسألة اكتساب اللغة تتجاوز الاعادة والمحاكاة وأن الطفل يكتسب الظواهر النحوية للغته الام بطريقة مغايرة للاعادة وللمحاكاة فلانستطيع ان نفهم سرعة التطور اللساني عند الطفل الا اذا افترضنا انه يكون قواعد نحوية انطلاقاً من جمل مسموعة ومعادة لابتكار جمل جديدة .

دعوة اللسانيات الى البدء باللغة الشفهية والى التركيز على لغة التخاطب في الاجزاء الاولى من المقررات الدراسية :

لفت اللسانيون الانتباه إلى وظيفة اللغة فاعتبروها وسيلة تخاطب كما عرفها «فوفنهايم» بانها تمكن التواصل بين باث ومتقبل ينتميان إلى مجتمع واحد ويقول في هذا الصدد ان اللغة في معناها المتداول وسيلة تواصل

ونظام من العلامات الصوتية الخاصة باعضاء نفس التجمع أو الطائفة .

غير مثل هذا التعريف وجهه تدريس اللغات الحية قد كنا نركز في الماضي على المستوى الكتابي ونعتبره اساس تعلم اللغة . اما التخاطب بالعربية مثلا فكان يعتبر من باب البذخ فما زالت بعض الجامعات الأجنبية تتبع هذه الطريقة . يتبحر الاجنبي في القواعد وفي المعجمية وفي مختلف العلوم العربية لكن قلما يعير قيمة إلى المستوى الشفهي فقد يأتينا طلبة اسبان أو المان او فرنسيون او ايطاليون قضوا عدة سنوات في دراسة العربية فهم يلمون بالكثير من القضايا ويفهمون النحو بجزئياته لكنهم يعجزون عن التعبير عن مشاغلهم الحياتية . اذن عامل هؤلاء الاجانب اللغة العربيـــة معاملتهم للغة ميتة مثل اللاتينية . وسعوا من تعلم العربية إلى ترجمة الاثار العربية ونقلها إلى لغاتهم .

غيرت اللسانيات الحديثة طريقة تدريس اللغات الحية وجعلتها تهتم بالشفهي في مرحلة أولى كمـا بينت أن للغة المنطوقة وللغة المكتوبة نظامان مختلفان ولكل نظام قواعده كما أكدت اللسانيات الحديثة اننا لاننطلق من المكتوب لنصل إلى اللغة المنطوقة فلا يؤدي الالمام بالمكتوب وتحليل نظامه إلى الالمام بالمقول وبتحليل نظامه . (١٦)

عمدت بعض الكتب الفرنسية المختصة في تدريس اللغة الفرنسية كلغة اجنبية إلى حذف اللغة المكتوبة في الاجزاء الاولى من منهجها الدراسي واثبتت الصور فحسب لتحث على التخاطب . (١٧)

لايعني تركيزنا على المقول اهمالنا للمكتوب انما يهدف إلى البدء باللغة الشفهية وإلى استعمال اللغة المعاصرة كلغة الاعلام مثلاً ويمهد استيعاب لغة التخاطب إلى فهم النصوص الكتابية التي تدرس في المراحل المتقدمة.

عكست الاية اذن فكانت الطرق والمقررات الدراسية القديمة تركز على اللغة المكتوبة وعلى اختيار النصوص الادبية المشهورة ومايتبعها من

شرح مفردات وتعريف بالاعلام وأسماء الاماكن وعرض القواعد النحوية ومايلحقها من شواذ وقوائم لتصريف الافعال وقوائم معجمية مشفوعة بالمقابل الاجنبي . لم يقع اهمال هذه النصوص الادبية والحضارية ومايتبعها من تمارين نحوية وحرفية انما تأخر تدريسها فأصبحت خاصة بالصفوف المتقدمة .

عدل مؤلفو الاجزاء الاولى للكتب العربية لغير الناطقين بها عن النصوص الادبية القديمة لما تتضمنه من مفردات غريبة وهياكل عسيرة او قليلة الاستعمال فلم يعودوا يتعاملون مع العربية تعاملهم مع لغة ميتة وذلك باحياء نصوصها القديمة والاغراق في شرح قواعدها النحوية وقضاء الساعات في ترجمة الغازها .

اختفت هذه النصوص الادبية وملحقاتها في الاجزاء الاولى من المقررات الدراسية العربية وقد يرجع هذا إلى تأثير اللسانيات الحديثة وتأكيدها على المقول وإلى تغير هدف تعليم اللغة العربية فقد اقبل معظم الاجانب في الماضي على تعلم العربية بدافع الاستشراق فأرادوا فهم النصوص العربية لترجمتها وابراز خصائصها وفهم عقلية اصحابها وربما للتحامل عليها .

حل الحوار محل النص الادبي أو الحضاري وعوضت التمارين البنيوية القواعد النحوية والصرفية وتطبيقاتها فقد تم اختيار الحوار لقربه من الواقع الحياتي ولتدريبه الدارس على التخاطب لما يتضمنه من صيغ الاثبات والنفي والاستفهام ومختلف التعابير اليومية التي تترفع النصوص الادبية عن استعمالها .

اهتمت الحوارات والتمارين البنيوية بمجالات الحياة المختلفة التي يحتاج اليها الدارس اكثر من غيرها مثل موضوع السوق والمطعم ومكتب البريد وايجار فندق والذهاب إلى المصرف او إلى المطار إلى غير ذلك من مواضيع الحياة اليومية .

V الخلفية الالسانية للوسائل السمعية البصرية .

لم تسع المقررات الدراسية العربية لغير الناطقين بها إلى التأكيد على المقول فحسب انما حاولت ايضا استخدام بعض الوسائل السمعية والبصرية لانها تسهل بدورها استعمال اللغة استعمالا شفهياً فتحت الافلام والصور الشفافة واللوحة الوبرية والصور المقتطعة وتسجيلات المختبر أو آلة تسجيل وتسجيلات بعض البرامج الاذاعية والتلفزيونية مع استخدامها في التلفاز المغلق على التخاطب وعلى استعمال الرصيد اللغوي والتراكيب المدروسة في سياقات جديدة وصياغة جمل وحوارات جديدة .

اوجدت التكنولوجيا هذه الوسائل السمعية البصرية غير ان استعمالها في تعليم اللغات لايرجع إلى هذا التقدم الحضاري بل يعكس خلفية لسانية قد اكدت اللسانيات الحديثة على ان اللغة وسيلة تخاطب وهذا ماتسعى الوسائل السمعية البصرية إلى تحقيقه فتدعو الصورة إلى استحضار المسموع وإلى تصور حوارات بين بعض الشخصيات وتمكن الوسائل السمعية البصرية من ممارسة اللغة بدون اللجوء إلى الترجمة او إلى شرح القواعد النحوية وتوضح هذه الوسائل مختلف الحوارات كما تشرح التمارين البنيوية وتدرب الطالب على انتاجها في مختبر الصوت .

نلاحظ ان الوسائل السمعية البصرية تستجيب إلى المناهج والمقررات الدراسية المبنية على اللسانيات الحديثة فلا يمكننا مثلا تسجيل مقرر دراسي قديم . ماذا نسجل منه ؟ هل نسجل مجموعة من الالفاظ المتناثرة ومن القواعد النحوية ؟ ماالفرق بين ان ينطقها الاستاذ في الصف وبين أن يسجلها لطلبته في مختبر الصوت ؟

IV الدراسات اللغوية المقارنة وأثرها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها :

أظهرت الدراسات اللسانية ان كل لغة تختص ببنية معينة كما أن بنية لغة ما لاتطبق على لغة اخرى لاجزئياً وكلياً . لهذا نلاحظ ان متعلمي العربية يستغربون من بعض الهياكل لاختلافها عن هياكل لغتهم الام التي كانوا

يتكلمونها بدون تفكير . وقد تنبههم دراسة العربية إلى ادراك هياكل لغتهم الام والى مقارنتها باللغة الاجنبية .

اكدت اللسانيات الحديثة اذن على ان بنية كل لغة تختلف عن بنى اللغات الأخرى لكن رغم هذا الاختلاف في البني اخذ البعض بعين الأعتبار اللغة الام للطالب وهذا ما أدى بالبعض الى التفكير في تأليف عدة مقررات دراسية . مقرر دراسي للناطقين بالفرنسية ومقرر للناطقين بالسواحلية ومقرر للناطقين بالانكليـزية إلى غير ذلك . نراعى في مثل هذه المقررات العلاقات بين نظام اللغة الام ونظام اللغة الثانية . نبدأ حسب بعض الباحثين باستخدام التراكيب المتشابهة بين اللغتين لنهييء انتقال الطالب من نظام لغوي اول إلى نظام لغوي ثان . يعارض لسانيون آخرون هذه الفكـرة بالذات يعتبرون ان المرحلة الاولى من تدريس اللغة الثانية تقوم على الدهشة ينبغي على اللغة الجديدة ان تفاجيء عادات الدارس وان تحيره وان تثير اهتمامه . لانسهد للانتقال من لغة إلى لغة باختيار المفردات والتراكيب المتشابهة في اللغتين . (١٨) نبين للدارس اللغة الجديدة لغة أخرى حقا .

يقف بعض الباحثين من هذه القضية موقفا وسطا . لايرى ضرورة في أن يبرز التدريس العلاقات بين اللغة الام واللغة المتعلمة لكن لايهملها ايضا اهمالاً تاما . قد نستفيد منها للتأكيد على ظاهرة من الظواهر اللغوية أو النحوية . نؤكد مثلاً على المثنى في تدريسنا العربية لطلبة فرنسيين نلح على ظاهرة المعرفة والفكرة للطلبة الفرنسيين لاختلافها بين العربية والفرنسية. تقترن اداة التعريف (الالف واللام) بالأسم غير أن الفرنسية تضيف أدوات le أو la أوles إلى الأسم . تبقى الأداة منفصلة عن الأسم في الفرنسـية خلافا لما هو الحال في العربية . ثم ان اداة التعريف في العربية تستعمل للمذكر وللمؤنث والجمع في حين ان الفرنسية تستخدم أداة خاصة بالمذكر وأداة للمؤنث واداة للجمع يصبح الأسم نكرة في العربية بتجريده من الألف واللام اما الفرنسية فتضيف للاسم اداة تستعمل للمذكر وأداة للمؤنث

وأداة للجمع . تساعدنا هذه المقارنة بين العربية والفرنسية على التأكيد على التعريف والتنكير الطلبة الفرنسيين . عندما يتشابه النظامان اللغويان لانؤكد على ظاهرة التشابه في تدريسنا .

لم تستفد — فيما يبدو — معظم الكتب العربية لغير الناطقين بها من الدراسات اللغوية المقارنة واكثر بعض المؤلفين المتأثرين باللغـة الأنجليزية من الجمل الأسمية والسبب في هذا أن اللغة الأنجليزية تعتمد كثيراً على الجمل الأسمية ولكن مادامت لغتنا العربية غنية بأنماط التعبير فيها وتقدم جملاً اسمية وجملاً فعلية فلا بد أن تضم كتبنا هذه الأنماط .



خلاصة عامة

نلاحظ ان اللسانيات الجديثة اكدت على الجملة وحذرت من تجزئتها في مرحلة مبكرة من تدريس اللغات الحية. تحتاج المفردة الى سياق لساني والى اطار ثقافي او الى موقف من المواقف لتكتسب كل طاقاتها المعنوية كما اعتبرت اللغة «نظاما من العلامات»، فليس المهم أن نعرف ألف أو ألفين مفردة عربية. قد نحفظ هذه المفردات دون ان نجيد استعمالها في الهياكل الاكثر شيوعا. تغير التصور العام لتدريس العربية لغير الناطقين بها ولم يعد ينحصر في تلقين مجموعة من المفردات. وأصبح التركيز قائما على التراكيب الشائعة. نعرض المادة اللغوية في جمل ليدرك الطالب العلاقات التي تربط بين عناصر الجملة او تفرق بينها. ولايكتسب العنصر قيمة بمعزل عن بقية العناصر فتتدرج كل علامة ضمن مجموعة من العلامات الاخرى. وتقوم اللغة على العلاقات التقابلية او الاتحادية او التفاضلية بين العلامات أو الوحدات اللسانية. حاولت التمارين البنيوية تعريف الطالب على النظام اللغوي. وحثه ايضا على ممارسة اللغة سواء باعادة المسموع أو بانتاج جمل جديدة انطلاقا من الاستماع الى جملة اولى متبوعة بمثله. وتستند التمارين البنيوية الى مبدئين اساسيين هما : التماثل والتقابل وقد انتج مبدأ التماثل مختلف تمارين التعويض اما مبدأ التقابل فمكن صياغة مختلف تمارين التحويل.

يرى البعض ان أهم ماأدخلته اللسانيات الحديثة لتعليم اللغات الحية للاجانب هو تدريس التراكيب واستعمالها في شكل تمارين بنيوية مع التركيز على ماتواتر. وثار البعض الاخر على هذه التمارين وشكك في مدى نجاحها. فالدارس لايستعمل هذه التراكيب في المواقف الحياتية أو يتردد في استعمالها بالشكل المطلوب. وحاول البعض الاخر ان يخرج التمارين البنيوية من اطارها الجاف. وادمجها في مواقف ودعم تدريسها ببعض الوسائل السمعية البصرية لتقترب من واقع الحياة العامة.

لم يقتصر دور اللسانيات الحديثة في تغيير طرق تعليم اللغات الحية تغييراً جذريا بل سعت في بعض الحالات الى تطوير منهج دراسة اللغات الحية وتعديله. واثبت بعض مواد المنهج القديم مع تغيير في مسرحلة تدريسها.

اقرت اللسانيات الحديثة مهارة الكتابة والترجمة والقواعد النحوية مع تأخير مرحلة تعلمها. لانبدأ بشرح القواعد النحوية لطالب مبتدىء اذ لايؤدى عرض القاعدة النحوية وشرحها الى تطبيقها حتما بل نبدأ بالتطبيق أساساً. نسوق الظاهرة النحوية ضمن تمرين او تمارين عديدة لنحمل الطالب على تطبيق الخاصية النحوية وعلى استقرائها. وبعد ان يكتسب الطالب اهم الظواهر النحوية ويطبقها بصورة لاواعية تقدم له القواعد النحوية ونشرحها شرحا نظريا وقد كانت المقررات الدراسية لغير الناطقين بها تبوب حسب القواعد النحوية. تخلصت بعض المقررات الدراسية من هذه الظاهرة. حلت التمارين البنيوية محل القواعد النحوية والصرفية في الاجزاء الاولى من كتب العربية للاجانب. ندرس النحو عندما يلم الطالب بنظام اللغة التي يدرسها.

تؤخر الطرق الحديثة لتدريس العربية مهارة الترجمة فقد يحتاج المترجم الى الالمام باللغة التي ينقل اليها نصا من النصوص. كيف يتسنى لطالب مبتدىء ان يتدرب على الترجمة وهو لم يلم بعد بمفردات وتراكيب وقواعد اللغة الجديدة فلا تقوم الترجمة على ايجاد مقابل للمفردات المدروسة انما تشترط فهم تراكيب اللغتين فهما عميقا ليعرف المترجم كيف ينقل تركيبا من لغة اولى الى لغة ثانية.

تعير الطرق الحديثة لتعلم اللغات المبنية على اللسانيات اهتماما بمهارة الكتابة غير انها تؤخر مرحلة تدريسها. وترتبط الكتابة في حقيقة الامر بالاستماع الى مختلف الاصوات وبتميزها. كثيراً ما يخطيء المتعلم في الكتابة لانه لايسمع الصوت المنطوق. يكتب القاف كافا او الصاد سينا او الطاء تاء لانه لايسمع هذه الاصوات لا لانه يجهل كتابتها. ولهذا كان لابد من تدريس العربية شفهيا ليتعرف الطالب المبتدىء على خصائص اللغة المستعملة .

وقد يؤدى تدريس الكتابة في الايام الاولى من تعلم لغة ثانية الى تفتيت الظاهرة اللغوية. تصبح النظرة الى اللغة نظرة جزئية وهو ما يتنافى والمبادىء اللسانية فسننطلق من الكل لنصل الى الجزء لا العكس كما لايملك الطالب الاجنبي القدرة على انتاج اصوات اللغة الثانية في المرحلة الاولى من دراسته لذا عندما نبادره بتعلم الكتابة يعكس حتما نطق حروف لغته الام على حروف اللغة الجديدة.

تقر اللسانيات الحديثة دراسة النصوص الادبية لكنها لاتثبتها في الاجزاء الاولى من الدراسة . نبدأ بالمحادثات اليومية وبتعابير المواقف الحياتيـة وباستعمال التراكيب المتواترة والمفردات الشائعة التي تمكن الطالب من التخاطب. اللغة في مفهومها اللساني وسيلة تخاطب لهذا السبب نؤجل تدريس النصوص الادبية لمشاهير الكتاب لان هؤلاء ينساقون الى استعمال جمل مركبة او طويلة او غريبة وكذلك الحال بالنسبة للمفردات قد تكون نادرة او مستعملة استعمالا مجازيا كما لاتتضمن النصوص الادبية القديمة التراكيب المتواترة والمفردات الشائعة وقد تكون اللغة قد تطورت في مفـرداتهـا وتراكيبها مما يجعل تعلم مثل هذه التراكيب على المدى القريب عديـم الفائدة ولا يلائم واقع الحياة اليومية. ويتيه الدارس المبتدىء في هذه النصوص وقد يصطدم بها فيقلع عن تعلم العربية او يتخاذل في استيعابها. فلمثل هذه الاسباب ترجيء اللسانيات تدريس نصوص مشاهير الادباء . وتثبتها اذن في المراحل المتقدمة بعد ان يستوعب الدارس النظام الصوتي ويملك اهم التراكيب والمفردات المتواترة.

يسعى دارسو العربية اليوم إلى فهم هذه اللغة الجديدة وإلى التخاطب بها بصورة طبيعية . فتفرض مثل هذه الغاية الالحاح على المتكلم . كانت العربية تدرس بصفة ميتة تركز الدراسة اصلا على الفهم اما التخاطب فهو من باب البذخ . ولهذا نلاحظ ان الطرق القديمة تهمل التمارين الشفهية وتركز على تدريس المفردات والقواعد النحوية التي تفك رموز النصوص

لذلك عكست الأية اليوم . ركزت الطرق المستمدة من اللسانيات على اللغة المتداولة بين الناس وعلى تقديم فهذه المادة اللغوية في شكل حوار لتهييء الدارس للتخاطب . جددت اللسانيات لهذه الغاية وظيفة الوسائل السمعية البصرية . وجدت هذه الوسائل منذ مدة مثل الافلام وآلة التسجيل وأنواع من الصور لكنهالم تستغل الأستغلال الكافي. حظيت اليوم بمكانه مهمة لهذا سواء لتوضيح الحوار او التمرين أو لاستحضاره او للحث على الأبتكار والانتاج وتصور مواقف حياتية مع التعبير عنها بطلاقة .

أخيراً وليس آخرا استفادت بعض الكتب العربية لغير العرب من اللسانيات الحديثة وقد بينا كيف ان معظمها عدل عن تدريس المفردات وكيف اولى أهمية للجملة وللعلاقات الأتحادية والتقابلية بين مختلف عناصرها كما عدلت هذه المفردات للاجانب عن النصوص الأدبية في اجزائها الأولى . ركزت على اللغة المعاصرة وحثت على ممارستها وهذا ما نلمسه بصورة نظرية من خلال عرض مناهج هذه التأليف او نلمسه بصورة تطبيقية ضمن الدروس .

رغم كل هذه الجهود تبقى استفادة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من اللسانيات استفادة نسبية لافتقارنا إلى كثير من البحوث . فلم نضبط بعد العربية الأساسية . ولم نحصر بعد التراكيب العربية الأساسية . مثل هذه البحوث تطور تدريس العربية لغير الناطقين بها وتختصر مدة التعلم. ونركز بفضل هذه البحوث على المفردات والتراكيب المتواترة . كما أننا نتدرج في عرض المادة اللغوية بالاعتماد على نتائج الجرد اللغوي كما تفسح هذه البحوث مجال تأليف المقررات الدراسية وكتب المطالعة وكتب الأختبارات الشفهية والكتابية ومعجما خاصا بالطلبة المبتدئين .

توجد عقبات اخرى تعرقل استفادة العربية لغير الناطقين بها من اللسانيات الحديثة وتتمثل في عدم المام بعض مؤلفي المقررات الدراسية لغير الناطقين بالعربية بأهم المبادىء اللسانية وبما احدثته اللسانيات الحديثة

من تغييرات في تعليم اللغات الحيّة . وقد تعود هذه المسألة إلى عدم تعاون بين اللسانيين وبين المصطلعين بالتأليف لغير الناطقين بالعربية . فنلاحظ مثلا ان تأليف مقرر دراسي لغير الناطقين بالفرنسية يشترك في تأليفه فريق من اللسانيين والمختصين في تدريس اللغة الفرنسية للاجانب وبعض التربويين وعلماء النفس . (١٥)

قد نعثر على مقرر دراسي لغير الناطقين بالعربية استفاد من اللسانيات الحديثة لكن قد لايحسن المدرس تبليغ محتواه بطريقة حديثة لعدم المامه باللسانيات وفي هذه الحالة لايستفيد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من اللسانيات الحديثة بصورة فعلية . ولا نتطرق لمثل هذه المسألة لانها تدعونا لخوض مسائل اخرى مثل : من هو المدرس الجيد لتعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها ؟ كيف نختاره ؟ هل يتوفر كثيراً ؟

نلاحظ اذن ان استفادة من اللسانيات الحديثة في تدريس العربية لغير الناطقين بها تتطلب القيام بالعديد من البحوث اللسانية والتطبيقية كما تفرض المام مؤلفي المقررات الدراسية والمدرسين باهم مبادئها وهو مانأمل ان يتحقق في القريب العاجل .

الهوامش

1 . Dictionnaire de linguistique. Langue page 276.

(٢) ضبطت التراكيب الاساسية للغة الفرنسية ونشرت في كتاب.

. Dictionnaire des structues fondamentales du francais. Pierre Celetier, Jean Pierre Maillard avec la collaboration de Michel Balie. Cle International. Paris. Dolattre

(٣) اور احصائية تواتر المقاطع اللفظية.

Pierre Delattre. Les exercices structuraux pour quoi faire? Hachette 1971 P.8.

(٤) المرجع السابق ص١٦

5 . Francois Redequat, Les exercices structuraux P. 23.

6 . Pierre Delattre. Les exercices structuraux pour quoi faire? P. 21.

(٧) المرجع السابق ص٢٥

8 . Francois Requadat les exercices structuraux. Hachette 1966 P. 29.

(٩) المرجع السابق ص٣١.

10. Pierre Delattre: Les exercices structuraux pour quoi faire? 1971, P. 29.

(١١) المرجع السابق ص٣٥و٣١

(١٢) نفهم ايضاً من كتاب

Pierre Delattre. Les exercices structuraux pour quoi faire? 1971. P. 46.

13. J.O. Grandjouan. Cent pages sur la linguistique et l'enseignement du francais. Didier Paris 1971, P. 21.

14. Pierre Delattre. Les exercicess structuraux pour quoi faire? Hachette 71, P. 46. 42.

(١٥) المرجع السابق ص٤٦.

16. Francoise Dubois Charlier. Comment s'initier a la linguistique. Larousse 75 P. 26.

17. De vive voix. Cours Gredif P. 6a 17.

18. J.O. Grandjouan. Cent pages sur la linguistique et l'enseignement du francais aux etrangers. Didier P. 24.

19. Raymond Renard. La methodologie SGAV d'enseigmeent des langues. Une problematique de l'appren tissage de la parole. Didier Paris 1976, E. 12.

قائمة باهم المراجع الاجنبية

Francois Redequat. Les exercices structuraux. HAchette 1966 Belc. 92 pages.

- J.O. Grandjouan. Cent pages sur la linguistique et l'enseignement du francais aux.
- etrangers. Didier 1970. 101 pages.
  Pierre Delattre. Les exercices structuraux pour quoi faire? Hachette 1971, 159, P.
- Robert Galisson. Inventaire thematique et syntagmatique du francais fondamental Hachette 1971.
- Jean Guenot. Clefs pour les langues vivantes. Seghers 1971. 189, pages.
- Andre Reboullet. Guide pedagogique pour le professeur de francais langue etrangere. Hachette 1971.
- Dictinnaire de linguistique. Larousse 1973.

نورد قائمة في كتب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها التي تمكنّا من الاطلاع عليها .

- العربية المعاصرة — السنة الأولى — الجزء الأول — الطبعة الثانية جوان . تونس (معهد بورقيبة للغات الحية) .
- العربية المعاصرة — السنة الثانية — الجزء الأول تونس — جوان ١٩٧٧
- اللغة العربية لغير الناطقين بها — تأليف حميد مخلف الهيثمي والدكتور سلمان الواسطي وجاسم محمد العسون — الجزء الأول رمضان ١٣٩٧ / أيلول ١٩٧٧ (طبعة تجريبية) .
- اللغة العربية لغير الناطقين بها — تأليف حميد مخلف الهيتيمي والدكتور سلمان الوسطي ط ورضا الكشو وراضية عبيد ط بغداد ١٩٧٩.
- اللغة العربية لغير الناطقين بها — تأليف حميد مخلف الهيثمي والدكتور سلمان الواسطي ورضا الكشو وراضية عبيد ط . بغداد — ١٩٨٠ ٢٧٦ صفحة — الجزء الثاني .
- تعلم العربية — الجزء الأول — تأليف السيد عبد العال السيد — حسن أحمد عباسي ومحمد راجع جدعان مراجعة عبد العزيز عبد الله تركي — المشرف العام د. كمال ناجي . د. ت ١٦٨ ض (معهد اللغات — دولة قطر)
- تعلم العربية الجزء الثاني — نفس مؤلفي الجزء الأول — د. ت ٩١ص
- تعلّم العربّية — الجزء الثالث — نفس مؤلفي الجزء الأول ١٣٩٨/ ١٩٧٨ ٨٧ ص .
- تعاليم اللغة العربية لغير العرب — الجزء الأول — تأليف الدكتور علي محمد النفغني — اشراف الدكتور عبد الله سليمان الجربوع . ١٣٩٨/ ١٩٧٨ . الطبعة الثانية — ١٢٨ ص — جامعة الملك عبد العزيز

- كتاب المحادثة ــ المستوى الأول ــ إشراف الدكتور عبدالله سليمان الجربوع اعداد بابكر أحمد البشير وعبد الرحمن الناجي ٢٢٢ ,ص
- اللغة العربية لغير الناطقين بها ــ كتاب مرشد المعلم ــ إعداد عبد الجواد علامة ــ ابراهيم الزيني ــ أحمد عبدالله حماد مراجعة أحمد الكردي .
- اللغة العربية لغير الناطقين بها ــ جزء الأول ــ إعداد عبدالجواد علام ــ ابراهيم الزيني ــ أحمد عبدالله حماد ــ مراجعة أحمد الكردي .
- من الخليج إلى المحيط ــ الجزء الأول ــ جرجورة جردان رولان مينية ــ هنري عويس ــ يوسف ديشي ــ يوسف عون ط. باريس ١٩٧٩ ــ ١٤٤ ص .



مجمع الامثال

دراسة في منهجه وطائفة من امثاله

سمير كاظم خليل

قسم اللغة العربيه – كلية التربية

م/٣/١٠مش

تعريف المثل واهميته:

قد تختلف الاراء وتتشعب في حد المثل او تعريفه، وذلك لان الامثال اسلوب ادبي ذو خصائص متعددة، وهي ذات أعداد هائلة تستند معظمها الى قاعدة شعبية عريضة، كما أن تعدد اساليبها وصياغاتها يزيد الطين بلّه، ومن الصعوبة على الباحث حصر هذا العدد الهائل المتباين في محتواه واسلوبه ضمن تعريف جامع مانع، فهي تأبى التحديد الجامد، ولهذا لايعدم الباحث أن يجد اكثر من تعريف وضعه اللغويون والادباء كل حسب ثقافته واطلاعه، والامثال كما هو معروف اقوال محكيه سائره يقصد منها تشبيه احوال الذين حكيت فيهم باحوال الذين قيلت فيهم.

ولابد لنا ان نقف على الاصل الاشتقاقي لكلمة (مثل) قبل التعرض لاهم التعاريف التي قيلت فيه، يقول ابن منظور: يقال مثْل ومَثَل وشبه وشبه بمعنى واحد، والمثل والمثيل: كالمثل والجمع امثال وهما يتماثلان، والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعله مثله، قال الجوهري: ومثل الشيء ايضا صفته، ويقال: تمثل فلان ضرب مثلاً: وتمثل بالشيء ضربه مثلا: والمثل: ما جعل مثالاً اي مقداراً لغيره يحذى عليه (١) ويرى ابو الحسين احمد ابن فارس أنّ المثل «يدل على مناظرة الشيء للشيء». وهذا مثل هذا اى نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد. وربما قالوا مثيل كشبيه والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لانه يذكرمورى به عن مثله في المعنى(٢) فالاصل السامي العام لهذه الكلمة في العربيه: مثل وفي العبريه (Masal) وفي الارامية (Matla) وفي الحبشيه (Mesel) وفي الاكاديه (Mesal) ويتضمن حسب اشتقاقها معنى المماثله، والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل والنظير (٣) ويرى البعض ان الكلمه من العبريه ففيها كلمة (مثل)

---

(١) لسان العرب: ج٣ مادة مثل.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج٥ مادة مثل.

(٣) الامثال العربية القديمة: — ٢١ —.

تدل على هذا المعنى او اوسع منه . فهم يطلقونها على الحكمة السائرة والحكاية القصيرة ذات المغزى وعلى الاساطير، (١) ويرى رودلف زلهايم ان المثل قد وجد لدى العرب قبل ان يعرف بهذا الاسم بزمن طويل، « وللحاجه الى التجريد — تلك الحاجه التي توجد لدى الشعوب البدائيه». سمى قدامى الساميين (المثل) باسمه تبعا لسماته الجوهرية أصلا وهي سمات المقارنة التصويرية: ولايفهم من اشتقاق كلمة (المثل) شيء اكثر من (التمثل) معناه تشبيه شيء بشيء (٢) وبهذا الحديث المقتضب نكون قد اوضحنا المعنى الاشتقاقي لكلمة (مثل) التي تتردد كثيراً في كتب اللغة والادب.

ولو حاولنا ان نستقصي كل تعريفات المثل لوجدناها كثيرة يصعب حصرها ومن أجل ذلك حاولت ان استشهد ببعضها على سبيل التمثيل لا الحصر. ومن الذين اهتموا بالامثال (ابو هلال العسكري) الذي يؤكد اهمية المثل وصياغته قائلا: « لما عرفت الامثال تتعرف في اكثر وجوه الكلام وتتدخل في جل اساليب القول أخرجوها في اوقاتها من الالفاظ ليخف استعمالها ويسهل تناولها فهي : أجل الكلام وأنبله وأشرفه».

وأفضله لقلة الفاظها وكثرة معانيها ويسير مؤنتها على المتكلم مع كثير عنائها وجسيم عائدتها ومن عجائبها انها مع اعجازها تعمل عمل الاطناب (٣) ويرى ابن عبد ربه ان الامثال «هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني . والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها (في) كل زمان وعلى كل لسان فهي ابقى من الشعر واشرف من الخطابة لم يسر شيء مسيرها ولاعم عمومتها حتى قيل : آسير من مثل (٤) أما ابن الاثير فقد وجد ان الامثال اشبه بالرموز والاشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحا ولاجل ذلك صارت أوجز الكلام . وقد قيل في حد المثل : انه القول الوحيد

---

(١) فجر الاسلام: — ٦٠ — .

(٢) الامثال العربية القديمة: —

(٣) جمهرة الامثال: — ٣ —.

(٤) العقد الفريد: — ٦٣/٣ — .

المرسل ليعمل عليه وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الاخلال بمعرفتها (١) ويتصدى له ابن ابي الحديد مقوما وناقداً لهذا التعريف حيث يقول : قال المصنف حد المثل (كذا) وهو باطل بقوله تعالى (اقيموا الصلاة) فانه قول وجيز ارسل ليعمل عليه وليس بمثل وايضا فان اراد بقوله ليعمل عليه اي ليعمل بموجب مافيه من الاقتضاء والطلب فهذا باطل باكثر الامثال نحو قولهم هو افعل من كذا ، وان اراد بقوله ليعمل عليه ان يستعمل فيه الموضوع اللائق فكل بيت شعر من اشعار الجاهلية والمحدثين قول وجيز مرسل يستعمل في موضع يليق به وذلك يقتضي ان يكون الشعر كله امثالاً والصحيح ان يقال : المثل يطلق على نوعين احدهما ماقصد به المبالغة بلفظ افعل : (٢) ، ونلاحظ ان الميداني يتفق مع المبرد في تعريفه للمثل بقوله :« المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالاول والاصل فيه التشبيه (٣) ولقد اهتم الادباء المحدثون بالامثال ودراستها ومحاولة وضع تعريف لها . ومن أولئك الدكتور شوقي ضيف حيث يقول :« الامثال عبارات تضرب في حوادث مشبهة للحوادث الاصلية التي جاء بها (٤) ويرى الدكتور عبد المجيد عابدين ان المثل هو صحة العبارة التي تتصف بالشيوع والايجاز وحدّة المعنى وصحته.. أو هو العبارة الموجزة الادبية التي تدل على عقل واع وتأمل بعيد وصنعة ظاهرة في تنميق العبارة وتنسيقها (٥) ، ويعتمد عمر كحاله ان المثل قول سائر يمتاز بشهرته وايجازه ورقة معناه واصابة الغرض المنشود منه وصدق تمثيله للحياة العامة والافكار الشعب على وجه الخصوص (٦) ، ويلخص احمد الاسكندري

---

(١) المثل السائر : — ٦٣ — .

(٢) الفلك الدائر : — ٥٣ — .

(٣) مجمع الامثال : — ٩ — ينظر الكامل للمبرد : ١٨١.

(٤) الفن ومذاهبه : — ٢١ — .

(٥) الامثال في النثر العربي القديم : — ٩ — .

(٦) الادب العربي في الجاهلية والاسلام : — ١٧٢ — .

معنى المثل بقوله : « ان المثل قول محكي سائر يقصد منه تشبيه حال الذي حكي فيه كحال الذي مثل لاجله (١) ، ومن خلال هذه التعاريف التي قيلت حول الامثال نستطيع ان نستشف مدى اهتمام الادباء بظاهرة الامثال قديماً وحديثاً بوصفها نموذجاً ادبياً له خصائصه ، ونرى انهم يلتقون في كونها قولاً موجزاً يراد به التشبيه ويحمل بين جوانحه روح الحكمة والتجربة الانسانية .

ولابد لنا بعد هذا الاستعراض الموجز ان نسال عن اهمية المثل بوصفه عنصراً من عناصر الادب المصنف ضمن فن النثر ، اذن مااهمية المثل ؟ وماهي الدوافع لتاليفه والاهتمام به ؟ نلاحظ ان الامثال تصور حياة الامة العربية بشتى جوانبها فهي اصدق تعبير عن اخلاق الامة وتقاليدها وعاداتها وعقليتها وحضارتها لانها في اعتقادي مرآة لما يحدث في رحم هذه الامة من تفاعلات اجتماعية وذهنية . وتشير الى تأثر الحضارة العربية وتلاقحها بالحضارات الاخرى او بالعكس . والامثال ظاهرة اجتماعية ادبية في الوقت نفسه ، تظهر عند اكثر الامم حتى تلك التي لم تعرف الكتابة فيها بشكل واسع ، وهي تجسد المعاني عند الاستشهاد بها في طوايا الكلام ولايغيب عن الذهن ان الله تعالى قد ضرب الامثال في كتابه العزيز وهذا دليل على اهميتها وقيمتها .

ولايعدم الباحث ان يجد الكثير من الادباء والباحثين يؤكدون اهمية المثل ومن هؤلاء جرجي زيدان الذي يعدها من اداب العرب الهامة لانها تجري على السنتهم مجرى الشعر وهي عظات بالغة من ثمار الاختيار الطويل والعقل الراجح . (٢) فمن امثال الامة نستطيع ان نتفهم المستوى الذي وصلت اليه من حيث الرقي ونستطيع ان نعرف كثيراً من اخلاقها وعاداتها ، فالامثال اذا معين لاينضب لمن يريد دراسة المجتمع او اللغة

(١) الوسيط في الادب العربي وتاريخه: — ١٣ — .
(٢) تاريخ اداب اللغة العربية: ١/٥٢.

او العادات الشعبية عند امة من الامم ، (١) وبهذا نكتفي بالحديث عن اهمية الامثال حيث يمكن للقارىء ان يلمس ذلك من خلال دراستنا لمجموعة من الامثال العربية القديمة في الصفحات القادمة .

حياة المؤلف :

تتفق اكثر المصادر والمراجع في المعلومات التي تناولت حياة هذا العالم الجليل ، ونراها تتحدث عنه باقتضاب مما يجعل من العسير علينا معرفة جزئيات حياته لنتفهم شخصية من خلال ظروف حياته . وعلى كل حال. فان المعلومات التي حصلت عليها تفي بالغرض ، لان البحث الذي نحن بصدده هو كتابه (مجمع الامثال) ، وفي ظني ان الكتابة عن حياة المؤلف بكل تفصيلاتها امر يخرج بنا الى متاهات نحن في غنى عنها، لذلك ساتناول حياته بايجاز مفيد ثم الج خضم البحث في كتابه الشهير . المؤلف هو « ابو الفضل احمد بن محمد بن ابراهيم الميداني النيسابوري الاديب كان اديباً فاضلاً عارفاً باللغة اختص بصحبة ابي الحسن الواحدي صاحب التفسير ثم قرأ على غيره ، واتقن فن العربية خصوصا اللغة والامثال المنسوب اليه ولم يعلم مثله في بابه ، كتاب السامي في الاسامي وهو جيد في بابه وقد سمع الحديث ورواه (١) ولقد كانت له يد باسطة في انواع الادب وصنف التصانيف الجليلة مثل (الهادي للشادي) (٣)، ويقال ان الزمخشري الخوارزمي لما نظر في الكتاب المذكور انكر عليه تسميته بهذا الاسم وقال له: الشادي (٤) مااخذ طرفاً من العلم وهذا الكتاب لايليق الا بمن كان منتهيا لامبتدئا وله كتب اخرى منها: (نزهة الطرف في علم الصرف) وكتاب(شرح المفضليات) وكتاب(منية الراضي في مسائل الكافي) (٥) ولقب المؤلف بالميداني نسبة إلى محلة من محال

---

(١) مقدمة كتاب الأمثال للسدوسي: ٥.
(٢) وفيات الاعيان: ١/١٣٠.
(٣) انباه الرواة: ١/١٢٤.
(٤) نزهة الالباء: ٣٩٠.
(٥) انباه الرواة: ١/١٢٤.

نيسابور كان يسكنها (١) ، وهو ميدان زياد بن عبد الرحمن في محلة نيسابور (٢) ،وقد اشتهر الميداني بادبه وسعة علمه، وعرف في البلدان بتصانيفه الحسان المشهورة، وقرأ الاصول واحكمها ثم اخذ بالتصنيف فاحسن كل الاحسان فيما جمعه وصنفة واربى على من تقدم بالترتيب والتحقيق واستدرك على بعض من زل من قبله من المصنفين واصلح مواضع الغلط وكتب عن الامام ابي الحسن علي بن فضال المجاشعي النحوي القادم على نيسابور، (٣) ويتمم هذه الترجمة ماأثر عن الحسن البيهقي في كتابه وشاح الدمية قال عنه :الامام استاذنا صدر الافاضل ابو الفضل بن احمد الميداني صدر الادباء وقدوة الفضلاء وقد صاحب الفضل ايام فقد زاده وفني عتادة وذهبت عدته وبطلت اهميته فقوم سناء العلوم بعدما غيرتها الايام بصروفها ووضع انامل الافاضل على خطواتها وحروفها ولم يخلق الله فاضلاً في عهده الا وهو في مائدة ادابه ضيف ،وله بين بابه وداره شتاء وصيف وماعلى من عام لجج البحر الخضم واستنزف الدر ظلم وكان هذا الامام ياكل من كسب يده ؛ (٤) ويذكر ان ابنه سعيداً كان ايضا فاضلاً ديناً وعالماً جليلا وله كتاب (الاسماء في الاسماء) .

ومن اطرف ماذكر عن المؤلف قصته مع الزمخشري التي تدل على ذكائه ونباهته، وقد وردت تلك القصة في معظم المراجع التي تحدثت عنه، وهي في اعتقادي نوع من المبالغة غير المحببة، وملخص القصة ان الميداني لما صنف كتابه مجمع الامثال وقف عليه الزمخشري فحسده فاخذ القلم وزاد (نوناً) فصار (النميداني)ومعناه بالفارسية الذي لايعرف شيآً ،فلما وقف الميداني على ذلك اخذ بعض تصانيف الزمخشري وابدل الميم نوناً فصار

(١) معجم الادباء: ٥/٤٥.
(٢) وفيات الاعيان: ١٣٠/١.
(٣) ابناه الرواة: ١٤١/١.
(٤) السامي بالاسامي: ج.

(الزنخشري معناه بائع زوجته في الفارسية) (١)، ويبدو ان معنى كلمة (زنخشري) لم تكن دقيقة حيث نجد ان طاش كبرى زاده يعترض على ماذكر بقوله: قلت المعنى المذكور اعني بائع زوجته ليس يحصل بتبديل الميم نوناً فقط بل يجب مع ذلك تقديم الشين على الخاء ويقال «زنش خرى» واما بدون هذا التقديم فمعناه امر قبيح شنيع وهو تغوط على ذقنه (٢) ويقال انه لما وقع الزمخشري على ذلك كتب إلى الميداني واعتذر اليه من ذلك، فكتب اليه اذا رجعت رجعنا وقبلنا عذرك، وهذه فكاهة لاتليق بالمشايخ (٣) وذكر محمد ابو المعاني بن الحسن الخواري في معرض حديثه عن الميداني وعلمه قوله. «وسمعت غير مرة من كتاب اصحابه يقولون لو كان للذكاء والشهامة والفضل صورة لكان الميداني تلك الصورة» ومن تأمل كلامه واقتضى اثره علم صدق دعواهم، وكان ممن قرا عليه وتخرج به الامام ابو جعفر احمد بن علي المقري البيهقي وابنه سعيد وكان إماماً بعده (٤) ومن خلال ترجمة حياته ظهران الميداني لم يكن لغويا فقط بل اديباً وشاعراً ايضا، وقال عبد الغافر بن اسماعيل ومن اشعاره.

تنفس صبح الشيب في ليل عارضي ... فقلت عساه يكتفي بعذاري
فلما فشا عاتبته فاجابني ... الاهل يرى صبح بغير نهار

وله ايضا

شفة لماها زاد في الآمي ... في رشف ريقتها شفاء سقامي
قد ضمنا جنح الدجى وللثمنا ... صوت كقطك ارؤس الاقلام

هذا على وجه التقريب معظم ماذكر عن المؤلف في المصادر والمراجع التي وقعت بين يدي، وهي اخبار قليلة بالقياس لمكانه هذا العالم الفذ. ولو تأملنا

---

(١) انباه الرواة : ١/١٢٣، معجم الادباء: ٥/٤٧، الفلاكة المفلوكون: ٩٩، بغية الوعاة: ١/٣٥٦.

(٢) مفتاح السعادة: ١/١٢٤.

(٣) نزهة الالباء: ٣٩٠.

(٤) معجم الادباء: – ٥/٤٧ – ٤٨ –.

ابياته الاخيرة لوجدنا ان تشبيهه نابع من بيئة علم وادب فهو يصور صوت «اللثم» بـ«قط الاقلام» وهذا التشبيه بالرغم من عدم شاعريته يدل على تأثره بادوات الكتابة وحبه لها اذ لم نسمع مثل هذا التشبيه الغريب الطريف من قبل الشعراء الاخرين لان مثل هذا التشبيه لايمكن ان يبرز في ذهن شاعر بعيد عن عالم الكتابة وادواتها.

وتكاد تتفق اكثر المصادر والمراجع على تاريخ وفاته فقد توفاه الله في رمضان سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، ليلة القدر ودفن بمقبرة الميدان بعد ان ترك لنا اعظم التصانيف والتي منها كتابه القيم «مجمع الامثال» موضوع البحث.

منهجه :

لقد عني العرب بجمع الامثال لانها جملة ما احتاجوا اليه في تحقيق الفاظ اللغة ولانها من جملة الاساليب النثرية التي صاغها العرب بطبقاتهم ومع ملتقى القرن الخامس بالسادس الهجري جمعت الامثال العربية القديمة في كتابين مشهورين هما «مجمع الامثال» للميداني (والمستقصى في امثال العرب) للزمخشري وقد اصبح هذان الكتابان مرجعين كبيرين لهذا النوع من الادب وبقي كذلك حتى يومنا هذا، فكان المتأخرون من جماع الامثال يقومون باختصارها او تنقيحها ولكنهم لم يستطيعوا ان يزيدوا عليها.

وقبل ان نتحدث عن اهمية هذا الكتاب — مجمع الامثال — لابد من الاشارة إلى اختلاف اسمه بين مصدر واخر ولكنها تدور جميعها حول الامثال ويبدو ان قدرا معينا من التغيير قد دخل على اسم الكتاب بسبب النسخ كما اعتقد . فنجده في (بغية الوعاة) و (الفلاكة والمفلوكون) و (وفيات الاعيان) باسم (الامثال) . اما في (كشف الظنون) فنراه باسم مجمع الامثال وهو ما اشتهر به . ولكن (جرجي زيدان) في (تاريخ اداب اللغة العربية) قد جمع بين الاسمين دون الاشارة إلى ماورد لدى القفطي باسم (جامع الامثال) .

(*) انظر تفصيل ذلك في كتاب: الأمثال العربية القديمة: — ٢٠٩ — ٢١٠ — .

ولبيان اهمية هذا الكتاب يحكي بان الزمخشري بعدما ألف المستقصي في الامثال وقع بين يديه مجمع الامثال فاطال النظر فيه ، واعجبه جدا ، ويقال انه ندم على تأليفه المستقصي لكونه دون مجمع الامثال في حسن التأليف والوضع وبساطة العبارة وكثرة الفوائد وغزارة المادة الادبية فيه وقد فضل اللاحقون من العلماء والادباء بعد ذلك كما يبدو كتاب الميداني على كتاب قرينه الزمخشري ، فقد طبع مجمع الامثال أكثر من مرة ، طبع حروف وطبع حجر ، حيث طبع مرارا في مصر وفي بيروت سنة ١٣١٢هـ وطبعة بيروت اتقنها لانها عبارة عن نظم الامثال في ارجوزة عليها شروح للشيخ ابراهيم الاحدب المتوفى في بيروت ١٣٠٨هـ وقد سماه (فرائد اللالي في مجمع الامثال) صدر في مجلدين ضخمين يليهما فهارس أبجدية في مئة صفحة، مما جعل فوائده مضاعفة وله مختصرات غير شائعة (١) . في حين ان كتاب الزمخشري لم يصل الى يد الناس في طبعة من طبعـاتـه .

ولنترك المؤلف يحدثنا عن منهجه في تأليف كتابه بعدها نقوم نحن باستقراء هذا المنهج وتحليله ثم توضيح مالم يذكره ، ويبدو انه ألف هذا الكتاب بناء على رغبة السيد العالم ضياء الدولة صفي الملوك أبو علي محمد بن ارسلان ، يقول المؤلف : أشار بجمع كتاب في الأمثال مبرز على ماله من الأمثال مشتمل على غثها وسمينها محتو على جاهليها واسلاميها، فعدت الى وطني ركض المنزع شمرة الغالي مشمرا عن ساق جدي في امتثال أمره العالي فطالعت من كتب الائمة الاعلام مأأمتد في تقصيه نفس الايام مثل كتاب ابي عبيده وابي عبيد والاصمعي وأبي زيد وأبي عمرو وأبي فيد . ونظرت فيما جمعه المفضل بن محمد والمفضل بن سلمه حتى لقد تصفحت أكثر من خمسين كتابا ونخلت مافيها فصلا فصلا وبابا بابا مفتشا عن ضوالها زوايا البقاع . مشذبا عنها ابنها بصارمي القطاع علما مني

(١) تاريخ اداب اللغة العربية: ٣/٤٥.

أني أحت به الدينار في كف ناقد .. وأجلو منه البدر لطرف غير راقد يزيده بالنظر فيه رونقاً وبهاء ويكسبه بالاقبال عليه سناً وسناء. ونقلت مافي كتاب حمزة بن الحسن الى هذا الكتاب الا ماذكره من خرزات الرقي وخرافات الاعراب والامثال المزدوجة لاندماجها في تضاعيف الابواب وجعلت الكتاب على نظام حروف المعجم في اوائلها ليسهل طريق الطلب في تناولها وذكرت في كل مثل من اللغة والاعراب مايفتح الغلق ومن القصص والاسباب مايوضح الغرض ويسيغ الشرق مما جمعه عبيد بن شرية وعطاء بن مصعب والشرقي القطامي وغيرهم ، فاذا قلت المفضل مطلقا فهو ابن سلمة واذا ذكرت الاخر ذكرت اسم ابيه . وافتح كل باب بما في كتاب ابي عبيد وغيره ثم اعقبه بما على افعل من ذلك الباب ثم امثال المولدين حتى آتي على الابواب الثمانية والعشرين على هذ النسق ولا اعد حرفي التعريف ولا الف الوصل والقطع والامر والاستفهام ولاالف المخبر عن نفسه ولاماليس في اصل الكلمة حاجزا الا ان يكون قبل هذه الحروف مايلازم المثل ..

وجعلت الباب التاسع والعشرين في اسماء ايام العرب دون الوقائع فان فيها كتباً جمة البدائع .. وجعلت الباب الثلاثين في نبذ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام خلفائه الراشدين رضى الله تعالى عنهم اجمعين مما ينخرط في سلك المواعظ والحكم والاداب . وسميت الكتاب (مجمع الامثال) لاحتوائه على عظيم ماورد منها وهو سته آلاف مثل ونيف والله اعلم بما بقي منها فان انفاس الناس لايأتي عليها الحصر ولا تنفد حتى ينفـد العصر «١» .

ان ماذكره المؤلف انفاً يبدو وكأنه منهج واضح وسليم ، ولكني وجدت بعض الامور التي يمكننا ان نؤاخذ المؤلف عليها اونلفت النظر

(١) مجمع الأمثال: ١/٧ – ٨.

اليها بسبب عدم الاهتمام بها مع اهميتها وهي :

١ ـ لم ينظم اسماء الذين اخذ عنهم في رفد كتابه بحسب التسلسل التاريخي لوفاتهم فهو يذكر (ابو عبيده) و(ابو عبيد) قبل (عبيد بن شريه) ، في حين يُعد هذا هو الراوية القريب من الاول ان لم يكن الاول وهو عبيد بن شرية الجرهمي ت ٧٠هـ الف كتاباً في الامثال ويقول ابن النديم انه راى الكتاب وهو نحو خمسين ورقة عبيد هذا كان جملة الرواة النسابين (١) وكان من الاولى ان يرتبهم كالاتي :

أ ـ عبيد بن شرية الجرهمي (٧٠هـ)
ب ـ ابو عمرو بن العلاء (١٤٥هـ)
حـ ـ المفضل الضبي (١٧٠هـ)
د ـ ابو فيد السدوسي (١٩٨هـ)
هـ ـ ابو عبيدة (٢١١هـ)
و ـ ابو زيد الانصاري (٢١٥هـ)
ز ـ الاصمعي (٢١٦هـ)
ح ـ ابو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣هـ)

ويبدو ان غرام المؤلف بالسجع جعله يخرج على المنهج العلمي في ترتيب اسماء الاعلام الذين استقى منهم .

٢ ـ يذكر الميداني في مقدمته ايضا اسمي عالمين اخرين هما :

الشرقي بن القطامي وعطاء بن مصعب . وان هذين العالمين من رواة الاخبار التاريخية كما اعتقد ، ولم يذكر الميداني اي كتاب لواحد منهما لا في هذا الموضع ولا في اي موضع اخر من الكتاب . واغلب الظن انه لم يذكرهم في المقدمة الا ليشير الى ان بعض حكايات الامثال التي ذكرها جماع الامثال المتاخرين ترجع في روايتها الى كتاب قدماء معروفين في رواية الامثال

(١) فصل المقال في شرح كتاب الامثال: ٢٣ ينظر الأمثال في النثر العربي القديم: ٣٣.

غير ان كتبهم لم يبق منها شيءٌ في زمن المؤلف ، يقول الدكتور احسان عباس في حديثه عن الاخير اما عطاء بن مصعب فلم تجد احداً تصدى لذكره غير الميداني اذا لم يكن في الاسم تصحيف او تحريف ، فانه يبدو انه كان من تلك الطبقة المبكرة من الرواة التي اهتمت برواية ماتتصل به بعض الامثال من اخبار واساطير :

٣ – لم يكن الميداني الرائد في جمع الأمثال كما نعرف ، وهو قد اشار إلى ذلك في مقدمة كتابه حيث قال بأنه تصفح اكثر من خمسين كتاباً ولكنه للاسف لم يذكر اسماء او بعض اسماء تلك الكتب مع اعتقادي بانه قد بذل جهداً مشكوراً في جمع الامثال بعد ان كانت مبعثرة بين كتب الامثال الاخرى والاخبار والنوادر والحكايات الشعبية وادخلها ضمن تصنيف جميل سهل التناول حتى اصبح كتابه المصدر المهم والاول في معرفة الامثال حتى القرن السادس باعتباره عاش جزءاً منه ولم يشر المؤلف ايضاً إلى اسلوب استقائه من تلك المصادر وهل اضاف شيئاً ماخوذاً من شفاه الناس ام انه اكتفى بهذه المصادر التي نخلها باباً باباً؟.

ولو حاولنا ان نختبر المؤلف في دقة ذكر العدد الذي اورده في المقدمة والبالغ ستة الاف ونيف لوجدنا ان عدد الامثال التي عالجها الميداني مرتبة حسب الابواب الثمانية والعشرين التي تساوى عدد الحروف الابجدية كالاتي: (٣٦٦٨) مثلاً و(١٠٦٥) مثلاً على وزن افعل اضف إلى ذلك (٩٠٥) من الامثال المولدة التي ذكرها المؤلف عقب الامثال التي على وزن (افعل من) في كل باب ، وبذلك يصبح مجموع الامثال الموجودة في الابواب كلها هو: ٥٦٣٨ مثلاً . واذا احتسبنا بعد ذلك (٢١٧) يوماً من ايام العرب ذكرها الميداني في الباب التاسع والعشرين .ثم نحسب (٢٢٨) مثلا تنسب إلى الرسول (ص) وخلفائه (رض) فاننا نصل إلى اكثر من ستة الاف مثل وهو ماعبر عنه الميداني بـ(ستة الاف ونيف) وهو بذلك قد التزم بمنهج علمي رياضي واضح ولااعرف كيف فات الدكتور عبد المجيد عابدين العدد الدقيق لأمثال

المولدين في مجمع الامثال مايقرب من الفين مستنداً في ذلك — كما يبدو — إلى احصاء الباحث (غويطاين) في حين ان عددها المضبوط كما قلنا هو (٩٠٥) امثال فقط.

ويرى جرجي زيدان ان مجمع الامثال يضم بين جنبيه نخبة مااحتوته كتب المتقدمين .جمعه مؤلفه من نحو خمسين كتاباً في الامثال ورتبه على حروف المعجم بعد ان اضاف اليه امثال المولدين ،وهو اجمع كتاب في الامثال العربية وفيه شروح لطيفة وقد طبع مراراً بمصر والشام ، اما كتب الامثال الاصلية التي اخذ عنها الميداني والزمخشري فالباقي منها قليل اهمها كتاب الامثال لأبي عبيد بن سلام وامثال العرب للضبي وجمهرة امثال العرب للعسكري (١)

ولقد خلف لنا العرب الكثير من الامثال .. منها الامثال القديمة وهي ماخلفها العرب في العصر الجاهلي، ومنها ماظهر في العصر الاسلامي ثم العصور التي تلته وهي ماأطلق عليها الميداني (امثال المولدين) ولقد كان البدوي يطلق المثل على سجيته وعلى فطرته وسليقته فينتشر بعد فترة من الزمن في انحاء الجزيرة العربية ، وذلك لما فيه من بساطة وحس صادق وتعبير عن روح العصر ،وجاء في المقدمة التي وضعها الاستاذ عبد الفتاح محمد الحلو لكتاب الثعالبي قوله «وكثيراً مايحز بك امر ويهط عليك سرور او تدهش لحادث فتجد نفسك لاشعوريا تنطق بالمثل وكانما تذكرت طبيعتك الانسانية»(٢)

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب في مقدمته لكتاب ابي فيد السدوسي ان جمع الامثال انما مر بثلاث مراحل وهي كالاتي:

١ — مرحلة الاخباريين والقصاص وكان غرضها الحكاية.

٢ — مرحلة اللغويين وكان غرضها جمع الامثال وتصنيفها في موسوعات. وظهر من صنفوا في هذه المرحلة:

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية: ٥٢/١.

(٢) التمثيل والمحاضرة: ٢٣.

أ - جمهرة الامثال لابي هلال العسكري ت (٣٩٥هـ).
ب - مجمع الامثال للميداني ت (٥١٨هـ)
ج - المستقصي لامثال العرب للزمخشري ت(٥٣٨هـ)
د - مجامع الامثال للبيهقي ت (٥٦٥هـ) (١).

اما كتاب جمهرة الامثال للعسكري فقد رتبه على حروف المعجم كما يذكر في مقدمته، واورد فيه مايقرب من الف وستين مثلاً، كلها من الامثال القديمة ولم يتعرض لامثال المولدين كما فعل الميداني ، ولايهمنا في هذه المرحلة غير كتاب مجمع الامثال للميداني موضوع البحث، ولهذا الكتاب اهمية جليلة وذلك لاحتوائه على عدد كبير جداً من الامثال ،وقد تعترض الباحث جملة صعوبات عند دراسته لهذه الامثال، ولعل ابرزها عدم تحديد الزمن الذي قيل فيه المثل،ومن الذي قاله او رواه .وهذه الصعوبة لانجدها في كتاب الميداني حسب بل في معظم كتب الامثال، فمن الصعب ان نميز هذه الامثال جاهليها من اسلاميها الا في القليل النادر ،يقول الاستاذ احمد امين في هذا الصدد: وقد عاق عن الاستفادة من الامثال العربية اختلاط الامثال الجاهلية بامثال الاسلام اختلاطا كبيراً حتى ليصعب التفريق بينها ، وهذه اول خطوة يجب التحقق منها قبل الاستدلال بالامثال على الحياة العقلية (٢) ونستطيع ان نضع بعض الدلائل العامة التي يمكننا بوساطتها ان نحدد مصدر المثل او زمنه واهم هذه الدلائل هي:

١ - وجود بعض الامثال التي قيلت في حوادث تاريخية مهمة ذكرها يدل على زمن المثل من خلال الحادثة اوالموقعة التي قيل من اجلها المثل .

٢ - توجد بعض المفاهيم الجاهلية سواء اكانت اجتماعية ام فكرية او غيرها تنعكس في طائفة من الامثال . نستطيع من خلالها الاستدلال على

---

(١) ينظر كتاب الأمثال العربية القديمة: ٥ - ٩.
(٢) فجر الاسلام: ٦١.

تحديد زمنها مثل : انصر اخاك ظالماً أو مظلوما الذي استشهد به الرسول (ص) فيما بعد كما يقال .

٣ — تتميز بعض الامثال بذكر اسم القائل او الرواية او القصة التي قيل من اجلها المثل . وذلك يجعلنا نتاكد من ضبط المثل وصحته وتحديد زمنه ان لم تكن القصة او الشخصية المذكورة خرافية او اسطورية كما سنرى فيما بعد .

٤ — وجود مايعبر عن البيئة والطبيعة التي قيل المثل فيها من حيوان او نبات او اطعمة او مظاهر حضارية مادية او دينية او غير ذلك .

ولكن ستبقى المشكلة قائمة في اعتقادي لان هذه الدلالات ليست مقياساً مضبوطاً لحصر جميع الامثال التي قيلت ، ومن جهة اخرى فان الامثال قد رتبت في معظم كتب الامثال ترتيباً هجائياً اي بحسب ترتيب المعاجم وهذه الظاهرة عامة في تلك الكتب باستثناء المفضل الضبّي ، فلم تُرتّب الامثال بحسب العصور مثلاً . ولابحسب تطور المجتمع العربي انذاك . وهذا ما افقدها كثيراً من قيمتها العلمية في تصوير حياة الامة ، يقول احمد امين في هذا المجال : «لم نر فيما نعلم احد رتبها كل حسب اصولها الاجتماعية كأن يجمع الامثال التي تتعلق بالغنى والفقر وبالعمر وأطوارة وبالزواج والأسرة وبالعمل والتجارة وبالحظ وما اليه وبالاصدقاء والجيران وبالمرأة واخلاقها وبالصحة والمرض إلى نحو ذلك (١) .

طريقة تناوله للامثال .

ان طبيعة جمع الامثال وشرحها تستدعي جهداً وثقافة عامة من المؤلف والباحث الذي يحاول دراستها لانها كثيرة وتلتصق بعادات وتصورات وثقافات وعلاقات الناس بشتى طبقاتهم المتباينة على هذا الاساس يكون من الصعب ابداء الراي فيها دون تمحيص وادراك للجو العام الذي قيل المثل في احضانه ، يقول ابن الاثير «وسبيل المتصدى لهذا الفن ان

---

(١) فجر الاسلام: ٦٢.

يسلك ماسلكته وليعلم ان الحاجة اليها شديدة ، ان العرب لم تضع الامثال إلاّ لأسباب اوجبتها ، وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لامر من الامور عندهم كالعلامة يعرف بها الشيء وليس في كلامهم اوجز منها ولاأشدّ اختصاراً ، (١) ولو حاولنا ان نقارن بين من نقل المثل عن الاخرين لوجدنا ان الاختلاف واضح بين الناقل الاول والناقل الثاني لاسباب تتعلق بفهم الجامع للمثل فهو يغير في قصته ولو كلمات بالرغم من انّ هذا ليس من شأنه . ولكننا نؤكد ان التغيير الحاصل في قصص الامثال يعود إلى الرواة والجامعين ودليلي على ذلك ماقاله ابن الأثير بخصوص فهم الامثال وكيف يروى قصة المثل ، ثم نلاحظ ان بعض الاختلاف قد وقع عند رواية الميداني للمثل نفسه ، يقول ابن الاثير : ان ماأذكره لك لتكون من معرفته على يقين فأقول قد جاء عن العرب من جملة امثالهم «ان يبغ عليك قومك لايبغي عليك القمر» وهو مثل يضرب للامر الظاهر المشهور الاصل فيه كما — قال المفضل بن محمد — انه بلغنا ان بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة اربع عشرة من الشهر فقالت طائفة تطلع الشمس والقمر يرى وقالت طائفة يغيب القمر قبل ان تطلع الشمس فتراضوا برجل جعلوه حكماً (رواية مجمع الامثال : فتراضوا برجل جعلوه بينهم) فقال واحد منهم (رواية مجمع الامثال : فقال رجل منهم) ان قومي يبغون علي . فقال الحكم (رواية الميداني : فقال العدل) ان يبغي عليك قومك لايبغ عليك القمر فذهب مثلاً .

ومن المعلوم ان قول القائل « **ان يبغ عليك قومك لايبغي عليك القمر** » اذا أُخذ على حقيقته من غير نظر إلى القرائن المنوطة به والاسباب التي قيلت من اجلها لايعطي المعنى ماقد اعطاه المثل ، وذلك ان المثل له مقدمات واسباب عرفت .. ولولا تلك المقدمات المعلومة والاسباب المدونة لما فهم من قول القائل «ان يبغ عليك قومك لايبغي عليك القمر» ماذكرناه من المعنى المقصود

(١) المثل السائر : ١/٣٠.

بل ماكان يفهم من هذا القول معنى مفيد لان البغي هو الظلم والقدر ليس من شأنه ان يظلم احداً فكان يصير معنى المثل : ان كان يظلمك قومُك لايظلمك القدر وهذا الكلام مختل المعنى ليس بمستقيم (١) . ومن خلال النص الذي اوردناه لابن الاثير نلاحظ أنّ الاختلاف واضح في رواية قصة المثل من راو الى اخر ، هذا يعني تغير الفاظ القصة زيادة أو نقصاً أو مرادفاً مع الحفاظ على المعنى بالقياس إلى اصل وضعها ، ويؤكد ابن الاثير في كلامه الذي ذكرناه على فهم المثل قبل الشروع بدراسته لان المثل المجرد ربما لايعطينا الصورة الواضحة الدقيقة او المغزى الذي وضع من اجله ، وهذا المنهج يعد سليماً ومنطقياً ودقيقاً .

ولو طبقنا هذا المنهج على ماورد) في كتاب الميداني لوجدنا مايلي :

٢ ـ ان المؤلف يقوم بعض الأحيان بتقويم شرح الامثال فنراه يقول مثل هذا المثل : (ان الموصين بنو سهوان) هذا مثل تخبّط في تفسيره كثير من الناس والصواب ماأثبته بعد ان الحكي ماقالوا ، قال بعضهم : انما يحتاج إلى الوصية من يسهو ويغفل فاما انت فغير محتاج اليها لانك لاتسهو ، وقال بعضهم : يريد بقوله بنو سهوان جميع الناس لان كلهم يسهو والاصوب في معناه أن يُقال : ان الذين يوصون بالشيء يستوفي عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ويدل على صحة هذا المعنى ماانشده ابن الاعرابي من قول الراجز :

انشد من خواره عليان — مضبورة الكاهن كالبنيان
القت طلا بملتقى الحومان — اكثر ماطافت به يومان
لم يلهها عن همها قيدان — ولا الموصّون من الرعيان
ان الموصّين بنو سهوان

يضرب لمن يسهو عن طلب شيءٍ امر به والسهوان السهو ويجوز ان يكون صفة اي بنو رجل سهوان وهو ادم عايه السلام حين عهد اليه فسها ونسي ،

(١) المثل السائر: ٦٢ – ٦٣، ينظر مجمع الامثال: ٣٠/٢١.

يقال رجل سهوان وساه اي ان الذين يوصون لأبدع ان يسهو لأنهم بنو ادم عليه السلام (١) ومن خلال ماذكره الميداني في شرح المثل السابق يمكننا ان نستشف ان شروح المثل ليست مستندة إلى قصة مضبوطة ومروية بدقة حيث يمكن الاعتماد عليها ، والاقل لي هل يجوز لمثل هذا المثل ان يروى دون قصة بالرغم من انه غير واضح ؟! وهل من المعقول الا تكتنفه خاصة قيل من اجلها ؟! اين القصة اذن ؟ ان كل هذا هذه الاسئلة لاجواب عليها فالمفروض من المؤلف ان يذكر لنا القصة على الاقل ولانقول يذكر اسم قائله في اكثر تقدير لنتاكد نحن من ذلك .

(٢) ان الميداني في **مجمل كتابه لايذكر قائل المثل او روايته الافي القليل النادر** . وهذا امر قد يكون في اعتقادي عائداً إلى غياب قائل المثل لان المثل كما هو معروف خلاصة خبرة مجتمع ما ، وهو اشبه بالحكاية الشعبية لكن الذي اشير اليه هو ان بعض الامثال التي اصلها ابيات من الشعر لشاعر قد يكون معروفاً لدى ادباء ذلك الزمن ولكنه يتركها دون توثيق . فلو اخذنا هذا المثل : (ان البغاث بارضنا يستنسر) (٢) لوجدنا انه في الأصل شطر من بيت شعر . والمفروض ان يذكر اسم الشاعر حتى ولو كان معروفاً بين ابناء عصره او المناسبة التي قيل من اجلها هل مدح ؟ ام هجاء لقومه ؟ لان الشطر يستوعب المعنيين ، ولكن الميداني لم يذكر سوى بضعة اسطر شرح فيها المثل كالاتي «البغاث ضرب من الطير وفيه ثلاث لغات الفتح والضم والكسر والجمع وبغاث الطير . قالوا طير دون الرخمة واستنسر صار كالنسر في القوة عند الصيد بعد ان كان من ضعاف الطير : يضرب للضعيف يصير قوياً وللذليل يعز بعد الذال ، ولهذا من حقنا ان نعترض على المؤلف الذي ادعى في مقدمته انه نخل كتب الامثال واخذ ماراه جيداً . وعليه لابد من التأكد من القائل والقصة على اقل تقدير .

---

(١) مجمع الامثال : ي١/١١ – ١٢.

(٢) المصدر السابق : ١٢/١.

٣ ـ ولكننا في بعض الاحيان نرى المؤلف يورد المثل مشفوعاً بالقصة والقائل عند شرحه ، كما هو موجود في المثل القائل : **(اتتك بحائن رجلاه)** كان المفضل يخبر بقائل هذا المثل فيقول انه الحرث بن جبلة الغساني قاله للحرث بن عيف العبدي وكان العيف قد هجاه فلما غزا الحرث بن جبلة المنذر بن ماء السماء كان ابن العيف فاتي به إلى الحرث بن جبلة فعندها قال (اتتك بحائن رجلاه) يعني مسيره مع المنذر اليه ثم امر الحرث سيافه الدلا مص فضربه ضربة دقت منكبه ثم برأ منها وبه خبل ، قيل اول من قال عبيد بن الابرص حين عرض للنعمان بن منذر في يوم بؤسه وكان قصدة لمدحه ولم يعرف انه يوم بؤسه فلما انتهى اليه قال له النعمان هلا كان هذا غيرك قال البلايا على الحوايا فذهبت كلمتاه مثلاً (١) وبهذا يكون المؤلف قد استوفى شروط البحث العلمي بالرغم من اختلاف الرواية حيث ذكر انه استند في ذلك المفضل .

٤ ـ لقد كنا نامل من هذا الاديب واللغوى الجليل ان يقوم بدراسة الامثال دراسة لغويه وتاريخيه ، خاصة وانه يملك ثقافة ادبيه ولغوية واسعة وكذلك معرفة اللغة الفارسية ، ولم نجد في كتابه الانفآ من هذا النوع مثل (اول ماطلع ضب ذنبه) قال ابو الهيثم يقال ذلك للرجل يصنع الخير ولم يكن صنعه هذا الرجل ، منهم من يرفع اول ويرفع ذنبه على معنى اول شيء اطلعه ذنبه ومنهم ينصب اول وينص ذنبه على ان يجعل اول صفة يريد ظرفاً على معنى في اول ماطلع ضب ذنبه (٢) وفعل مثل ذلك في المثال القائل: (استأصل الله عرقاته قال ابو عمرو يقال استأصل الله عرقات فلان وهي اصله وقال المنذري هذه كلمة تكلمت بها العرب على وجوه ، قالوا استأصل الله عَرْقاته وعَرَقاته وعِرقاته وعَرِقاته قلت لم يزيداً على ماحكيت وارى انها مأخوذة من العرقة وهي الطمرة تنسج فتدار حول الفسطاط

---

(١) المصدر السابق: ٢٥/١.

(٢) المصدر السابق: ٦٥/١ ـ ٦٦.

فتكون كالاصل له ويجمع على عرفات وكذلك اصل الحائط يقال له العرق فأمّا سائر الوجوه فلا ارى لها ذكراً في كتب اللغة الا ماقاله الليث فانه قال العرقاة من الشجر ارومة الاوسط ومنه تتشعب العروق وهو على تقدير فعلاة وقال ابن فارس والازهري العرب تقول في الدعاء على الانسان استأصل الله عرقاته ينصبون التاء لانهم يجعلونها واحدة مؤنثة مثل سعلاة وقال اخرون بل هي تاء جماعة المؤنث لكنهم خففوة بالفتح قال الأزهري من كسر التاء في موضع النصب وجعلها جمع عرقة فقد اخطأ (١) . وان هذا الذي ذكرته يدل على اهمية الالتفات إلى الشروحات اللغوية والأدبية للامثال ، ولكن المؤلف كما يبدو قد اهتم بالجمع والتصنيف والاحاطة والبحث عن الشواذ في مصادر الامثال دون الاهتمام بدراسة الامثال ودراستها ونشأتها وعوامل تطويرها وضروبها وهو لم يتجاوز في ذلك جماع الشعر والحديث ولكنّا لانتكر هذا الجهد العظيم الذي بذله المؤلف في الترتيب والتصنيف .

٥ ـ لقد استخدم المؤلف افضل طريقة في ترتيب الامثال وهي الترتيب على حروف المعجم حتى يسهل الوصول اليها ، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه ، ولم يجعل (الف التعريف) من ضمن الكلمة الاولى في المثل ، بل ترتب الامثال وكانها غير موجودة اصلاً ، وكذلك فعل مع الف الوصل والقطع والاستفهام ، ويُعدّ هذا الترتيب من اسهل وافضل الطرق في تصنيف الامثال . حيث يمكن للباحث ان يهتدي اليها دون عناء ، وهناك طرق متعددة في تصنيف الامثال منها الترتيب التاريخي والموضوعي اي حسب الموضوع .. الخ ، ولكن هناك امر لابد ان نشير اليه لدى المدء هو اهتمامه بالحرف الأول الاصلي دون الثاني والثالث كأن يقدم كلمة (عند) على (عبد) و (عارف) وهذا مما يؤدي إلى الاضطراب والعناء في البحث عن بعض الامثال ولااقول ان يؤثر في قيمة الكتاب وجلاله فالرجل قد بذل من الجهد مايشكر عليه .

---

(١) مجمع الامثال : ٦٦/١ .

٦ــ ونأتي هنا على امر مهم يذكره الميداني في توضيح الامثال الا وهو القصص الغريبة التي تتمتع بملامح اسطورية قديمة دون الاشارة إلى ذلك، تأمل تعقيبه على هذا المثل : (انما خدش الخدوش انوشن) الخدش الاثر وانوش هو ابن شيث ابن ادم صلى الله عليها وسلم اي انه اول من كتب واثر بالخط في المكتوب ، ويضرب فيما قدم عهدة (١) فهو هنا ينقل من مصدر تاريخي لم يشر اليه للاسف ، ثم من قال ان (انوشى) هو اول من كتب على الحجر وهل كانت الكتابة معروفة انذاك ، ان هذا في ظني ضرب في الخيال البعيد المبنى على الخرافة الشعبية وهو ابعد مايكون عن البحث الواقعي .

ان المثل القائل : (احدى حظيات لقمان) فيه قصة طويلة عن لقمان الجاهلي ومغامراته الغرامة ، وكذلك المثل القائل : (اعز من الزباء) وهي امراة من العماليق واصلها من الروم وكانت ملكة الحيرة تغزو الجيوش ، وهي التي غزت ماردأً والابلق وهما حصنان كانا للسموال بن عاديا اليهودي وكان مارد مبنياً من حجارة سود والابلق من حجارة سود وبيض فاستصعبا عليها فقال تمرد مارد وعز الأبلق فذهبت مثلاً . (٢) ان مثل هذه القصص وغيرها تدل دلالة واضحة على اصلها الخرافي ، وقد اختلفت اراء الأدباء حول القصص التي وردت مع الامثال بشكل عام والتي تميزت بطابع المبالغة والخيال ، ومن اجل ان نتعرف على مدى صحة هذه القصص لابد من الاشارة إلى ان مجموعة من الباحثين يرون ان هذه القصص انما اوجدها الشراح فيما بعد وانا اتفق معهم في ذلك ومن هؤلاء الدكتور شوقي ضيف بعد ان تكلم عن توزيع الامثال بحسب الحروف الهجائية حيث يقول «ثم بعد هذا التوزيع يفسرونها ويقصون احياناً حوادثها التي فيها معتدين غالباً على الظن والتخمين » (٣) ويقول في موضع اخر» وموقفنا من هذه

(١) مجمع الامثال: ٢١/١.
(٢) المصدر السابق: ٥٠٤/١.
(٣) الفن ومذاهبه في النثر: ٢١.

الاقاصيص والاساطير لايختلف عن موقفنا من القصص الجاهلي بعامة فنحن لانتخذ منهـــا صوراً للنثر الجاهلي وان اختلجت بروحه وطبيعته وحيوته لنفس السبب الذي فكرناه وهو تأخر تدينها : (١) ويوافقه في هذا الراي الدكتور عبد المجيد عابدين حيث يقول : كان الناس ينطقون بكثير من الامثال بصورتها الموجزة يفهمونها جملة لاتفصيلاً وتجرى على السنتهم سهلة طبعة سريعة ومع ذلك كان هناك فئة من الرواة يتعقبون اصول هذه الامثال ويرون ان ذلك من كمال صنعتهم ومن واجبات حرفهم وفي هذا المجال كان الاجتهاد في تفسير الامثال يلعب دوراً كبيراً في اقوال الرواة (٢) ويورد الدكتور عابدين ثلاث قصص ليؤكد بها مدى التحريف والاجتهاد في القصص وهي : قصة الزباء . خرافة الحية والفأس قصص لقمان الجاهلي حيث يشرح القصص شرحاً مفصلاً (٣) أو يقول في اثنـاء تعقيبه على هذه القصص«ومايفسر لنا بعض الحالات التي ينشأ فيها المثل الموجز من القصة وذلك حيث تكون القصة هي الاصل والمثل الفرع ولكن الوضع ليس كذلك دائماً في نشأة الامثال التي تتضمن في قصص فلاشك ان طائفة كبيرة من الامثال كانت هي الاصل لفقت لها القصص بعد ذلك لشرحها وتفسيرها كثيراً من الامثال الموجزة التي يتمثل بها الناس في مناسباتهـــم المختلفة . كانت تنتهي إلى الاجيال المتأخرة مقطوعة عن اصولها وهذا امر لانزال نلاحظه في امثالنا الدراجة اليوم ينطق بها لساننا في المناسبات ونفهم مغزاها بالجملة (٤) فالقصص التي وردت في مجمع الامثال تندرج في معظمها تحت ماذكرناه من اقوال الباحثين لانها لم تخرج عن طبيعة مااشرنا اليه من استخدام الاسطورة والخيال البعيد . وهي كما يبدو جاءت متأخرة عن الخيال في الحكايات الشعبية والقصص الموروثة مثل الف ليلة وليلة وغيرها .

---

(١) العصر الجاهلي : ٤٠٤.

(٢) الامثال في النثر العربي القديم : ٣٧.

(٣) المصدر السابق : ٣٨ - ٥١.

(٤) المصدر السابق : ٣٦.

دراسة نقدية لطائفة من الامثال

لايعدم الباحث ان يجد في (مجمع الامثال) اختلاطاً وتداخلاً بين الامثال من حيث زمنها او تاريخ تأليفها ، وقد حاولت قدر الامكان ان اقسم الامثال إلى عدة مجاميع حسب ازمانها او مواقعها الجغرافية ، وقد بدأت اولاً بدراسة الامثال العربية القديمة التي تمثل الحياة البدوية والحضرية بنوعيها من حيث تعبيرها عن بيئتها واسلوبها وبنائها الفني . ثم الامثال الاسلامية ، وبعدها امثال المولدين لان المؤلف افرد لها مكاناً خاصاً وجعلها في خاتمة كل باب .

وسأبدأ أولاً بجملة امثال تعبر عن الحياة العربية بجانبها البدوى والحضري بجوانبها المتعددة .. الاجتماعية .. الاقتصادية .. الفكرية .. وغيرها فقد كانت هناك الحياة البدوية بكل قساوتها والتي كان يسودها الصراع الدائم المستمر من اجل البقاء : هذه الحياة التي كانت تقوم على السلب والنهب والقتل والغارات فقلما كان البدوي ينعم بحياة هادئة امنة ومن اجل هذا فقد نشبت الحروب والمناظرات والمفاخر التي كانت تعقد في اسواقهم . كل هذه العوامل اثر في البدوي من الناحية الفكرية والنفسية فجعلته في صراع دائم في سبيل تحقيق وسيلة العيش .

قالت العرب : (كمجير ام عامر) كان من حديثه ان قوماً خرجوا إلى الصيد في يوم حار فانهم لكذلك اذ عرضت لهم ام عامر وهي الضبع فطردوها وتبعتهم حتى الجؤها إلى خباء اعرابي فاقتحمته فخرج اليهم الاعرابي وقال ماشأنكم قالوا صيدنا وطريدتنا فقال كلا والذي نفسي بيده لاتصلون اليها ماثبت قائم سيفي بيدي قال فرجعوا وتركوه وقام إلى لقحة فحلبها وماء فقرب منهـا فاقبلت تلغ مرة في هذا ومرة في هذا حتي عاشت واستراحت فبينا الاعرابي نائم في جوف بيته اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه وتركته (١) وقالت العرب : (كل الصيد في جوف الفرا) قال ابن السكيت

(١) مجمع الامثال : ٢/٩٠.

الفرا الحمار الوحشي قالوا واصل المثل ان ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد احدهم ارنباً والاخر ظبياً والثالث حماراً فاستبشر صاحب الارنب وصاحب الظبي بما نالا وتطاولا عليه فقال الثالث كل الصيد في جوف الفرا اى هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل على ماعند كما وذلك انه ليس مما يصيده الناس اعظم من الحمار الوحشي وتالف النبي صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بهذا القول حين استاذن على النبي (ص) فحجب قليلاً ثم اذن له ... فقال النبي ياابا سفيان انت كما قيل كل الصيد في جوف الفرا (١) وقد قالت العرب (في بيته يؤتى الحكم) هذا مما زعمت عن السن البهائم قالو: ان الارنب التقطت ثمرة فاختلسها الثعاب فاكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقال الارنب : ياابا الحسل فقال : سميعا دعوت قال أتيناك لنختصم اليك قال عادلا حكمتما قالت فأخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت : اني وجدت ثمرة قال حلوة فكليها قالت : فاختلسها الثعلب ، قال : لنفسه بغى الخير قالت : فلطمته قال : بحقك اخذت قالت فلطمني قال : حر انتصر قالت : فاقضي . بيننا قال قد قضيت فذهبت اقواله كلها امثالا . (٢) وقالت العرب : (بلغ السيل الزبى) هي جمع زبيه وهي حفرة تحفر للاسد اذا ارادوا صيده واصلها الزبية لايعلوها الماء فاذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا يضرب لما تجاوز حده «(٣) نلاحظ من خلال تاملنا للامثال التي سبق ذكرها انها تمثل جانبا مهماً من جوانب حياة الانسان العربي في صحرائه المترامية الاطراف الاوهو (الصيد) ونرى البدوى يصف وصفا دقيقاً مايلاقية من مخاطر في اثناء رحلته هذه وكذلك طرق الانتقام منها اذا هي اذته ثم نرى فراسة البدوى وحيله في صيد هذه الحيوانات هناك ايضا سرد البدوى لقصص الحيوان ومحاكاة هذه القصص وتمثلة بها ولو ان بعض هذه القصص تمتاز بطابع الاسطورة وعدم الاطمئنان كما

(١) المصدر السابق: ٨٢/٢.
(٢) المصدر السابق: ١٨/٢.
(٣) المصدر السابق: ٩٦/١.

أشرنا سابقاً ، لقد تمثل بها النبي (ص) كما راينا بقوله (كل الصيد في جوف الفرا) وهذا يثبت قدم هذا المثل وتداوله قبل الاسلام . وهناك جانب اخر من جوانب حياة البدوى في شخصيته وخلقه الا وهو الوفاء وهذا من اهم مميزات البدوى التي كان يفخر بها ويعتز وكان شديد الوفاء لصديقة واهله وقومة وجاره وقد وردت امثال كثيرة في الوفاء وغيره من الصفات الحسنة ، فقد قالت العرب : (نجز حرماوعد) يقال نجز الوعد ينجز وقال الازهرى نجز الوعد وانجزته انا وكذلك نجزت به وانما قال حرولم يقل الحر لانه حذر ان يسمي نفسه حراً فكان ذلك تمدحاً قال المفضل : اول من قال ذلك الحرث بن عمر وآكل الموار الكندى لصخر بن نهشل بن دارم وذلك ان الحرث قال لصخر هل ادلك على غنيمة على ان لي خمسها فقال صخر نعم فدله على ناس من اليمن فاغار عليهم بقومه فظفروا وغنمتا فلما انصرفوا قال له الحرث: نجز حر ماوعد فارسلها مثلا(١) ومن الذين يضرب فيهم المثل بالوفاء في الجاهلية الشاعر السموال فقد قالت العرب :(اوفي من السموأل) (٢) وقصته معروفة فلم نذكرها هنا لطولها ولعدم تناسبها مع حجم البحث ، وقالت العرب: (اوفي من الحرث بن عباد) يقال انه كان اسر عدي بن ربيعة في يوم فصه ولم يعرفه فقال له دلني على عدي بن ربيعة فقال له ان انا دللتك على عدي اتؤمنني قال نعم قال: فليضمن ذلك عليك عوف بن ملحم فأمره الحرث بن عباد فضمن له عوف ان يؤمنه الحرث اذا دله على عدي فقال عدي انا عدي فخلاه وقال الحرث في ذلك:

لهف نفسي على عدي وقد اشعب للموت واحتوته البدان (٣)

وقالت العرب : (اينما اوجه الق سعداً) كان الاخبط بن قريع سيد قومه فرأى منهم جفوة فرحل عنهم الى اخرين فراهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك فقال

(١) المصدر السابق: ٢/٢٩٥.

(٢) ينظر مجمع الامثال: ٢/٢٣٦.

(٣) المصدر السابق: ٢/٣٤٠.

هذا القول . ويروى في كل واد سعد بن زيد (١) وقالت العرب: (اعدى من السليك) وفيه قصة طويلة (٢) وقالت العرب: (تركته تغنيه الجرادتان) يضرب لمن كان لاهياً في نعمه ودعه والجرادتان قنيتا معاوية بن بكر احد العماليق وان عادا لما كذبوه هوداً عليه السلام توالت عليهم ثلاث سنوات لم يروا فيها مطراً.. (٣) وفيه قصة طويلة وقالت العرب.. (ان غداً لناظره قريب) وفيه قصة طويلة تدل على الوفاء والتزام العربي بكلمته ووعده والقصة حدثت في زمن النعمان وفي يوم بؤسه (٤) وقالت العرب: (حمله على قرن اعفر) اي على مركب وعر (٥) ان هذه المجموعة من الامثال وغيرها التي تعبر عن الجانب النفسي وهي في مجموعها انما تمثل جوانب مختلفة من حياة البدوى المتعددة في خلقة ومجتمعه وبين احضان الطبيعة التي كانت تقسو عليه في غالب الاحيان فلقد كانت هذه الامثال خير سجل لمفب خرهم واحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والادبية. كان هناك تصوير دقيق لمواقف البطولة والشجاعة والحرب والاغارة وفي اصلاح ذات البين بين افراد القبيلة الواحدة والمجتمع بشكل عام كانت تصويراً لحياتهم التي كانت تعتمد على التنقل حيث مواطن الكلاء والماء والحياة والرعي وحياة الصيد كانت خير مصور لهذا الجانب من حياة البدوي الا وهو الكرم والوفاء.

وقد كان في هذه الامثال وصف دقيق لأحوال القبيلة العربية وكان فيها تسجيل لبعض النوادر والطرائف التي كانت مادة النوادر والطرائف التي لاشك انها كانت مادة لسمرهم في مجالسهم واسواقهم . يقول الدكتور عبد المجيد عابدين في هذا الشأن. وقد وردت في هذه القصص اشارات تدل على ان المناذرة كانوا يجلبون الى مجالسهم افراداً من العرب مشهورين

---

(١) المصدر السابق: ٥٥/١.

(٢) ينظر المصدر السابق: ٥٠٨/١.

(٣) المصدر السابق: ١٣٨/٢.

(٤) المصدر السابق: ٧٤/١.

(٥) المصدر السابق: ٢٢٢/١.

بالظرف والتفكه فيسمعون منهم كثيراً من المضاحك والنوادر ومن هذه المضاحك ماذهب في العرب امثالاً فكان ضبة العيار بن عبد الله كان يقول الشعر ويضحك الملك يضحك النعمان فيعجبه (١) وقد شغف العرب بالسمر كما شغفت سائر الامم فاذا اقبل الليل اجتمعوا للسمر وظلوا في نشوة الحديث حتى (تزقو الديكة) ايذانا بالصبح فينصرفوا على مفض لانها تؤذن بتفريق شملهم وصرفهم على لذتهم الى عمل النهار الشاق ويضربون بها المثل في الثقالة فيقولون : (اثقل من جمل الزواقي) قال محمد بن قدامة سألت الفراء عنها فلم يعرفها فقال جليس له ان العرب كانت تسمر بالليل فاذا زقت الديكة استثقلتها لانها تؤذن بالصبح اذا زقت فاستحسن الفراء قوله (٢) وكان حرصهم كبيراً على السمو في الليالي المقمرة فاذا جاء الشتاء انحرموا من تلك اللذة ضد رغبتهم ومن امثالهم: (اضيع من قطر) ، (٣) ومن شأن العرب ان تبالغ في وصف الشيء حتى يذهب الخيال بهم الى اختراع الاكاذيب وهي كثيرة عنهم وهذا من دواعي شيوع النكتة بينهم وكانت هي الفكاهة المفضلة في امثالهم واسمارهم.

وكذلك الامثال على وزن افعل فيها المبالغة في التشبيه، والفكاهة فيها في الاغلب الاعم ، بل ان المواقف والحوادث الفكاهية التي تقصها الامثال هي سرد سريع مركز ينتهي بالنكتة مثال ذلك قولهم: (اعيان من باقل) وهو رجل من ربيعة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهماً فمر بقوم فقالوا له بكم اشتريت الظبي فمد يديه ودلع لسانه يريد احد عشر فشرد الظبي وكان تحت إبطه (٤) **يقول الدكتور عبد المجيد عابدين في هذا الشأن: ولعل أكثر الامثال القديمة التي تقصد الفكاهة تميل الى الوصف الحسي والعملي فيصور مواقف اوحوادث او يشير اليها اشارة خاطفة وهي في تصويرها حسية لاصقة بالارض لاتستهدف غرضا نقديا ولا مغزى اجتماعياً وقلما كانت**

---

(١) الامثال في النثر العربي القديم: ٥٣.

(٢) مجمع الامثال : ١/١٦٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ١/٥٠٤.

المواقف التي تصور حماقات الناس وعيوبهم في مفهومها الشعبي عند العرب ذات نزعة نقدية او تأديبية واغلب الظن ان المغرى (او المضرب) قد الحق بالامثال او بكثير منها في عصور متأخرة عن نشأة الامثال نفسها (١) ونقرأ المثل الآتي: (جاء كخاصي البعير) يضرب لمن جاء مستحيا ويقال يضرب لمن جاء عريانا مامعه شيء ووجه الاستحياء يعلوه لان خاصي العير يطرق راسه عند الخصاء... (٢) وهذا المثل كما ترى فيه صورة جميلة تتمثل شخصاً فيه طبيعة الحياء ولعله صنع جرما شنعياً انكره عليه الناس وانكره هو على نفسه فاصابه استحياء شديد فهو مشغول بما صنع ، يود ان يتوارى من الناس فمثله كمثل خاصي العير وهو يطرق راسه عند الخصاء يتامل كيفية ماصنع هذا عمل قبيح عند سواد الناس ويستحي من صنعة عليه القوم ونسمع قولهم الذي ذهب مثلاً: (دب قلبه) مثل يضرب للانسان اذا سمن وحسن حاله (٣) فاذا بهذه اللمحة الخفيفة تتكشف امام اعيننا عن مشهد رجل غني هبطت عليه النعمة بعد شدة وفاقه، واذا به يزداد سمنا في الجسم فيترهل ويتهدل واذا بالخير الكثير يحدق به من كل جهة واذا ببيته يغص بالزائرين من الناس ممن يخدعهم بريق النقود والجاه الاجوف.

ان كل صورة من الصور السابقة تحمل موقفاً فيه عنصر التتابع الزمني يرتقي من خلال حركات الحوادث والمواقف وفي كل صورة منها لفظ يعين على هذا الترقي الزمني كالدبيب والمجيء وغيرها وهذه بمثابة خطوط زاهية توضح ملامح الصور وتبث بها الروعة، وكانت منسابة متتابعة جميلة ومن الامثال مايصور حركات قصيرة خاطفة يدور فيها الزمن في نقطة معينة ويخطو خطوة واحدة ، فمن ذلك قولهم: (برح الخفاء) لي زال من قولهم مابرح ويضرب في الكريم يخدمه من دونه (٤) وقد يدخل شيء من التتابع

(١) الامثال في النثر العربي القديم: ١١٩.

(٢) مجمع الامثال: ١/١٧٢.

(٣) المصدر السابق: ١/٢٧٨.

(٤) مجمع الامثال: ١/١٠٠ - ١٠١.

الزمني في مدلول الصورة نحو قولهم (لطمة لطم المنتقش) اذا لطمه لطماً متتابعاً (١) يريد انه لطمه مرات كما يصنع البعير اذا شاكته شوكة لايزال يضرب يده بالارض بهدف انتقاشها وفي لفظة (المنتقش) وحدها صورة موحية مليئة بالحركة والروعة تترقى خلالها حركات متتابعة.

من الواضح البين ان مادة الخيال في هذه الصور مستمدة من الحياة العربية من حيوان ونبات حوادث ومشاهد ووسائل العيش في بيئاتهم الا ان مادة الخيال هذه بمقاييس الاذواق المتحضرة ربما لاتروق في بعض الاحيان ذلك ان كثيراً من عناصر هذه المادة يفتقر الى صقل وتهذيب، فمن الناحية الخلقية قد ترفض اذا وقنا هذه العناصر لما فيها من افحاش وخشونة او بعد عن المألوف في حياتنا، كقولهم : (جاء كخاصي العير) (بال حمار فاستبال أحمرة) ومع هذا فان الصور المجازية بحد ذاتها رائمة لاغبار عليها فنحن نفرق في حكمنا على هذه الصورة بين الجانب الاجتماعي والجانب الفني ان صح التعبير، ولو اردنا ان نحدد بعض الخصائص الفنية لهذه الامثال نلاحظ مايلي :

١ ــ الايجاز الشديد في ظاهرة تكاد تكون عامة في مجمل الامثال.

٢ ــ اختيار الالفاظ ذات الدلالة القوية المعبرة بشكل صادق ودقيق ونقصد بالصدق هنا الصدق الشعوري الفني الواقعي .

٣ ــ وجود بعض الالفاظ الغريبة أحيانا مما حدا بمؤلف مجمع الامثال ان يشرح الكلمات من الناحية اللغوية لفتح الغلق كما يقول.

٤.التناغم الموسيقي حيث نحس ان للمثل وقعاً خاصاً يجبرك على حفظه والتمتع به .

٥.هذا مع ملاحظاتنا لذلك الارتباط الوثيق بين المثل والقصة الاسطورية التي كانت مادة طريفة للبدو يسمرون بها في صحرائهم وقد ناقشناها في الفصل السابق .

(١) المصدر السابق: ١٣٤/٢.

قال ابراهيم النظام . يجتمع في المثل اربعة لاتجتمع في غيره من الكلام ، ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة فهو نهاية البلاغة ، (١) ونلاحظ انه في رايه هذا ينطلق من دراسته للأمثال القديمة وربما الأمثال التي وضعت من لدن أناس متمكنين من صياغة وصناعة الالفاظ وتنسيقها ورأيه بشكل عام اشبه بتلخيص دقيق لأسلوب المثل .

أما الامثال التي تصور الجانب الحضرى لحياة العربي فهي كثيرة في مجمع الأمثال وهذا في اعتقادى أحد ميزات منهجه حيث يختلف عن المؤلفين الاخرين ممن جمعوا الأمثال القديمة حيث اقتصروا على الأمثال التي تصور حياة البدوي الصرف مع ايراد قصص ومناسبات أكثرها يمتاز بطابع الخيال ومن أمثلة ذلك ماورد في كتاب المفضل الضبي (أمثال العرب). والامثال الحضرية تصور الحياة التي عاش أهلها في بيئة تعتمد على الزراعة والتجارة غالبا وعلى الرعي قليلاً . وكان لهم فوق ذلك هذا المركز الديني الذي كان تحت سيادة قريش في مكة . وكانت لهم هذه الاسواق والمواسم التي كانت تفد أليها القبائل المجاورة للتجارة أحيانا ، ولتأدية الشعائر الدينيه أحيانا أخرى وللمفاخرة والمنافرة فيما بينها ، وفي بعض الاحيان تصور هذه البيئة بجوانبها الاقتصادية والدينية . ولابد أن تصدر عنها أمثال تمثل هذا الجانب من الحياة الذى تعيشه هذه المجتمعات وتصوره أحسن تصوير. ولو أخذنا المثل القائل : (حتفها تحمل ضان بأظلافها) يضرب لمن يوقع نفسه في هلكه وأصله أن رجلاً وجد شاة ولم يكن معه مايذبحها به فضربت بأظلافها الأرض فظهر سكين فذبحها به وهذا المثل لحديث بن حسان الشيباني تمثل به بين يدي النبي (ص) لقيلة التميميه وكان حديث قد حملها الى النبي ... (٢)

---

(١)
(٢) المصدر السابق: ١/٢٠١.

والمثل القائل . **(من يرد الفرات عن دراجه)** ويروى عن أدراجه وهما جمع درج أى عن وجهه الذي توجه اليه .. يعني أن الأمر خرج من يده وأن الناس عزموا على الخروج من الكوفة فهو لايقدر أن يردهم من فورهم هذا (١) وقولهم (النبع يقرع بعضه بعضا) النبع من شجر الجبل وهو من اكرم العيدان ويضرب للمتكافئين في الدهاء والمكر (٢) وقولهم (اذا زل العالم زل بزلته عالم) ونرى في هذا المثل استخدام كلمة (العلم) وما لها من اتصال بالحضارة والاستقرار وكذلك أثر سلوك الادباء الفكرى على الاخرين .

أوردنا فيما تقدم بعض ألامثال التي عكست حياة العرب الحضرية سواء أكانت في الجاهلية أم في الاسلام ، وصورتها لنا من زوايا معينة ومتعدده من حيث العلاقات ألاجتماعية والفكرية والنشاط الاقتصادي ، وقد أنتشرت هذه الامثال أنتشاراً واسعا ووجد الكثير ممن تمثلوا بها . ولعل السر في هذا الشيوع وألانتشار يعود الى ايجازها المكثف الذي ساعد على سرعة حفظها ، فقد تناقلها الالسن جيلاً بعد جيل وقد تمثل الرسول ببعض الامثال أذا القينا نظرة عامة على كل الأمثال التي أوردناها نجد أن خطوطا عامة تربطها وذلك ينطبق على الامثال المشهبه الطويله منها ، مثل قصص لقمان الجاهلي أوتلك التي تتحدث عن السن البهائم مثل حكاية الأرنب والضب التي ذكرناها ، وكذلك تلك الامثال التي تتركب من جملة أو جملتين أى قلة اللفظ مع أداء المعنى كاملاً ، ولعل أهم هذه الحقائق أوالخصائص هي .

١ .ألايجاز والبعد عن التركيب والتعقيد . فالجمل متساوية الى حد بعيد هذا مع كثرة الفواصل وكثرة حروف العطف الخفيفة كالواو والفاء . وهذه الظاهره نجدها في معظم الامثال التي أوردها الميداني .

---

(١) المصدر السابق : — ٢٧١/٢ — .

(٢) المصدر السابق : — ٢٩٩/٢ — ٣٠٠ —

٢. وأذا انتقلنا الى مجموعة الأمثال الاخرى التي تتكون من جملة أوجملتين أو أكثر قليلاً فأننا نلاحظ أيضا هذا التتبع وهذا الانتقال من عبارة الى أخرى بأسلوب سلس خال من كل غموض أوتعقيد ونجد هذا في كثير من ألامثال نذكر منها على سبيل المثال لاالحصر (اليوم خمر وغداً أمر) و(الأيناس قبل الأبساس) و(رب قول أشد من صول) (١) ونلاحظ أسلوب السجع في بعض هذه الأمثال ، ويبدو أن استخدامه نابع من الاسلوب الموسيقي الذي يجعلها اسهل حفظا .

٣. هناك كثير من ألامثال تبدأ بأداة من أدوات الشرط وهي جملة موجزة أيضا مثل قولهم (أينما أوجه ألق سعداً) و (اذا نزا بك الشر فاقعد به) و(ان يبغ عليك قومك لايبغ عليك القمر) و(اذا ضربت فأوجع واذا زجرت فأسمع) .

٤. وهناك كثير من الامثال تعتمد على التصوير والتشبيه فقد صورت أحوال الناس تصويراً جميلاً وموحيا في الوقت نفسه : كقولهم (كم مجر في الخلاء يسر) (٢) فهذا يعطينا صورة الرجل الساذج المغرور المعجب بفضائل غيره فمثله كمثل من يجري فرسه بالمكان الخالي الذي لاسباق فيه فيسر بما يرى من سرعة ولعله اذاقرن بغيره يتبين نقصه .

وقولهم (عثيثة تقرم جلدا أملسا) (٣) للرجل المهين القدر صغير الشأن يتطاول على آخر عظيم شريف أن يؤثر فيه فلا يقدر عليه فهو يشبه عثيثة تقرم جلداً أملس عثه صغيره حقيره تأكل جلداً ناعما ، فلاتؤثر فيه كثير ولاتنال منه ألا القليل ، ولو هذا المثل ضمناً نصري تجاوزنا المثل والاصح أن نقول عنه تقرم جلداً أملس ، لأنه أملس [illegible] من الصورة

ولقد كانوا يعتمدون على الخيال في هذه الصور لكنها مستمده من الحياة

---

(١) ينظر مجمع الأمثال – ٢/[illegible] –

(٢) المصدر السابق : – ٢/٨١ –

(٣) المصدر السابق : – ٢/٨١ ؛ –

العربية نفسها من حيوان ونبات ومشاهد ووسائل العيش التي ألفها العرب ببيئاتهم وقد أوردنا تعريفات القدماء التي تعد الايجاز ركنا من أركان المثل .

٥.وهناك كثير من الامثال مبدوءة بجملة حالية ثم تستأنف بالواو ليكون مابعدها جملاً اسميه أوفعليه مثل (ان الليل طويل وأنت مقمر) وقولهم (انج ولا أظنك ناجيا) .

ونتحدث الان عن المثل الذي جاء على وزن (أفعل من) الذي ختم الميداني به كل الأبواب ويرى الدكتور عبد المجيد عابدين أن هذا مثال من تلك الأمثال المصطنعة التي اقحمها الرواة وصناع الكلام على الامثال الاصلية، وسنرى ان معظم هذا النوع على كثرة وروده في مدونات الأمثال مستحدث اضافة الرواة الى المثل القديم وهو في كثير من الاحيان لم يظفر في صورته الشكليه على الأقل بالالفه الشعبيه (١) .ونحن على يقين أن العرب كانوا يغرمون في المبالغه لبيان عظمة الاشياء مما يجود به خيالهم ويصفون بشكل مبالغ فيه ، فقالوا . (أبصر من عقاب ملاع) وملاع اسم هضبه (وقيل) ملاع اسم للصحراء وان قالوا ذلك لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عقاب الجبال . (٢)

وقالوا .(أبلغ من قس) وهو قس بن ساعدة وكان من حكماء العرب (٣) وكان من بلغائهم وقولهم (أذل من بساط) يعنون هذا الذي يبسط ويفرش فيطؤه أحد (٤) ، فهم لم يقتنعوا ان يصفوا المشبه به بقوه بصر العقاب ولابلاغة قس بن ساعده بل جعلوه ارفع شأناً وأعظم قدراً حتى يعظموا في التشبيه وانهم لم يرضوا أن يجعلوا المشبه به بذلة البساط المفروش

---

(١) الأمثال في النثر العربي القديم – ٨٩ –

(٢) مجمع الامثال : – ١/٢٢١ –

(٣) المصدر السابق : – ٢/٢١٧ –

(٤) المصدر السابق : – ١/٢٩٧ –

الذي يتساوى مع الارض بل جعلوه أقل شأناً وأخس محلا . ان مثل هذه الأمثال تمتاز بالمبالغة بالتشبية كما قلنا وبالصنعة النحوية والبلاغية وتشتمل على أمور من ضمن البيئة العربية الجـاهلية كذلك البساط والعقاب وغيرها .. ولنقل أن هذه ألامثال من صنع الرواة كما يقول الدكتور عابدين ، فهي قد عبرت عن بيئة عربية خالصة وأخذت طريقها في المد الشعبي العربي على مر الأجيال وقد تكون أكثرها منتحله ولكننا كباحثين من المفروض أن نصل الى ذلك عن طريق الاستقصاء وألاستقراء والتتبع بالرغم من أن بعضها يمكن تمييزه من خلال روحه ومعناه لأنه يدل على شخصيات اسلامية متأخرة أوغير ذلك ، يقول الدكتور عبد المجيد عابدين ومن ثم جازلنا أن نقول ان كثيراً مما ورد من الأمثال على أفعل هو عبارات منتحلة على المثل القديم أنتحالاً وليست منه في قليل أو كثير وأن الأدباء الرواة والعلماء قد وجدوا هذه الصيغه قالبا سهلاً ميسوراً يصبون فيه الى تشبيه يجود به خيالهم أومعلومات قد عرفوها ولم تكن هذه الأمثال حية الاستعمال في تلك العصور المبكره (١)

قالوا . (أصدق من قطاة) لأن لهما صوتا واحداً لاتغيره فصوتها حكايه لاسمها تقول قطاقطا (٢) ، قالوا . (أكمن من جد جد) وهو ضرب من الخنفساء يصوّت في الصحارى .. فأذا طلبه الطالب لم يره (٣) ، وقالوا (ألين من الزبد ومن خرنق) والخرنق ولد الارنب (٤) و(أمرق من سهم) ان هذه الأمثال التي ذكرتها لاتكاد تخرج عن طبيعة البيئة العربيه الصرفة رغم ادعاء أكثر الباحثين على مصنع هذه الأمثال فيما بعد .

ونعرج الان على طائفة جديدة من الامثال التي أوردها الميداني في كتابه ، تلك التي ترسم خطا ثالثا في أمثالنا العربية الأ وهي (أمثال المولدين)

(١) الأمثال في النثر العربي القديم – ٩٧ –

(٢) مجمع الأمثال – ٢/٢٢٤ –

(٣) المصدر السابق – ٢/٢١٧ –

(٤) المصدر السابق – ٢/٢٠١ –

وقد استعمل لفظ (المولد) بعد امتداد رقعة الاسلام والفتوحات واختلاط العرب بكثير من العناصر الأجنبية التي أرتبطت مع العرب برابطة الدين، وقد ظهرت هذه الأمثال بعد أن ضعف النفوذ العربي بعد نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي ولكننا لانستطيع ان نعرف الأرهاصات الأولى لمثل هذه الأمثال.

وأذا تصفحنا أمثال الميداني المولدة هذه اكتشفنا حقيقة هامة هي ان معظم الأمثال العربية القديمة والكتابية ايضا قد أختفت من الأستعمال، وأن أمثالاً جديدة حلت محلها فأول مانلاحظه أنقطاع الصلة بين المولدين الذين نشأوا في بيئات غير عربية وبين كثير من الحوادث والعادات والشخصيات التي تشير اليها أمثال الجاهلية وصدر الاسلام (١) ؛ فهم بحاجة اذن الى أمثال تعبر عن مشاعرهم وأخلاقهم وحياتهم وبيئاتهم، وهذا أمر طبيعي لانهم لايعرفون من التاريخ العربي ومن عادات العرب الا القليل فكيف به يستذوق مثلاً عربيا قيل عن الصحراء وحيوانها وهو لم يعرفها او يرها. ولأي شيء وبأي اعتبار تطلب من النبطي او الفارسي ان يتبنى أمثالا لايجد في حوادثها وشخصياتها مايعبر عن نزعة خاصة او ظاهرة تتعلق بحياة قومه وبيئته .(٢)

فلا بد أن تظهر أمثال جديدة أقرب الى بيئتهم في مادتها وصورتها وبالضرورة تكون هذه الأمثال قريبة الى نفوسهم بالنسبة الى الأمثال العربية، وقد حاول الميداني ان يجمع عدداً لابأس به في كتابه مجمع الأمثال، حيث بلغ عدد الأمثال المولده حسب احصائي (٥٠٩) أمثال وأذا ثاني شيء قوي لايتجاوز الألف أبداً.

ونجد هذه المجموعة من الأمثال [illegible] (البحر [illegible] نجارة) يضرب في المرأة بالإنسان خيره (٣). ومن خلال هذا المثل

---

(١) ينظر الأمثال في النثر العربي القديم — ٢٧٨ —

(٢) المصدر السابق — ١/٢ —

(٣) مجمع الامثال — ١٢٨/١ —

نحس بتغير المفاهيم الاجتماعية حيث نجد ان التعامل مع الناس يسوده الريبة والشك وفيه ألفاظ تجارية مثل الزبون والتجارة، فهي تعبر عن بيئة جديدة ليس للعربي سابق عهدها ، وقالوا (الصناعة في الكف أمان من الفقر) (١)، نلاحظ ان الصناعة التي كان يأنف منها العربي ويسميها (مهنه) وهي في اشتقاقها البعيدة أقرب الى المهانة والحقارة تصبح في مفهوم غير العرب أمان من الفقر وتجارة لاتبور وهذا من الامور التي خلقتها المدنية والتطور والا فالعرب لم يشتغلوا بالصناعة الا في عصور متأخرة عن العصر الجاهلي حيث كان الأعاجم هم الصناع آنذاك.

وقولهم (اذا افتقر اليهودي نظر في حسابه العتيق) (٢)، نجد فيه ان الألفاظ المشعرة ربما قربها من أهتمامات تجارية فاليهودي هنا يمتلك سجلات متعددة منها ما أكل الدهر عليها وشرب وهو مشغول بالبحث فيها عن خطأ او سهو عسى ان يجد شيئا يقتات منه بعد ان أصابه الفقر بنابه، ويظهر المثل ايضا طبيعة اليهودي في الاسراف والجشع في حب المال وكل ماهو مادي وأهتمامه بالتجارة كما هو عليه الآن من استغلال وجشع.

وتأمل المثل القائل (ان للحيطان آذانا) نرى أن روح الشك والارتياب قد عمت في حياة المتحضر حيث أنتشرت روح النفاق والزيف في العلاقات الأجتماعية وسيطرت عليها اللامباشرة ونحس ايضا ان هذا الحذر المشوب بالخوف الذي جسده المثل يتم عن وجود السلطة التي تحاسب الناس وتردعهم حينما يتحدثون او ينقدون السلطان الحاكم ، وقولهم (الا عاب البزاز ثوبا فأعلم أنه من حاجته) (٣)، فالاحساس بحياة التجارة والعمل مازالت تطغى في هذا المثل فالبزاز يمثل دولة حديثة بعيدة عن حياة العرب البدوية ويؤكد

(١) المصدر السابق – ١/[illegible] –
(٢) المصدر السابق – [illegible] –
(٣) المصدر السابق – ٢/[illegible]

المثل الأستغلال والغش الناجمان عن تعقد العلاقات وتوسع المجتمع وظهور المدنية والاختلاط الحضاري.

وقولهم (زاد في الطنبور نغمة) والطنبور آلة موسيقية تشبه الناي ويخيل الى ان الكلمة ليست عربية ومما يدل على ذلك ان المثل مولد، وان يعبر عن حياة المدن وما فيها من تضخيم لبعض الأعمال البسيطة فالمثل يضرب للأشاعة الضخمة واضافة مالم يوجد أصلا. وقولهم (كن يهوديا تماما والا فلا تلعب بالتوراة) (٢)، و (تعلم الشرطي التفحص ولا الزطي التلصلص) (٣)، من خلال هذين المثلين يظهر التعبير عن البيئة من الناحيتين الدينية والدنيوية، فاليهودي البخيل الجشع هو الذي يعرف كيف يقرأ التوراة ويستخرج منها مايريد او ما ينفعه من الاستغلال ، والشرطي في المثل الثاني لفظة حضرية مدنية صريحة وهي مرتبطة بوجود الحكومة والسلطة وتعقد العلاقات الأجتماعية فظهور الجريمة بأنواعها، الزطي كلمة أعجمية وهو الشخص الذي يضرب على آلة الزط الموسيقية والمثل يتم عن أصله بشكل صريح.

أن هذه الأمثال وغيرها مرآة واضحة لدخول العناصر الجديدة واختلاطهم مع العرب من خلال أيمانهم بالدين الاسلامي حيث شدتهم وشائج الزواج والقرابة مع العرب وكذلك الصناعة والتجارة والأسواق. ولو أردنا ان نضع بعض الخصائص الفنية لهذه الأمثال وجدنا مايلي:

١. بساطة المعنى وابتعاده عن التعقيدات اللفظية.

٢. ظهور روح الانسياب والأسترسال في الصياغة.

٣. دخول الألفاظ الأعجمية والعامية المأخوذة من لغة الحياة اليومية.

٤. تمتاز هذه الأمثال بالوصف الحسي والتصوير الدقيق.

---

(١) المصدر السابق - ٩١/١ -

(٢) المصدر السابق - ٢١٩/٢ -

(٣) المصدر السابق - ٢١٢/٢ -

٥.تتميز بتوازن العبارات وفيها الحث على التأديب والحذر وفي الختام نقول إن هذه الإمثال كانت نتاجا طبيعيا لمجتمع جديد فبه من العناصر والأجناس المتباينة وفيه العلاقات الجديدة التي ظهرت بظهور المدن وتوسع المجتمعات والاختلاط وطغيان الصناعة والتجارة والحكومات والسجن والجريمة ، والأمثال المولدة تتناول تجارب أنسانية عامة تحفظ بين حناياها شيئا من تراث الشعوب التي أوجدتها.



مصادر البحث ومراجعه

١ .الأدب العربي في الجاهلية والاسلام = عمر كحالة
المطبعة التعاونية — دمشق ١٩٧٢ .

٢ .الأعلام . خير الدين الزركلي ، الجزء الأول — المطبعة العربية — مصر ١٩٢٧ .

٣ .الأمثال العربية القديمة — رودلف زلهايم : ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب — دار الامانة — بيروت ، ط١ ١٩٧١.

٤ .الأمثال في النثر العربي القديم — د. عبد المجيد عابدين — دار مصر للطباعة .

٥ .أنباه الرواة على أنباه النحاة — جمال الدين القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ، الجزء الأول دار الكتب المصرية ١٩٥٠م .

٦ .تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان . الجزء الأول ، دار الهلال ١٩٥٧م .

٧ .التمثيل والمحاضرة للثعالبي ، تحقيق . عبد الفتاح محمد الحلو . مطبعة عيسى الحلبي — القاهرة ١٩٦١م .

٨ .جمهرة الأمثال .لأبي هلال العسكري . ملك الكتاب — بومباي (دت).

٩ .السامي في الاسامي — أحمد بن محمد أبي الفضل الميداني نشره ورتب أخراجه . الدكتور محمد موسى هنداوي (دت) .

١٠ .العصر الجاهلي — د. شوقي ضيف . مطبعة دار المعارف بمصر — ط٢ — ١٩٦٥م .

١١ .العقد الفريد — لأبن عبد ربه : شرح . أحمد الزين وأبراهيم الأبياري الجزء الثالث ط٢ مطبعة التأليف والنشر — مصر ١٩٥٢م .

١٢.فجر الأسلام . أحمد أمين ــ مكتبة النهضة المصرية ط١٠ ــ ١٩٦٥م.
١٣.فصل المقال في شرح كتاب الأمثال . لأبي عبيد البكري .تحقيق احسان عباس وآخرون . دار الأمانة ــ مصر (دت).
١٤.الفلاكة والمفلوكون ــ أحمد بن علي الدلجي . مطبعة الشعب ــ مصر ١٣٢٢هـ.
١٥.الفلك الدائر على المثل السائر ــ لأبن أبي الحديد . تحقيق د. أحمد الحوفي دار نهضة مصر الرسالة ط ١٩٥٩ .
١٦.الفن ومذاهبه في النثر العربي ــ د شوقي ضيف . مطبعة دار المعارف بمصر . ط ٥ ــ ١٩٤٦ .
١٧.كتاب الأمثال ــ لأبي فيد السدوسي . تحقيق .د.رمضان عبد التواب. الهيئة المصرية للتأليف ١٩٧١ .
١٨.كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون . حاجي خليفة مطبعة المعارف بمصر . ١٩٤٣ الجزء الثاني .
١٩.لسان العرب لأبن منظور ــ دار لسان العرب / بيروت مجلد ٣ . ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلي .
٢٠.مجمع الأمثال . لأحمد بن محمد الميداني . تحقيق محي الدين عبد الحميد. مصر ١٣٥٢هـ .
٢١.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين أبن الأثير قدم له. د. أحمد الحوفي وبدوي طبانة . مطبعة المعارف بمصر ط١ ١٩٥٩.
٢٢.معجم الأدباء . ياقوت الحموي . الجزء الخامس . دار المأمون ــ مصر (دت) .
٢٣.مفتاح السعادة ومصباح السيادة . أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة . تحقيق كامل بكري وآخرون . مطبعة الاستقلال . مصر .

٢٤.نزهة الآباء في طبقات الأدباء – لأبي البركات كمال الدين الأنباري.
تحقيق أبو الفضل ابراهيم دار النهضة مصر – القاهرة (دت) .

٢٥.الوسيط في الأدب العربي وتاريخه . الشيخ أحمد الاسكندري ط١٧أ،
دار المعارف بمصر (دت) .

٢٦.وفيات الأعيان – لأبن خلكان ، الجزء الأول تحقيق . محمد محي
الدين عبد الحميد ، ط١ – ١٩٤٨ مطبعة السعادة بمصر .

ملاحظة : وقع في يدي بعد اتمام البحث العدد ٢ من المجلد الثالث لمجلة المورد / ١٩٧٤ وفيه بحث قيّم للعميد عبد الرحمن التكريتي بعنوان (مصادر الميداني في كتابه مجمع الأمثال) وفيه احصاء دقيق واستقصاء جيد للمصادر التي اعتمدها الميداني .



تراث الحب في الأدب العربي قبل الاسلام .

الدكتور عادل جاسم البياتي
الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية
كلية الآداب ــ الجامعة المستنصرية

تمهيــــد :

هذه دراسة تعالج ابرز المظاهر في تراث الحب ومصطلحاته في الأدب العربي . محللة بعض جوانب هذا التراث الكبير بما لايتجاوز عصر الدعوة الاسلامية ، مما لم تلمسه ريشة كاتب عربي بهذا الاطار .

اما دراسة الغزل باعتباره ظاهرة عامة في الشعر ، فقد وردت في عدة مناسبات ومن خلال معالجات جادة . بعضها أفردت للغزل في العصر الجاهلي بحثاً مستقلاً في كتـاب والبعض الآخـر درسته مع طائفة مـن الموضوعات ، مع التنويه إلى الدراسات القيمة التي قدمت في هذا الحقل، وبوجه خاص : الحب العذري ، فضلاً عن مساهمات فلاسفة المسلمين والكتاب العرب في مشارقهم ومغاربهم قديماً وحديثاً ، متحدثين عن الحب الحقيقي والحب المتكلف والحب العفيف والصوفي والافلاطوني ، لكنها دراسات محصورة في مرحلة لاحقة للعصر الذي ندرسه هنا ، فلم تتأصل الظاهرة بشكل واضح ، ولم تتجذّر في الدين والتراث أما ابرز من كتب في الحب بعد ظهور الاسلام ، وتصدى للظاهرة في استقصاء وشرح وتحليل ، فالجاحظ في رسالته : العشق والنساء ، وابو بكر محمد بن داود الظاهري في كتابه : الزهرة ، واخوان الصفا في الرسالة السابعة والثلاثين، وابن سينا في «رسائل العشق» وابو الطيب الوشّاء في «الظرف والظرفاء» وابو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم في كتابه «طوق الحمامة في الألفة والألاّف» وجعفر بن أحمد بن الحسين السراج في : مصارع العشاق*. وابن الجوزي في كتابه : ذم الهوى ، وابن قيم الجوزية في كتابه : روضة

المحبين ونزهة المشتاقين ، وكتابه : أخبار النساء ، معتمداً على جانب وافر من مؤلفات إمامه ابن تيمية . وممن كتب في تراث الحب ابن ابي حجلة في كتابه : ديوان الصبابة . والشيخ داؤد الانطاكي في كتابه : تزيين الأسواق بتفصيل اشواق العشاق .

هذا بالاضافة إلى عشرات الابواب والفصول في المصادر ، مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني والراغب الاصفهاني في محاضراته وابي علي القالي في أماليه ، والعباس بن علي بن نور الدين المكي الموسوي في عدة مواضع من كتاب : نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ، عدا مقدمة الدواوين التي درست سير كبار الغزلين والمتصوفين ، فمثل هذه الأشعار حظيت بأندر الدراسات *

رموزه وأبرز مصطلحاته :

الحب غريزة انسانية سامية، وهو في جميع المخلوقات مثله في الانسان، اذ يضرب المثل في تآلف بعضها ووفائها ، ومثله في النباتات ايضاً ، اذ تتعلق بذور النباته بهواب الريح لتبلغ غايتها في لقاء مخصب، يكون نتنة تسبي العيون والقلوب والعقول حين تورق وتزهر وتثمر عند المواسم والفصول.
قال ابن قيم الجوزية (١) :«إن العالم العلوي والسفلي ، انما وجد بالمحبة ولأجلها، وان حركات الأفلاك والشمس والقمر والنجوم وحركات الملائكة والحيوان ، وحركة كل متحرك ، انما وجدت بسبب الحب» وهذا من أدق ما انتبه اليه باحث في هذا الحقل، اذ ربط الكليات بالجزئيات، وبدأ بالكون وانتهى بأصغر المخلوقات.

وقد أفاض الشاعر العربي القديم في اثراء لوحة الحب الغريزي بألوان زاهية من الألفة والحنين والاشفاق والتوحد يسقطها على نفسه وعلى من حوله، متخذاً من الظواهر الغنوية التي تبدو من اوابد الوحش وحيوان

(*) تراجع دراسة عن الحب والعشق والتوجه الاجتماعي في التراث العربي الدكتور نوري القيسي في مجلة آفاق عربية (٩) سنة ١٩٧٦ .

الصحراء والحقل، ومن الطير والمخلوقات الوديعة الأخرى، مثالاً يحتذى في شدة الوجد ولوعة الحب.

ان الامثلة على هذه الصور في الشعر قبل الاسلام لا تحصى. فما أكثر من يرد في وصفهم لحيوان الصحراء وطيورها، وهي تحتوي على صغارها أو تتآلف مع بعضها. وسأنتقي صورتين من بين مئات الصور تتكرر في الشعر الجاهلي. فقد أمدتنا معلقة زهير بن ابي سلمى بلوحة رائعة لمجموعة من الظباء وابقار الوحش يمشين افواجاً، وصغارها تنهض من مجاثمها تتبع الامهات (٢):

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة واطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم

وقد وردت لوحة الحب والأمومة في معلقة لبيد بتفصيل أكثر، اذ وصف ديار الحبيبة وقد جاد المطر عليها فأورقت، وغدت الظباء والنعام نأطفلت: ذوي تتعهدهم بالحب العميق (٣):

فعلا فروع الأيهقان واطفلت بالجلهتين ظباؤها ونعامها
والعين ساكنة على اطلائها عوذاً تأجّل بالفضاء بهامها

ونجد في المعلقة نفسها مثالاً نادراً لحب حقيقي بين زوجين: حمار وحش وأتانه، يرعاها ويطرد عنها الاعداء من كلاب صيد ضارية ومن صيادين متسلحين بالسلاح. فهو مشفق عليها، يطل في كل لحظة من رابية عالية ليطمئن حوله أن ليس في الأفق البعيد ما يكدر صفو الحب الذي يحياه مع هذه الأنثى المخلصة له.

أو ملمع وسقت لأحقب لاحه طرد الفحول وضربها وكدامها
يعلو بها حدب الأكام مسحّجاً قد رابه عصيانها ووحامها
بأحزّة الثلبوت يربأ فوقها قفر المراقب خوفها آرامها

والتقينا ، ونحن ندرس الحب في تراثنا العربي حتى صدر الاسلام ، بشيء من اضفاء الانسان لصورة الحب على النباتات ، فرمزوا للحب الابدي بأشجار تنبت على قبور العشاق ، كشجرة الزيتون في قصة حب (مضاض ومي) (٤) والشجرتين اللتين نبتتا على قبري العاشقين = عتبة بن الحباب وريابنت الغطريف (٥) ، حتى اذا ارتفعتا مقدار قامة ، مالت احداهما على الاخرى متعانقتين . ويتكرر مثل هذا في قصة عروة بن حزام (٦).

لكن يبقى الانسان حالة متميزة في هذه العاطفة ، يضرب أروع الامثلة في الرفعة والسمّو . فلم يكد الانسان ينتهي من استقراء مشاهد الحب بين المخلوقات الأرضية ، حتى انطلق إلى الكائنات السماوية يرسم للحب خارطة كونية من نسج خياله وعواطفه ، تعكس مايجري من احداث الحب على وجه البسيطة ، كأن صفحة السماء الرائقة بليلها ونجومها وكواكبها واقمارها وشموسها مرآة سحرية تعرض مايدور فوق الأرض من احداث الحب والمحبين . فالقمر رمز لكل المعشوقات والحبيبات ، الا انه في الرؤية البدائية محب أرضي ارتفع إلى السماء ليأخذ ديمومته وبقاءه. بعد ان انتهت سيرته الأرضية ، ليبدأ سيرة الاله العاشق والمعشوق معاً لدى جميع شعوب الارض ، وبأسمائه المتعددة ، متخذاً اسم الاله (ود) او (أدد) أو غيرهما لدى قدماء العرب . وقد ذكره النابغة الذبياني في موضعه المناسب ، مشيراً بوضوح إلى وظيفته في محاورة بينه وبين صاحبته (٧)

قالت أراك أخا رحلٍ وراحلة ... تغشى متالف لن ينظرنك الهرما
حياك ودّ فإنا لايحلّ لنا ... لهو النساء وان الدين قد عزما
مشمّرين على خوصٍ مزنمةّ ... نرجو الاله ونرجو البرّ والطعما

وقال عمرو بن قميئة : (٨)

بودك ماقومي على ماتركتهم ... سليمى اذا هبت شمال وريحها

قال ابن منظور : اراد بحق صنملك عليك، ومن ضمّ أراد : بالمودة بيني وبينك (٩) .

وورد في شرح ابن الانباري لبيت المرقش في مفضليته (١٠) :

بودك ماقومي على ماهجرتهم اذا أشحذ الاقوام ريح أظائفٌ

قوله : بودك ، اي بشهوتك . مشيراً إلى الصنم (ود) وهو توجيه صريح إلى وظيفة هذا الاله وعلاقته بالحب ، وتطور لفظة (الود) إلى (الحب) .
والاله (ود) أحد اصنام الجاهلية ، ورد ذكره في القرآن الكريم ، يرقى عهده إلى عهد نوح عليه السلام : (١١) «وقالوا لاتذرنّ وداً» ولاتذرنّ سواعاً» . لقد استوقفتني لفظة (ود) لعلاقتها بإله الحب (ود) كما استوقفتني اللفظة نفسها في قوله تعالى (١٢) : «ان الذين امنوا وعملوا الصالحات ، سيجعل لهم الرحمن ودا» فاستخدم الفعل (جعل) مع لفظة (ود نعطي) مدلولاً غير مدلول اصطناع الود أو اتخاذه او بمعنى (اضمار الود) لذلك فسرت لفظة (جعل) لدى العلماء بمعنى (أحدث) ثم جاءت قراءة « جناح بن حبيش » (ودا) بكسر الواو . وهذا خلاف يعود بنا إلى بيت الشعر السابق «بودك» اي بصنمك . أما من اراد التخلص من التحرج، فقد روى البيت بفتح الواو ، لكن يبقى الخلاف قائماً ، لأن اسم صنم الحب ورد مثلثاً : اي بالحركات الثلاث على الواو . وبمعنى «الحبيب» مثلثة الواو أيضاً . والمثير للإنتباه ان المفسرين اشاروا إلى حرف السين في (سيجعل) أنه جاء يسبب كون السورة مكية . وهذا مما يقوي مذهبنا في تفسيرها ، فذكروا ان المؤمنين كانوا حينئذ ممقوتين من قبل الوثنيين ، فوعدهم الله ذلك ، اي (يجعل لهم وداً) عندما يعلو شأن الاسلام وينتشر. أو ان ذلك الود سيكون لهم يوم القيامة . يوم يعاملهم الله تعالى بالحب بعد أن عوملوا من قبل المشركين بالمقت والحقد . ثم أورد المفسرون احاديث وروايات أخرى لهذا الحب الالهي . (١٣)

وورد في الكتابات الثمودية مانصه (١٤) : «بدين ود أمت » «أموت على دين ود» وهي كتابة تعود لأحد المؤمنين الفانين في عبادة (ود) أو دينه . إن الرمز لإله الحب (ود) لدى القدماء هي (الأفعى) او «الحية» و«الثور»

ولهذين الرمزين عدة مدلولات تتصل بوظيفته الحيوية ، لأن الحية في الأساس تعني الحياة في رموز الأوائل ، ولها علاقة اشتقاقته معها ، حتى قيل لمن طال عمره من رجل أو أمرأة : هو حية (١٥) . وربط المأثور الديني بين «الحية» التي غرر بها ابليس لتحمله إلى مخدع «حواء» لتغري آدم بالشجرة المحرمة ، فاستجاب آدم . لشدة حبه لها . وهو اول حب يتعرض لأول اغراء ، كانت نتيجته مغادرة جنان الخلد ، لتظهر اول فتنة بسبب الحب ايضاً بين قابيل وهابيل . ادت إلى أول جريمة كان الدافع اليها هو الحب (١٦) . أما الرمز الثاني لاله الحب (ود) فهو الثور ، وقد ظهر في النقوش والكتابات العربية الجنوبية مرسوماً إلى جانب هذا الاله (١٧) .والثور رمز الخصوبة (الاخصاب) في الموروثات القديمة لوادي الرافدين والنيل والعربية الجنوبية والشام . وقد نعت الاله (ود) في بعض النصوص العربيـــة ب (نحسطب) (نحس طب) ومعناها (الحية الطيب) (الحية الطيبة) (١٨) وصوروُه تمثالاً وسيما . فنقل ابن الكلبي عن شاهد عيان أنه رأى (ود) تمثال رجل كأعظم مايكون من الرجال ، وقد زبر (١٩) . عليه حلتان ، متزر بحلة مرتد بأخرى . عليه سيف قد تقلده ، وقد تنكب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، ووفضة نبل» (٢٠) وهذه اوصاف اله الحب عامة ، من شباب وفروسية ورجولة وجمال ووجاهة ورجاحة وقدر . وأما وفضة النبال فهي تعيد إلى الأذهان تماثيل آلهة الحب لدى اليونان والرومان . ومانصنعه اذا توجهت بسهامها إلى قلوب العاشقين الابرياء .

ولعل دوارهم «طوافهم» بهذا الاله كان له صلة بشعيرة الحب المقدسة وقد تلمس بعض الباحثين . العلاقة الخفية بين دوار العذارى بالمرضع المقدس من الصنم ، وبين الحب ونذوره وذلك عند تعرضه لبيت امرئ القيس في معلقته الذائعة : (٢١)

فعنّ لنا سرب كأنّ نعاجــــه عذارى دوار في ملاء مذيّــل

وتلتمس مثل هذه العلاقة في قول الحادرة اذ يترصد الشاعر العاشق للقاء حبيبته يوم دوارها باله الحب ، وان كان يحلم في امكان الفوز بهذا اللقاء ، كما يحلم لاعب القمار بالنتيجة : (٢٢)

أمست سمية صرّمت حبلي ونأت وخالت شكلها شكلي
ورجاؤهم يوم الدوار كما يرجو المقامر نيلة الخصل

والشعر في «الدوار» ونذوره من قبل الفتيات والفتيان كثير ليس من صميم دراستي استقصاء مواضعه .

تلك هي الحالة الثابتة لعلاقة الحب بهذا الرفيق الكوني : القمر (ود) في ملحمة مفقودة الأصل لم يبق الا مدلولها الاسطوري والشعري واللغوي لكن القمر في الوقت نفسه يمثل حالة متغيرة لكل معشوقة، كما اصبحت اجزاؤه المتطورة في اثناء مسيرته الشهرية رموزاً لكل حالة مستعصية. فهو في حالة كونه هلالاً رمز، وهو في استدارته قمراً رمز، وفي تمامه بدراً رمز أيضاً.

وقد عرف اله السبئيين «المقة»، وباسم (هلل) (الهلال) أيضاً. وباسم (ربع) ايضاً، اي الربع الأول من الشهر «التربيع الأول» وباسم «حول» بمعنى تمام الشهر، اي القمر كاملاً. والمقة يرمز للقمر مثل (ود) اله المعينيين الذي امتد في عبادة العرب قبل الاسلام كما قدمنا. ومثل (سين) اله حضرموت و «عم» اله القتبانيين (٢٣). وعلاقة «المقه» بالقمر والحب علاقة متينة. وان اسمه يدل على معناه بوضوح، وقد توارثته العرب في الاستخدام حتى صار مصطلحاً مألوفاً مثل مصطلح الحب والعشق والهوى. وليس للعلماء رأي واضح في معنى (المقة) . وينقل الباحثون ترجيح ايوالد EWLD بأن الكلمة من اصل (لمق) بمعنى (لمع) اي الثاقب اللامع، وترجيح هومل بأنها تعني «سيدة» وقال غيره انها مؤلفة من (ايل) اسم الاله المشهور و (مقهو) اي القوي. ثم اورد الباحثون ترجيحات اللغويين والاخباريين العرب،

معلنين حيرتهم وعدم وضوحهم واستقرارهم، مشيرين إلى أن «المقة» من اسماء (بلقيس) لأن موضع عبادة هذا الصم عرف فيما بعد باسم (حرم بلقيس)، وان الهمداني يذهب إلى أنه كوكب الزهرة، لأن اسم الزهرة في لغة حمير يعني: يلمقه والمق (٢٤). وجميع هذه الترجيحات محتملة، لأن الأصل (لمق بمعنى) لمح وأن لغة حمير (يلمق والمق بمعنى الزهرة) وان المقة بمعنى (حرم بلقيس) وبمعنى (سيدة) لا تبتعد عن طبيعة عمل هذا الاله وتخصصه الدقيق في الحب، مما جعل اللفظة واردة في(ومق) في المعجمات العربية، بمعنى المحبة والمودة، وهي خصوصية هذا الاله ووظيفته الاساسية. قال ابو عمرو: التومق التودد، والمقة المحبة. والهاء عوض من الواو، وقد ومقه بمقه بالكسر فيهما، اي أحبه، فهو وامق. قال ابو رياش، الوماق: العشق. والوماق محبة لغير ريبة،والعشق محبة لريبة.قال جميل بثينة (٢٥):

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا   سوى أن يقولوا انني لك وامق

قال الليث: أنا لك ذو مقة، وبك ذو ثقة. وتعليق ابي رياش في اعتبار المقة محبة لغير ريبة، والعشق محبة لريبة، تأثير اسلامي الاتجاه.ولعله كان وراء اختيار جميل بثينة لكلمة (وامق) بدلاً من (عاشق) التي تستقيم ايضاً مع المعنى ومع الوزن. لكن العرب لم يستخدموا كلمة (العشق) تهيباً لها وقلما نطقت به العرب، وكأنهم ستروا به إسمه وكنوا عنه بهذه الأسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا نكاد نجده في شعرهم القديم، وانما أولع به المتأخرون، ولم يقع هذا اللفظ في القرآن الكريم ولا في السنة، الا في حديث سويد بن سعيد الحدكاني، ان رسول الله (ص) قال: «من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد» (٢٦) ولذلك كثرت اسماء المحبة، لأنه «لما كان إلفهم لهذا المسمى أشد، وهو بقلوبهم أعلق، كان اسماؤه لديهم اكثر. وهذه عادتهم في كل ما اشتد إلفهم له، أو كثر خطوره على قلوبهم، تعظيماً له او اهتماماً به او محبة له. فالأول كالأسد والسيف، والثاني كالداهية والثالث كالخمر، وقد إجتمعت هذه المعاني في الحب «فوضعوا له قريباً

من ستين اسماً على ما يذكر ابن قيم الجوزية، مع أنه لم يحص منها اكثر من خمسين (٢٧) فقط. وإلى جانب ذكر لفظة العشق في حديث شريف فقد وردت اللفظة في الشعر الجاهلي أيضاً، من قبيل قول الأعشى (٢٨):

أرقت وما هذا السهاد المؤرق ... ومابي من سقم ومابي معشق

فلم يأبه الاعشى في استخدام (معشق) مع وجود (مومق) وهي تجوز، مادام قد جازت (مومق)، لكن الاعشى الوثني غير ابي رياش المسلم اللغوي، ولو تتبعنا بعض استخدامات (وامق) في مواضع اخرى غير بيت الاعشى لوجدنا اللفظة في مفضلية لبشامة بن الغدير (٢٩):

تأتلك أمام نأياً طويلاً ... وحملك النأي عبئاً ثقيلاً
ونظرة ذي شجن وامق ... اذا ما الركائب جاوزنه ميلا

وللحسيب بن عيسى أيضاً قوله: (٣٠)

تامت فؤادك اذله عرضت ... حسن برأي العين ماتمق
باتت، وصدع في الفؤاد بها ... صدع الزجاجة ليس يتفق

وأما قول عبد الله بن همام السلولي مخاطباً يزيد بن معاوية، يعزيه عن ابيه: (٣١)

اصبر يزيد فقد فارقت ذامقة ... واشكر حباء الذي بالملك حاباكا

فهو استخدام جديد يفسر لنا ماذهب اليه ابو رياش في تعليله من أن «المقة» محبة لغير ريبة، والعشق نقيضها. ذلك ان لفظة العشق لاتوضع في هذا البيت مكان (ذامقة) وانك اذا خاطبت اباً او ابناً او اخاً او صديقاً او خليلاً، تقول [illegible] ولا تقول: انك له عاشق. وفي مثل هذه الموازنة قالوا عن الحب والعشق. وقد سئل عنهما ابو العباس احمد بن يحيى: «أيهما أحمد؟» فقال: «الحب» لان العشق فيه افراط. وسمي العاشق عاشقاً لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة اذا قطعت، وهي شجرة: قال الزجاج: ان اشتقاق العاشق منها. قال كراع: هي عند المولدين شجرة اللبلاب، وقد عرفت لدى بعضهم باسم «العاشقة» (٣٢)

ولفظة الحب فسرت في المعاجم بمعنى : الوداد . وأحبه فهو مِحب (بكسر الحاء) وصاحبه محب (بفتح الحاء) قياساً لكنهم استخدموا كلمة (محبوب) على غير قياس ، لذلك عدوا قول عنترة في معلقته شاذاً في الاستخدام الشائع :

ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم

والمحبة اسم للحب ، والحباب (بكسر الحاء) المحابة والموادة والحب (بكسر الحاء) الحبيب، وكان زيد بن حارثة يدعى (حب رسول الله) اي حبيبه، والحباب (بالضم) الحب أيضاً قال أبو العطاء السندي :

فوالله ماأدري وانـي لصادق ... اداء عراني من حبابك أم سحر

ورويت صورة اخرى لهذه اللفظة ومعانيها . والملاحظ انها ، كما قدمنا ـ لها في نظر الناس اكبار واعظام ، فأخذت هذه الاشتقاقات والقياسات والشذوذ ، بحيث لم تأخذه لفظة مثلها قبلها ولابعدها . يضاف إلى هذا ان علماء اللغة والأدب عندما لايقفون على جذر للفظة ما ، وليس لها أصل في الموارد القديمة (الكلاسيكية) والكتابات والحفريات ، كما لم يظهر لهم ضم بهذا الاسم كالذي عهدناه في (ود) و (المقه) ، أفاضوا في البحث عن معنى اللفظة وايجاد جذر لها دون ان يقفوا عند حدود .

وارتبط الحب منذ اقدم عصوره بالغيب وخرافة من الجن والسحرة والرقى والتعاويذ ، فهنالك العشرات بل المئات من قصص الحب يلعب السحر فيها دوراً في جمع شمل العشاق أو التفريق بينهم ، وانجاح مساعيهم أو اخفاقها على زعمهم ، فمن مزاعمهم في بعض عشاقهم انهم اصابهم مس من الجن ، تعلقت على رؤوسهم التمائم والعزائم ، وطافوا بهم في المعابد والأضرحة وعلى الكهان والعرافين ، وعملت لهم فنون الشعوذات وضروب التدجين ليطردوا الجن عنهم .

وحفلت قصص الحب العربية ، بل الاجنبية بنسيج رائع من الوان الحب الزاهي الذي يؤدي السحر فيها وظيفة رئيسة في لقاء الحبيبين او التعرف على بعضهما بعد غيبة او اختفاء . وربما ادى وشاح الحبيبة او خمارها دور الساحر في ايقاظ العاشق من غيبوبة طويلة اذا القى به على وجهه ، ويفعل مثل ذلك قميص الحبيب او خاتمه . ولدينا مثال من الشاعر العاشق عروة بن حزام ، كان كلما سقط مغشيا عليه مسح وجهه بخمار حبيبته عفراء فيعود إلى وعيه .

وفعل مثل هذا الأثر (السب الأخضر) الذي كان على وجه (حبيشة) حبيبة (عبدالله بن علقمة) فلما رفعته الريح لير ى (عبدالله) جمال (حبيبته) صرع في الحال وغادره مالم يطق على احتماله . وهنا يبرز الا ثر المعاكس للوشاح عما كان في خمار عفراء حبيبة عروة . (٣٣) وليس هذا الأثر ببعيد حتى في وقتنا الحاضر ، اذ تروى لنا المراجع ان شابا كان يغري الفتيات بمراقصته عن طريق منديله الذي يقدمه الى يراقصهن ليمسحن عرقهن ، وكان هو قد مسح عرقه به ايضا ، كما تذكر المراجع عن الملك هنري الرابع انه هام عشقا بفتاة بعد ان مسح وجهه بمنديلها بعد مراقصته لها في احدى الحفلات ، وللعلماء تعليل علمي واضح لهذه الظاهرة التي عزيت لدى القدماء الى الأثر السحري للوشاح او الخمار او القميص او المنديل . (٣٤) ونصادف ايضا في قصص تلك الفترة المتقدمة من تراث الحب العربي ، ان الخاتم يلعب دوره في لقاء غير متوقع ، كما في (قصة المرقش الأكبر وحبيبته) العربية ، وقصة عروة بن حزام ، والتفت العلماء إلى تكررها في قصص الحب العالمية ، اذ يقوم الخاتم بمهمة التمهيد للقاء الحبيبين او التعرف على بعضهما ، وهي ظاهرة تمضي بنا نحو عهد مبكر جداً من تقاليد خاتم الخطبة والزواج وجذوره الثيبية . (٣٥)

وقصة الأثر السحري للاشياء تعد من اقدم المعالم في قصص الحب العربية الا أن قصة الخاتم في حياة العشاق العرب هي الأولى من نوعها في

الاداب العالمية . فهي تحتفظ لنفسها بحق الاصالة ، وكذلك المنديل والقميص وخصلات الشعر واثر كف الحبيبة او أية (تميمة) لدى العشاق،فنجم عنها ان حملت الخواتم او المناديل او خصلات الشعر ، وحتى الملابس والحلل السحرية او المسمومة او الحارقة. وقد رفدنا الأدب العربي بطائفة من تأثير القميص في قصص الحب ، سنلتقي ببعضها في قصة بشربن عوانة وقصة يوسف . وسبق ان تعرضت في بحث مستقل لقصة حب بين امرى القيس الشاعر وبين (تيودورا) زوجة القيصر جوستنيان وما فعله القميص الحارق او المسموم بجسد الشاعر العاشق . (٣٦)

وعلاقة الحب بالجن والسحر قديمة، ابطلها الاسلام ، لكن تأثيرها الشعبي ظل باقياً ، فاطلقوا على طائفة من العشاق اسم: المجانين، الا ان تسمية «المجنون» صارت فيما بعد علماً لمجنون بني عامر، ولعل علاقة الحب بالجن تشير الى الوجه المخفي من تاريخه والجانب المجهول من سيرته ، والجزء المغيب في ذاكرة النسيان من امتداده لكن بعض اسماء الحب او صفاته تفصح عن بعض هذا الغموض ولست ابتغي الدخول في (عوالم الجن) واخبارهم الغريبة في دنيا الحب، لان هذا الجانب من الدراسة ينبغي ان يفرد في بحث مستقل ، لكنني سأشير الى كلمة (الخبل) خبل الحب «متجاوزاً» الجنون لان الاخير يطلق على عدد من مظاهر استلاب العقل الانساني.

يقال (خبّل الحب عقله خبلاً) اذا افسده (بضم الخاء وسكون الباء) قال ابن الاعرابي : الخبلة الفساد من جراحة (وكلمة الخبل بفتح وسكون) والخبل (بتوالي الضمات) والخبل (بتوالي فتحتين) والخبال (بفتح الخاء): الجنون ، وعرفه الليث بانه جنون او شبيهه في القلب والمخبل المجنون. قال الشاعر:

وأراني طرباً في اثرهم.
طرب الواله او كالمختبل

والمختبل: الذي اختبل عقله او جن فهو اخبل. والخبل: الجن. وهم الخابل ايضا، ضرب من الجن ذكره حاتم الطائي يخاطب لائمته على الكرم:

ولا تقولي لشيء كنت مهلكه
مهلا ولو كنت اعطي الجن والخبلا

وترتبط الصبابة، وهي شدة الشوق في الحب او رقة الهوى، بهذا الجذر الغيبي. فقد كانت الساحرات في البادية يرددن عبارة (الصبابة) بجذرها التاريخي، عندما يرقين الرقي ويعوذن «التعاويذ» ويعزمن «العزائم» لعاشق او زوج ممن يبتغين ان يسحرن له، فيسلكن اليه طريقاً يعرف عندهن بعلمية «التأخيذ بالأخذ» فيقلن، صبٌ فاصبب اليه، ارق فارق اليه،» قال سيبويه: وزن صب فعل، تقول صببت صبابة، كما تقول: قنعت قناعة، قال الكميت: (٣٣)

ولست تصبّ الى الظاعنين
اذا ما صديقك لم يصبب

والتأخيذ، كما في اللسان (٣٨) حبس السواحر ازواجهن عن غيرهن من النساء، والاخذ (بضم الهمزة جمع اخذه بالضم) وهي رقية سحرية تؤخذ، بها (بتشديد الخاء) المرأة الرجل عن بقية النساء، فهو (مأخوذ) او اخذته الساحرة تأخيذا. ومنه قيل للاسير أخيذ والاخيذ: المأخوذ من جن او خبال او اسر. والأخيذه الاسيرة لسبي وما اغتصب من شيء فأخذ. وفي الحديث: جاءت امرأة الى عائشة (رض) فقالت «أؤخذ جملي» فلم تفطن عائشة للرمز السحري المستخدم في عبارة المرأة، فلما نبهها الحاضرون، أمرت باخراجها، فقد كنت عن زوجها بالجمل وتكلمت بالسحر، والاسلام يأبى ذلك. والتأخيذ أن تحتال المرأة بحيل في منع زوجها ان يهتم بسواها، وذلك نوع من السحر، او خرزة يؤخذ بها النساء الرجال. ورجل مؤخذ من النساء: أي محبوس. وأخذه: رقاه. قالت اخت صبح العادي

(نسبة إلى قوم عاد) ويقال : الحبشي ، لأنه كان احد ملوك الحبشة ، تبكيه عندما قتل (اخذت عنك الراكب والساعي والماشي والقاعد والقائم ، ولم آخذ عنك النائم) أي انها سحرت لجميع من يضمر الغدر به من جميع الناس ، الراكبين منهم والساعين والماشين والقائمين والقاعدين ، ولم يخطر لها ان تسحر له ضد النائمين ، فقتله رجل محمول اليه على سرير . وكان «صبح» في حياته شجاعاً صارع اسداً نصرعه ، مع ان الاسد اصاب صبحاً في بطنه ، حتى نظر إلى سواد كبده قال لبيد بن ربيعة . (٣٩)

ولقد رأى صبح سواد خليله
مابين قائم سيفه والمحمل

وعني بخليله : كبده . وهو مدلول غريب للكبد ، لأن لفظة الخليل تدخل في قاموس الحب ، وسنعود اليها . ولعلها تمثل العلاقة البدائية للحب بالكبد ، ثم القلب فيما بعد ، ثم اثبت العلم الآن هذه العلاقة للعقل فقط. والسلوة مثل الاخذة : رقية يسقى بها العاشق ليشفى من دائه الذي يخامره ولعلها الاساس لكلمة السلوان ، مصدر سلابسلو ، سلواً وسلواناً ، هو يشير إلى الاصل او الجذر الذي تنطلق منه المعاني في اللغة فالالفاظ تبدد بمدلولات حسية ثم تستشف منها المعاني ، وهذا قريب من الحياة البدائية للبشر في المراحل الوثنية ، فالتجسيم او التجسيد او المادة الملموسة هي اساس معتقداتهم ، ثم تطورت الدلالة اللغوية وهو مايمكن ان نشير اليه في خلاف الكوفيين والبصريين حول ايهما الأصل في الاشتقاق : المصدر ام الفعل(٤٠) فالاشارة إلى الإله (ود) من حيث هو كيان ملموس من مادة ، هو التعبير الاساس للمعنى المتطور (يود) ثم (يحب) وان كانت هناك حلقة مفقودة بين (ود) وبين «حب» لعدم عثورنا على معبود بالاسم الأخير .

وقد ذكر (السلوة) بمدلولها المادي ، بعض الشعراء ، ووردت في رجز للعجاج او ابنه رؤبة ، ووردت في شعر عروة بن حزام صاحب عفراء : (٤١)

فما تركا من رقية يعلمانها
ولا سلوة الا وقد سقياني

والمعنون كالمجنون والماخوذ والمخبول والمحبوس والممسوس ، وتجرى في فلكها : الممتوه والمعتوه ، وكذلك المهروع والمخفوع ، والاخيرتان اشبه باسماء الجن لدى المشعوذين في الأحراز المكتوبة في شكل معوذات وتمائم تعلق على ارؤس الممسوسين ممن داخلهم العشق . والمعنون : الذي يشكو التعنين ، أي الحبس ، والعنين : الذي لايقرب النساء ولايريدهن ، منع عنهن بالسحر ، كما يزعمون . قالت سيدة عربية تزوجت في غير قومها فحبس عنها زوجها بالسحر .فعبرت عن حالها بأسلوب مهذب ملتزم . (٤٢)

فمن يهدِ لي من ماء بقعاء شربة
فان له من ماء لينة اربعا

لقد زادني وجداً ببقعاء انني
وجدت مطايانا بلينة ضلعا

فمن مبلغ تربيّ بالرمل انني
بكيت فلم اترك لعيني مدمعا

وقد استخدم العرب مصطلح التعنين ليطلق على الرجل اذا اقسم للثار فلا يقرب امرأته ولا يطعم لحما ولا خمرا ولا يتطيب حتى يثأر لمقتوله . وقد اكثروا في شعرهم من ذكر اللاثمات عندما تتلبسهم حالة «القسم الثأري» لان المرأة غالبا ما تتشوق لبعلها ، وهو بعيد عنها في الفيافي والقفار ، واقعا تحت وطأة قسمه الوثني ساعيا وراء تأره حتى يبدو كالمجنون لفرط مايبدو عليه من الوله والاضطراب واهمال المظهر الخارجي وسوء الحالة النفسية من ترك اطايب الحياة «فهو» «متعنن» قال ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي يعرض حالة الثأر التي يمر بها عندما قتل أبوه. (٤٣)

تعننت للموت الذي هو واقع
وأدركت ثأري في نمير وعامر

ومن هذا المصطلح الوثني اشتق قولهم : عني عناء وتعنى ، أي اصابه العذاب في الحب

قال امية: واني بليلى والديار التي ارى لكالمبتلي المعنى بشوق موكّلِ

واشتقاقة عان ومعن . قال تميم بن مقيل . (٤٢)

تحمّلن من جنان بعد اقامة وبعد عناء من فوادك عان

وقال الأعشى : (٤٣)

لعمرك ما طول هذا الزمن على المرء الا عناء معن

والمعنى : المعذب في الحب ليس غيره (٤٤) لكن العرب قبل الأسلام اطلقوا مصطلح المعنّى على الجمل المنذور . واورد ابن منظور : (٤٥) المعنّى الجمل كان اهل الجاهلية ينزعون سنان فقرته ويعقرون سنامه لئلا يركب ولا ينتفع بظهره . قال الليث : كان اهل الجاهلية اذا بلغت ابل الرجل مائة ، عمد إلى البعير الذي أمأت « اي اخر المائة في الأبل» فاغلقوا ظهره لئلا يركب .

ولعل كلمة «الهوى» تضاهي كلمة «الود» في قدمها لكنها اساسا استخدمت في اتجاهين مادي ومعنوي . فالذي له علاقة بالذات و تلبية حاجات النفس وتطمين المصالح في مختلف الاساليب والوسائل يعرف بالهوى ، والذي له علاقة بالحب يعرف بالهوى ايضا . فالهوى هوى النفس والهوى العشق ، يكون في مداخل الخير والشر . قال اللغويون : الهوى محبة الانسان الشيء وغلبته على قلبه ، وميل النفس الى الشيء (٤٦) ومن الغريب عن ابن عباس (رض) انه قال : الهوى إله معبود . فلما قيل له: أأنت تقول ذلك ، استشهد بالاية « افرايت من اتخذ الهه هواه (٤٧) ولعل هذا السبب كان وراء التحرج من لفظة الهوى ، فقيل انها أكثر ماتستعمل في الحب المذموم ، وقيل ايضا انما سمي هوى لانه يهوى بصاحبه ، وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالا مقيداً ، ومنه قول النبي (ص) :

«لايؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به . (٤٨) ولدينا خبر اخر ان اعرابيا قال للنبي (ص) : جئت اسألك عن الهـوى . فقال : « المرء مع من احب» فالاعرابي يذكر « الهوى» لكن الرسول (ص) يميل الى استخدام لفظة الحب . وقال تعالى (٤٩) « ونهى النفس عن الهوى» معناها انهاها عن شهواتها ومعاصيها . وقوله فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات» فالذي قرأها متعدية اراد : تميل اليهم ومن قرأها (تهوى) بالياء اراد : ترتفع . ورجل هوى ، ذو هوى مخامره . واما قول ابي ذؤيب الهذلي (٥٠).

سبقـوا هوىّ واعنقـوا لهواهـم

فتخرموا ولكل جنـب مصـرع

فهي لغة في هذيل ، يحذفون الالف في المقصور اذا اضيف الى ياء المتكلم فيقولون «فتي وعصي» بدلا من «فتاى وعصاى» وهـوى والمراد هواى ، وهو معنى غريب في البيت ، اذ جعل استجابة داعي المنية بالهوى يقتاد الانسان الى خاتمته ومصيره . وهو ايضا يلقي الضوء عـلى ما اورده سيبويه حين جعل « الهوى» لله عز وجل وحدهدون غيره فاذا فعـل ذلك فقد تقرب الى الله بهواه . وسيبويه يشيـر الى الايتين الكريمتيـن : (٥١) «ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا أفرايت من اتخذ الهه هواه ، واضله الله على علم» وهذا مايؤكد كلام ابن عباس سابقا من ان الهوى اله معبود ، ولو رجعنا الى لفظة الهوى في القرآن الكريـم (٥٢) لوجدناها ترد في معرض الذم في كل موضع ، لان اللفظة كانت تجعل في مقابل الصنم او الوثن والخضوع له فهي تفسر النسك الوثني والخضوع له .

وقد تطرقت الى مثل هذا في حديثي عن مادة (ود) التي وجدتها في اقدم مصطلحات الحب في القاموس العربي . وهنا تبرز لفظة (المتيم) التي فسرت في المعاجم بمعنى ان يستعبده الهوى ويذهب عقله منه . ومنه (تيم الله) و (تيم اللات) ، وهذا كثير في اسمائهم وانسابهم ، لان

التيم معناه العبد ، وأصله من تيمه الحب اي لله وعبّده وهذه اشارة بعيدة الى ان اصل الحب عبادة (٥٣) ولم يرد الينا من اسماء التيم « غير الاعلام المذكرة بعضها اسماء قبائل » تيم مناة تيم قريش) ، تيم قيس تيم شيبان ، تيم ضبة وبنو تيم في شعر امرىء القيس جاء وصفهم بانهم مصابيح الظلام . وهؤلاء جميعا رجال منذورون ، ومن يدري لعلهم نذروا النسوة للالهة ايضا ولم ترد الاسماء الينا ، فليس في اسماء النساء مايدل على تقرب او نسك وثني ، بينما اقتصر هذا الامر على الرجال ، وان كنت ارى في بعض الموروث من اسماء النساء مايدل على ذلك ، فاسم «خولة» مثلا يعني الظبية ، وهو ايضا يعني الهبة ، ولاتخلو اللفظة من جذر ديني لان العلاقة بين الظبية والهبة قديما كانت قائمة ، فكان العرب يقدسون الظباء وينظرون اليها على انها هبات الهية ، وبعضهم كان يتقرب بها الى الالهة ، ولم تزل بقايا الموروث في البيوت ياخذ شكل تحفيات من رؤوس الظباء تعلق على ابواب البيوتات استجلابا للحظ وطرداً للشر وزينة وتراثا. لكنني عثرت ايضا على مايسمى بـ(التيمة) وهي شاة منذورة تربى ولا تذبح ، لأنها تمام العدد اربعين في الشياه ، كما فعلوا مع المعنى (تمام العدد مائة في الابل) والمقصود بها اذا نذرت ، ولايتعدى نذرها موضوع الحب والزواج . لكن مواسم القحط وسنوات الازمات والمجاعة ، قد تضطر اهل هذه الفتاة على ذبح نذرها . قال الاعشى (٥٤).

فمـــا تـتام جـــارة آل لأى

ولكن يضمنون لها قراهــــا

اي لاتذبح نذرها من مجاعة . وفي اخبارهم مايدل على ذبح نذورهم (٥٥). ولعل اشارة كعب بن زهير في مطلع قصيدته المشهورة .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـــول

متيم اثرها لم يـفــد مكبـــول

او ببيت المنخل اليشكري في هند اخت الملك عمرو بن هند : (٥٧)

يــاهــنــــد مــن لمــتيـم

يـاهـند للعاني الاســيـر

هي في اساسها اشارة تراثية الى متيم «عبد» نذروه الى الاهة تستعبد بالحب متيمها فهو اسير «اي عاني» كالعاشق (اي المعنى) لما بين اللفظتين من تواصل بالسلاسل الى معبدها ، فكذلك حالة الشاعر مع حبيبته (سعاد) او (هند) في البيتين المذكورين ، والاسماء هنا رموز ايضا ، لان الشاعر يقلد نهجا قديما جداً .

ولم يتبين لنا في الكتابات مايدل على لفظة «الحب» في استعمال القدماء لكنها دلت في النصوص الاسلامية على استعمالين : في خير وفي شر. ففي القرآن الكريم استخدام واسع جداً لهذا المصطلح وفعله واشتقاقاته ينحصر فيما يحب الله من عباده وما لايحب من افعالهم . (٥٨). كما اشارت الى النسك الوثني. وهو حب اله وثني من دون الله (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله. والذين امنوا اشد حبا لله (٥١) وقد سبق ان تحدثت عن هذا الجانب عند التعرض للاله (ود) اله الحب. ومن ذلك قوله تعالى: (٦٠) قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه»

ولدينا لفظة استخدمها العرب باعتبارها من اسماء الحب، وهي: الشغف التي وردت في القرآن الكريم (٦١) «امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسها، شغفها حبا» فاللفظة ارتبطت بكلمة الحب.

وليس في الادب العربي القديم مايشير الى استخدام لفظة (الغرام) باعتبارها من الفاظ الحب كما اشتهرت فيما بعد، وانما استخدمت لتدل على شدة العذاب في غير الحب. كقول اوس بن غلفاء (٦٢)

فانك من هجاء بني تميم

كمزداد الغرام الى الغـــرام

ووردت في القرآن الكريم ايضا بمعنى العذاب (٦٣): ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراماً لذلك لم يستشهد المعجميون ببيت شعر واحد يدل على استعمالها القديم . وانما ظهر في العصر العباسي واولع به المتأخرون. قال ابن قيم الجوزية (٦٤): الغرام الحب اللازم، واصله العذاب والشر ، وللطف المحبة عندهم واستعذابهم لها لم يكادوا يطلقون عليها لفظ الغرام ، وان لهج به المتأخرون وقد كان المؤلف متحفظاً في عبارته حين قرر انهم لم يعرفوا اللفظة الا في عصر متأخراً (ولم يكادوا يعرفونها) لأنه اورد في كتابه نفسه بسند يصل الى ابي غسان الهندي شعراً فيه لفظ «الغرام» بمعنى شدة الحب على لسان جارية .. (٦٥)

وسبق ان مرت بنا لفظة «متبول» بمعنى غلبه الحب، وتبله الحب، افسده واسقمه. والتبل الترة والترحل والحقد. ومثلها برح به الحب، عذبه واصل التبريح: المشقة والشدة ، ومثله الوله: ذهاب العقل، لفقدان الحبيب ومنه الولهان بفتح اللام مصدراً او بسكونها اسماً، والولهان اسم لشيطان الماء يغرى الانسان عند الوضوء بكثرة استعمال الماء (٦٦) ولعله شيطان الحب ايضا لان له صلة بالتوله. وقد نهى الرسول (ص) عن التوليه والتبريح: والتوليه ان يفرق بين الام وولدها، في الانسان والحيوان على السواء، لما ستقاسيه من التوليه. والتبريح قتل السوء للحيوان ، كأن تلقى بالسمكة حية في النار ولعل استعمالها في الحب جاء من هذا التوجه. وربما استخدموا «الوله» في نقيض معناها اي «السلوان » وهذا من باب التفاؤل كاستخدامهم «العلوق» بمعنى الكراهة لأنها وولدها او التي سلت حبيبها ، بينما «العلاقة» من اسماء المحبة ، والعلق الهوى يقال نظرة من ذى علق قال الشاعر :

ولقد اردت الصبر عنك فعاقني

علق بقلبي من هواك قديم

وورد في الحديث الشريف «فعلقت عنه كل معلق» اى احبها وشغف بها

قال عنترة في معلقته

علقتها عرضا واقتل قومها

زعم لعمر ابيك ليس بمزعم

والاعشى في معلقته ايضا:

علقتها عرضا وعلقت رجلا

غيري وعلق غيرها الرجل

واما اذا قلنا (كلف بالشيء) فمعناه لهج به، واصل الكلف الولع. والأصل الأبعد: المشقة لكن استعير اسماً للحب. (٦٧)

والهيام: الذهاب من الحب في كل مذهب، واصله داء يأخذ بالابل فتهيم على وجهها ، سمي به العاشق من شدة وجده وسمي به الشاعر في قوله تعالى:

(في كل واد يهيمون) في سورة الشعراء قال بعضهم هو وادي الصحراء يخلو فيه العاشق والشاعر. واللفظة قديمة ظهرت في شعر عروة بن حزام صاحب عفراء (٦٨)

بي اليأس او داء الهيام شربته

فاياك عني لايكن بك مابيا

واحسب ان استخدام عروة لهذا المعنى هو الذي فتح للشعراء باب استخدامه كمصطلح يدل على شدة الحب لما بينهما من تناظر وتشابه.

وليس الوجد من شدة الهيام ، وانما جعل اللغويون «الوجد» في الحب لاغير، واستشهدوا بأقوال القدماء: (والله ما بطنها بوالد ولا زوجها بواجد) (٦٩) فالوجد في رأى العلماء هو الحب نفسه : وجد وجداً ، فاذا تعلق بالمطلوب (وجد مطلوبه وجوداً) فاذا تعلق بالضالة كان وجداناً وبالغضب موجدة ، وبالمال : جدة وأجداً ووجدا . (٧٠)

اما الشوق في الحب فهو ابرز مظهر فيه وقد ورد في دعاء لعمار بن ياسر (رض) عن رسول الله (ص) .

«.. واسالك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك» (٧١) والجوى فهو الحرقة يقال : جوي الرجل فهو جو ، لان الحب يغيره من حال إلى حال : قال عدي بن زيد العبادي: (٧٢)

ثم كـــان المـــزاج مـــاء سحـــاب
لاجـــو أســـن ولا مطـــروق

والدنف والسدم والغمرة ، كلها صفات تعترى العاشق مثل الوهل والفزع والروع ، ومنه قيل جمال رائع لأن المتعلق به اذا رآه ارتاع لرؤيته والخلابة لانه يخلب اللب . وكذلك الشجن واللاعج والاكتئاب والوصب والكمد والحزن والحرق والسهد والارق واللهف والحنين والاستكانة واللوعة والفتون ولها ثلاث معاني : الامتحان والاختبار (ان هي الا فتنتك) (٧٣) اي امتحانك واختبارك ، والمعنى الثاني الافتتان نفسه يقال هذه فتنة فلان أي افتتانه الثالث : المفتون به نفسه تسمى فتنة (انما اموالكم واولادكم فتنة) (٧٤) واللمم : المس من الجنون ، والشيء القليل ايضاً ، والخلة توحيد المحبة والخلم الداء المخامر والرسيس الثابت في القلب من الحب .

نظرة تحليلية لنصوصه :

ينتمي تراث الحب العربي قبيل الاسلام إلى عالمين مختلفين ، وهذا المظهر طبيعي جداً ، لأنه متصل بتراث اقدم منه في ماضيه ، وهو التراث الادبي بابطاله الاسطوريين من الهة وانصاف آلهة ومن معطيات سحرية ومعتقدات شعبية وتقاليد وثنية ، تتجلى في مختلف المعالجات التي تعترض حياة الانسان يومذاك ، ولانه ايضا يتصل بروح الاسلام وفكرة الجديد وفي نظرته إلى الحياة العربية والانسانية ، وهي نظرة ملؤها التفاؤل والعلم والنظام ازاء ماكانت تصطبغ به الحياة والشخصية العربية ، وماعانته من استلاب وجذب نحو صيغ ذاهبة ومضطربة ترافقها تطلعات نحو حياة جديدة نامية ومتطورة . لذلك جاءت قصص الحب واشعارها مثقلة بقيم

متناقضة ، بعضها يتفق مع الروح الجديدة ، وبعضها الآخر حصيلة جيل التقاليد الموروثة المحافظة .

فمن سمات التأثر بآداب العالم القديم وقيمه الأخلاقية والاجتماعية والعقائدية ، ماذكرناه في الصحائف المتقدمة لدى التعرض للحب ومصطلحاته ورموزه ، عندما كانت رائدة ثم احتجبت وبقيت رسوباتها في اعماق الاجيال ، فلم نعد نعرف كيف كانت تؤدى طقوس الحب للاله (ود) و (المقة) و (سين) و (عشتار) و (الشمس) و (الخلصة) لكن استطعنا إلى حد ما ان نقف على بعض تلك الطقوس ، لمسنا آثارها على جسد القصيدة العربية الباقية بعد ان طمست معالم القصيدة الجاهلية المفقودة فمن خلال النظر في اشعار الغزليين والمحبين والعشاق العرب ، توصلنا إلى جزء يسير من صورة الحب الكبيرة لآلهة العشق العربي . وقد مرت بنا شعائر دوار المنذورات وبيوتهن المظلمة واتصال الشعراء بطائفة من تلك الفتيات ومنازلهن المقدسة ؛ وكان من تأثير ذلك بقاء التقليد الفني في افتتاحيات المعلقات والقصائد التراثية الفخمة ، وبوجه خاص ذكريات الشاعر مع الفتيات اللواتي يرمز لهن باسم : «هند» و «زينب» و «خولة» و «سعاد» و «مي» و «ريا» وغيرهن وبكاؤه العنيف إلى درجة الهلاك أسى . ولاحظ باحث معاصر ان قصة الخليلين المخاطبين في مقدمات القصائد تعود في اصلها إلى قصة حب «مضاض بن عمرو الجرهمي وحبيبته مي» او انها نابعة من هذه الاسطورة. (٧٥) وافترض باحث آخر (٧٦) : ان هذا الشعر الغزلي ، قد يكون من بقايا تقاليد فنية موروثة ، حيث كان الشاعر يبدأ حديثه الفني بالصلاة لآلهة الفن. وإذا كانت لدى الشعوب الوثنية آلهة حب مثل فينوس وأفروديت وعشتار واللات ، فمن المحتمل ان تكون افتتاحية القصيدة الغزلية من نوع الصلاة فأصبح هذا المصطلح الغزلي والافتتاحية الغزلية هي إحدى تلك البقايا» وارتبطت هذه المقدمة «مقدمة الحب او العشق» في الشعر العربي قبل الاسلام برحلة اغتراب طويلة يعيشها الشاعر فوق ناقة يخترق بها

اعماق الصحراء، كأنه روح هائمة بعد تلك الوقفة الطويلة على اطلال الحب المندثر.

والرحلة في الحب ترتبط بحالتين، الاولى فنية، تعيد إلى الاذهان رحلة البطل في الادب والتراث، تبدأ برحلة ابطال الملاحم في ادب وادي الرافدين، وتنتهي برحلة امرىء القيس في اعماق شبه الجزيرة العربية حتى بلوغه القيصر جوستيان (يوسطيانس) (٧٧). اما الحالة الثانية، فهي موضوعية يتحكم فيها موضوع القصة . فالبطل في الملاحم الاولى يرحل بحثا عن نبات الخلود او اكسير الحياة ، والبطل في قصص الحب واشعارها يرحل لسببين رئيسين :البحث عن مهر (صداق) الحبيبة، او الهروب من واقع مؤلم ،تتقاذفه دروب الغربة الطويلة والرحيل حتى الموت، فمن امثلة الموضوع الاول قصة المرقش الاكبر وحبيبته اسماء، وقصة عتبة بن الحباب وصاحبته ريا بنت الفطريف اما الموضوع الثاني فخبر امثلته: الصمة القشيري الذي احب ابنة عمه ريا فهرب من واقعه تاركاً وطنه نجدا قاصداً التخوم الزراعية من ارض العراق هائماً في المزارع والبساتين، تنزف روحه شعرا حزينا، فهو اشبه بالقربان المذبوح حتى اذا مات حملوه شهيدا وبكوه افجع بكاء.

ولاتقف قصة «بشر بن عوانه الذي احب ابنة عمه فاطمة، وقصة المرقش الاكبر» ،عند حدود، الرحلة للحصول على مهر الحبيبة او صداقها فحسب، من حيث امتداد الحدث في الأداب القديمة جدا، وانما شابهتها في مظاهر البطولة وابداء ضروب الشجاعة الفائقة لدى مقارعة الاقران وملاقاة الفرسان ومصارعة الأسود ومنازلة التنانين والكائنات الخرافية المهولة. وهذا يشبه إلى حد كبير: مافعله البطل في ملاحم وادي الرافدين من قتله الاسود السماوية وارتدائه جلودها، وهو اثر ملموس فيما بعد في ابطال اسطوريين وملحميين خارج حدود الوطن العربي، كقصة (هرقل) و«اخيل» وسواهما ممن قتلوا في رحلتهما الثيران السماوية والاسود ولبسوا

جلودها (٧٨). وقد نازل احد ابطال الحب في ادبنا العربي قبل الاسلام اسداً يقال له «ذادا» وافعى يقال لها «شجاع» فقتلها . بل نرى بشر بن عوانة بعد قتله الاسد (ذادا) يكتب إلى اخته او حبيبته على قميصه بدم الاسد. وكان بشر قد ارتجز محاوراً الاسد، مما يعطي للشعر سمة الرقية السحرية، يستعين به الشعراء في الصحراء لدى ملاقاة الاهوال او الوحوش والغيلان والسعالي وسأعود إلى ظاهرة القميص في قصص الحب. اما المرقش الأكبر، فقد نازل اسدا ونمرا، فقتلهما وكانا قد قطعا وادي نجران. وكان المرقش قد راوغ الاسد حتى امسك باذنيه ثم دق رأسه، وسلخ جلده وارتداه، فلما احس بالنمر قادماً، نام رافعاً سيفه، وموهماً النمر أنه الاسد، فوثب النمر فتلقاه بالسيف، ثم سلخه وارتدى جلده فسمي المرقش، وان وردت رواية اخرى حول سبب تسميته بالمرقش تتعلق بمعرفته للكتابة، كما تفيد رواية ثالثة بانه ممن سمي بشعره وذلك لقوله:

الـــــدار قـفـــز والـــــوجـــــوه كـمـــا

رقـــــش في ظـهـــــر الأديم قلم.

وقصة منازلة الوحش وقتل الاسود من قبل ابطال الحب، ظلت تسقط ظلالها على قصص الحب والشعراء العشاق حتى، صدر الاسلام، فبرزت مثل هذه الملامح في التحدرات الشعبية من سيرة عنترة والسير الاخرى . ومع ان العاشق يملك مثل هذه التفوق الخارق في الشجاعة ، والتفوق العقلي في الادب والشعر . كان يبدو رقيقا ضعيفا ازاء من يحب لقد كان عنترة غاية في الجرأة والشجاعة وقوة الجنان ، لكنه كان في حبه غاية في الرقة والطراوة ، فلم يكن يستطيع ان يمسك دموعه اذا طرق سمعه بكاء حمامة وهو في رحلته الطويلة او غربته القاسية : (٧٩)

افمـــــن بـكـــاء حـمـــامـــة في أيكـــة

ذرفـت دمـوعك فـوق ظهر المحمل

كـالـدر او فضـن الجمـان تقطعـت
منـه عقـائـد سلكـه لـم يـوصَل

وتحتوي قصة حب عنترة التي اعيدت كتابتها في العصور الوسطى ــ بوجهها الشعبي ــ على كثير من قيم الصحراء وتقاليد الحب فيها، والغريب أن الرواة الاوائل وتلامذتهم لم يخلفوا لنا نصا محققا في قصة (حب عنترة) كما فعلوا مع المرقشين مثلا، وانما ظهرت قصة حب عنترة في السير الشعبية مع اشارات مقتضبة في شعره. ويمكن ان يضم موضوع ارتياح العاشق إلى الخلق القويم وفعل المعروف للسبب نفسه (٨٠).

ويـرتـاح للمعـروف في طلـب العـلى
لتحمـد يـومـا عنـد ليلى شمائله

ويمكن ايضا ان توضع ظاهرة «الحياء والطهر والعفة» بين العشاق مع مايخالج قلب الفتاة اكثر من الفتى من قلق مشروع ، فيما اذا كان مايشغلان انفسهما به يدخل في صميم العادات والاعراف، ويمسها مساً غير مقبول ، يمكن وضعه ضمن تلك التقاليد العريقة . واذا شئنا ان نقترب من حقيقة هذا الشعور، امكننا ان نصوغ هذا السؤال : هل الحب ــ في عرفهم ــ حرام ؟..

لقد اجابت الشرائع السماوية قبل الاف السنين، وحددت بشكل صارم طبيعة الحب المسموح به، رغم تساهل في اية حال من الاحوال بغير الخاتمة السعيدة، لكن المسألة تبقى معلقة فيما يخص النظرة الاجتماعية قبل الاسلام، لان التراث الكبير الذي ندرسه ينطلق من آلاف السنين حتى البعث والرسالة. واذا تحدثنا عن ظاهرة معينة تتعلق بالحب قبل الاسلام فان هذه الظاهرة ستبقى في معزل عن قصص الحب الواردة في القرآن الكريم، لان اتجاه القرآن متأت من طبيعة الفكر التوحيدي، النابع من عقيدة ابراهيم الخليل والنصارة الذين ملأت الارض العربية تحميهم آلاف السنين حتى ظهور الاسلام، وهم الذين عرفوا بالحنفاء او «الأحناف» (٨١). فالملفت النظر في قصة يوسف مثلا، وهي اطول قصة حب قصها القرآن الكريم،

ان العزيز — ملك مصر — خاطب زوجته التي راودت يوسف عن نفسه بقوله: (٨٢) واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين »مما يحمل على الاعتقاد بان الرجل قالها وهو مؤمن، وان السيدة الخاطئة قد آمنت فاعترفت بذنبها وبصدق يوسف وعفته، ابتداء من قوله تعالى على لسانها: (٨٣) «الآن حصحص الحق، انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين».ان القرآن الكريم ينقل الحوار القصصي او اي حوار يجري بين الاشخاص بالعربية التي نزل بها القرآن، ولو شاء الله ان يعيد الينا كلامهم وحوارهم بلغتهم لامكنه ذلك، لكنه لن يؤدي رسالته ولن يكون واضح البينة، وهذا مغزى قوله تعالى (٨٤) في لغة القرآن: نزل به الروح الامين، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين «واكد هذا المعنى في اكثر من موضع. ولو تتبعنا لفظة «هيت» في قوله من سورة يوسف نفسها حكاية عن لسان السيدة زليخا امرأة العزيز (٨٥) وغلقت الابواب وقالت هيت لك، قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي..» لوجدنا المفسرين ينقلون اراء متعددة في هذه اللفظة في كونها من المبنيات ومن الاصوات، ثم ينقلون رايا للامام السدي بان اللفظة جاءت من (هأت) لك، كأنها قالت «تهيأت لك» وذلك قبل ان يكتشف العلماء بسنوات السنين بعد ان حلت رموز الكتابات في وادي النيل وحضارته القديمة ان هذه اللفظة وردت في تلك الكتابات بالمعنى نفسه الذي اشار اليه الامام السدي، تقولها المرأة اذا فرغت لبعلها، فكأن الله تعالى حكى اللفظة بمدلولها تلميحا لقدرته وللاصل الذي نطقت به. ان القرآن، يروى هذه القصص لتثبيت قيم عامة، كما تفيد اواخر سورة يوسف: «لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون». ومثل قصة يوسف في مقاومة الفتنة في الحب، وردت قصة «ذي الكفل».

ولدى العودة إلى اقدم قصة حب في تراثنا الادبي، تطالعنا قصة الفتى

«مضاض بن عمرو وحبيبته مي» كانت نهاية البطل فيها الموت عشقا، كما يروي الاثريون العرب. لقد اثار (مضاض) الاعجاب بروعة التزامة بالرغم من وثنيته وكذلك (مي)، فما ان شعرا بعدم القدرة على الاحتمال، حتى بادرا بمفاتحة الاهل عن حقيقة مشاعرهما ونبل الهدف. لكن يد القدر كانت ترسم الخاتمة المفجعة فلم يعلما وهما يخططان للامل القريب ان الموت كان اقرب اليها مما يؤملان. وقد التفت احد الباحثين المعاصرين إلى نقاء الحبيبين قائلا (٧٨) ان قصة (مضاض ومي) تقف كالسؤال الحائر امام الذين زعموا ان العربي لم يعرف من صور الحب الا حب الجسد وانه لم يعرف من المرأة الا مواضع الاثارة الجنسية فيها دون تعلق بالمرأة كروح ملهم، وليس كرمز جميل عفيف، واحسب ان الذين اخذوا من الشعر الجاهلي، او بمعنى اصح ماجاءهم من هذا الشعر، صورة المرأة الجاهلية، يحتاجون إلى قليل من النظر في هذه القصة وامثالها، ليدركوا ان ثمة صورة خادعة لاتمثل الحقيقة قد رسبت في اذهانهم» «وقصة مضاض ومي، صورة انسانية نابضة بالحياة في معظم الآداب العالمية، فأنت تراها في (روميو وجوليت) وانت تراها في (بول وفرجيني) اي انك ترى الخصائص العامة المشتركة موجودة في كل الآداب العالمية» ولكن مجاهرة الشاعر اذا احب بصدق، قد يعد في نظر اهل الحبيبة تشهيراً، يؤدي به في النهاية إلى حرمانه من الارتباط بالحبيبة برباط الزواج المقدس. ولعل مردّهُ إلى ان ظاهرة (العشق) لم يكن ينظر اليها بارتياح بسبب التحذرات المأثورة عنها في العصر الجاهلي اذ تروي الموارد الاسلامية، ان تقاليد العشق في الجاهلية تجيز للعاشق ان يلثم حبيبته او يضمها إلى صدره، لايتجاوز ذلك في اي حال من الاحوال، ويبدو أن حالة اخرى أضيفت الى هذه الظاهرة فيما بعد، وهي ان الحبيبة قد تكون ذات بعل، لكن يبقى نصيب العاشق منها ماتقدم ذكره ولايتجاوزه، وهو قول شاعرهم. (٨٨)

فالحب شطر مطلق من عقاله

والبعل شطر مايرام منيع

وهذا المظاهر الاجتماعي مدعم بجانب ديني ايضا:

لهـا شطـر فمـن حـلّ وبـلّ
ونـصـف كالبحيرة مايهاجُ

فقوله (حل وبل) اي مباح ، وقوله كالبحيرة : وهي ناقة تنتج خمسة ابطن تنذر للالهة ولاتذبح ولاتركب ولاتطرد عن ماء او مرعى (٨٩) ، وهذا معنى قول الشاعر : «مايهاج» فابطل الاسلام هذه الطقوس الوثنية، كما ابطل هذه العادة في الحب . ويبدو ان الخوف من (التشهير) كان له اثره في صدر الاسلام اكثر من العصر الجاهلي نفسه . فقد حرم عشاق العصر الاموي مثل قيس ليلى وقيس لبنى من حبيبيهما بسبب شعرهما وماقالاه فيهما وحرم عتبة بن الحباب في زمن الرسول (ص) من حبيبته ريا بنت الغطريف لاشتهار امرهما لولا تدخل الانصار ورجل من اصحاب الرسول (٩٠) ولظاهرة اشتهار الحب آثار في العصر الجاهلي، فقد أحب عبدالله بن العجلان هنداً ،فنصحه صديق له ان يكتم لينال غايته ويتزوج من يحب . (٩١)

اما (ذات الخدن ،وذو الخدن) فتعني اتخاذ صديق في السر، وقد ورد المصطلح في القرآن الكريم للمرأة والرجل (٩٢)لكنهما عادة كانت تجرى بين رجال العرب وبين الوليدات او الاماء المولدات وليس الحرائر ، لان العربى يأبى لامرأته العربية مثل هذه الظاهرة. فضلا عن انه لايحب عملا يأتي به تحت جنح الظلام وفي السر اذا لم يكن في اتيانه بوضح النهار وفي العلن مما يعاب عليه . لذلك رفضوا ان يزوجوا الفتاة من رجل اشتهر امرها معه ، وحرصوا على زواجها من غريب ، اشفاقا على سمعة الفتاة وتمسكا بمسألة (العذرية) المقدسة .

ومع ان ظاهرة الحب الطاهر ، ترحي بشيء من عدم الالتفات الى الجنس فان وقائع اخرى دلت على ان اتصال العاشقين وزواجهما لم يطفي شعلة

في نفسيهما ، بل العكس هو الثابت لدينا .فلدينا عشاق نالوا من حبيباتهم غاية مايتمنون ، فلما فرق بينهم ظلم بني الانسان ،ماتوا من شدة الوجد مثل عروة بن قيس وعبدالله بن عجلان وقيس لبنى .

وليست ظاهرة التعفف وليدة خوف او رادع اجتماعي ،من قبيل اسناد تهمة (التشهير) الى العاشق بحجة شعره الغزلي او احاديثه عن حبه ، وانما يقف حاجز حيوي (بايولوجي) متين برغم رقته ، فعرف بالعذرية في الحب ، تدين اليه كل قصص الحب العذري وان كانت قبيلة عذرة اليمانية العربية قد اشتهرت به .ان اتصالاً خفيا عبر التاريخ البعيد بين هذه القبيلة وبين تقديسها للعذرية يمكن ان يلمح من بين هذا الركام من ميراث العرب في النظرة الى العذرية وما يرافقها من قصص حتى انهم افردوا لها برجا في السماء . لقد كانت انجح قصص الحب وراء هذا الظهور ،تطمينا لسلامته ، نجد الفتاة البريئة قد اكرهت على (زواج اغتصابي) يكون فيه العاشق أول ضحية فيأخذ طريقه نحو (الجنون) ثم الموت ،ولم تلبث ان تلحق به الفتاة .وكان من تأثير ذلك ان لجأت بعض الجماعات فيما بعد الى حل اقل تضحية ، لكنه لايخلو من وحشية (٩٢).وما اكثر مايظهر (الزوج المغتصب) في صورة الانسان المهذب او الكامل ، فيشفق على (مجنون زوجته) حتى ان بعضهم يبدي استعداداً لتضحيات اعظم ،لكن بعد فوات الاوان كما في قصة المرقش الاكبر وعروة بن حزام ،وظهرت بوضوح في قصص المحبين الاسلاميين .

وربما لجأ والد الحبيبة الثائر الى خدعة يصرف بها العاشق ويقتل فيه روح الامل ، عندما يوحي اليه بأنه لم يزل خامل الذكر في نظر القبيلة والحبيبة ، وهو يرمي الى القائه في مهالك الطموح وقد تدخل ام الفتاة بقسوتها عنصراً مساعداً ،جراء ركضها وراء الظاهر في الظفر بالمهر فتتحالف خدعة الاب في تهييج الرجولة فيه وجشع الام في المهر الباهر ،لتكون المأساوية

الي تبتلع العاشق المغرر به . ان اكثر ابطال هذه القصص تعرضوا لامتحان الشجاعة وخدعة المهر واوردت لنا السير الشعبية، وفي مقدمتها سيرة عنترة(٩٣) اخبارا مشابهة في هذه الخدعة الرامية الى تعجيز العاشق .

وكان من دوافع الرحيل للحصول على المهر : التجاء الشعراء العشاق الى ملوك العرب ورؤسائهم وسادة قبائلهم وشيوخهم ، طالبين وقوفهم معهم وتدخلهم ليحسموا الامر لمصلحة الحبيبين . وكانت وسيلة الشاعر الى قلوب هؤلاء المسؤولين الكبار هو شعره ، فيؤدي المديح مهمة انسانية مقابل المهر الغالي لحبيبته ، وهي اشارة الى دور الشعر الايجابي في هذا المضمار وهو نفس دوره في الافصاح عن هموم العاشق ووصف لما يلقاه من عناء الحب ، الى جانب تجسيد مواطن الجمال والروعة في اخلاق الحبيبة وخلقها. وحقيقة ثالثة يؤدي فيها الشعر دوراً ايجابياً تخدم قضية العشاق بالاضافة الى الحصول على المهر والافصاح عن الهموم ، وهذه الحقيقة انه كان يقف اشبه بالرمز في خدمة مهمة الحب باتجاه الخير ، ونلاحظ هذا واضحاً في الحوار الشعري بين بشر بن عوانة وبين المرأة السبية فكان الرجز مفتاح السر في التعرف على الحبيبة كالخاتم او الخمار او القميص حين يجمع بين الحبيبين ، لقد كانت القطعة الشعرية التي دونها المرقش الاكبر في شكل لغز ، دليلا اهتدى به اهل العاشق الى مكان الضحية البريئة . واذا لم يكن العاشق ثرياً ولا تقياً ، وانما سالك الى تحقيق طموحه اسلوب سلفه قابيل قاتل هابيل ، فان الشعر سيقف منه موقفاً آخر .فهذا خزيمة بن نهد ، المتستر على جريمته ، وهي قتله لوالد الحبيبة حين رفض زواجه من فاطمة ، يلقى مصيره بشعره هو (٩٤) والجريمة في الحب موجودة ، سنها قابيل لكن غالباً مايلقى دم العشاق على عاتق والد الفتاة او والدتها وربما كان ابن الفتى او امه وراء موت الفتى عشقاً : عطباً او انتحاراً . واقدم عملية انتحار في الحب تلك التي اقدم عليها (مضاض بن عمرو) وحبيبته (مي) حيث حكما على نفسيهما بالموت عطشاً .

لان الماء كان السبب في غيرة الحبيبة فظنت به الظنون وهجرته ، فعاقب نفسه بالاضراب عن شربه حتى الموت، فلما وقفت على الحقيقة عاد الحب طاغيا الى قلبها، فراجعت حبيبها لكن بعد فوات الاوان ، لانه كان قد مات ، ودفن تحت صخرة مكعبة الشكل يطاف بها تدعى (موطن الموت) فاقسمت (مي) لاتشرب حتى يرد (هوز) جمل ابيها ، وكان (هوز) ينتجع الكلأ خمسة ايام في مواضع نائية ،يعود في الخامس ليرد الماء. وهذا قسم وثني وجدنا مثله في قصة مهلهل بن ربيعة حين وقع في الاسر ،اسره عمرو بن مالك عم المرقش الاكبر، في بعض غارات بكر وتغلب ايام البسوس فمر بالمهلهل وهو في قيوده ، احد تجار الخمرة وكان صديقاً لمهلهل ،فأهداه زق خمر ، وكان عمرو بن مالك قد افرد لمهلهل بيتا ، فاجتمع بنو مالك عند المهلهل ونحروا وشربوا الزق فرفع مهلهل عقيرته بالغناء ينوح على اخيه كليب بشعره فسمعه عمرو فاغتاظ غيظاً شديداً وقال : انه لريان ؛ والله لايشرب ماء حتى يرد (ربيب) جمل لعمرو يتناول الكلأ من اجواف هجر فيرعى فيها غبا بعد عشر في حمارة القيظ ، شدة الحر . فطلبت ركبان بني مالك ربيباً قبل انقضاء الايام العشرة وهم حراص على الا يقتل مهلهل ، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشا (٩٥)، لو كان (ربيب) قد ورد لنجا مهلهل ، ولو كان ورد (هوز) لنجت(مي) ،وتحللت او تحنثت من قسمها وعدت وافية به ،يؤيد ذلك قولها . (٩٦)

لقد مت يوم الماء موتـاً امــــرّ مـن
سمام الافاعي في نقيع العلاقـــم

فهل هو إلا الروح بالروح اســـــوة
وها هي نفس ارتقت في الحيـــازم

وانتبه بعض الباحثين هنا إلى الدور الرئيس الذي يلعبه الماء في حياة العربي. وللجمال أثر في الحب، مع تسليمنا بأن الجمال نسبي. وقصص الحب التي بين ايدينا تعكس صوراً رائعة لابطال مرموقين موهوبين، اسرتهم معاني

الجمال الساحر. فالمخبل الفيسي، تزوج من احب الناس اليه، ابنة عمه، وكانت فائقة الجمال، فخلا بها ذات يوم، فنظر اليها وهي تخلع ثيابها فقال: يا ام عمرو هل ترين ان الله خلق احسن منك؟ .. قالت : «نعم، أختي ميلاء هي احسن مني» . فلم يزل بها حتى ادخل في ذهنها ان تريه اياها، فأرسلت في طلبها، وزوجها يتأمل من وراء ستر، فلما نظر اليها عشقها، ووقعت من قلبه موقعاً ادى به إلى ذهاب عقله. فلم يكن له صبر عن زوجته كما لم يكن له صبر عن معشوقته، وذلك كله بسبب سحر الجمال في روحه هو. وهنا تبرز حكمة الرسول (ص) في حديث صحيح نهى به الزوجة ان تنعت امرأة اخرى لزوجها حتى كأنه ينظر اليها. (٩٧)

وممن سباه الجمال، وحوله إلى اسير ذليل مقيد إلى معبد الحب، الشاعر العاشق عبد الله بن العجلان خرج يوماً إلى شعب من نجد، فشارف ماء يقال له (نهر غسان) وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه ،فلما علا ربوة تشرف على نهر، رآهن على تلك الحال، فلما صعدن بقيت (هند) وكانت طويلة الشعر، فأخذت تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر، وهي لا تحس به. ونهض ليركب راحلته فعجز، وقعد ساعته، وكان يقال عنه قبل ذلك، ان العرب كانت تصف له ثلاث رواحل قائمة فوق بعضها فيعتليها فيركب الرابعة، فعند ذلك داخله من الحب والسحر بجمال هند ما اعجزه، وعطل حركاته، فأنشد فوراً:

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة
اذا شئت لمساً للثريا لمستها

اتتني سهام من لحاظ فارشقت
بقلبي ولو اسطيع رداً رددتها

ولم يكن عروة بن حزام قد التفت إلى عشقه لعفراء الا بعد ان زينت له في يوم عيد فأحبها.

لقد اخذت هذه الاحاسيس الانسانية والمشاعر النبيلة طريقها إلى اشعارهم، فترجموها إلى افعال حقيقية في سلوكهم الاجتماعي وتصرفاتهم ازاء حبيباتهم واهلهم وقومهم. لقد وسعت قلوبهم حب الناس جميعاً وتفانوا في عمل الخير حتى بلغت بهم رقتهم ان أأتلفوا مع وحش الصحراء واشفقوا عليه من ان يصاد او يقتل. واذا كانت قصص الحب بخيالها المجنّح جعلت من «مجنون ليلى» مثلا راعي ظباء فإن لهذا المظهر امتداده إلى ما قبل الاسلام، ففي سيرة حب (راشد بن صفوان الهذلي) انه احب هيفاء بنت عبد الله، رآها في بعض زياراته المتكررة لبني عامر، فغادره من جمالها وعشقه لها ما كاد ان يأتي على بقية نفسه. ثم ان الجارية تزوجت بشخص من بني جهينة، فلما حملها إلى حيه، وطال على الغلام الشوق وانقطاع الاخبار، ذهب عقله، فكان يسيح عارياً، فصادف صياداً، قد اصطاد خشفاً، فوقف ينظر اليه ويبكي، ثم أنشد : (٩٩)

وذكرني من لا ابوح بذكره
محاجر ظبي في حبالة قانص

فقلت ودمع العين يجري بحرقة
ولحظي الى عينيه لحظة شاخص

الا ايهذا القانص الظبي خلّه
وإن كنت تأباه فعشر قلائص

خفِ الله لا تحبسه ان شبيهه
حبيبي، فقد ارعدت فيه فرائصي

فقال له الصياد : دونك فخلّه. فتقدم اليه وقبّله واطلقه، واتبعه نظره حتى غاب.

ويوضع الشعراء العشاق في مقدمة الشعراء الذين احبوا اوطانهم ووقفوا على ربوعها، وعشقوا الحمى واهله. فقد وقف الشاعر الجاهلي في

الجاهلية في مقدمة قصيدته على اطلال حبيبته وبكاه بكاءاً مراً ،فهو يمثل اقدم ولاء للوطن الصغير الممهد لاقدم صيغ الشعر الوطني والقومي والانساني؛ ثم تبعه حنين الشعراء العشاق لاوطانهم عندما كانوا يفترقون عنها تحت ضغط الظروف القاسية وابرز من عشق الحمى وجعل من وطنه الصغير (نجد) رمزاً للحب الاكبر ، حب الوطن الكبير ، هو الصمة بن عبدالله بن مسعود القشيرى (١٠٨) وكان اديباً عارفاً بايام العرب ووقائعها، وكثيراً ما يسند اليه ابن دريد والاصمعي، ادرك اوائل الاسلام، واحب ابنة عمه ريا بنت مسعود القشيري وكانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة نشأت مع الصمة، صغيرين يتذاكران الآدب العربي وطرائف الاخبار والاشعار .
وقد تغنى الصمة بالحمى حتى لتشك ايهما يحب اكثر : ريا ام وطنه نجداً.
ومن مشهور قوله : (١٠٠)

ولما رأيت البشر اعرض دوننا
وجالت بنات الشوق تحتي نزّعا

تلفت نحو الحي حتى وجدتني
رجعت من الاصغاء الوى واجزعا

واذكر ايام الحمى ثم انثني
على كبدي من خشيته ان تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع
اليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

وقوله ايضاً :

تعزّ بصبر لا وجدك لا ترى
بشام الحمى اخرى الليالي الغوابر

كأن لساني من تذكري الحمى
واهل الحمى يهفو به ريش طائر

والبيتان ينزفان يأساً من العودة إلى الوطن، ومرارة من شدة اللهف عليه، فليتصور احدنا حال هذا الشاعر وهو بعيد عن وطنه واهله وحبيبته. لقد جعل هؤلاء الموهوبون من اوطانهم الصغيرة، رموزاً حية خالدة لحب الوطن الكبير، حتى ان موضوع (نجد في الأدب والشعر) يمكن ان يستغل كدراسة شيقة، اروع ما فيها معطيات الشعراء الهائمين في اصقاع الغربة البعيدة. ان عناصر هذا التراث، جاهلية لا شك، لكن بعض القصص يمثل جانبا من تطلعات المجتمع العربي الجديد في صدر الأسلام ، فتظهر بعض الملامح الأسلامية بفعل اتساع دائرة الحركة لسبب كبير هي الفتوح ، فنلاحظ في قصة حب (الصمة وريا) انه لأول مرة تطل علينا التخوم الزراعية والبساتين بعيدا عن الأجواء الصحراوية تتردد صيحاتهم في هذه الأبعاد وسط الفراغ والمدى ، لقد حظيت حالات الحب المأساوية بعطف كبير من الناس والمسؤولين واولى الأمر ، حتى ان بعضهم صرح بما يعبر عن اسف محزن لبعض مالقيه هؤلاء المعذبون ، فقد امدتنا قصة عبدالله وحبيبته حبيشة باشارة إلى ان الرسول (ص) اشفق على قضيته حين بلغه انه قطعت رأسه بايدي اسلامية ، وعلى مرأى من حبيبته التي اخذت الرأس في حضنها وهي تقبله ، فقال الرسول (ص) : أما فيكم رجل رحيم . (١٠١) وكان الحسين بن علي بن ابي طالب قد سعى في اكثر من حالة حب مستعصية كحالة عروة بن قيس الذي تزوج بشفاعة الحسين لكنه عاد فافترق عنها تحت وطأة امه . فمات من رجده عليها. وسمع معاوية بنهاية عروة بن حزام وحبيبته عفراء فقال : لو علمت بحال هذين الشريفين لجمعت بينهما . وتبقى ظاهرة العم القاسي وام العروس الطامعة بمهر الفتاة وبالعريس المناسب من ابرز سمات قصص الحب وتقاليدها منذ العصر الجاهلي، ملقية بظلالها المعتمة على قصص صدر الأسلام . وظاهرة العم في هذه القصص تبرز باعتبارها رد فعل للقاعدة العامة في التزاوج قبل الأسلام باختيار ابنة العم والحفاظ عليها من ان تنكشف لغريب ، ويوضح الرجز الذي انشده

بشر بن عوانة هذه الحقيقة ، عندما قالت له بعض النسوة : (١٠٣)

كـم عاشـق فـي اثرها الحـًا
وهي اليك ابنـة عـم لـحـاَ

فقـال بشـر :

ويلك يـاذات الثـنايـا البيـض
مـا خلتني عـنـك بمـستعيض
لاضـمّ جـفـنـاى عـلى تغميض
ان لم اشل عرضي من الحـضيض

فقوله (ان لم أشل عرضي من الحضيض) دليل على ان الزواج بابنة العم من متممات الشرف للأسرة ، وهو انطلاق من نظرة بدائية للحب ، تعيد إلى الأذهان مسألة الزواج البدائي من الأخت (١٠٤). بما في ذلك قصة قابيل وهابيل ، وتشجيع الرسول (ص) للزواج الأغترابي وتفضيله على زواج بنت العم لأنه اقوى للنسل . لكن ظاهرة « العم» وزوجته تمثل الوجه الرافض لذلك الزواج ، وان كنا نتعاطف مع العاشقين لأسباب انسانية .

وتكررت عناصر الحب الموروثة منذ عصر ماقبل الأسلام، فوظفت في الحب الاسلامي ، فالقبر ومايرمز له في قصة المرقش الأكبر ، يتكرر في قصة عروة بن حزام ، حين اوهم بانه قبر حبيبته اسماء ، وكذلك الخاتم، هو نفسه في قصتي المرقش وعروة . اما القميص المذكور في قصة بشر بن عوانة حين ارسله إلى حبيبته وقد كتب عليه قصيدته بدم الأسد الذي قتله ، فهو استشراف لقميص يوسف ودم الذئب المزيف لكن ظاهرة القميص في قصة يوسف تتكرر ثلاث مرات الأولى اختلقه اخوة يوسف في قوله تعالى (١٠٥) « وجاءوا على قميصه بدم كذب » لخداع الأب المفجوع بانه قميص ولده الذي اكله الذئب . لكن القميص يعود إلى الظهور مرة ثانية: ليفعل فعله المعجز عندما عاد به اخوة يوسف الى ابيهم الذي كف بصره من بكائه على يوسف قال تعالى : « اذهبوا بقميصي هذا

فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً » . وكان القميص قبل هذه المرة قد ادى دوره في انتشال يوسف من غياهب السجن بعد اعتراف المرأة المذنبة ، وذلك قوله تعالى (١٠٧) : « ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ..». وقد بقيت بعض تحدرات القميص السحري في المأثور الشعبي حين تعمد ام العروس إلى احداث شق أو تمزيق في جانب من قميص الفتى او العريس تثبيتا للمودة . وتشبه ظاهرة القميص ظاهرة الخمار وفعله السحري في اعادة الوعي إلى العاشق المغشي عليه .

ولم تغفل سيرة الحب الكبرى في الأرض العربية ، وهي تتصدى لظاهرة السم الظالم ان تستوفي كل جوانب المأساة بسبب رفض العم القاسي ، فبالاضافة إلى تدمير الفتى حتى الموت ، فقد كان بعضهم يجره جنونه نحو مهاوى الشذوذ اليائس ، فيعمد إلى صورة حبيبته او تمثالها يتأمله ويقبله ويضمه اليه في حنو حتى يهلك . فهذه قصة شاب نبيل جميل من بني الحارث بن كعب (١٥٨) يروى قصة حبه وجنونه ثم انعم الله عليه بالشفاء قال « كنت أعبد ما يعبد قومي من الأصنام ، وكانت لنا اصنام على باب مغارة ندفن فيها موتانا وكنت عاشقا لابنة عمي فكتمت دهراً لااستطيع ذكر ذلك ، ثم ان الامر عظم بي ، ففشا ذلك من اهل بيتي ، فمشوا إلى أبيها فسألوه ان يزوجنيها وكنت قبل حبها امرءاً داعراً فقال لهم : «كيف ازوجها ، وكيف تسألوني تزويجه ، ولو سأل احدكم ان يزوجه كريمته لم يفعل ، ولرده فارضوا لي ما ترضون لانفسكم » فلما قال ذلك يئست منها . فخطبها من خيرنا له حسب ومال ، فزوجه اياها فمكث اياما معها ماشاء الله ، ثم انه قال لابيها : لابد لي من الخروج إلى بلادي فأذن له ، وانها ماتت بعده ، وادخلت في المغارة وتألب علي الوجد بها وجعلت تمثالها نصب عيني فألقيت ثيابي واخذت ثيابا رثة كثياب سدنة الأصنام ، فاقبلت اليهم وقلت لهم : اني اردت ان اكون معكم من سدنة الأصنام فقربوني . فلم أزل معهم حتى عرفت المكان الذي تركت فيه الجارية

فاذا هو بيت فيه اثريات من رخام ، في كل اثرة منها جسد مكشوف الوجه ، فأصبت غفلة من اصحابي واتيت تلك القبور ومعي مصباح وجعلت اتصفح واحداً بعد واحد حتى انتهيت اليها ، فلما رأيتها عرفتها فلم املك نفسي ان وقعت عليها الثمها واقبلها..» وهكذا يروي قصة حبه وجنونه لابنة عمه التي عاش معها في جفرتها وهي جثة محنطة ، لكنه بعد ذلك نجا من عشقه الجنوني باعجوبة .

نصوص مختارة في اخبار الحب والمحبين :

(١) مضاض بن عمرو الجرهمي (٨٠٩) ، شاب من ابناء الملوك ، احب في مقتبل عمره احدى بنات عمه «مي بنت مهليل بن عامر» صاحب الشعب ، وكانا تربين في نسق واحد ، وكان مضاض جميلاً وكانت مي اجمل من رأتها العيون ، ففتن بها وفتنت به وشبت معه في حي واحد ، وكانا عفيفين صانا متزريهما عن كل فاحشة ، وكتما حبهما خيفة الطعن فيها وفي الملك ، فلما بلغ الحب بهما مبلغه وحذرا من الفضيحة او السقم أو الموت ، اقبلا على عمهما الملك الحارث بن مضاض الجرهمي وكان الجراهمة حكاماً وسدنة لمكة والبيت الحرام ومن والاهما فلما وقفا لدى الملك شكيا اليه مانزل بهما من الشوق ، فارسل الى والد الفتاة يعلمه بالخبر فأودع الوالد امر الشابين العاشقين الى الملك ، فابدى الملك اعجابه بطهرهما وبارك لهما هذه العلاقة الشريفة .

وقد هجم الشهر الأصم (رجب) ، وكانوا لايحدثون فيه حدثا غير الطواف والعمرة حتى ينسلخ ، فأمر الملك ان يتزوجا بعد ان ينصرف (رجب) ففرح مضاض ، ومضى ليطوف ويعتمر ، وبلغ ذلك مياً فأقبلت تطوف وتعتمر متنكرة ، خشية من ان يتعرض متعرض فيحمل عنهما مايسوء الى علاقتهما الشريفة ويشتهر امرهما ، ويقعا ضحية تشهير باطل ، فكان مضاض لايعلم بمكانها .

وكان قبيس بن سراج الجرهمي ، قد رأى ميا وهويها ، وهي لاتعلم

فوقع خبرها اليه انها تعتمر متنكرة ، فخرج الى الطواف ليقضي لبانته من النظر اليها ، بينما كانت هي تنظر الى حبيبها مضاض وهو يطوف ايضاً .

وصادف ان خرجت «رقية بنت البهلول الجرهمي» للعمرة والطواف ايضا ، وكان النهار قائظاً جداً ، فطافت رقية بنت البهلول حتى عطشت عطشا خافت منه على نفسها من الهلاك ، واحتشمت حياء ان تقف وتطلب من الشيوخ ، اهل السقاية وسدنة البيت ليناولوها الماء ، فلما ابصرت «مضاضا» نادت به لشبيبته ، فامر رجاله فأقبلوا بالماء فناولها اياه ، ومي تنظر اليهما عن كثب ، فاشتعل قلبها غيرة ، واسرعت ماضية لكنها لم تلبث ان سقطت مغشيا عليها ، فانتبه الحجيج فقيل : «عرضت» اي عرض لها أمر او عارض. وان ميا ادركت نفسها وقامت، فلم تستطيع الطواف، فمضت الى منزلها في سفح جبل مكة وقالت لابيها: «انصدع قلبي صدعاً لن يلتئم بعدها صدعه ، ياأبه ان مضاضا ابن عمي دعا قلبي فأجابه ، فلما اجابه قذف الهوى خلف النوى ، رأيته يلاحظ رقية بنت البهلول وسقاها ماء ...» واقسمت الا تقيم في موضع يقيم فيه مضاض بن عمرو، ورحلت الى خالها جسر بن قين بن حمير من بني قضاعة ، وانشدت :

غدرت ولم اغدر وللعهد موثق
وليس فتى من لايقر قراره

ابيت اقاسي النجم والليل دامس
وللنجم قطب لايدور مداره

اذا غاب لم اشهد وكان محله
محلي وداري حيثما كان داره

واقبل قبيس بن سراج ،وانشأ يبس لها اخبارا ليفرق بينهما، مستغلاً غيرتها حين سقطت بالطواف، واضاف قائلا : ياهي، رأيت عجبا. قالت ماهو؟ قال: رأيت مضاضا في الطواف يسير خلف (رقية) ممسكا بقرونها،

ينشدها من شعره. قالت : ماالذي قال ياقبيس؟ قال لها: قال:

رقيـة قلبـي قـد تباين صـرعــه
وللحب مني شاهـد ودلــيـــل
رأيت الهـوى يهوي وللوصل موصل
فهل لك ان يلقي الـخـلـيـل خليل

قال: فاجابته رقية، مشيرة الى حادثة الماء ، فقالت:

اصـون الهـوى والطرف مني كاتم
ولا يعلمن الناس اذا ذاك ما دائـــي
سوى انني قـدْ فزت منك بنظرة
تجرعت عذب الحب منه مـع المــاء

فجعلت (مي) تجرى مقبلة ومدبرة بين خيام الحي ، وهي لاتعلم ما هي فيه وما تفعل. فرحل بها ابوها. وان رجلا من اهل الحي احزنه ما اصاب الشابين من ظلم، فاقبل الى مضاض فابلغه بما وقع لمي «يوم الماء» وما فعل قبيس من جناية خبيثة، فثار مضاض الى سيفه وفرسه وانطلق كالسهم يريد قتل قبيس بن سراج، لكن قبيس انذر بذلك فخرج هاربا في البيداء فما علم به احد اين انطوت به الارض الى يومنا هذا. فلما لم يجد مضاض من قبيس اثرا، عاد الى (مي) ووجد اهل الحي يحملون ، واصاب ميا راكبة على نجيب في هودجها، فقصدها وقال لها:

«اعيذك بالله ان تغدري من لم يغدرك وهذا موقفي بين يديك فاسمعي لمن لم يجترم جرما» ، وقال:

يعشي على الناس لحـظ طـرفـي
وعـنـك يـا مـي غـيـر عـاشي
اتهجرينني بـغـيـر ذنـب
وتقتليـنـنـي بـقـول واشي

وجعلت عيناه تغرورقان دموعاً، واعرضت عنه وهي تقول:

سارحـل والفؤاد لـه وجيــــب
واقطـع للنـوى بـيـنـاً ببـيـنـي
اذا شط المزار عـن ابن عمـــرو
نـزلـت بـغـــربة «جسر بن قين»
كأني حين اطـلـبـه وصـــالا
ويصـرمـه ، اطالـــبـه بـدين

وتجهمته وزحفت غضبى ، وتمارى الحي للرحلة، وافترقوا من سفح جبل قبيس بمكة، وقد اخذ الجبل اسمه من هذه الحادثة الخالدة. اما مضاض بن عمرو فقد هجر الحياة وترك التاج والعرش ، وسار مع رفيقين له «عمرو وعامر» ينشدهما من شعره ويتسقط اخبار مي التي نزلت ارض «امج» عند اخوالها حتى بلغه انهم ازمعوا على الرحيل الى مكة، فاستبشر وقال:

خليلي مـن امـج فارتـعـــا
على الضال مـن مـي حتى تريمـــا
لهوت ولم ادر حـتـى بـــدت
لي الشمـــس تحـتـل ليـلا بهيما
اعمرو وعـامـر ان تـضـعـنا
فاني عـلى الضـال امسي مـقـيـمـا

وقد سبق ان تعرضت في الدراسة الى ان بعض الباحثين يعزون مخاطبة الخليلين في مقدمة القصيدة العربية الى هذا الاصل الذي صار تقليداً مع مضي العصور .

ورحل مهليل، والدمي، فسار بمضاض مع خليليه حتى لقيهم في موضع يقال له الان: الجار. فغلب فرط الصبابة على مضاض ، فتعرض لمي، فلم يخرج من توسله بطائل . فقال:

علام قبست النار يأم غالب

بنار قبيس حين هاجتك ناره

سألتك بالرحمن لاتجمعي هوى

عليه وهجرانا وحبك جاره

قال العلماء: سمي ذلك الموضع «الجار» بهذا البيت من الشعر.

فلم تلفت اليه، وزادت غضباً ، فمضى حتى اتى مكة، فغلب عليه الهوى فراجعها مرة اخرى يستدر عطفها في موضع يقال له «الدار» وزاد على قوله الاول:

فان لم يكن وصل فلفظ مكانه

اليه والا موطن الموت داره.

فسمي الموضع بالدار، ثم انصرفت عنه قائلة : لاألقاك ابدا. فولى الى صاحبيه واقسم الا يشرب الماء بعدها ابدا، وبقي صاحباه يستعطفانه على شرب الماء فيمتنع حتى غلبه العطش وانصدع قلبه ، فغشيه الموت ، فأناخ راحلته وأخذ عمرو برأسه وجعله في حجره وقال له: قصفك الدهر يامضاض. فقال: بل قصفني قبيس . ثم اضاف الى شعره المتقدم .

خليلي هذا موطن الموت فاندبا

مضاض بن عمرو حيث شط مزاره

سلا صاحب الخيمات عن قبر هالك

لدى صاحب الزيتون سرت صواره

يحن له عود الصوار كأنه

اذا هبت الارواح فيه حواره

فياليت شعري عنك ياسي ١٥ الذي

اردت بمأسور طويل اساره

ويا ليت شعري عن قبيس بن شارح
على كل ارض ايـن قرّ قـراره

فيا شجر الزيتون ويلك فافـدين
على هالك ثوب الضريـح شعـاره

ثم مات فدفن في (موطن الموت) بين الدوحتين، وجعلت فوقه صخرة مكعبة الشكل صارت مزاراً فيما بعد.

اما نهاية (مي) ، فقد لقيت رقية بنت البهلول، لان اهلهما التقيا في ارض واحدة فبدر من رقية سؤال وجهته الى مي قائلة: يامي ، ماكان من شأنك ومضاض؟ فاعلمتها مي بقصتها . فقالت لها: ظلمت الفتى يامي والله لم يكن بيني وبينه من سبب سوى استسقائي الماء منه وذلك اني كدت اموت من الظمأ، واحتشمت ان اقف الى السدنة ، ولم أر من اعرفه حولي من اهل الطواف، فلما رأيت مضاضا حملتني اليه دالة القرابة، وحداثة سنه . فكلمته وسقاني، ثم مارأيته بعدها الى يومي هذا.

ندمت مي ندماً عظيماً تحول الى جزع فجعلت تبحث عن مضاض وتسأل عنه، وجعل شوقها يعظم، وكلفها به يزداد فبينما هي تسأل عنه وتلتمس من لقيه اذ نعي اليها ، فتوارت عن الحي الى تلعة امام الحي، وتبعتها جارية من الحي يقال لها سلمى من بنات عمها، كانت مؤانسة لها مطلعة على اسرارها، فوجدتها ساكنة تنتظر يميناً وشمالاً كأنها قد جنت، قالت: يامي اراك هبلاء وقد مات مضاض؟ قالت: قسوة ادركتني فجمد الدمع في عيني وفي الدمع راحة لو اصبت اليه سبيلاً.

فلما سمعت نساء الحي ينتحبن وقد علت اصواتهن ، اجابها دمعها فبكت وانشدت :

ايـا موطـن الموت الـذي فيه قبـره
سقتك الغوادي الساريات الهوامـع

ويـا سـاكـنا بالدوحتيـن مغيـبا
لان طرت عن الف فالفلك تـابـع

ثم أقسمت على نفسها الاتشرب ماء حتى يرد (هوز) وكان هوز جملاً لايرد الا عن خمس ، فاقامت يومين وليلتين ، فلما كان اليوم الثالث، ولااحد يعلم بها غير سلمى غشيها الموت مع الليل ، فمضت الى الربوة فلما بلغتها سقطت ، فوضعت سلمى يدها الى فم مي فوجدته كالحجر الصلبة ، ثم رفعت رأسها الى سلمى بلسان غليظ وصوت خفي وقالت : «قولي لابي يدفنني بالدوحتين بجوار مضاض» ثم انشدت شعرا،ثم لم تلبث الايسيراً حتى ماتت،وضرب بموت مضاض المثل، فقال رجل من اهل الطائف

امـوت اذا جـد الـفراق بـزينب
كما مـات من حر الفراق مـضاض

فـباد ويحيى ذكـره بعـد مـوتـه
حديث على طول الـزمان مفـاض

فتى لم يخن لكن ردى الـدهر خانه
تـولى ولـلايام فيـه عضـاض

وخاض بـبـحر لم يكن مـنه مصـدر
بعيـد عـن الوراد ليس يخـاض

(٢) قصة حب بشر بن عوانة

كان بشر (١١٠) فتى شجاعاً ، لايشغله عن ملذات الحياة شيء ، واذا اراد شيئاً ادركه ، حتى رسم له القدر طريق الحب حين وضع بين يديه امرأة من العرب ، حصل عليها في غارة له ، فابهره جمالها ، فلما خلا بها جعل يصرح لها بذلك قائلا : «مارأيت كاليوم هذا ...» وتزوج بها فقالت له يوماً :

اعجب بشراً حـور فـي عـيني
وسـاعد ابـيض كـاللجيـن

ودونــهُ مــسـرح طـرف الـعـين

خمصانة ترفـل فـي حـجـلـيـن

أحسـن مـن مش عـلى رجـليـن

لـو ضم بشر بينهما وبيـنـي

ادام هـجـري واطـال بـيـنـي

ولـو يقيس زينـها بـزيـنـي

لأسـفـر الصبح لـذى عـينين

فقال بشر : ويحك ، من عنيت . قالت : ابنة عمك . قال : فهي في الحسن بحسب ماوصفت ؟ قالت : وازيد من ذلك واكثر :

كم عـاشق بـاثـرهـا الـحـّا

وهـي الـيـك ابنـة عـم لـحـا

فانشأ بشر يقول :

ويلك ياذات الثنايـا الـبيض

ماخلتني عنـك بمستـعيـض

لاضم جـفـناي عـلى تـغـميـض

ان لم اشـل عـرضي عـن الحضيض

ونزلت ابنة عمه من نفسه منزلا عظيماً ، فارسل الى عمه يخطب اليه ابنته فمنعه امنيته ، فعزم على ان لايبقى منهم باقية ان لم يتزوج من يحب ، وكثرت فيهم مضراته ، فاجتمع اهل الحي الى عمه وقالوا له : كف عنا مجنونك ، فقال لهم : لاتلبسوني عارا ، واصبروا حتى اهلكه ببعض الحيل. ثم ان عمه قال له : اني آليت ان لاازوج ابنتي الا من يسوق اليها الف ناقة حمراء ، ولاارضاها الا من نوق خزاعة وكان في طريق خزاعة اسد يقال له «داذا» ويروى «ذادا» وحية يقال لها شجاعاً . وفي ذلك يقول قائلهم

أفتك من داذٍ ومن شجاع
ان يك داذ سيد السباع
فانها سيدة الافاعي

وكان غرض عمه ان يهلكه ، فسلك بشر ذلك الطريق ، فلما انتصفه خرج عليه الأسد فنزل عن مهره ، وربط عينيه ، واخترط سيفه ، واقبل على الاسد ، فاعترضه وقتله ، ثم كتب بدم الاسد على قميصه الى ابنة عمه شعرا وارسله مع عبده ، وهي قصيدته :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت
وقد لاقى الهزبر اخاه بشرا

اذن لرأيت ليثا ام ليثا
هزبراً اغلبا لاقى هزبرا

تبهنس اذ تقاعس عنه مهرى
محاذرة فقلت عقرت مهرا

انل قدمي ظهر الارض اني
رأيت الارض اثبت منك ظهرا

فقلت له وقد ابدى نصالا
محددة ووجها مكفهرا

تدل بمخلب وبحد ناب
وباللحظات تحسبهن جمرا

يكفكف غيلة احدى يديه
ويبسط للوثوب عليّ اخرا

وفي يمناي ماضي الحد أبقى
بمضربه قراع الدهر اثرا

الم يبلغك مافعلت ظبانا
بكاظمة غداة ضربت عمرا
وقلبي مثل قلبك، لست اخشى
مصاولة ولست اخاوف ذعرا
وانت تروم للاشبال قوتا
واطلب لابنة الاعمام مهرا
ففيم تسوم مثلي ان يولي
ويترك في يديك النفس قسرا
نصحتك فالتمس ياليث غيري
طعاما ان لحمي كان مرّا
فلما ظن ان النصح غش
وخالفني كاني قلت هجرا
مشى ومشيت من اسدين راما
مراما كان اذ طلباه وعرا
هززت له الحسام فخلت اني
سللت به لدى الظلماء فجرا
وجدت له بجائشة ارته
بأن كذبته مامنّته غدرا
واطلقت المهند من يميني
فقدّ له من الأطلاع عشرا
فخر مضرجا بدمٍ كأني
هدمت بعد بناء مشمخرا
فقلت له يعز عليّ اني
قتلت مناسبي جلدا وقهرا

ولكـن رمـت امـرا لـم يرمـه
سـواك فلـم اطـق ياليـث صبـرا

تحـاول ان تعلمـنـي فــرارا
لعمـر ابيـك قـد حاولـت نكـرا

فلا تجزع فقـد لاقيـت حـرا
يحـاذر ان يعـاب فمـت حـرا

فلما بلغت الابيات إلى عمه ندم على منعه من تزويجه وخشي عليه من الحية فخرج على اثره هائماً على وجهه حتى لحقه وقد سورت له الحية ، فلما رأى عمه اخذته حمية الجاهلية فجعل يده في فم الحية ، وحكم فيها سيفه ، ثم قال :

بشرٌ إلى المجد بعيد همه
لما رآه بالعراء عمـه
قـد ثكلتـه نفسـه وامـه
جاشت به جائشـة تهمـه
قام إلى ابـن للفلا يؤمـه
فغـاب فيهـا يـده وكمـه
فنفسه نفسي وسمي سمـه

فلما قتل الحية قال له عمه : انما عرضتك طمعاً ان اضرك ، وقد ثني الله عنائي ، فارجع لأزوجك ابنتي ،. فلما رجع بشر ، فاذا هو بغلام قد امن البر كأنه فلقة قمر ، على فرس سابق اشقر ، وعليه لأمة حربه . فقال بشر : (ياعم اني لاسمع حسّ صيد) وخرج فاذا بالغلام يقول: مددت رجلك الى قيد . ثكلتك امك يابشر . اترى ان تقتلت «ذادا»

« وشجاعا» فماذا صنعت ، فجز انت في امان ان سلمت عمك . فقال بشر : من انت لاام لك ؟ فقال الغلام : انا الموت الأحمر واليوم الأسود» فحمل كل واحد منهما على صاحبه ، ولم يتمكن بشر من الغلام لا بالسنان ولا بالسيف . ثم اذن الغلام لبشر ان يمضي في امان . قال بشر : نعم ، بشرط ان تقول لي من انت ؟ قال : انا ابن المرأة التي دلتك على ابنة عمك. قال بشر : هذه العصا من تلك العصية ولا تلد الحية الا حية . وحلف بشر الا يركب بعده فرسا ، ثم زوج الغلام من ابنة عمه لما علم أنه ابنه ، وحلف لاركب حصاناً بعدها ابداً .

(٣) خزيمة بن نهد وفاطمة بنت يذكر

شاعر مقل من قدماء الشعراء في الجاهلية ، (١١١) ينتمي إلى قضاعة، احب فاطمة الأسدية ، فكانت القبيلتان تلتقيان في مواسم الغيث والكلأ وتفرقهم النجع فيظعنون فيهيج الشجن في قلب الشاعر . فيصور هذا الفراق واللقاء في شعره ، فكان يرقب برج الجوزاء وقد تقدم على الثريا ، وذلك في شدة الحر ، فتبدأ ظنونه بفاطمة ، إن كانت معه فارقته مع قومها طلبا للماء ، او قد تكون بعيدة فسيلتقيان بعد القيظ لكنها في جميع الأحوال بعيدة عنه في سفرٍ دائم :

اذا الجوزاء اردفت الثريا
ظننت بآل فاطمة الظنونا

وحانت دون ذلك من همومي
هموم تخرج الشجن الدفينا

ارى ابنة يذكر شحطت فحلت
جنوب الحزن ، باشحطاً مبينا

وازاء هذا الوضع المؤلم قرر ان يخطبها من ابيها ، فتقدم برغبته، فأبى والدها ان يزوجه اياها . فمكث زمانا ، لكن الوالد لم يزل عند رأيه،

فعزم خزيمة بن نهد على امر ، هو ان يتخلص من هذا الأب الظالم الذي يحول دون لقائه بحبيبته التي يحبها بجنون . وهكذا ترسخت في ذهنه خطوط جريمة بشعة ، ظل ينتظر الساعة المناسبة لتنفيذها ، دون ان يفكر بالعواقب التي سيجرها على قبيلته قضاعة وقبيلة حبيبته فاطمة ، فضلاً عن تضحيته بقلب الحبيبة الذي سيتحول عنه حتما .

وكان ان خرج خزيمة النهدى ومعه والد الفتاة يجتنيان القرظ (نبات يفيد في بعض المواد الصناعية) وكان خزيمة قد زين لوالد الفتاة ان يخرج معه، وكان اجتماع القضاعيين والاسديين في محلة واحدة. فلما خلا به خزيمة، وثب عليه فقتله، ويقال انهما خرجا يجتنيان العسل، فنزل يذكر بن عنزة في بئر فيه عسل، فلم يسعفه خزيمة بالحبل ،فتركه فمات فيه.

فلما رجع وليس هو معه، سأله عنه اهله ، فقال: (لست ادرى، فارقني ولااعلم اين سلك) فوقع الشر، واقتتلوا ، فلم يعرف لوالد الفتاة اثر حتى قال خزيمة بن نهد:

فتاة كأن رضاب العبير
بفيها يعلُّ به الزنجبيل
قتلت اباها على حبها
فتبخل ان بخلت او تنيل

فلما قال هذين البيتين تغاور الحيان فاقتتلوا وصاروا احزابا، فهزمت قضاعة، وقتل خزيمة بن نهد وخرجت قضاعة متفرقة، فقال عامربن الضرب:

قضاعة اجليـنا من الغور كله
إلى فلجات الشام تزجي المواشيا
لعمري لئن صارت شطيراً ديارها
لقد تأصر الارحام من كان نائيا
وما عن تقال كان اخراجنا لهم
ولكن عقوقا منهم كان باديا

بمـــا قـــدم النـــهـدى لادرَّ درُه

غــداة تمنّــى بالحــرار الامــانيــا

(٤) عبدالله بن العجلان وزوجته هند

عاشق اخر من نهد القضاعية، شاعر جاهلي (١١٢) وسيد من سادات قومه ، قال صاحب كتاب تزيين الاسواق «قال في بلغة الاشتقاق من ذكر ايام العشاق، وهو جزء لطيف لابن رشيق ، موضوعه ذكر مدة العشاق في العشق ، ان عبد الله هذا اقل العشاق اياما ،عاش مكابد المحبة وقصة العشق ثلاثين سنة ، وهــو جاهــلي ضــرب به المثل كما ضرب بعروة بن حزام، فمما قيل فيه وفي حبيبته هند، قول قيس مجنون ليلى:

فمــا وجــدت وجــدى بها ام واجد

ولاوجــد النــهـدى وجـدى علىهند

ولاوجد العــذري عروة في الهــوى

كــوجــدى ولا من كان قبلي ولابعدي

وقول البحتري:

هــوى لاجميــل في بثينتــه نــالـه

بمثــلي ولاعبــد بــن عجــلان في هند

وهند هي بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدى.

وكان سبب اعتلاقه بها، انه خرج يوما إلى شعب من نجد ينشد ضالة، فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده لتستحم فيه، فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور رآهن على تلك الحالة، فمكث ينظر اليهن مستخفيا فصعدن حتى بقيت هند، وكانت طويلة الشعر فاخذت تمشطه وتسبله على بدنها، وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر. ونهض ليركب راحلته فعجز، واقعد ساعة، وكان يقال عنه قبل ذلك ان العرب كانت تصف له ثلاث رواحل فوق بعضها فيحلق عليها ويــركب

الرابعة، فعند ذلك داخله من الحب ما اعجزه وعطل حركاته، فانشد فورا:

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة اذا شئت لمساً للثريا لمستها
اتتني سهام من لحاظ فأرشقت بقلبي ولو اسطيع ردا رددتها

ثم قال: هذه والله الضالة التي لاترد. ثم عاد وقد تمكن الهوى منه، فاخبر صديقا له، فقال له صديقه: اكتم مابك واخطبها الى ابيهافانه يزوجك بها، وان شهرت عشقها حرمتها». ففعل فتزوج عبدالله بن العجلان من حبيبته هند، فمكثت معه سنين سبعا اوثمانيا حتى بدأ صراعه مع اهله وبوجه خاص والده حول تطليقها لأنها لم تلد، فكان ثابتا على حبه ووفائه لها، حتى جاء يوم لمس فيه الوالد ضعفا في ولده، اذ وجده في حالة شديدة من السكر فبعث اليه يطلبه في نادي القوم، فقالت هند: «لاتمض اليه، فوالله مايريدك لخير» وتشبثت متعلقة بثوبه، وكان في يدها زعفران فبقي في ثوبه اثر كفها.

فلما اصبح، خبروه انه طلق هندا، فاخذه دنف وسقم، واحتجبت عنه هند ثم خطبها رجل من بني عامر فتزوجها وسار بها إلى قومه. فقال ابن العجلان:

فارقت هندا طائعا
ندمت عند فراقها
فالعين تذرى دمعة
كالدر من اماقها
خود رداح طفلة
ماالفحش من اخلاقها
ولقد الذ حديثها
واسر عند عناقها

وهي قصيدة ...

وكانت بين بني نهد وبين بني عامر مغاورات، وكان لعبدالله بن

العجلان اشعار في هذه الغارات. وذكر ابو عمرو الشيباني ان هنداً صاحبة عبدالله كانت في احدى الغارات تخطط لقومها النهديين ضد قوم زوجها من العامريين، وتفضح اسرارهم الحربية، وتبعث بالعيون والجواسيس لتنذر نهدا بما تبيّت لها عامر مما يدل على ان الحب في قلبها لم يتغير. وروى أبو عمرو حادثة طريفة حول ذلك. ويضيف أبو الفرج الاصفهاني نقلا عن ابي عمرو والأصمعي، ان عبدالله بن العجلان، عندما اشتد به وجده بهند، خرج سرا لايعلم به ابوه، حتى اتى ارض بني عامر دون ان يرهب مابينهم من الشر والترات. فلما قارب دارها، راها وهي جالسة على الحوض وزوجها يسقي ويذود الابل عن مائه. فلما نظر اليها ونظرت اليه رمى بنفسه عن جمله، واقبل يشتد اليها واقبلت تشتد اليه، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان حتى سقطا على وجهيهما ، واقبل زوج هند ينظر ما حالها، فوجدهما ميتين.

وروى أبو عمرو خبراً اخر في موته . وهو ان والد عبدالله منعه من الذهاب الى بلاد بني عامر حذراً من الثارات، ووعده ان يجتمع معها في الشهر الحرام بعكاظ او بمكة. فلما ازف موعد الحج، مضى به ابوه، فنظر الى زوج هند يطوف بالبيت، ولم يكن يعرفه وانما عرفه من اثر كفها في ثوبه بخلوق ، متذكراً كفها في ثوبه هو بالزعفران، فداهمه وجد شديد مفاجىء، وانطلق من لحظته الى والده، فاخبره بما رأى، ثم سقط على وجهه فمات.

ومن مختار شعره في هند وفيه يذكر طواف النسوة باله من الهة الحب في الجاهلية يقال له « أنعـم»:

الا ابلـغا هنـدا سـلامي فان نـأت
فقلبي مـذ شطـت بهـا الدار مـدنف

ولـم ار هنـدا بعـد مـوقف ساعة
بأنعـم في اهــل الـديـــار تـطوّف

اتت بين اتراب تمايس اذ مشت
دبيب القطا او هن منهن اقطف

يباكرن مرآة جليا وتارة
ذكيا وبالايدى مداك ومسوف

اشارت الينا في خفاة وراءها
سراة الضحى مني على الحي موقف

وقالت تباعد يابن عمي فانني
منيت بذي صول يغار ويعنف

(٩) عشق المخبل القيسي

هو الشاعر كعب بن مالك القيسي، وكانت له ابنة عم له من احب الناس اليه، فخطبها وتزوجها. فخلا بها ذات يوم، فنظر اليها وهي واضعة ثيابها، فاثاره جمالها وفتنها فقال: يأام عمرو هل ترين ان الله خلق احسن منك؟ قالت: نعم، اختي ميلاء، هي احسن مني. قال: فاني احب ان انظر اليها. فقالت ان علمت بك لاتخرج اليك، ولكن كن من وراء الستر. ففعل، وارسلت اليها فجاءتها. فلما نظر اليها عشقها ووقعت من قلبه موقعا ادى الى زوال عقله فعرف بالمخبل القيسي.

ظل كعب بن مالك ينتظر من ميلاء فرصة ليعبر لها عن حبه حتى وجدها ذات في حال اشد مما هو عليه من الوجد وواعدته فرأتهما ام عمرو جالسين يتحدثان، وهي تقول له: « والله يابن عم ماوجدت من شيء الا وقد وقع لك في قلبي اكثر منه». فمضت ام عمرو الى اخوتها — وكانوا سبعة — وقالت: اما ان تزوجوا ميلاء كعبا، واما ان تكفوني امرها. وبلغها الخبر، ووقف اخوتها على ذلك، فرمى المخبل بنفسه نحو الشام حياء منهم، وكان منزل ترمه الحجاز، فلم يدر احد اين ذهب، فقال كعب:

افي كل يوم انت من لاعج الهوى
الى الشم من اعلام ميلاء ناظر

بعشواء من طوال البكاء كأنها

بها خزر او طرفها متحازر

تمنى المنى حتى اذا ملت المنى

جرى واكف من دمعها متبادر

فروى الشعر عنه رجل من الشام ، ثم خرج الشامي يريد مكة. فاجتاز بام عمرو واختها ميلاء ، وقد ضل الطريق ، فسلم عليهما ثم سألهما عن الطريق ، فقالت ام عمروا « ياميلاء صفي له الطريق « فذكره لما نادت «ياميلاء » شعر كعب هذا ، فتمثل به، فعرفت ام عمرو الشعر، فقالت: من اين انت؟ قال: رجل من اهل الشام. قالت : فمن اين رويت هذا الشعر ؟ قال : رويته عن اعرابي بالشام . قالت :

او تدري ما اسمه ؟قالت :سمعت انه كعب .فاقسمت عليه الا يبرح حتى يعرف اخوتها بذلك .قال :افعل ،واني لأروي له شعراً غيره .وجعل ينشد من شعر المخبل :

خليلي قد قست الأمور ورمتها

بنفسي وبالفتيان كل زمان

فلم اخف سوء للصديق ولم اجد

خليا ولا ذا البث يستويان

منوعان ظلامان ما ينصفانني

بدلهما والحسن قد خلباني

يطيلان حتى يعلم الناس انني

قضيت ولا والله ما قضياني .

خليلي اما ام عمرو فمنهما

واما عن الاخرى فلا تسلاني

بلينا بهجران ولـم يـر مثلنـــا
مـن الناس انسانان يهتجـران

فوالله ما ادري اكـل ذوي الهـوى
على ما بنا ام نحـن مبتليـان

فلا تعجبا مما بـي اليوم مـن هـوى
فبى كل يـوم مثـل مـا تريان

ونزل الرجل ،ووضع رحله ،فاخبروا الخبر ،وكانوا مهتمين بكعب وكان كعب اطرفهم واشدهم فاكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودلوه على الطريق وطلبوا كعباً فوجدوه بالشام ، فاقبلوا به، حتى اذا كانوا في ناحية ماء اهلهم اذا الناس قد اجتمعوا عند البيوت . وكانت ميلاء قد ضعفت بصداع اصابها . وكان كعب قد ترك ابنا له صغيراً، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء، فقال له كعب :

ويلك ياغلام . من ابوك ؟ فقال : رجل يقال له كعب . قال : وعلي اى شيء اجمع الناس :وأحسَّ قلبه بالشر . قال الغلام :اجتمعوا على خالتي ميلاء .قال :وما قصتها ؟ قال : ماتت . فزفّر زفرةً مات منها مكانه، فدفن ، حذاء قبرها .

(٩) المرقش وحبيبته اسماء

هو الشاعر الفارس عمرو (او عوف ((١١٣) بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة بن ربيعة ،اعلى قبائل طي ، ولد باليمن، ثم انتقل مع قومه الى العراق ،فنشأ مع اخوين له هما «انس »و«حرملة»، دفعهم ابوهم الى من يعلمهم الكتابة بالحيرة. ولما مات الوالد، قام المرقش مقامه فكان شجاعا. مهابا في العرب، خرج يوما وقد قطع وادي نجران اسد ونمر، فلم يكن احد يمر به، ،فلما رأى عمرو الاسد ،وثب عليه ،فراوغه حتى صار على ظهره فأمسك بذنبه مستثبتا ، ثم دق راسه وسلخ جلده، فلما أحسّ بالنمر

قادما، التف في جلد الاسد ونام، رافعا سيفه فوثب النمر لينقضّ عليه، فتلقاه بالسيف، ثم سلخه واخذ جلده وارتداه واقبل على العرب فسموه المرقش. ثم ولد لابن اخيه ولد شبه بعمه المرقش ،فسمي بالمرقش الاصغر واسمه ربيعة، وكان احب فاطمة في قصة اخرى. اما المرقش الأكبر فقد احب ابنة عمه اسماء بنت عوف بن سعد، وكانا قد قضيا طفولتهما صغيرين فألفها وألفته، فلما خطبها إلى عمه، حجبها عنه، فخرج المرقش الأكبر الى رجل عظيم من العرب يقال له: «جار الفلاة» فمدحه بشعره، وحظي عنده فاقام فترة.

وكانت قد طرقت البادية سنة جدب، فاقبل رجل من بني مراد يقال له «قرن الغزال» وكان موسراً، فخطب اسماء، فدفع الجشع بوالد الفتاة والمظاهر الكاذبة بوالدتها الى الغدر بمرقش فزوجوا الفتاة من هذا الرجل الغريب، فأخذها ورحل إلى قومه.

وعاد مرقش فعمد أهل اسماء إلى حيلة صرفوا بها الشاب العاشق عن خطيبته. لكن الفتى لم يلبث ان يقف على حقيقة الامر، وكانوا قد ذبحوا كبشا فأكلوا لحمه ولفّوا عظامه في ملحفة ودفنوها وبنوا عليها قبراً، فلما سأل الشاب عن ابنة عمه، قيل له ماتت ،واشاروا إلى القبر المزعوم، فجزع مرقش ولزم القبر لايبرحه، وبينما هو إلى جانب القبر اذ اختصم صبيان كانا يلعبان بكعب من عظام الكبش المدفونة، فعرف مرقش من حديثهما ان عمه قد خدعه وكذب عليه، فانطلق يبحث عن اسماء، واخذ معه في رحلته عبداً، فاخذ العبد زوجته معه حتى اذا صار في ارض مراد، مرض مرقش مرضا شديداً، فأضجعه العبدان في سفح جبل وتركاه وانطلقا الى قومهما يخبرانهم بان مرقشا قد مات. لكن قوم مرقش عرفوا بغدر العبدين فاستنطقوهما فاعترفا بالحقيقة. وتذكر الاخبار ان اخوة مرقش توصلوا الى الحقيقة عن طريق الكتابة، اذ عمد مرقش الى كتابة ابيات في مؤخرة الرحل، هي :

يا صاحبـــي تلبثـــا لاتعجـــلا

ان الرواح رهين ان لاتفعـــلا

فلعل لبثكما يقـــرب سيئـــا

او يسبق الاسراع سيبا مقبـــلا

ياراكبا إمّا عـــرضت فبلغـــن

انس بن سعد ان لقيـــت وحرملا

لله دركـــماً ودر ابيكـــمـــا

لايفلت العبدان حتى يقتـــلا

من مبلـــغ الاقوام ان مرقشـــا

اضحى على الاقوام عبثـا مثقـــلا

وكأنما تــرد السبـــاع بشلـــوه

اذ غاب جمع بني ضبيعـــة منهلا

وبقي المرقش مطروحاً ، ثم اوى الى غار في سفح الجبل،وكان يألف الغار راع من مراد ، فبينما المرقش في غيبوبته اذا ابصر غنما تنزو نحو فتحة الغار ،وتبعها الراعي فلما بصر به قال له الراعي: من انت ؟ قال المرقش (مموها) : انا رجل من مراد ، ثم سأله عن اسم الشخص الذي يرعى له غنمه فاذا هو زوج اسماء الحبيبة . فقال له : هل تكلم مولاتك ؟قال: لا ولكن تأتيني جارية من عندها فتأخذ اللبن اليها . وكانت اسماء قد مرضت من شوقها الى مرقش ، فلم تنل غير اللبن . فنزع عمرو خاتمه وقال للراعي : الق هذا الخاتم في اناء اللبن ، فستصيب به خيراً ، ففعل الراعي وحضرت الجارية فاخذت اللبن الى مولاتها ، فلما شربت اسماء ضرب الخاتم ثنيتها ، فاخذته فعرفته ، لكنها جعلت تستنطق الجارية والراعي ، ثم ارسلت الى زوجها فركبوا جميعاً الى المرقش ، فحملوه وبه رمق ، ثم لم يلبث ان مات بين يدي اسماء وهو ينشدها قصيدته :

سرى ليلا خيال من سليمى

فارقتني واصحابي هجود

ثم لحقت به اسماء .

(٧) راشد وهيفاء :

هذه قصة شاب من هذيل يدعى راشد بن سفوان (١١٤) ، كان قبل هذا يدعى : غاوي ، وله كلب اسمه راشد ، وله صنم يأتي اليه كل صبيحة فيسجد له ويمضي الى الصيد . فجاء يوما فرأى الثعالب قد بالت على رأس الصنم ، فكسره وانشد :

ارب يبول الثعلبان براسه

لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم اقبل الى رسول الله (ص) فقص عليه الخبر، فأسلم . فقال له. ماسمك؟ قال: غاوى قال: وكلبك: قال راشد. قال: لا، انت راشد، وكلبك غاوى. ثم ذهب.

وكان يغدو على بني عامر لألفة بينه وبين رجل منهم فلمح جارية عامرية يقال لها هيفاء بنت عبدالله بن عامر. وكانت من اجمل نساء العرب، فغادره من حبها ماكاد ان يأتي على نفسه. ثم ان الجارية تزوجت بشخص من جهينة، فلما حملها الى حيّه، وطال على الغلام الشوق وانقطاع الاخبار، ذهب عقله، فكان يسيح عاريا، فصادف صياداً قد اصطاد خشفا، فوقف ينظر اليه، ويبكي ثم انشد:

وذكرني من لا ابوح بذكره

محاجر ظبي في حبالة قانص

فقلت ودمع العين يجرى بحرقة

ولحظي الى عينيه لحظة شاخص

الا ايهـذا القانص الظبـي خلـــه

وانَ كنت تأباه فعشر قلائـــــص

خف اللـــه لا تحبسه ان شبيهـــــه

حبيبي ، فـقد ارعـدت فيـه فرائضي

فقال له الصياد: دونك فخلّه، فتقدم اليه وقبله واطلقه، واتبعه نظره حتى غاب. ثم قال الصياد: ائتني غداً في موضع كذا. واقبل يسوق عشراً من الابل، فأبى الصياد قبولها فأقسم عليه وانصرف.

(٨) عبدالله بن علقمه وصاحبته حبيشة

كان شابا يافعاً(١١٥)، وصفه ابو الفرج الاصفهاني عن ابي دأب بانه دون المحتلم في سنه، ووصفه القائد العربي المشهور خالد بن الوليد بانه كانت له ذوائب ويدعى (عمرو). وهنا مسألة ينبغي ان نلتفت اليها في اسمه الحقيقي. ويبدو لي ان الاسم الذي ذكره خالد بن الوليد في روايته غير بعيد عن الصواب، لان هذا الفتى قطعت رأسه لانه كان يقاوم المسلمين، فاذا طلب اليه ان يقول لااله الا اللـه قال « لااله الا اللات ». واذن ينبغي ان يكون اسمه (عبد اللات) مثل (تيم اللات) ويوجد في شجرة نسبه — كما اورد الاصفهاني — اسم (عبد مناة). ويبدو لي ايضا ان المسلمين الاوائل، بما عرف عنهم من تحرج جعلوه (عبدالله) بدلاً من (عبد اللات) واذا صحت رواية خالد بن الوليد فيكون اسمه (عمرو) وكنيته (عبداللات) او العكس كما هي عادة العرب اذ يكنون لانفسهم فيتخذون كنية عند الحرب، فيصرح بها، وهذا ماورد في شعره برواية خالد اذ ذكر (عمرا) باعتبارها كنية حربية. وابوه علقمة بن زرارة من قحطان، وصاحبته حبيشة بنت حبيش، وعبدالله وحبيشة في راوية الاغاني ينتميان الى بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وان كانت بعض المصادر قد نصت على انهما من فخدين وان جدهما هو سعد بن اسلم بن خزيمة.

واما سبب اعتلاقه بها، فانه نزل مع والدته ضيفا على اهلها فاجلسوه

في متحدث لهم، فخرجت حبيشة وعلى وجهها سب اخضر، ثم وقفت تحلب ناقة وهو ينظر، فضرب الهواء السب. فكشف عن وجهها. وكانت طويلة الى الرقة، واسعة الصدر، كأن وجهها البدر. فلما عاينها غاب عن حسه ساعة، ثم عاوده الشعور فسكت خيفة ان يظهروا على حاله. ثم جاءت اليه باللبن ليشرب، فلما تناوله ارتعد حتى سقط من يده. ففطنت لما به، وكان شاباً كأنه القمر ، فداخلها ماداخله ولم يكونا متقاربين في المنزل ، فافترقا على ماداخلهما من الهوى .

ولم يزل يكتم شعوره لينالها حتى ارسل مع امه بهدية اليها ، وتبعها واقاما عندها . فلم يزل كذلك يذهب مع امه ويعود اليها اياماً ، وكاد ان يفوز بها لولا ان احست امه بحبه ، فعزمت على تزويجه من ابنة عمه ، ففي احدى الزيارات لبثت ام الفتى في بيت الحبيبة يومين ثم اتاها عبد الله بن علقمة ليعيدها الى منزلها ، فوجد حبيشة قد زينت لامر كان في الحي فازداد بها عجبا ،وانصرف بامه في يوم مطير ، فمشى معها شيئا ثم انشأ يقول :

وما ادرى ، بلى انـي لأدري
اصوب القطر احسن ام حبيش
حبيشة والـذي خلـق الهدايـا
وما عن بعدها الصب عيـش

فسمعت ذلك امه تغافلت عنه وكرهت قوله .ثم مشيا ملياً ، فاذا هو بظبي على ربوة من الارض :

يا أمنا اخبريه غير كاذبـة
وما يزين تـرل الحـق بالكـذب
اتلك احسن ام ظبـي برابية
لابل حبيشة في عينـي وفـي اربي

فزجرته امه وقالت : وما انت وهذا . نزوجك بنت عمك فهي اجمل من تلك.
وأتت امرأة عمه فاخبرتها خبره ، وقالت : زيني ابنتك له ، ففعلت وادخلتها
عليه ، فلما رآها اطرق : فقالت له امه : ايهما الآن احسن ؟ فقال :

اذا غيبت عنـــي حبيشة مـــــرة
من الدهر لم املك عزاء ولا صبـــرا
كأن الحشى حر العبير يحشــــــــه
وقود الغضا والقلب مستعر جمـــــرا

وجعل يراسل الجارية وتراسله حتى علقته كما علقها ، وكثر قوله للشعر فيها
فمن ذلك قوله :

حبيشة هـــل جسدي وجدك جامـــع
بشملكم شمـــلي واهلكـــم أهلـــــي
وهل انا ملتف بثوبك مـــــرة
بصحراء بين الاليتين الى النخـــــل
وهل اشتفي من ريق ثغرك مـــرة
كراح ومسك خالطا ضرب النحل

فلما بلغ اهله خبرها حجبوها عنه ، وهو يزيد غراماً ، ويكثر قول
الشعر فيها . وحاول اهلها ان يضغطوا عليها لتسمعه من مشاعرها نحوه
مايكره ، فلم ينجحوا . راودها فقالوا لها مرة : عديه ليأتي عند السرحة
فاذا اتاك فقولي له : نشدتك الله ان كنت احببتني فوالله ما على الارض
شيء ابغض الي منك . ونحن قريب نستمع ما تقولين . فوعدته وجلسوا قريباً
يستمعون ، وجلست عند السرحة ، واقبل عبدالله لوعدها . فلما دنا منها
دمعت عينها والتفتت الى حيث اهلها جلوس ، فعرف انهم قريب فرجع
وبلغه ما قالوا لها ان تقوله فانشأ يقول :

ولو قلت ما قالوا لزدت جوى بكم
على أنه لم يبق ستـــر ولا صبـــر

ولم يلو حبي عن نــوال بذلتــــه
فسليتني عنـه الى النأي والهجـــــر

وما انس م الاشياء لا انســى دمعها
ونظرتها حتى يغيبنـــي القبــــــر

ونقل صاحب تزيين الاسواق عن كتاب نديم المسامرة للمقدسي ان عبدالله هذا حين نشأ امره مع حبيشة ،قالوا لأمه : « ان ولدك قد تولع بالفتاة ، وليست من حيكم ، فاعرضي عليه نساءكم لعله يشتغل عنها بواحدة منهن »ففعلت ، فقيل له :ما ترى فيهن ؟

قال : حسنا وجمالا . فاعادوا القول عليه :ايهما احسن . فتنفس الصعداء ثم قال :

ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان ، فمضى مثلا في العرب .

فلما كان يوم فتح مكة، بعث رسول الله (ص) بالجيوش إلى قبائل بني كنانة من حوله، فكان خالد بن الوليد من نصيب بني عامر بن عبد مناة بن كنانة. فكبدهم قتلى وجرحى واسرى كثيرين فكان من بين الاسرى غلام وضيء به صفرة في لونه كالمنهوك ، ربطوه برمة (حبل بال) . وكان خالد بن الوليد قد رآه وله ذؤابة وهو على فرس ذنوب (وافر شعر الذنب) في اخريات القوم، فوضع الرمح بين كتفيه، فقال: «لااله» فقبض خالد عنه الرمح ،فقال :

«الا اللات احسنت او اساءت» فطعنه حتى اشرف على الموت. وشد وثاقه، وجعل خالد يكلمه فلا يتكلم ويستخبره فلا يخبره بشيء، فلما كان ببعض الطريق رأى ظعائن (نسوة في الهوادج) يسوق بهن المسلمون، فقال: هل انت واقفي على هؤلاء النسوة ثم تقتلونني ، فاخذوه برمته إلى اسفل الوادي، فلما كان بحيث يسمعن الصوت نادى : اسلمي حبيش على نفد من العيش (اي على تمامه) . قالت : وانت فاسلم تسعا وترا وثمانيا تترى وعشرا اخرى.

(على خلاف في روايات المصادر المتعددة) ثم قال لها:

أريتك ان طالبتكم فوجدتكم
بحلية او ادركتم بالخوانق

الم يك حقا ان ينول عاشق
تكلف ادلاج السرى والودائق

وقد قلت اذأهلي لاهلك جيرة
اثيبي بود قبل احدى الصعائق

اثيبي بود قبل ان تشحط النوى
وينای امیر بالحبيب المفارق

فاجابته

ارى لك اسبابا اظنك مخرجا
بها النفس من جنبي والروح زاهق

وقال لها ايضا:

ان يقتلوني ياحبيش فلم يدع
هواك لهم مني سوى غلة الصدر

وانت التي اخليت لحمي من دمي
وعظمي واسبلت الدموع على نحري،

فقالت:

ونحن بكينا في فراقك مرة
واخرى وواتيناك في العسر واليسر

وانت فلا تبعد فنعم فتى الهوى
جميل الصفات في المودة والبشر

فلما ضربت عنقه، تقحمت الجارية من خدرها منطلقة نحوه،

فاخذت الرأس في حجرها تقبله وهي تقول:

لاتبعدن ياعمرو حيا وهالكا
فحق بحسن المدح مثلك من مثلي

لاتبعدن ياعمرو حيا وهالكا
فقد عشت محمود الثنا ماجد الفعل

فمن لطراد الخيل تشجر بالقنا
وللفخر يوما عند قرقرة البزل

وجعلت تبكي وتردد الابيات حتى ماتت وان رأسه لفي حجرها . فبعض المصادر تقول ان رسول الله (ص) عندما بلغه الخبر قال : «اما فيكم رجل رحيم» لكن الخبر المؤكد هو ان الرسول (ص) بعث بديته ودية رجال اخرين من قومه .

(٩) أخبار عتبة بن الحباب

هو عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري (١١٦) وصاحبته ريا بنت الغطريف السلمي ، علقها في نزهة ، يقول عبد الله بن معمر القيسي دخلت المدينة ، وبينما قد زرت رسول الله (ص) ، ليلا ، وجلست ، اذا انا بشخص ينشد بصوت شجي ، ولااراه :

اشجاك نوح حمائم السدر
فاهجن منك بلابل الصدر

ياليلة طالت على دنف
يشكو الفراق وقلة الصبر

اسلمت من تهوى لحر جوى
متوقد كتوقد الجمر

فالبدر يشهد انني كلف
مغرى بحب شبيهة البدر

فتتبعت الصوت فرأيت شابا حرقت الدموع خده ، فقال لي : اجلس احدثك . انا فلان كنت يوما في نزهة فاذا بنسوة يتنزهن ، فيهن جارية لم ار مثلها ، وقفت علي وقالت : ماتقول في وصل من يطلب وصلك. ثم مضت فلم اعرف خبرها .

ثم تغشّى عليه ساعة فلما افاق انشد :

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة
تراكم تروني في القلوب على البعد

فؤادي وطرفي يأسفان عليكم
وعندكم روحي وذكركم عندي

ولست الذ العيش حتى اراكم
ولو كنت في الفردوس او جنة الخلد

فشرعت في تسليته . فقال هيهات او يعود القارظان .

قال عبد الله : فلما طلع الصبح ، قلت له قم الى مسجد الاحزاب ، فانشد:

يالرجال ليوم الاربعاء اما
ينفك يحدث لي بعد النوى طربا

مان يزال غزال فيه يظلمني
يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا

يخبر الناس ان الاجر همته
او طالب عنده للاجر محتسبا

لو كان يبغي ثوابا ماأتى ظهرا
مضمخاً بفتيت المسك مختضبا

فمضينا الى المسجد فصلينا الظهر ، فاقبل النسوة ولم نر الجارية فيهن . فقلن له : ماظنك بطالبة وصلك . فقال : واين هي . قلن له : مضى بها ابوها الى السماوة . فأنشد :

خليلي ريـا قـد اجـد بكـورهـا
وسارت الى ارضـ السماوة عيرُها

خليلي قد غشيت من كثرة البكا
فهـل عند غيـري عبـرة استعيرها

فعرض عليه عبد الله بن معمر جميع ماعنده من مال كان يريد به الحج. ثم سار معه الى قومها وابيها . فلما وافوا دياره ، فرش لهم الانطاع ونحر لهم النحائر ، فاقسموا الا يصيبوا شيئا من طعامه مالم يقض حاجتهم . فقال : اذكروها . فاعلموه بخطبة عتبة بن الحباب لابنته . فقال : من عتبة ؟ قالوا : من الانصار . فقال الاب : ذاك اليها ، اخبرها . فدخل عليها واعلمها ، فجعلت تشكر في عتبة وفعاله . فقال الاب : قد نمى الي امرك معه واقسم الا ازوجك به . فقالت : ان الانصار لايردون ردا قبيحا فان كان ولابد فاغلظ عليهم المهر . فقال : نعم ماشرت به . ثم خرج فقال : قد اجبت ولكن على الف دينار وخمسة الاف درهما هجرية ومائة ثوب من الابراد والخز وخمسة اكراس من العنبر ، وضمن له ذلك ولما احضروها ، اولم اربعين يوما ، ثم اخذوا الفتاة ومضوا ، حتى اذا قاربوا المدينة خرج عليهم خيل كثيرة ، حسبوها من تدبير والد الفتاة فقاتلوهم ، فوقعت طعنة في نحر عتبة بن الحباب ، فسقط دمه يفور ، فجاءت النجدة ، فاذا هو ميت . فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه ، وانشدت :

تصبرت ، لأنـي صرت وانـمـا
اعـلـل نفسي انهـا بـك لاحـقـة

ولو انصفت روحي لكانت الى الردى
امـامـك مـن دون البـريـة سـابقـة

فمـا احد بعدي وبعدك منصـف
خليلا ولا نفـس لنفـسي مـوافـقـة

ثم شهقت شهقة فماتت ، فواروهما التراب معاً. قال عبد الله بن معمر فأقمت بعيدا سبع سنين، ثم رجعت ، فقلت لأبرح او ازور عتبة، فجئت فاذا انا بشجرة عليها الوان من الورق قد نبتت على القبر. فسألت عنها فقالوا شجرة العريسين.

(١٠) عروة بن قيس

كان ابن عباس (١١٧) يوماً جالساً بفناء الكعبة اذ وضع بين يديه شخص قد حمله قومه الى الكعبة يستشفون به، فكشف عنه فانشد الشخص قائلا

بنا من جوى الاحزان والحب لوعة
تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكن ما أبقى حشاشة ما ترى
على ما ترى عود هناك صليب

فرأى ابن عباس رسماً نافيا، وحسا خافياً، وجسماً بالياً، فمكث اربعين يوماً لايسأل الله بعد صلاته الا المعافاة من العشق. واخرج ابن عساكر في الامالي ان هذا المذكور عذري. وقال السيوطي في شرح الشواهد، ان اسمه عروة بن قيس وانه ولع بجارية من العرب فزوجوه بها بشفاعة الحسين بن علي (عليه السلام) فاقام معها مدة، وكانت امه تقسم عليه أن يفارقها وهو يقول لها: اخاف تلاف نفسي . فلم ترض ، فلما كان يوم حر شديد، وقفت حافية على الرمل ، واقسمت لاتزول او يفارق عروة الجارية. ففارقها رفقاً بامه، فجعل يزداد به الوجد حتى امتنع عن الطعام والشراب، وعاود اهلها فأبوا عليه فاقام اياماً، وحمل الى الكعبة، فلم يغن عنه، فلما عادوا به توفى في الطريق .

اشارات الاحالة :

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٥٥

(٢) شرح القصائد التسع المشهورات ٢٩٩/١

(٣) المصدر السابق ٣٦٥/١

(٤) التيجان ص ١٨٨

(٥) تزيين الاسواق ١٠٣/١

(٦) المصدر السابق ٨٤/١ — ٩٠

(٧) ج١ ينظر معجم البلدان مادة (ود) وفي ديوان النابغة «حياك ربي» وهي رواية اسلامية تتحرج عن ذكر الاوثان. ومعنى «اخا رحل وراحلة» اي كثير السفر. «اي تحمل نفسك وتلقي بها في المهالك. «لن ينظارنك» يستعجلن هلاكك . «عزما» اي قويت النية للحج . «ومشمرين» على خوص اي جادين فوق ابل غائرة العينين.

(٨) اللسان مادة (ودد) وبلوغ الارب ٥٥/٣ وديوانه ص ٣٥

(٩) المفضليات ص (٢٢٣) مفضلية (٤٠) والشرح ص ٢٧٤ — ٢٧٩ ومعنى اشجذ الاقوام: اذا هم الاقوام، واظائف: جبل في مهب الشمال من قبل الشام.

(١٠) المصدر السابق .

(١١) سورة نوح ٢٣/٧١ .

(١٢) مريم ٥٩/١٩ .

(١٣) ينظر تفسير الكشاف ٥٢٦/٢ والبيضاوي ص ٤١٢.

(١٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٩٤/٦

(١٥) اللسان مادة (حين) والمفصل ٢٥٤/٦.

(١٦) الفن الشعبي ص ٢٨ والتيجان ص ١٥ ووردت في كتب السير والاثر والتاريخ.

(١٧) المفصل ٣١٣/٦

(١٨) المصدر السابق

(١٩) الاصنام ٦٥

(٢٠) الزبر: الكتابة. والزبر الاتقان: والزبر: الحلل اليمانية المنمنحة. والاخيرة اقرب.

(٢١) الغزل في العصر الجاهلي. ص ١٧٢

(٢٢) ديوان الخادرة (قطبة بن اوس) ص ١٤ (طبع برل).

(٢٣) المفصل ٢٩٩/٦ وذكره فيليب حتى في تاريخ العرب (مطول).

(٢٤) المفصل ٢٨٦/٦.

(٢٥) اللسان مادة (ومق).

(٢٦) روضة المحبين ص ١٨٠ وتزيين الاسواق ١٧/١. والحديث ضعيف السند وقد يكون موضوعاً.

(٢٧) روضة المحبين ص ١٥

(٢٨) ديوان الأعشى ص ٤٢

(٢٩) المفضليات ص ٥٥ (ق ١٠).

(٣٠) الشعر والشعراء ١٧٧/١

(٣١) المصدر السابق ٦٥٢/٢ والكامل للمبرد ١٢٦٩ – ٩٢٧٠.

(٣٢) اللسان مادة / عشق) وروضة المحبين ص ٢٤ وتزيين الأسواق ٤/١ – وديوان الصبابة ١٨/١ (هامش تزيين الأسواق) ونزهة المحبين ٦٢/١.

(٣٣) الأغاني ١٤٥/٢٤.

(٣٤) الغزل في العصر الجاهلي ص ١١٣

(٣٥) تاريخ الأدب العربي (مترجم) ١٠٢/١.

(٣٦) امرؤ القيس والقيصر بحث في مجلة (الجامعة) الموصلية العدد (١) لسنة ١٩٨٠ .

(٣٧) اللسان مادة (مسبب).

(٣٨) اللسان (أخذ) .

(٣٩) ديوان لبيد ص ٢٧٣ واللسان (اخذ) ويراجع بلوغ الأرب للالوسي ٥/٢ وما بعدها وفيه حديث طويل عن مثل هذه الصيغ في التأخيذ والسحر .

(٤٠) ينظر الأنصاف ١٢٩/١ .

(٤١) النوادر ١٥٨ وينظر بلوغ الأرب للالوسي ٥/٢ حول خرزة (السلوانة) للعاشق ، واورد قول العجاج او ابنه رؤبة : لو اشرب السلوان ما سليتُ ما بي غنى عنكم وان غنيت

(٤٢) اللسان (عنى) .

(٤٣) ايام العرب ص ٢٣٥ واللسان مادة ((منى) و (منا) .

(٤٤) اللسان (عنا) .

(٤٥) المصدر السابق .

(٤٦) روضة المحبين ص ٢٠ واللسان (هوى) ونزهة الجليس ٦٢/١ .

(٤٧) الجاثية ٢٣/٤٥ والفرقان ٢٣/٢٥ و ديوان الصبابة ٢٧/١ .

(٤٨) روضة المحبين ص ٢١ ، قال التوزي في الأربعين : هو حديث صحيح .

(٤٩) النازعات ٤٠/٧٩ .

(٥٠) ديوان الهذليين ص ٢ .

(٥١) ينظر الهامش (٤٧) .

(٥٢) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٧٤٠) .

(٥٣) روضة المحبين ص ٤٦٩ .

(٥٤) اللسان مادة تيم وديوان الأعشى ص ٦١ .
(٥٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام ١٦٣/٦ ، ٢٠٣ .
(٥٦) ديوان كعب بن زهير ص ٢٤
(٥٧) الأصمعيات ص ٦١ (ف ١٤) .
(٥٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ١٩١ .
(٥٩) النبوة ٢/ ١٦٥ .
(٦٠) المائدة ٥/ ١٨ .
(٦١) يوسف ١٢ / ٣٠ .
(٦٢) المفضليات ص ٣٧٨ (ق ١١٨) .
(٦٣) الفرقان ٢٥/ ٦٥ .
(٦٤) روضة المحبين ص ٤٩ وديوان الصبابة ١٨/١ وتزيين الأسواق ١/ ١٤ ونزهة الجليس ١/ ٦٢ .
(٦٥) روضة المحبين ص ٣٧٨ .
(٦٦) اللسان مادة (وله)
(٦٨) الشعراء والشعراء ٢/ ٦٢٢ (اخبار عروة) واللسان مادة (هيم) .
(٦٩) ينظر شرح القصائد التسع المشهورات ٢/ ٦٢٦ وروضة المحبين ص ٢٣ واللسان (وجد) .
(٧٠) روضة المحبين ص ٢٣ .
(٧١) المصدر السابق ص ٢٧، ٤١٨ وينظر سند الحديث في المصدر نفسه.
(٧٢) ديوان عدي بن زيد ص ٧٩ والمصدر السابق (ص ٢٧).
(٧٣) طه آية ٤٠ .
(٧٤) التغابن ١٥ .
(٧٥) في الرواية العربية ص ٩٩.
(٧٦) مقالات في تاريخ النقد العربي ص ٢٩.

(٧٧) امرؤ القيس والقيصر دراسة في مجلة « الجامعة» ــ الموصل العدد (١) لسنة ١٩٨٠ .

(٧٨) مقدمة ملحمة كلكامش بقلم طه باقر ص ٤٨ (طبعة رابعة) .

(٧٩) مختارات الشعر الجاهلي للأعلم الشنتمري ص ٣٤٦ تحقيق عبد المتعال الصعيدي طبعة القاهرة وتنتظر في نزهة الجيس ١٤٣/١ قصة فرهاد مع الملكة شيرين ، وكان يملك من القوة ماتعجز عنه الاف الرجال مجتمعين ، لكنه كان يقف ضعيفا فاقداً قواه ازاء من يحب . ومثل هذا تروى الكتب عن شمشون الجبار وحبيبته دليلة . وهذا الضرب من القصص يرمز إلى الأثر السحري للجمال .

(٨٠) روضة المحبين ١٧٩ ، ٢٨٤ .

(٨١) شعر الاحناف ، دراسة في مجلة آداب المستنصرية العدد (٥) .

(٨٢) يوسف الايات ٥١، ٥٢، ٥٣، .

(٨٣) المصدر السابق .

(٨٤) يوسف آية ٢ الرعد ٣٧ طه ١١٣ الزمر ٢٨ فصلت ٣، ٤٤ الزخرف الشورى ٧ الأضعاف ٤٦ .

(٨٥) يوسف ٢٣ ــ ٢٤ .

(٨٦) تراجع خاتمة سورة يوسف .

(٨٧) في الرواية العربية (عصر التجميع) ص ٩٨ .

(٨٨) المفصل في تاريخ العرب .

(٨٩) (ماجعل الله من بحيرة) سورة المائدة اية ١٠٦ وينظر كتاب روضة المحبين ص ٨٥ .

(٩٠) تزيين الاسواق ١٠٣/١ .

(٩١) المصدر السابق ٩٠/١ .

(٩٢) عرفت مثل هذه الحالات في بعض المواضع والجماعات ، بعضها موجود في مصر منذ زمن مبكر، ولا تزال بعض هذه المظاهر مثل قيام والدة العريس ومجموعة من النسوة بافتضاض الفتاة بالاصبع الملفوف بالشاش.

(٩٣) تراجع سيرة عنترة (طبعة حجازى بالظاهرة ١٣٦٦هـ) . ولم نعتمد شعر السيرة لان طابع الانتحال والزيف ظاهر عليه، ولانه صنع في زمن عبد الملك من قبيل التزلف لان اخواله من عبس. وفي القصة بعض الاضافات الشعوبية كالتعبد والطواف ببيت النار (ص ١٧١ — ١٧٢) ثم شتم نار العرب ورميها بالقذارة لانها توقد ببعر الابل (ص ١٧٢) ثم جعل المؤلف من عنترة مجوسيا (ص ١٧٥) لانه يقاتل بقوة النار ، وعنترة وثني على دين العرب في الجاهلية. ومن هذا لم نجعل سيرة عنترة مصدراً لترات الحب، لكن توضع في المأثور الشعبي.

(٩٤) معجم ماستعجم ١/ ١٧ الاغاني ١٣/ ٧٨.

(٩٥) اغاني ٦/ ١٢٨.

(٩٦) التيجان ١٨٨ .

(٧٩) روضة المحبين ص ٨٨ وهو حديث مرفوع.

(٨٩) تزيين الاسواق ص ٩٠ .

(٩٩) المصدر السابق ١/ ١١٣.

(١٠٠) الاغاني ١/٦ وتزيين الاسواق ١/ ١٠٤ .

(١٠١) الاغاني ٧/ ٢٩٠ وتزيين الاسواق ١/ ٩٧ — ٩٨.

(١٠٢) المصادر السابقة .

(١٠٣) ينظر شرح مقامات بديع الزمان ص ٢٥٠ ونزهة الجليس ١/ ٣٣٨.

(١٠٤) المفصل في تاريخ العرب ٥/ ٥٤٤.

(١٠٥) يوسف ١٨ .
(١٠٦) يوسف ٩٣ .
(١٠٧) يوسف ٢٦ ـ ٢٨ .
(١٠٨) النتيجان ٢٠٨.
(١٠٩) التيجان ١٨٨ .
(١١٠) شرح مقامات بديع الزمان الهمداني ص ٢٥٠ ونزهة الجليس ٣٣٦/١ وبعض ابيات قصيدة بشر تروى لعمرو بن معدي كرب.
(١١١) الاغاني ٧٨/١٣ معجم مااستعجم ١٧/١ .
(١١٢) الاغاني ٢٣٦/٢٢ وتزيين الاسواق ٩٠/١ .
(١١٣) اغاني ١٢٩/٦ وتزيين ١٠١/١.
(١١٤) تزيين الاسواق ١١٣/١.
(١١٥) سيرة ابن هشام ٧٦/٤ والاغاني ٢٧٩/٧ وتزيين الاسواق ٧٩ .
(١١٦) تزيين الاسواق ١٠٤/١ .
(١١٧) المصدر السابق ٣٦/١.

مصادر الدراسة ومراجعها :

١ – الاصمعيات – عبد الملك بن قريب الاصمعي – ت : احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف بمصر طبعة ثالثة .

٢ – الاصنام – هشام بن محمد الكلبي – ت : الاستاذ احمد زكي باشا – دار الكتب المصرية ١٩٢٤م.

٣ – الاغاني – ابو الفرج الاصفهاني – نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية .

٤ – الانصاف في مسائل الخلاف – ابو البركات الانباري – ت : محي الدين عبد الحميد – طبعة ثالثة – مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٥.

٥ – ايام العرب في الجاهلية – جاد المولى وجماعته – مصر ١٩٦١م.

٦ – بلوغ الادب في معرفة احوال العرب – محمود شكري الالوسي شرح وتصحيح وضبط الشيخ الاثري مطبعة الرحمانية ١٩٢٥م مصر .

٧ – تاريخ الادب العربي – كارل بروكلمان (مترجم) نشر الجامعة العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٨ – تزيين الاسواق – داود الانطاكي البصير – المطبعة العامرة ١٢٦١هـ بالقاهرة .

٩ – تفسير البيضاوى (انوار التنزيل واسرار التأويل) طبع دار الجيل (بلا تاريخ) .

١٠ – تفسير الكشاف لابي القاسم جار الله ، محمود بن عمر الزمخشري طبع البابي الحلبي ١٩٦٦م.

٦١ – التيجان – وهب بن منبة – طبع دائرة المصارف العثمانية بالهند ١٣٤٧هـ .

١٢ ــ ديوان الاعشى تحقيق من محمد حسين الاسكندرية ١٩٥٠م.
١٣ ــ ديوان الحادرة (قطبة بن اوس) طبع برل .
١٤ ــ ديوان الصبابة لاحمد بن ابي حجلة المغربي (هامش كتاب تزيين الاسواق) المذكور قبل سطور .
١٥ ــ ديوان عدى بن زيدت : محمد جبار المعيبد . نشر وزارة الثقافة والارشاد ــ بغداد ١٩٦٥م.
١٦ ــ ديوان كعب بن زهير صنعة سعيد السكري ــ نشر دار الكتب المصرية ١٩٥٠م (مصورة) ١٩٦٥م.
١٧ ــ ديوان لبيد بن ربيعة ــ ت : احسان عباس . نشر الكويت ١٩٦٢م.
١٨ ــ ديوان النابغة مصر ١٩٧٧م.
١٩ ــ ديوان الهذليين ــ رواية ابي سعيد السكري ــ مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية ١٩٦٥م.
٢٠ ــ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ــ ابن قيم الجوزية . تصحيح وتعليق احمد عبيد . مطبعة السعادة ١٩٥٦م مصر .
٢١ ــ سيرة ابن هشام ــ تحقيق مصطفى السقا وجماعته ــ نشر الحلبي ١٩٣٦م مصر

٢٢ ــ سيرة عنترة ــ طبعة حجازي بالقاهرة ١٣٦٦هـ .
٢٣ ــ شرح القصائد التسع المشهورات ــ أبو جعفر النحاس تحقيق الأستاذ أحمد خطاب ــ وزارة الأعلام العراقية ١٩٧٣ .
٢٤ ــ شرح المفضليات .
٢٥ ــ الشعر والشعراء ــ ابن قتيبة الدينوري ــ ت : أحمد محمد شاكر ــ دار المعارف مصر ١٩٦٦م.
٢٦ ــ الغزل في العصر الجاهلي د. أحمد محمد الحوفي ــ مطبعة النهضة العربية (طبعة ثانية) .
٢٧ ــ الفن الشعبي ــ سعد الخادم ــ سلسلة الالف كتاب ــ مصر.
٢٨ ــ في الرواية العربية ــ عصر التجميع ــ فاروق خورشيد . نشر

الجمعية الأدبية المصرية .

(٢٩) اللسان – ابن منظور – طبع بيروت .

(٣٠) معجم البلدان – ياقوت الحموي – مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦.

(٣١) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم – وضع محمد فؤاد عبد الباقي – مطابع الشعب ١٣٨٧ هـ مصر.

(٣٢) معجم ما استعجم لابي عبيد البكري – ت : مصطفى السقا نشر لجنة التاليف والترجمة والنشر مصر ١٩١٩.

(٣٣) المفصل في تاريخ العرب – د. جواد علي – طبع بيروت ١٩٧٠ دار العلم للملايين .

(٣٤) المفضليات للضبي : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون – دار المعارف بمصر (طبعة رابعة)

(٣٥) مقالات في تاريخ النقد العربي – د . داود سلوم – وزارة الثقافة والاعلام – بغداد ١٩٨١ .

(٣٦) مختارات الشعر الجاهلي الأعلم الشنتمري – ت : عبد المتعال الصعيدي – مصر .

(٣٧) مجلة الجامعة – الموصل – العدد الأول لسنة ١٩٨٠ .

(٣٨) مجلة آداب المستنصرية – العدد الخامس ١٩٨٠ م بغداد . مطبعة المعارف .

(٣٩) مجلة آفاق عربية – بغداد – العدد (٩) لسنة ١٩٧٦ .

(٤٠) ملحمة كالكامش – بعناية الأستاذ طه باقر – نشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية ١٩٨٠ (طبعة رابعة).

(٤١) مقامات بديع الزمان الهمداني – شرح الشيخ محمد عبدة – المطبعة الكاثولوكية بيروت.

(٤١) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس للعباس بن علي بن نور الدين الدين المكي الموسوي . المطبعة الوهبية مصر ١٢٩٣ هـ .

(٤٢) النوادر – أبو علي القالي – طبع دار الفكر بيروت (مصورة) .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

القناع في الشعر العربي المعاصر
مرحلة الرواد



عبد الرضا علي
كلية التربية / جامعة الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

« على المرء ألاّ ينسى أنّ في بيت الفنّ
مساكن عديدة . »

ويلبرس . سكوت *

لعل أول اشارة غير مباشرة الى اسلوب القناع مصطلحاً كانت تلك التي تضمنتها مقدمة غلاف «أغاني مهيار الدمشقي» (١) . لكنّ هذه الاشارة لم تكن اصطلاحاً لاسلوب القناع بقدر ماكانت معنى له ، حيث جاء فيها :«يلجأ علي احمد سعيد (أدونيس) الى طريقة جديدة في التعبير الشعري هي ابداع شخصية جديدة تتقمص خواطره ، ومشاكله ، ونوازعه ، وتجسد حياته وتجربته ، هي شخصية مهيار الدمشقي» (٢) . ويبدو انّ النقاد لم يحفلوا بهذه الاشارة في حينها سنة ١٩٦١ ، ولم يحاولوا ايجاد مصطلحها الشعري لا في تراث اسلافهم العرب ، ولا عند معاصريهم من الامم الاخرى ، لأنّ تلك الاشارة لم تكن —في ظنهم كما نقدر— غير تقديم موجز يكتب على غلاف ديوان .

غير أنّ الاشارة الصريحة الى القناع مصطلحاً اسلوبياً في الشعر المعاصر كانت لدى عبد الوهاب البياتي في «تجربتي الشعرية» (٣) الصادر سنة ١٩٦٨ . فقد توقف عند هذا الاصطلاح كثيراً ، مشيراً الى أنه كان نتيجة رحلة طويلة مضنية. ثمّ تبعه صلاح عبد الصبور في «حياتي في الشعر» (٤) مشيراً الى أنه استخدمه مبكراً وربما كانت قصيدة القناع مدخله الى عالم الدراما الشعرية .

أما اول من استخدمه من النقاد فكان فاضل ثامر في «وجه البياتي عبر قناع الخيام» (٥) سنة ١٩٦٩ . ثمّ تبعه الدكتور احسان عباس في كتابه «اتجاهات الشعر العربي المعاصر» (٦) سنة ١٩٧٨ حيث درس موقف الشعراء من التراث ، مخصصا مبحثاً لدراسة الاقنعة ، مشدداً على دراسة القناع عند البياتي ثم جاء بعدهما آخرون لم يخرجوا عمّا تناولاهُ . ونعني أن كلّ من درس القناع ، بعدهما تناوله عند البياتي وحده معتمداً على تينك الدراستين النقديتين – وهما جادتان – دون محاولة تأصيل هذه الظاهرة تأصيلاً فنيّاً عند روّاد حركة الشعر المعاصر عامة. لأنّ اي اسلوب متى شاع ، وكثر استخدامه عند المبدعين يصبح في محصلته الفنية ظاهرة تستحق الدراسة ، والتقويم ، والتأصيل .

لهذا رأينا أن نقوم بها ، راصدين حركتها ، وتأثراتها ، وهدفها، ونتائجها بموضوعية ، وانصاف . فان وجد القارىء في دراستنا هذه مايعينهُ على تلمس حقيقة هذه الظاهرة فانّ ذلك مانبتغيه ، والاّ فحسبنا أننا بذلنا جهداً كنا مخلصين فيه .

واخيراً ، فلابدّ من الاشارة الى أنّ مبحث الحركة كان لابدّ منه توضيحاً لكيفية الوصول الى الاساليب الجديدة التي تحقق رضا الشاعر انسانيا ، وفنياً ، بوصفها جزءاً من رسالة شاعر التجربة اليوم . فهي رصد لما كانت تنبيء به من تحول ، وتجاوز ، واضاءة .

والله الموفق ...

عبد الرضا علي

نينوى في ١٩٨٢/١١/٢٠

— ١ —

لمّا كان سرّ ديمومة الحياة الانسانية يكمن في قضيّة نموها ، وخصبها وتجددها ، فانّ جوهر هذا الخلق المتجدد يكمن في كائنها العجيب — الانسان .

ولما كان الانسان ابن البيئة بالمعنى الضيق ، فانّه (بالضرورة) ابن الطبيعة البار بالمعنى العام .من هنا كان عليه أن يجدد في نشاطه الانساني ، كما في حالة أمّه التي تتجدد بتجدد الفصول .

ولمّا كان (وما يزال) يجدد في نشاطه : مخترعاً ، ومكتشفاً ، وصانعاً ، فانّ عليه (والحالة هذه) أن يجدد (ويواصل التجديد)في أول نشاط صنعته ذاك الذي أراد له ألاّ ينتهي ..وذاك هو الشعر شاهد العصور .

اذن فصانع الشعر اراد لصنعته أن تبقى ، وان تعيش ، والاّ تنتهي . وهذا يعني أن هذا المصنوع سيكون وجهاً من أوجه الوجود — ان لم يكن الوجود نفسه — وتلك هي القضية .

ونتيجة لما تقدم فانّ على هذا الوجه من اوجه الوجود — الشعر أن يكون في تجديده غير هياب ، لانّ «الشعر الحق فاعل لايخاف المواجهة» (٧) . ومواجهة التوقف ، والجمود ، هي التي تقود الشعر الى تجاوز حالة الانحطاط ، والتردى ، والرتابة في عملية الخلق الشعري .لذا كان همّ الشعراء الأول البحث عمّا يغني تجاربهم تنوعاً ، وأشكالاً ، لـ : «أنّ الشاعر هو من يخلق أشياء العالم بطريقة جديدة »(٨) منطلقاً من وعي واحساسٍ فاعلين من أنّ القصيدة الحديثة : «ليست ..مجرد شكل من اشكال التعبير وانما هي ايضاً شكل من اشكال الوجود » (٩) . ولعلّ شهادة البياتي عن تجدده المستمر في عملية البحث عن الاشكال الفنية ما يؤكد هذا الهم الذي يعيشه الشاعر المعاصر دائماً ، اذ يقول :«ولقد ادركت من خلال تجربتي أنّه ليس من المعقول أن اتجمد ، او ان اتوقف عند اشكال فنية من التعبير ، وانما عليّ ان أتجدد باستمرار من خلال عملية الخلق الشعري » (١٠) .

ولكن سؤالا ملحاً يطرح نفسه باصرار ..كيف يكون هذا التجدد ؟ ولعلّ أحدا لايمتلك جواباً مقنناً مقعّداً في مثل هكذا سؤال ،لأنّه لو كان.. لكان مخالفاً لطبيعة الحياة ، فمن شأن التقنين ، والتقعيد الثبات : ومن شأن الحياة الحركة وشتان ما بين الثبات والحركة .

غير أن مجال هذه الحركة هو الذي يمكن أن يناقش بين الحين والحين ، وصولاً الى تحقيق حالة من التوازن بين حركة هذه الحياة — الواقع من جهة ، وبين حركة الفنان — الشاعر من جهة اخرى .وليس من شك أنّ حركة التجديد عند الشاعر — الفنان حينما تطرح قضية معاصرةً ، فأنما يراد بها الوصول الى تحقيق رضا انساني (ولو نسبياً) عمّا يبشر به من نبوّة ورؤيا ، لأنّ طبيعة الشعر ذاته «نبوّة ،ورؤيا وخلق» (١١) .وعليه فأن على حركة التجديد الشعري هذه أن تعيد النظر بكل ما ورثته من قيم ، ومناهج مألوفة ثابتة ، بحيث تجدد في معايير بعضها ، وتتجاوز ما لايمكن تجديده في بعضها الآخر . لأنّ سرّ ديمومة الشعر العظيم يكمن في اختزاله لقواه القادرة على التجديد: « لقد اختزن الشعرالعظيم دائماً قواه من مبدأ تجديده معايير تلك القيم بواسطة خلقه قيمه الخاصة ،محطماً الطرق ،والمناهج المألوفة ،» (١٢)، ، ولعلّ من سمات حركة التجديد هذه ان تقدم رؤية مشخّصة للحياة التي يريد الشاعر أن يفجرها ، وأن يخلقها ، فلم يعد الشعر (كما يرى ويلبرس سكوت) حياة معاشة ، بل حياة مشخصة مؤطرة . (١٣) وللوصول الى الحياة المشخصة ، لابد للشعر أن يلتصق بالحياة ، ويستبطنها ، وبمقدار هذا الالتصاق والاستبطان يتحمل مسؤوليته الاخلاقية بالنسبة الى السمو بالروح الانسانية ،ومسؤوليته الجمالية بالنسبة الى الفن (١٤) .

مما تقدم نصل الى أنّ جوهر عملية التجديد تكمن في قدرة الشعر على تجاوز حالات العقم في الفن ، وعدم الوقوف على اشكال معينة من التعبير ، وتقديم رؤية مشخصة عن الحياة — الرؤيا التي يريدها الشاعر ، معتمداً على التجربة الخلاقة أداءً ،وتوصيلاً ، ادراكاً منه :«أنّ من جوهر

الشعر ، في المفهوم الجديد، أن يتنوع ما شاءت التجربة والموهبة ان يتنوع » (١٥) .وهذا بعينه قاد الى الاساليب الجديدة في الشعر العربي المعاصر ولاسيما قصيدة (القناع) عند رواد هذه الحركة .

وليس الاسلوب هذا خلواً من المعاناة والهم ، وامعان النظر ، والا لكان (صرعة) لايكتب لها الفاعلية والتواصل ، والاتساع ، لهذا يقول البياتي : «لقد حاولت ان اوفق بين ما يموت ومالا يموت ، بين المتناهي واللامتناهي بين الحاضر وتجاوز الحاضر وتطلّب هذا مني معاناةً طويلة ، في البحث عن الاقنعة الفنية » (١٦) . فما قصيدة القناع؟ وما هذا الاسلوب الجديد؟

— ٢ —

القناع اسلوب جديد في التعبير الشعري، يعمد فيه الشاعر إلى اختيار شخصية تاريخية، أو اسطورية (في الاعم الأشمل) يتقنّع بها، ويختبئ وراءها ليعبر من خلالها: «عن المحنة الاجتماعية، والكونية ... متجرداً من ذاتيته» (١٧)، أو «ليعبر عن موقف يريده أو ليحاكم نقائص العصر الحديث» (١٨) او لكي يتحدث من ورائه عن بعض شواغله، وهمومه الفكرية (١٩). كما فعل البياتي، وصلاح عبد الصبور، وخليل حاوي، وأدونيس (٢٠). او يعمد فيه الشاعر إلى خلق شخصية جديدة (في الاقل الاضيق) يجعلها: «تتقمص خواطره، ومشاكلهُ. ونوازعه، وتجسد حياتهُ، وتجربتهُ» (٢١). كما فعل أدونيس في «أغاني مهيار الدمشقي» (٢٢).

واسلوب (القناع) هذا ليس ضرباً، أو حالة: أو (صرعة) يستطيع أن ينهجها من شاء بيسر، وسهولة، لأنها تقوم على اعتبارات هي من مكملات خصائص الشخصية الشعرية الفاعلة، وأعني بها الاعتبارات الثقافية، والفكرية، والفلسفية التي تكمل موهبة الشاعر العظيم ..لهذا فإن الشاعر عندما يريد اختيار (قناع) ما عليه أن يستبطن التاريخ، ويسبرغوره، و «يستلهم الاحداث الايجابية فيه، وينتقي من خلال مواقف الافراد الفاعلين، والمؤثرين في

الماضي، ما يلائم مواقفه المعاصرة مما يكسب قصيدته ابعاداً شمولية، ورحابة انسانية، عامة.» (٢٣) من هنا كان على هذا الاختيار ان يمعن النظر في شخصية (القناع) مراعياً «البحث عن السمات الدالة في الشخصية، أو الاسطورة، وأن يربط ربطاً موفقاً بينها وبين مايريد ان يعبر عنه الشاعر من افكار» (٢٤) وصولا إلى تحديد الزاوية الفنية التي تشكل قصيدته، والتي يعرفها خالد علي مصطفى بانها «حساسية الشاعر واستجابته النفسية اللتان تنقلان الموضوع من مادته الاولية إلى (هم شخصي) بحيث تلغى الفروق الشعرية بين الباعث والتأثير.» (٢٥) ولعلّ أحداً لا يجادل في أهمية تلك الاعتبارات.

ويبدو أنّ قصيدة القناع تطورت أصلاً عن قصيدة «التوحد» التي مارسها الشعراء التموزيون في الخمسينات، —ولا سيما السياب— فقد كانوا يعمدون إلى التوحد برموز العذاب، وصولاً إلى تحقيق حالة الانبعاث الفاعلة بعد الموت. وقد ارتبط ذلك النهج بأساطير الخصب، والتضحية خاصة، وعدّ السياب فيه الرائد الاول. فقد وحد بينه، وبين تموز، والسيد المسيح في اكثر من قصيدة (٢٦)، وربما كانت «المسيح بعد الصلب» خير شاهد على هذه التجربة في التوحد:

مت، كي يؤكل الخبز باسمي، لكي يزرعوني مع الموسم.
كم حياة سأحيا: ففي كل حفرة
صرت مستقبلاً، صرت بذرة،
صرت جيلاً من الناس، في كل قلب دمي
قطرة منه أو بعض قطرة (٢٧).

ولعل الاشارة الى فكرة التضحية والخصب، وصيرورتها عشاءاً ربانياً واضحة في القصيدة.

ونحن نظنّ كل الظن أنّ فكرة التوحد بالرموز كانت محصلة فنية لأثر اليوت في الشعر العربي المعاصر، حتى أنك لتجد أحياناً اعتماد التكنيك الفني الذي كان يدعو اليه اليوت، ويبشر به حاصلاً في قصائد التوحد،

وقارئ «المسيح بعد الصلب» لايجد شكاً في ذلك . فقد عمد السياب فيها الى استخدام تكنيك المونولوج الدرامي ذي الوقع الحزين ، وهذا التكنيك، والتوحد بالرموز هو ما أشار اليه اليوت بقوله : «وما نستمع اليه عادة في المونولوج الدرامي هو في الواقع صوت الشاعر وقد لبس مسوح شخصية تاريخية ، او شخصية روائية ...وقد يحدث بين الحين والحين ،...أن نسمع صوت الكاتب وقد توحد مع صوت الشخصية »(٢٨) لهذا فان القناع يصبح محصلته الفنية (هو أيضاً)من أثر اليوت في التجربة الشعرية العربية المعاصرة

غير ان الشعراء في استخدامهم لفكرة القناع كانوا يرمون الى محاولة الاقتراب نحو القصيدة الدرامية ، (٢٩) وهم في محاولتهم هذه ينقلون القصيدة من ايقاعها الغنائي البسيط ، الى ايقاع درامي يحتمد حركة النفس في مواجهتها لحركة الواقع . (٣٠)

إنّ تجربة الشعراء في اسلوبهم هذا ،يقصد منها الوصول الى غاية صميمة محضة هي تشكيل رؤيتهم عن العالم ، والكون ، والتعبير عمّا يعانونه من محن اجتماعية من خلال تقديم البطل النموذجي الذي يرونه قادراً على صياغة الفعل الخلاق في قضية خلاصهم الشخصي ، الذي هو خلاص العالم . لأنّ «الفردي وحده هو الذي يثير اهتمام الفن عندما يكون فيه شيء يعبر عن العام فيعكسه » (٣١) . وتقديم البطل النموذجي يرتبط بمعرفة الشاعر للوجود العربي معرفة قادرة على الغوص ،والتعمق في أدق أسراره: « ليقدم للناس ما استخرج ، وجمّع من أحاسيسهم وافكارهم، المألوفة وغير المألوفة» (٣٢) ، لهذا تراه يعود الى التراث باحثاً مدققاً في شخصيات الاقنعة التي يختارها ، ليجعل من مواجهتهم لمحن معينة مواجهة معاصرة ، لأنّ المعاصرة « في الشعر العربي الحديث تعني شمولية الشاعر، واتساع آفاق معرفته، وطول عناقه لوجدان ، وهموم العصر . » (٣٣) ، وهو حين يقدم هذه الشخصيات بشكلها المعاصر يسمو بالشعر الى قيمته الجمالية «المتمثل بالنموذج الحي الذي يقرع ابواب المستحيل ، ويقارع قوى الشر في الارض ، معالجاً الاسرار

من اجل فض ّ اختامها » (٣٤) ولعل اختيار البياتي لشخصيات اقنعته ما يؤكد حضورهم المعاصر ، اذ يقول : «حاولت ان اقدم (البطل النموذجي) في عصرنا هذا ،وفي كل العصور (في موقفه النهائي) وأن استبطن مشاعر هذه الشخصيات النموذجية في أعمق حالات وجودها ، وأن اعبر عن النهائي واللانهائي ، وعن المحنة الاجتماعية والكونية التي واجهها هؤلاء . وعن التجاوز والتخطي لما هو كائن الى ما سيكون ، ولذلك اكتسبت هذه القصائد هذا البعد الجديد ،الذي يجعلها تولد من جديد ،كلما تقدم بها العهد .(٣٥) ونحن الآن نظن انّهُ حان الوقت لتقديم هذا النموذج بتشكيلاته المختلفة عند كل واحد منهم .

— ٤ —

تنوعت تشكيلات القناع عند روّاد حركة الشعر العربي المعاصر ، تبعاً للزاوية التي عالج من خلالها الشاعر قضية المصير العربي . وللوقوف على هذه التشكيلات ، سندرس تشكيلا واحداً لكل رائد ،مشيرين (في الهامش) الى اهم تشكيلات القناع عندهُ ، منوهين أنّ تاريخ كتابه القصيدة المختارة هو الفيصل في عملية تقديمها وليس لأي اعتبار آخر .

خليل حاوي: (٣٦)

غاية الشعر عند خليل حاوي غاية حضارية، بمعنى أنّ القصيدة عنده تلتزم بمواجهة ما في الاعماق من ترد، وانكفاء، لتحيلها إلى اعماق دافقة عاصفة تعيد بعث حضارة انسانها العربي من خلال اقتناعها برؤيا الانبعاث الذي يحمله الشاعر. لهذا كانت اقنعة حاوي سبيلاً إلى هذه الغاية (٣٧). ولعلّ خير مثال لها «السندباد في رحلته الثامنة» (٣٨).

كتبت هذه القصيدة في حدود سنة ١٩٥٨ (٣٩)، وتألفت من عشرة مقاطع، أدار المقطع الاول منها حول تعلق سندباد العصر بماضيه، وتراثه كله ، دون تفحص وتقويم، واختيار، رامزاً للماضي بالدار التي تغربت

معه في دوخة البحار بحثاً عن ضوء خفي لا يعي الشاعر يقينه، لكنه يحسه في اعماقه، فينساق خلفه علّه يغويه فيتعرف بروقَهُ:

أمضي على ضوء خفّي
لا أعي يقينه
فتزهر السكينة
وأرتمى والليل في القطار

وأدار المقطع الثاني منها حول ما كان في هذه الدار — الماضي من رسوم رصعت جدران الرواق بتناقضاتها. فعلى جدار اطار لموسى وهو يحفر وصايا ربّه العشر، وعلى جدار اخر اطار لكاهن فاجر في صورة بغل، وعلى جدار ثالث اطار للمعري وقد أبانت دواخله أنّ دنياه لم تكن غير كيد امرأة لم تغتسل من دمها .. أنّ هذه الرسوم ترشح سيلاً مثقلاً بالغاز والسموم، مشيرة إلى أنّ هذا التناقض يجعل الماضي يحترف التمويه والطهارة :

عاينت في مدينة
تحترف التمويه والطهارة
كيف استحالت سمرة الشمس
وزهو العمر والنضارة
لغصّة، تشنّج، وضيق

فتستحيل معه البراءة الى دم محتقن ينتظر التفجر والثورة .

في هذا المقطع يحاول السندباد — شاعر العصر ان يرصد الواقع الذي كان يعيشه . فهو واقع متناقض . متخلف . ينتصر فيه الدجل على البراءة، ليس من حق من يعيش فيه غير الاذعان للجامد ، والسير على خطاه بحمد وشكر . .

انّ رصد الواقع معناه أنّ السندباد بدأ يعي وجوده ، وأنّ عليه أن يرفض أمتعته العتيقة ، ومفاهيمه الرثّة . وهذا ماحققه في المقطع الثالث

الذي أداره على رواق داره ـ ماضيه ، وكيف جرت في دمه غازاته وسمومه وانطبعت في صدره ، وصدر جيله فجعلته يحلي طعمه بالنفاق ، وبجرعة من (عسل الخليفة) رامزاً الى أن السلطة الدينية كانت ترى تقبل الواقع من قبيل الايمان بما كتبه الله عليه ، وعلى غيره من البشر ، لكنه يرفض الاذعان ، ويبدأ بتطهير داره منتظراً الضوء الذي يحسه في اعماقه ولايعيه:

طهرت داري من صدى أشباحهم
في الليل والنهار
من غلّ نفسي ، خنجري ،
ليني ، ولين الحية الرشيقة ،
عشت على انتظار
لعلّه ان مرّ أغويه
فما مرّ ،

وأدار المقطع الرابع حول فكرة النهوض من دهاليز الذات ، وتصفية العروق ، والتحول الى الصحو العميق :

داري التي تحطّمت
تنهض من انقاضها ،
تختلج الاخشاب
تلتّم وتحيا قبة خضراء في الربيع

وهو لايدري كيف حدث ذلك النهوض ، لايدري ان كان لملاك الرب أثر فيه ، ام لفعل جراحه الكثيرة ، ام لغيبوبته البيضاء . ان كل الذي يعرفه هو أنّ قلبه اعشب بنبضة ورويا لم تفصح عن نفسها :

النبضة الاولى
ورؤيا ما آهتدت للّفْظ
غصت ، ابرقت وآرتعشت دموع
هل دعوة للحبّ هذا الصوت

لذلك فقد افرغ السندباد داره مرّة ثانية انتظاراً لما تسفر عنه تلك الرؤيا من يقين .

اما المقطع الخامس فقد اداره حول فكرة انتظار الرؤيا ، رامزاً لها بالحلوة البريئة ، جاعلاً من السندباد قلقاً متسائلا ،خشية أن يرى حلوته غيره فيحفل بها دونه . انّه هنا يرفض الاذعان للفكرة القائلة أنّ لعامل الزمن أثراً في اللقاء ، لانّ السندباد يحس أنّه مازال قوياً ، وأنّ دمه يحمل شروط الانبعاث للحقول التي تنتظر الري :

ملء دمي وساعدي
أطيب ما تزهو به الفصول
في الكرم والينبوع والحقول ،
العمر لن يقول
ياليت من سنين

وادار المقطع السادس حول فكرة حصول اللقاء بين السندباد ، وبين الحلوة ، وهو كشف لحلول الرؤيا بالانبعاث ، فيرتوي السندباد منها عطاء وصحوا . دليلا أن الانسان العربي قد وعى حقيقة التحديات التي تواجهه في حالة انبعاثه من جديد ، لهذا فهو يستعد بهذا الارتواء ليواجه مأساة الجيل الذي هو منه :

الحلوة البريئة
تعطي وتدري كلما أعطت
تفور الخمر في الجرار
بريئة جريئة
جريئة بريئة
في شفتيها تزيد الخمر
وتصفو الخمر في القرار
لن يتخلى الصبح عنّا
آخر النهار

امّا المقطع السابع فقد أداره حول فكرة امتحان الروءيا ، فقد لازمته ملازمة الغريبة للغريب ، لذا نراه يمعن في التغريب بها قبل أن يحملها الى وطنه ، فيكتشف أنها صادقة ، وأنّ حمله لها جعل كلّ من يلتقي به يتزود منه دفئاً ، وطيباً :

غريبة ومثلها غريب
حيث نزلنا ارتفعت

دار لنا ، ودار
خفّ الينا الف جار متعب وجار
في دوخة البحار
وغربة الديار

اما في الثامن فنكتشف أنّ السندباد لايقوى على اعلان بشارة الروءيا على الرغم من مرور زمن على حلولها فيه ، ويبدو أنّ فوران الروءيا قد أذهلته بحيث لم يستطيع أن يبشر بها :

أعاين الروءيا التي تصرعني حيناً ،
فأبكي
كيف لاأقوى على البشارة ؟

شهران ، طال الصمت ،
جفت شفتي ،
متى متى تسعفني العبارة ؟

وفي المقطع التاسع يدخل السندباد مدينته ، فيرى المروج ، والمداخن والاطفال ، وزنود العمال وهي تبني وطنه الذي خرّبه الاستعمار ، فيسترجع ذكرى الاستعمار وأذنابه ، وكيف طردهم الشعب ، وسلخ جلود أذنابه ، مهيئا نفسه لاحتضان الارض العربية ، ماسحاً حدودها الوهمية التي رسمها الاستعمار :

وسوف يأتي زمن احتضن
الارض واجلو صدرها
وأمسح الحدود

أما المقطع العاشر ، فيعود السندباد إلى شعبه ، وفي فمه بشارة الأنبعاث العربي الجديد ، فلقد اسقط من حسابه مبدأه القديم في رحلاته السبع — رأس المال والتجارة — لانّه عاد هذه المرة يحمل الينا كنزا لاشبيه له بين الكنوز التي اقتنصها في رحلاته السالفة . فلقد عاين اشراقة الأنبعاث، وتمّ له اليقين (٤٠) :

ضيعت رأس المال والتجارة ،
عدت اليكم شاعرا في فمه بشارة
يقول ما يقول
بفطرة تحسّ ما في رحم الفصل
تراه قبل أن يولد في الفصول

× × ×

صلاح عبد الصبور (٤١) :

كتب صلاح عبد الصبور أولى قصائد القناع سنة ١٩٦١ ، وهي «مذكرات الملك عجيب بن الخصيب »مستخدما قناع شخصية فولكلورية، متحدثا من ورائه عن بعض شواغله وهمومه ، متخذاً من حكاية شعبية وردت في الف ليلة وليلة فكرة لقناعه . والملك عجيب هذا أدركه السّأم فطمع إلى السفر للفرجة على البلاد والناس ، فكان أن خرج عن ملكه لهذه الغاية متصعلكاً . (٤٢) والقصيدة في ستة مقاطع حاول عبدالصبور فيها ان يذكر ما فات الف ليلة وليلة من حال الملك قبل رحلته التي حولته احوالها من ملك إلى صعلوك . (٤٣) حيث أدار المقطع الأول منها على فكرة وراثة الحكم ، وهي همّ عند الذين يعانون منها الأمرين: خجلا لكونهم

غير قادرين على تغييرها ، وقرفاً لكونهم يتحملونها مرغمين مجبرين . وجعل هذه الفكرة تدور على لسان الملك المتصعلك بشكل تهكمي لايخلو من اتهام في تخايط الانساب :

لم آخذ الملك بحدّ السيف ، بل ورثته
عن جدي السابع والعشرين (ان كان الزنا
لم يتخلل في جذورنا
لكنني أشبهه في صورة أبدعها رسامه
رسامه .. كان عشيق الملكة)

أما المقطع الثاني فقد أداره على فكرة التلفيق في الافكار ، والسفسطة التي لايخلو البلاط منها :

قصر أبي في غابة التّنين
يضّج بالمنافقين ، والمحاربين والمؤدبين
من بينهم مؤدبي الأمين (جورجياس)

وأدار المقطع الثالث على فكرة الوصفات السلفية الرثّة التي تقدم جاهزة بشكل مواعظ تبين عقم التقاليد التي ورثها ملوك هذا البلاط من مؤدبيهم :

(المرأة فخ منصوب ، واحفظ وعظي
ان جئت لديها ،
لا تأمنها ، حتى لو جعلت فرش منامك
نهديها او فخذيها)

وجعل المقطع الرابع يدور على فكرة اقتراف الذنب ، والمشاركة في الجريمة ، حيث يمارس الملك عجيب ما مارسه أبوه ، لكنّه لايجد له طعما :

ورغم تعاليمه ، قد عرفت النساء
اماء أبي كنّ حين يجنّ المساء
يجئن اليّ ، يضاجعنني ويلاعبنني
ويفضحن لي ما يسرّ أبي
اليهنّ ، حين تثور الدماء ، وتهمد ظمأى
فيسحب ثوبه .

اما المقطع الخامس فقد اداره على فكرة الزيف الذي يحاط به الملك في البلاط بعد موت والده ، حيث يزدحم حوله الشعراء بحديثهم المملول الملفق ، الذي لايقل تلفيقاً واملالاً عن سفسطة جورجياس (٤٤):

« مات الملك الغازي » . . .
« مات الملك الصالح » . . .
صاحت ابواق مدينتنا صيحا ملهوفا
وقف الشعراء أمام الباب صفوفا
وتدحرجت الأبيات الوفا .

آما المقطع السادس فقد أداره على فكرة البحث عن الحقيقة :

أبحث في كلّ الحنايا عنك ، ياحبيبتي المقنّعة
ياحفنة من الصفاء ضائعة

فأين تختفي هذه الحقيقة ؟ هل انها تختفي في الجسد ؟ لقد جرّب ذلك ، لكنه بعد أن ارتوى عاد اليه الظمأ ثانية :

هل تختفين في الجسد
وحين يروى ينزوي ولا يرد
وبعد ساعة يعوده الظمأ ، كأنّ كل ما ارتوى
كان سراباً أو زبد

أم انها تختفي في التخدير بالمشروب ، والحشيش ، والأفيون ؟... لقد جرب ذلك كله ، فما وجدها :

هل تختفين في غيابة الكؤوس والحشيش والأفيون
كما يقولُ الشاعر المأفون
« لولا الحشيش وسنّة الالف»
(ويقصد الأفيون)
لغدوت في بؤس وفي قرف .

ولمّا لم يجدها حاول أن يعثر عليها في الحلم :

رأيت في المنام أنني أقود عربه
تجرها ست من المهارى .
تجوب بي الوديان والصحارى

وعبثاً كانت محاولته :

وفجأة تحولت خيولها قطاطا
تمشي إلى الوراء ،......

إذن أين تكون ؟ ... ان لم تكن في كل تلك السبل لعلّه أدرك من خلال بحثه المتعب أن لاحقيقة أبداً . لأنّ الحقيقة الوحيدة القاسية التي يجدها عجيب بن الخصيب هي أن الانسان قد سقط كما يسقط البهلوان :

ياخدام القصر ... وياحراس ... ويا أجناد
... وياضباط ... وياقادة
مدّوا حول الكرة الأرضية نسج الشبكة
كي يسقط فيها ملككم المتدلي

× × ×

سقط الملك المتدلي جنب سريره .

إنّ تشكيل القناع هنا بقدر مايثير من فردية ، فأنّه يؤدي إلى أتساع نطاق التجربة لتشمل عالماً أوسع ، وأرحب ، إذ يجعل التجربة تعطي بعداً إنسانياً ، يتحد فيه ماهو ذاتي مع ماهو حاصل تاريخياً (٤٥)، فقد أراد الشاعر من قناعه هذا ان يطرح امام المتلقي صوراً معاصرة ، استدعتها

صور شعبية ، فالبلاط يصبح صورة للكون ، وليس الملك الأب الميت إلا صورة لسيادة القوى العليا على المجتمع ، وها هي ذي القوى العليا تسلِم الروح تاركة الإنسان ليواجه الكون وحده ، باحثاً عن الحقيقة ، زاده قدر من السفسطة ، وقليل من الخبرة (٤٦) ومثل هذا الانسان لن يجد غير السقوط حقيقة .

× × ×

أدونيس (على احمد سعيد) : (٤٧)

تتميز قصيدة القناع عند أدونيس بطولها ، وبتشعباتها الكثيرة ، وبمحاولتها خلق صورة الانسان العربي الجديد ، انسان التخطي ، والتجاوز والخلق ، والابداع لذلك ليس من السهل على الناقد أن يتصدى لأية محاولة من محاولات أدونيس دون أن يربط بين بعض قصائده ، وبين عقله الفلسفي الذي يطرح نفسه بوصفه موهبة تنظيرية عركتها خبرتهُ ، وممارسته الطويلة، في الابداع والكتابة ... من هنا فأن اختيارنا لقصيدة (الصقر) التي كتبها العام ١٩٦٢ لايمكن أن يتم بمعزل عن قصيدة (تحولات الصقر) التي ابتدأ كتابتها في أيلول ١٩٦٣، وانتهى منها في ايلول ١٩٦٤ (٤٨)، لأن الثانية تعدّ لوحة مكملة للّوحة الاولى اذا جاز التعبير ،ولا يمكن الفصل بينهما (اللهم الا بالتسمية ليس غير).

اذن فالقصيدة طويلة . وقد استغرقت لوحتها الأولى خمس عشرة صفحة ، بينما استغرقت لوحتها الثانية سبعاً وستين صفحة من الديوان . وهذا التقسيم غير المتناسب الذي ارتضيناه في اللوحتين دعتهُ ضرورة التحولات التي سار فيها الصقر في اللوحة الثانية .

تبدأ اللوحة الأولى بحركة الصقر نحو الفرات ، في حين يخيم الموت على كل شيء ، وخلال هذا الجو الرهيب يسمع الصقر صوت الفرات يبشر بالنبوءة التي ستحدث لامحالة ، غير أنّ الصقر يندبُ الفرات أن يغير رنينه ، لكن الفرات يصرّ على تبليغ النبوءة :

ـــ « قـــريشـــ . . . . .
لـــؤلـــؤة تـشـعّ مـــن دمـشـــق
يـخـبـئـهـا الـصـّنـدل والـلـبّـــان
أرقّ مـــا رقّ لـــه لـبـنـــان
أجـمـــل مـــا حـدّث عـنـه الشرق »

واضح أنّ النبوءة تُشير إلى أنّ الصقر هو الذي سيحمل حضارة الشرق إلى الغرب ، وان اشعاعها سيمثل عودة الحضارة العربية متمثلة برمز قريش .

وأمام هذا الاصرار الذي يتحول إلى دوي ، يتقبل الصقر النبوءة ساخراً ويتقدم في طريق الموت نحو مملكته التي ليست غير هذا الفضاء الخاوي الا من خطواته ، فتكون سخريته من النبوءة مرّة لاذعة :

مللتُ والفضـاء خـراجي ومملكتي خطواتي
مـلـلتُ اتـقـدم ابـنـي فـتـوحـي
فوق هذا الجليد المؤصل ، فوق الجموح .

ويسير الصقر أمضى من السهم ، ويمر من أماكن هي أضيق من ظل رمح ، ويكابد ، ويعاني ، وهو في هذه المعاناة يموتُ غير مرّة ، ويصعد لبروج التحول ، لكنه لايستطيع ان يكلم الأشياء ، لأنّ الصقر ليس شاعراً يستطيع أن يغير الفصول ، وأن يدجن الغرابة ، ويغير الآجال، لأنه لو كان شاعراً لآمن بالنبوءة التي تبشر بكينونته :

لـــو أنـنـي أعـــرف أن أكـــون
فـــي الـمـاء فـي الـعـوسـج فـي الزيتـــون
نبـوءة تـنـذر أو عـلامـة ،
لصحـت يـــا غـمـامـــة
تكاثـفـي وأمـطـري
باسمي فوق الشام والفرات
بالله ياغمامة ..

وفي خضم هذه الحالة ، حالة انعدام القدرة على التغيير يجيء موكب السماء ، ويحلّ الله في كل كتاب ساهر ، فتتحقق النبؤة :

السماء انفتحت ،
صار التراب
كتباً . والله في كل كتاب
ساهر .

عند ذاك يجتاح الصقر الضحى ليرفع :

في ولهِ الصّبوةِ والاشراق
أندلس الاعماق

لتبدأ اللوحة الثانية

تبدأ اللوحة الثانية (تحولات الصقر) بصيحات تنادي الصقر أن يعود لكنه يظلّ ماضياً ، فتهدأ الصيحات تدريجياً ، انها تمثل الماضي ، وهو يريد الانفلات منه ، لكنّه لايستطيع الخلاص ، لأنّ الخلاص من الماضي وهم . وهنا يحار ، فالماضي يشدّه إلى ميراث ، ولغة ، وابراج ،وصوت الداخل يدعوه إلى تحقيق وجوده الجديد وخلال هذا التردد يستذكر قوله :

« أنّ العلى شدّت بهمّ طارق
فاركب اليها شبح المضايق
أولا ، فأنت أرذل الخلائق» (٤٩)

فيرى انّه وان كان مشدوداً إلى الماضي بثقله وظلّه ، الا أنّه كثيراً ماكان يحاول قتله حين يذكره بحالات العقم التي ترسخت في اعماق لاوعيه زمناً طويلاً . غير أنّ الذي كان يثنيه هو تلك الاشراقات الخالدة فيه التي تجعله يحييه على يديه . وفي تردده هذا ينتهي إلى أنّه أخيراً سيفترق عنه ، لأنّ للصقر زمناً هو غير زمن الماضي ، فزمنه الضحى ، وزمن ماضيه الموت :

طاغٍ ، أدحرج تاريخي وأذبحه على يدّي ، وأحييه،
ولي زمن أقوده ، وصباحات أغذيها

....

لكن أمام الضحى والموت نفترق

وعلى الرغم من قراره هذا فان الصقر لايستطيع الانفلات من حنينه إلى دمشق التي حمل ميراثها شبابهُ ، فيتقدم اليها ضارعاً ، طالباً عفوها لأنّ قرار أعماقهِ في التحول لم يكن لولاها :

يا امرأة الرفض بلا يقين
يا امرأة القبول
يا امرأة الضوضاء والذهول
يا امرأة مليئة العروق بالغابات والوحول
أيتها العارية الضائعة الفخذين يادمشق،
تُصغين للموتى والقبور والتكايا
تُصغين في خشوع
وتعشقين الجثث الصفراء والضحايا
وتأكلين الطين والدموع
ايتها المنهومة القاضمة القشور يادمشق ...
ياحبّ ، لا....
عفوك يادمشق
لولاك ، لم أهبط إلى الاغوار
لم أهدم الاسوار ،

ثمّ يبدأ الصقر اصعاده إلى ابراج الموت ، متحولا إلى شاعر يعرف كيف ينساب مثل الماء ، قادراً على تغيير العصور ، ومزجها :

أعرف بعد الآن أن اغير العصور
أن امزج العصور بالعصور

أعرف أن أعيدها
قصيدة أو ثورة أو حلم ...

واثناء اصعاده يسمع صوتاً يجرّ ايامه الثقيلة معلناً أن عصر المعجزات مات بموت الانبياء . وعندما يقترب منه الصوت يكتشف انه صوت الجياع الجدد الذين يريدون الانضمام اليه في اصعاده إلى ابراج الموت ، معترفين بأنهم خذلوه عندما كانوا متخمين ، فلم يسيروا خلف رايته حين كان يحمل راية الجياع الذين اكتوت رئات اطفالهم بالسعال حتى اهلكتهم :

—«نحن ياجائع كنا متخمين
لم يكن مركبنا يمشي وراءك
لم يكفنك ولا صلى عليك
نحن ياجائع لم نسمع نداءك ...
نحن صرنا جائعين
فتقبلنا لديك ،

وفي خضم تلاقح أصوات الصقر : والجياع ، والدهر ، يلتقي الصقر بالخضر ، فيتحدان :

كان أنْ نوّر النخيل وأثمر صرخاتي
حيث لاقاني الخضر ، صلى صلاتي
حيث تجتاحني كلماتي ،

إذ ذاك يحين موعد الرجوع (لبلاد الحصون الامينة) للماضي ، فينزل إلى بغداد ليلتقي بالفرات : نهر الحضارة الاولى ، وبأبي تمّام المشتعل كالجمر فيكتب أغنيّة :

سوداء سحرية
تحية الآتي إلى بغداد

إلى هنا وتنتهي تحولات الصقر ، غير ان القصيدة لاتنتهي ، إذ تبدأ دورة جديدة ، محورها الاسامس مرثيات الصقر ،وشواهد قبره ،

وتكون هذه المراثي من خلال عشر شجرات يتناوبن تقديم المراثي والشواهد تختتمها العاشرة بروايتين : الاولى تقول أنّ الصقر بعث إلى الحياة ثانية بعد أن شق قبره وطار باحثاً عن الأرض – الام التي تليق بانسانيته ليعود إلى حضنها الدافئ آمناً مطمئناً :

وقيل : بعد القبر ، شقّ القبر : القى

موته وطار

يبحث عن امومة

في وطن الانسان ،

والثانية تقول : انّ للصقر زوجاً حبلى تنتظر مخاضها لتعلن عن ميلاده من جديد ، فان صح موت الغارس فانّ الغرس على موعد مع الربيع ، حيث البعث والتجدد :

وقيل : كانت زوجة فقيرة

هنا وراء التلّة الصغيرة

حبلى

وبين الليل والنهار

في الصمت :

في التمزق المضيء ،

تنتظر الطفل الذي يجيء .

في هذه القصيدة يحقق أدونيس مقولته في أنّ « الشاعر يرصد العالم كله ، وينبئ بتحولاته ، ويضيء هذه التحولات » (٥٠) فقد اضاء للمتلقي تحولات (الصقر) ، بين ماضيه ، وحاضره ، بوصفه مبدعاً يرى وجوده الجزئي فاعلاً في كلّ انساني (٥١) ، بحيث تصبح تفجراته قادرة على اعاده خلق الأنسان العربي ، وتحريك فكره وكيانه كله في اتجاه الثورة . (٥٢)

ومثل هذه الرؤية تجعل العمل الأبداعي يشهد بأنّ الشاعر لايستطيع الأنفلات من ماضيه حتى وان قرر ذلك ثائراً ، فعلى الرغم من أنّ معظم

آراء أدونيس تدعو إلى الثورة على الماضي التقليدي ، وتجاوزه ، وتفكيك الزمن الموروث ، والاعتراف بأنه ميت وبأن وسائله ومضموناته ماتت(٥٣) فانّه في هذه القصيدة كان ملتصقا بالماضي وبتراثه بواقعية يندران نجد مثلها في غالبية شعره لأنّ ميزة هذه القصيدة « أنها تنصف الماضي ولا تهزأ من علاقاته ، ولا تحاول الاستخفاف به او التهوين من قيمته» (٥٤) وتلك ميزة تدلّ على أنّ الماضي مازال يحمل إضاءة تفيد طارق الليل ، وموقد النار في القلوب .

× × ×

عبدالوهاب البياتي : (٥٥)

ليست مغالاة ان قلنا ان فكرة القناع ارتبطت في شعر البياتي (نسبيا) قبل غيره من الشعراء ، لأنّ اي تصفح واع لدواوينه الأولى تثبت ذلك، بل وتؤكد أنّ تطور قصيدة القناع عنده كانت أوضح في شعره من شعر غيره ، فلقد قصدها عن وعي عامد ، وسار في تقديم اسلوبها بشكل يدلّ على اهتمام بالغ وحريص على الإفادة منها في تجربته الشعرية.وليس قولنا هذا معناه أنّ فكرة القناع عند غيره كان ينقصها التطور ، وانما قصدنا انها كانت الصق به من غيره زمناً . ولم تكن فكرة القناع طارئة عليه ، وانّما كانت نتيجة رحلة طويلة مضنية بدأها منذ شخصية (الجوّاب) و (المتمرد) و (الثوري اللامنتمي) في (المجد للاطفال والزيتون) الصادر سنة ١٩٥٦ و (اشعار في المنفى) الصادر سنة ١٩٥٧ ، و (عشرون قصيدة من برلين) الصادر سنة ١٩٥٩ ، و (كلمات لاتموت) الصادر سنة ١٩٦٠ ، إلى شخصية (الثوري في الثورة المستمرة) في (النار والكلمات) الصادر سنة ١٩٦٤ ، و(سفر الفقر والثورة) الصادر سنة ١٩٦٥ ، و (الذي يأتي ولا يأتي) الصادر سنة ١٩٦٦ ، و (الموت في الحياة) الصادرسنة ١٩٦٨ (٥٦) ، إلى شخصية (عاشق الموت) و (المحكوم بالاعدام مع وقف التنفيذ) في

(قصائد حب على بوابات العالم السبع) و (كتاب البحر) و (سيرة ذاتية لسارق النار) و (قمر شيراز) الصادرة بين عامي ١٩٧١ ـــ ١٩٧٥ .

ولقد اخترنا من تشكيلات شخصية (عاشق الموت) تشكيلا واحداً، مثالا لدراستنا هذه ... وهي قصيدة (عن وضاح اليمن والحب والموت) (٥٧)

من المؤكد أنّ اختيار البياتي وضاح اليمن قناعا كان نتيجة رحلة في كتب التراث ، ولا سيما كتاب الاغاني (٥٨) .. والقصيدة في عشرة مقاطع ، أدار المقطع الأول منها حول فكرة اصعاد وضاح إلى الشام من اليمن متوجا بقمر الموت ليمارس اللعبة مع أم البنين في حرم الخليفة:

يصعد من مدائن السحر ومن كهوفها: وضاح
متوجا بقمر الموت ونار نيزك يسقط في الصحراء
تحمله إلى الشام عند ليباً برتقالياً مع القوافل:
وريشه حمراء .

وادار المقطع الثاني منها حول فكرة مفادها أنّ من يحبّ حقا فانّه يجد الله:

لم أجد الخلاص في الحبّ ولكني وجدت الله.

أما المقطع الثالث فقد اداره حول قوة المنح الكامنة في وضاح :

منحتها عرش سليمان ونار الليل في الصحراء
وذهب الأمواج في البحار
طبعت فوق فمها حبي لكل ساحرات العالم ـــ النساء
وقبل العشاق
بذرت في احشائها طفلاً من الشعب
ومن سلالة العنقاء

وادار المقطع الرابع حول فكرة الأشباح المخيفة التي تطارد الشاعر:

من أين جاءت هذه الأشباح ؟
وانت في سريرها تنام ياوضاح

وجعل المقطع الخامس يدور على فكرة غربة الأنسان في العالم والأشياء:

رأيت في نومي على نهديك نهر الموت
يشق مجراه بلحم الصمت
وكلب صيد ينهش النهدين
وطائر السمان
يبدأ في رحيله عبر مدار غربة الأنسان في العالم والاشياء

اما المقطع السادس فجعله يدور حول فكرة الأشباح والكوابيس التي يطلقها الخليفة في القصر حيث تطوق وضاحاً ـ الشاعر ـ :

من اين جاءت هذه الأشباح
وانت في سريرها تنام يا وضاح
لعلّه الواشي الذي أراح واستراح
لعلّه الخليفة .

وجعل المقطع السابع يدور حول فكرة الغيرة :

من قبل أن يولد في الكتب
وفي الروايات وفي الأشعار
عطيل كان كائنا موجود
تنهشه الغيرة يا وضاح

وفي المقطع الثامن نراه يكثف حالة الغيرة فيخصصها بالخليفة ـ السلطة :

عطيل في عمامة الخليفة
يواجه الجمهور
بسيفه المكسور

اما في المقطع التاسع فيعود مكررا فكرة المقطع الثاني :

لم أجد الخلاص في الحبّ ولكني وجدت الله .

ويختتم الشاعر القصيدة بمقطعها العاشر الذي يدور حول فكرة الموت اختياراً :

متُّ على سجادة العشق ولكن لم أمت بالسيف

مت بصندوق والقيت ببئر الليل
مختنقا مات معي السر ومولاتي على سريرها
تداعب الهرّة في براءة ، تطرز الاقمار
في بردة الظلام
تروى الى الخليفة
حكاية عن مدن السحر ، وعن كنوزها الدفينة
ويدرك الصباح ديدمونه .

انّ البياتي عندما اختار قناع وضاح اليمن لم يختره جزافا ، وانما اختاره عن وعي عامد فحين توحد بوضاح (وكلاهما شاعرٌ) أفاد من قضية ارتحاله من اليمن الى الشام ، ودخوله بيت الخليفة الوليد بن عبد الملك فائدة لايعرف استغلالها غير الشاعر الفنان . فوضاح اليمن يرمز عنده الى القصيدة التي تحمل فكرة الثورة على القيم المحنطة . ومثل هذه القصيدة لايمكن ان تكون غير قصيدة حب للناس ، لهذا كان وضاح رمزاً في ذات الوقت للحب الذي يقود الشاعر ليجد الله يقينا .

ان القصيدة ــ المنشور هذه تجد طريقها الى كلّ بيت ، حتى بيت السلطة ، وتمارس فعلها هناك كما تمارسه في أي مكان آخر ، وهي تصطدم بالحراس والعبيد ، والوشاة الذين زرعتهم السلطة عيوناً لها ، كما اصطدم بها وضاح من قبل . لهذا يحكم على القصيدة ــ المنشور بالموت خوفاً من افتضاح ماتحمله من سر قد يؤدي كشفه الى زعزعة السلطة ان لم يسقطها ... لهذا يحكم على القصيدة بالدفن ، على الرغم من انها غازلت السلطة مراراً . ويصبح غير المألوف مألوفا في حالة خطيرة مثل هذه ، اذ لايحكم على ديدمونة التي اتهمت بممارسة الحبّ زمناً بالموت ، وانما يحكم على من غازلها ، فتتحول الغيرة القاتلة في عطيل الى صالح ديدمونة :

عطيل كان قاتلاً سفّاح
لكن ديدمونة

في هذه المرة لن تموت

انت اذن تموت ؟

انت اذن تموت

والتعجب غير وارد هنا ، لأنّ غيرة عطيل تحولت الى خوف مما تمنحه القصيدة ــ المنشور من شمس ، وحقول قمح ، وقمر ، وربيع ، ونار ، وبذرة ولادة تفجر الارض خلقاً جديداً يهز القصور ، ويوقف زحف الظلام .

لقد اثبت البياتي هنا أنّ الشاعر الفنان يستطيع ان يمنح القناع فعلاً خلاقا يتبدى في الزاوية التي يقتنصها بذكاء وفطنة نادرتين ..

من كلّ ماتقدم نخلص إلى النتائج الآتية:

(١) انّ الشعر المعاصر، بوصفه وجهاً من أوجه الوجود قد تحمل مسؤوليته الاخلاقية في السمو بالروح الانسانية العربية من خلال استبطانه للحياة ، والتصاقه بها ماضياً ، وحاضراً ، فكان صهراً لما استمدهّ من تراث أمته، وأسلافه، وتفجراً تلقائياً من الداخل يعصمه ايقاع يضبط التشتت والانفراط .(٥٩)

(٢) وأنّ جوهر هذا الشعر يكمن في حركة تجديده، وقدرته على تجاوز حالات العقم في الفن ، وتقديمه تجربة خلاقة عن الحياة ــ الرؤيا التي تعيش في اعماق الشاعر، مستخدماً اساليب شتى، كان أبرزها اسلوب القناع .

(٣) واسلوب القناع يقوم على قيم هي من مكملات خصائص الشخصية الشعرية الفاعلة ثقافة، وفكراً، وفلسفة.

(٤) وتبين أنّ قصيدة القناع تطورت أصلاً عن قصيدة (التوحد) التي مارسها الشعراء التموزيون في الخمسينات ، وهي محصلة فنية لأثر إليوت في الشعر العربي المعاصر، واستخدامه لرموز العذاب والتضحية، وصولاً الى تحقيق حالة الانبعاث الحضاري .

(٥) انّ تجربة الشعراء في اسلوب القناع كان يقصد منها غاية واحدة، هي تشكيل رؤيتهم عن العالم والكون، والتعبير عما يعانونه من محن اجتماعية من خلال تقديم البطل النموذجي الذي يرونه قادراً على صياغة الفعل الخلاق في قضية خلاصهم الشخصي الذي هو خلاص العالم.

(٦) ولقد تبين أنّ تشكيلات القناع تنوعت تبعاً للزاوية التي عالج من خلالها الشاعر قضية التحديات التي تواجهها الحضارة العربية والمصير العربي، وهي رصيد لما كابدهُ في نهوضهِ من عتمة الذات إلى اشراقة اليقين في بشارة الانبعاث الجديد.



الهـوامش :

(*) « خمسة مداخل إلى النقد الأدبي » ترجمة وتقديم وتعليق : (د . عناد غزوان ، وجعفر صادق الخليلي) ، ٣٩ .

(١) أدونيس « أغاني مهيار الدمشقي » بيروت ، ١٩٧٠ ، طبعة ثانية .

(٢) كتبت مقدمة الغلاف خالدة سعيد ، وهي مؤرخة في ١٩٦١ ، بيروت ، ويبدو أنها مقدمة الطبعة الأولى التي ظهرت سنة ١٩٦١ .

(٣) عبدالوهاب البياتي « تجربتي الشعرية » بيروت ١٩٦٨ ،وقد الحق في« ديوان عبد الوهاب البياتي » الجزء الثاني ، دار العودة — بيروت ، ١٩٧٢ .

(٤) الحق بالمجلد الثالث من « ديوان صلاح عبد الصبور »دار العودة بيروت ١٩٧٧.وظهرت منه طبعة مستقلة بعنوان « حياتي في الشعر » دار اقرأ ، بيروت ١٩٨١ .

(٥) فاضل ثامر « وجه البياتي عبر قناع الخيام » مجلة الكلمة ، بغداد ١٩٦٩ ، وقد الحق بكتاب « معالم جديدة في ادبنا المعاصر » منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٥ .

(٦) احسان عباس « اتجاهات الشعر العربي المعاصر » ١٥٤ .

(٧) ميشال سليمان « السمو في الشعر» مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد العاشر ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٥ .

(٨) أدونيس « زمن الشعر » ١٧ .

(٩) نفسه ١٤٧ .

١٠) عبدالوهاب البياتي ، تجربتي الشعرية (ديوان عبدالوهاب البياتي) الجزء الثاني ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٣٥ .

١١) أدونيس « زمن الشعر » ٤٣ .

١٢) د. ميشال سليمان (السمو في الشعر) ٢٥ .

(١٣) ينظر ويلبرس . سكوت « خمسة مداخل إلى النقد الادبي » ٣٣٧ .

(١٤) ينظر : ميشال سليمان « السمو في الشعر» ٢٥ .

(١٥) أدونيس « زمن الشعر » ٤٠ .

(١٦) تجربتي الشعرية ، ٣٦ .

(١٧) ينظر نفسه ، ٣٦ — ٣٧ .

(١٨) د. احسان عباس « اتجاهات الشعر العربي المعاصر » ١٥٤ .

(١٩) صلاح عبدالصبور « حياتي في الشعر » ١٤١ .

(٢٠) سيجيء تفاصيل ذلك في المبحث الرابع .

(٢١) خالدة سعيد ، مقدمة غلاف « اغاني مهيار الدمشقي »

(٢٢) ينظر هامش (١) .

(٢٣) د. محسن اطيمش «دير الملاك » ١٠٤ .

(٢٤) عبدالوهاب البياتي « تجربتي الشعرية» ٣٨ .

(٢٥) خالد علي مصطفى « صوت الشاعر بين الماضي والحاضر » جريدة الثورة (البغدادية) العدد ٣٤٩٠ في ٢٥/ تشرين الثاني ١٩٧٩ .

(٢٦) ينظر للباحث « الاسطورة في شعر السياب» مبحث (التوحد) ١٢٧ .

(٢٧) بدر شاكر السياب « المسيح بعد الصلب » ص ٤٥٧ من ديوانه ، دار العودة ، بيروت ١٩٧١ .

(٢٨) ت . س. اليوت « مقالات في النقد الادبي » مقالة (اصوات الشعر الثلاثة) ترجمة لطيفة الزيات ٧٣ ، ٨٣ .

(٢٩) ينظر : فاضل ثامر «معالم جديدة في ادبنا المعاصر » ٢٦٦ .

(٣٠) ينظر : خالد علي مصطفى « صوت الشاعر بين الماضي والحاضر » جريدة الثورة (البغدادية) في ١٩٧٩/١١/٢٥ .

(٣١) م. أوفسيا نيكوف ، وز. سميرنوفا « موجز تاريخ النظريات الجمالية» تعريب باسم السقا . ٤٤٦ .

(٣٢) د. ميشال سليمان «السمو في الشعر » ٢٤ .

(٣٣) د. عناد غزوان ، مبحث « الشكل والمضمون في الشعر العربي المعاصر » في كتاب «الشعر والفكر المعاصر» منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ١٠ .

(٣٤) د. ميشال سليمان (السمو في الشعر) ، ٢٤ .

(٣٥) البياتي (تجربتي الشعرية) ٣٨ – ٣٩ .

(٣٦) من تشكيلات القناع عند خليل حاوي:

« وجود السندباد » و «السندباد في رحلته الثامنة » و «العازر عام ١٩٦٢» ينظر ديوانه، ١١٩ ، ٢٢٥ ، ٣٠٧ .

(٣٧) تقول ريتاعوض : « كان خليل حاوي من الشعراء الرواد الذين التزموا بقضايا الحضارة العربية ، وعاش مأساة الأنسان العربي الذي يعي حقيقة التحديات التي واجهتها حضارتنا» ينظر كتابها « اسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث » ١١٢ .

(٣٨) ديوان خليل حاوي ، ٢٢٥.

(٣٩) نفسه ٢٧٢ .

(٤٠) نفسه ٢٢٥ .

(٤١) من تشكيلات القناع عند عبدالصبور :
« مذكرات الملك عجيب بن الخصيب » و « مذكرات الصوفي بشر الحافي » كذلك تعد مسرحيته (مأساة الحلاج) من خير اقنعته في الدراما ، ينظر ديوانه (المجلد الأول ، والثاني) ٢٥٣، ٣٦١ ، ٤٤٥ .

(٤٢) الف ليلة وليلة – حكاية الليلة الخامسة عشرة ، ١ : ٦٩ ، وصلاح عبدالصبور – حياتي في الشعر ، ١٨٥ .

(٤٣) صلاح عبدالصبور – حياتي ، ١٨٥ .

(٤٤) نفسه ، ١٨٦ .

(٤٥) ينظر اوفسيانيكوف ، ٤٣٧ .

(٤٦) صلاح عبدالصبور – حياتي – ، ١٨٥ .

(٤٧) من تشكيلات القناع عند ادونيس :
« أغاني مهيار الدمشقي » بيروت ، طبعة ثانية ... والديوان برمته قصيدة قناع . عمد فيه إلى خلق شخصية جديدة تقمصت خواطره ، ومشاكله ، ونوازعه ، وجسدت حياته وتجربته . « الصقر » و « تحولات الصقر » في ديوانه « كتاب التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل » ٢٥–١٠٩ .

(٤٨) ينظر كتاب التحولات ، ١١٠ .

(٤٩) من شعر عبدالرحمن الداخل .

(٥٠) أدونيس – زمن الشعر ، ١٧٥ .

(٥١) نفسه ، ١٧٨ .

(٥٢) نفسه ، ١٣٦ .

(٥٣) نفسه ، ١٣٧ .

(٥٤) احسان عباس – اتجاهات ... ، ١٠٥ .

(٥٥) القناع عند البياتي يشمل شخصيات ، ومدناً ، وانهاراً ، فمن الشخصيات : الحلاج ، والمعري ، والخيام ، وديك الجن ، وطرفه ، وابو فراس ، والمتنبي ، والاسكندر المقدوني ، وجيفارا ، وهملت ، وبيكاسو ، وهمنجواي ، ومالك حداد ، وجواد سليم ، والبيركامي ، وناظم حكمت وعبدالله كوران ، وعائشة (حبيبة الخيام) ، ومحي الدين بن عربي ، ووضاح اليمن . ومن المدن : ارم ذات العماد ، وبابل ، ودمشق ، ونيسابور ، ومدريد ، وغرناطة ، وقرطبة وتهامة . ومن الثالث : الفرات ... الخ ينظر البياتي — تجربتي ، ٣٨ — ٣٩ .

(٥٦) ينظر البياتي — تجربتي ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٥٧) (وضاح اليمن) ديوان البياتي ، المجلد الثالث ، ٢٧ .

(٥٨) جاء في الأغاني ، ان « ام البنين (امرأة الوليد بن عبدالملك) عشقت وضاحا ، فكانت ترسل اليه فيدخل اليها ويقيم عندها ، فاذا خافت وارته في صندوق عندها واقفلت عليه. فأهدي للوليد جوهر له قيمة ، فأعجبه واستحسنه ، فدعا خادما له فبعث به معه إلى ام البنين... فدخل الخادم عليها فجأة ووضاح عندها ، فادخلته الصندوق وهو يرى ، فادى اليها رسالة الوليد ودفع اليها الجوهر ... فرجع إلى الوليد فاخبره ... ثم لبس (الوليد) نعليه ودخل على ام البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمشط وقد وصف له الخادم الصندوق الذي ادخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا ام البنين ... هبي لي صندوقاً من هذه الصناديق ، قالت: كلها لك ياأمير المؤمنين ، قال : ما اريدها كلها وانما اريد واحداً منها ، فقالت له : خذ ايها شئت ، قال: هذا الذي جلست عليه قالت : خذ غيره فأن لي فيه أشياء أحتاج اليها ، قال : ما اريد غيره ، قالت : خذه ياأمير المؤمنين . فدعا الخدم وأمرهم بحمله ، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه ، ثم دعا عبيداً له فأمرهم فحفروا بئرا في المجلس عميقة ، فنحي البساط وحفرت إلى الماء ، ثم دعا بالصندوق فقال : ياهذا انه بلغنا شيء ان كان حقا فقد كفناك ودفنا ذكرك وقطعنا اثرك إلى آخر الدهر ، وان كان باطلا فانا دفنا الخشب ، وما أهون ذلك ! ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الارض ورد البساط إلى حاله وجلس الوليد عليه . ثم مارئي بعد ذلك اليوم لوضاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم ... وما رأت ام البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرق الموت بينهما» الاغاني ٩ : ٢٢٥ طبعة دار الكتب .

(٥٩) ينظر رأي خليل حاوي في « مجلة الفكر العربي » العدد ، ١٤ ، السنة الثانية ، ٩١ .

مصادر ومراجع البحث

(١)

أدونيس (علي احمد سعيد) :

— «اغاني مهيار الدمشقي» مطبعة حايك وكمال ، طبعة ثانية ، بيروت، ١٩٧٠م .

— «كتاب التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل» دار العودة بيروت ، طبعة ثانية ، ١٩٧١م.

بدر شاكر السياب :

— ديوانه ، دار العودة، بيروت ، ١٩٧١م ، المجلد الأول .

خليل حاوي :

— ديوانه — دار العودة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م .

صلاح عبد الصبور :

— ديوانه ، دار العودة بيروت ، المجلد الاول والثاني ، ١٩٧٢م، المجلد الثالث ، ١٩٧٧م .

عبد الوهاب البياتي :

— ديوانه ، دار العودة بيروت ، جـ١ ، ١٩٧١ ، جـ٢ ، ١٩٧٢ ، جـ٣ (د.ت) .

(٢)

ابو الفرج الاصبهاني (الاغاني) طبعة دار الكتب المصرية ، ج٦ .

د. احسان عباس (اتجاهات الشعر العربي المعاصر) سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٧٨م .

أدونيس (زمن الشعر) الطبعة الثانية ، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.

«الف ليلة وليلة» منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (د، ت)

ت. س. اليوت «مقالات في النقد الادبي» ترجمة لطيفة الزيات، ، مكتبة الانجلو المصرية (د. ت) .

ريتا عوض «اسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى ، بيروت، ١٩٧٨م.
عبد الرضا علي «الاسطورة في شعر السياب» منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٨م.
عناد غزوان (وآخرون) — الشعر والفكر المعاصر ، منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٤م.
فاضل ثامر «معالم جديدة في ادبنا المعاصر» منشورات وزارة الاعلام، بغداد ، ١٩٧٥م.
م. اوفسيانيكوف ، وز . سمير نوفا «موجز تاريخ النظريات الجمالية» ترجمة باسم السقا ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٥م.
د. محسن اطيمش «دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر» منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ، ١٩٨٢م.
ويلبرس . سكوت (مصنف) — خمسة مداخل إلى النقد الادبي ، ترجمة وتقديم وتعليق د. عناد غزوان ، وجعفر صادق الخليلي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١م .

(٣)

خالد علي مصطفى (صوت الشاعر بين الماضي والحاضر) جريدة الثورة (البغدادية) العدد ٣٤٩٠ في ٢٥/ تشرين الثاني ١٩٧٩م .
خليل حاوي وآخرون « أزمة الايصال والدور الحضاري للشعر » ندوة مجلة «الفكر العربي» العدد الرابع عشر ، السنة الثانية ، بيروت، نيسان ، ١٩٨٠م .
د. ميشال سليمان «السمو في الشعر بوصفه مقولة جمالية» مجلة «الفكر العربي المعاصر» العدد العاشر ، بيروت ، ١٩٨٠م .

الفهرست

الموضوع ... الصفحة

الحس العربي
في أدب شوقـــي



د. عناد الكبيسي

الحس العربي
في أدب شوقـــــي

د. عناد الكبيسي

شوقي شاعر موهوب ،تعاطى اكثر فنون الأدب وارتفع بالاحداث الى مستوى الفن، وربما كان هذا من العوامل الهامة التي ارتفع بها إلى مصاف الشعراء الكبار، فاحدث خلخلة في كثير من المفاهيم التي كان يرزح تحتها الادب العربي في ظل انحسار الشخصية وقيود الصنعة والاضمحلال والادباء الكبار على مانعرفه في تاريخ أداب الامم يحدثون ضجة وحركة فكرية ونقدية تفضي إلى التغيير دائما، لافي عصرهم فحسب وانما في الاجيال اللاحقة، لما في أدبهم من سمات الخلود والحركة والأثارة، فضلاً عن ريادته لفنون جديدة في وقت كانت اللغة محصورة في زوايا ضيقة بعيدة عن الاستعمال الحديث ، والشعراء يرسفون في اغلال الصنعة . يقول شوقي عن شعراء جيله «اني قرعت ابواب الشعر وانا لا اعلم من حقيقته ما اعلمه اليوم، ولم أجد امامي غير دواوين للموتى لامظهر للشعر فيها، وقصائد للاحياء يحذون فيها حذو القدماء »(١) ولم يقف شوقي عند حركة التغيير هذه وانما نظر إلى التراث من زاويـة تختلف عن نظرة معاصرية ، ثم استوعب عصره، بعد ان استوعب تراث امته، وصار يعرض الماضي في صورته الزاهية والمؤثرة، وهكذا كان وجوده ضرورة اقتضتها ظروف النهضة الحديثة «انتظرت الامة العربية برهـة هذا الشعر النابغ وخروج هذا الشاعر، والاقوام كلهم أجمعون متطالون ، والاعناق مشرئبة، والعيون ناظرة شاخصة، والقلوب في الصدور راقصة، والدهر الذي ضن امس وجاء اليوم يبتسم» (٢)، ونظرة عجلى إلى جيل الشعراء الذين عاصروه اوسبقوه

(١) الدكتور محمد صبري – الشوقيات المجهولة – ص ١٩

(٢) أسعاف الناشيبي – العربية وشاعرها الأكبر – ص ٢٢.

في انحاء الوطن العربي تعطينا الدور الحقيقي الذي أداه هـذا الشاعر للعربية في لغتها ونهضتها الفكرية، مع ماترتب على هذا كله من دراسات أثيرت حوله وحول دوره، لم يثرها شاعر عربي أخر لا في مصر ولا في غيرمصر، تناولت آثاره بالنقد والتحليل ولنا أن نمعن النظر في المقالات التي كتبت حوله، والكتب التي الفت عن ادبه، لترينا الجوانب المتعددة التي تضمنتها هذه الدراسات على ان هناك جانبا آخر أحسب أن الذين اهتموا بآثار الرجل لم يولوه تلك العناية مع مالـه من اهمية واضحة في هذه الآثار، واعني بذلك دور الرجل في بث الشعور العربي وايجاد شعو عام بوحدة المصير، يتجلى ذلك في مجالات متعددة، لعل من ابرزها دوره في إحياء اللغة العربية وجعلها لغة تستوعب العصر وانتشالها من تلك الاطرر التقليدية التي كانت تئن تحت وطأتها حينما كانت مجرد مفردات جامدة ليس فيها غير تلك الاشكال الباهتة التي تستملح السجعة الملائمة والصناعة المتكافئة، وهو مع ثقافته الفرنسية، كان يرى أن العربية تستوعب الحياة لمرونتها والسمات الكامنة فيها، وأن القصور الذي يدعيه ولئك النفر ممن أخذوا بمظاهر الحضارة الغربية انما يعود إلى جهلهم بهذه اللغة وإلى اغيرهم ممن كانوا يجمدون عند القديم ولا يعيشون في عصرهم، يقول محمد كرد علي: ان شوقي اثبت في آثاره مدى اتساع اللسان العربي لكل المعاني والصور القديمة. وانه «بقصصه ومقاطعة وملاحمه اثبت ان اللسان العربي، بل الشعر العربي لايضيق ذرعا بكل المعاني والصور القديمة والحديثة وانه يصلح لأكبر الملاحم، صلاحه للابداع في البيتين والثلاثة»(١)، والشاعر هو الذي يمحض اللفظة الصور والمعاني من خلال استعمالها في مكانها المناسب، وهكذا رأينا شوقي يكثر إلى حد ما من استعمال الالفاظ التي ندر استعمالها في جيله أو بعد جيله بعد أن يكسبها ثوب الجدة والطرافة ليقدمها للناس في اطار لاينفر منها الطبع السليم. وشوقياته حافلة بمثل هذه الالفاظ، وقلما

---

(١) احمد عبيد – ذكرى الشاعرين – ص ٣١٧.

تخلو قصيدة منها، بحيث يصعب علينا الاحاطة بها، نجدها على سبيل المثال في هوامش الشوقيات ،واحسب انها كانت من الاسباب التي دعت البعض لان يصفه بالركض وراء القديم، وقد التفت إلى مثل هذه الظاهرة في ادب شوقي محمد حسين هيكل حينما قدم للشوقيات فقال : «ان لغة شوقي تعتمد على بعث القديم من الالفاظ التي نسيها الناس وصاروا لايحبونها لانهم لايألفونها، ولعل سر ذلك عند شوقي ان البعث وسيلة من وسائل التجديد، بل قد يكون البعث اكبر وسائل التجديد نتيجة مايوجد من ارباب اللغة ممن يضيفون على اللغة روحا جديدة تكفل حياتها »(١)، وهكذا نلاحظ في أثاره تأخي الالفاظ القديمة والحديثة بعد أن وضعت بطريقة انسيابية لاتنم عن نبو في الطبع اوسماجة في الذوق ،وعنده أن الاديب الجيد هو الذي يمنح الحياة لهذه الكلمة او تلك عن طريق مايبثه فيها من شحنات ، لتتداعى على اثرها الصور والمعاني، وهذا هو دوره ، فقد أحيا ماعتبره الاخرون في حكم الجثة الهامدة، واحيا الصور والمعاني التي نسيها الناس الناس أوكادوا ينسونها، ولانه بعد ذلك لم ينسلخ عن اسلافه فلديهم جوانب مشرقة في الفكر والفن والحضارة انقطعت الصلة بها بفعل ظروف القهر والتخلف وأن لها ان تعود مع النهضة الحديثة لانها تشكل حافزاً للتغيير. ومثله في هذا «مثل من ورث ثروة واحتفظ بها، بل نماها واضاف اليها تحليقات من سماواته، وليس من حق ناقد ان يطلب من شاعر الانفصال عن صورة اسلافه لانه يصبح كالمنبت لاظهراً ابقى ولا ارضاً قطع» (٢) وهكذا راح ، ومن خلال استيعابه للادب العربي القديم في عصور ازدهاره ، يعرض تلك النماذج الفذة في اسلوبها ومضامينها ليعطي صورة مغايرة لتلك التي يتعاطاها بعض من شعراء جيله او الاجيال التي سبقته، فهو قديم وجديد، قديم اذا نظرنا إلى الاشكال التي تعاطاها والجزالة التي جاء فيها شعره ،

---

(١) انظر مقدمة الشوقيات للدكتور محمد حسين هيكل .

(٢) ضيف شوقي شاعر العصر الحديث — ص ٤٧ .

وجديد اذا نظرنا إلى المضامين التي تضمنتها هذه الاشكال. وإلى الشخصية المميزة التي ظهر فيها شوقي ، لكاننا امام شاعر عباسي يعيش في العصر الحديث بكل ثقله وبكل تفرعاته.

واحسب ان معارضاته للشعراء العرب الكبار هي من هذا القبيل فهو لم يعارض لانه يريد ان يعارض او لكي يثبت للاخرين أنه لايقل عن هولاء الشعراء مكانة ، وانما اراد أن يعرض الشعر العربي حيث كان، من غير ان يتعاطى تلك المضامين السالفة ، وانما بث فيها الكثير مما في نفسه والكثير مما في عصره ، ولنا ان نعرّج على معارضته لسينية البحتري واولسها .

صنت نفسي عما يدنس نفسي
وترفعت عن جدا كل جبس (١)

لنرى كيف انطلق شوقي من خلال هذه القصيدة الى الروح الحقة التي عاشها العرب في التاريخ والى اعماق الزمن وكيف يعبث الدهر بالامم والشعوب حينما تستهين بمقوماتها والمصير الذي ينتظرها بعد ذلك ، فالقديم هو الذي أوحى له بهذه المعاني المتدفقة التي باتت تنهال عليه وهو يستعرض الحياة والوجود ، وهو على هذا الاساس لم يكن صورة مطابقة لما كان عليه البحتري ، وانما هو صورة لما كان عليه شوقي . قال

اختلاف النهار والليل ينسي
اذكرا لي الصبا وايام انسي(٢)

وقصيدته :

ياناثح الطلح اشباه عوادينا
نشجى لواديك ام تاسى لوادينا(٣)

(١) ديوان البحتري ص .
(٢) الشوقيات ج ٢ ص ٩٠
(٣) الشوقيات ج ٢ ص .

التي يعارض فيها ابن زيدون في .

اضحى التنائي بديلا مـــن تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافيـــنا

ليست غير صورة للألم الذي رافقه وهو يطرد من وطنه مرغما تحت ظل ظروف قاهرة ، فعبر عن المه هذا بهذه الصورة الحزينة التي وجدت في الشعر بعضا من السلوى يخفف من خلالها عن نفسه . ودخل في فلسفة الحياة والموت ، والوجود والعدم من خلال معارضته لسينية ابن سينا في النفس .

هبطت اليك مـن المحل الارفـــع
ورقاء ذات تذلـــل وتمنـــع

حيث قـــال :

ضمي قناعك ياسعاد او ارفعـــي
هذى المحاسن مـــا خلقن لبرقع

لكنه اراد بهذه المعارضات ان يرتفع بالشعر العربي ويبعثه من جديد بصورته القديمة حيث كان وبصورته الحديثة حيث ينبغي ان يكون .

لقد أحب شوقي العربية من خلال حبه للعروبة ، فكـان يرعاهـا ويتعهدها لافي ادبه على الصورة التي رايناها ، وانما في حياته الخاصة ، فحينما ذهب إلى فرنسا للدراسة كان يترأس جمعية التقدم المصري «وهي اسم لجمعية طلبة الحقوق في مدينة مونبلية من اعمال فرنسا ، وذلك لتقوية وتعضيد لغتنا الشريفة ، وانشأ لها فرعاً في باريس تحت رئاسة رب القريض واخو الادب سحبان الفصاحة والبلاغة أحمد أفندي شوقي المصري» (١) . وحينما نفي شوقي إلى الاندلس خاف على لغة أولاده من العجمة والضياع ،

---

(١) الشوقيات المجهولة ص ١٦ .

فكان يعطيهم بنفسه دروساً في العربية «كان ابي يعطيني بنفسه دروساً في اللغة العربية طوال مدة النفي ، كما كان يدرس اخوتي» (١) .

وكان من الطبيعي ان يجره حبه للعربية إلى حبه لتراثها وتقديس حضارتها ، فراح يعرض لجيله وللاجيال اللاحقة عصارة هذه الحضارة، حتى تكون عاملا هاماً للتغيير وحتى يهيئ الاذهان للوقوف عند هذا التراث، في وقت بدأت فيه الموجات الوافدة تحاول افراغ العروبة من محتواها، حينما بدأت تشكك في هذا التراث ، يقول الاستاذ هيكل ان شوقي كان يتعمد الرد على هؤلاء في لفظه ومعناه «وسبب ذلك مايراه من ضرورة مقاومة النزعة القائمة في نفوس كثيرة تصبو إلى نسيان ماخلف السلف من تراث والاخذ بكلماينبع به الحاضر من وراء الغروب» (٢) . فذهب يعني بهذا التراث ، فما يكاد ينتهي من عرض مشهد مشرق الا لينتهي إلى آخر ، وهو يؤكد في هذا كله دور هذا التراث في بناء الامة العربية ونشر رسالتها الانسانية ، وعنده ان الرسالة الاسلامية ليست في الاساس غير رسالة انسانية حملها نبي عربي بلغة عربية تولتها عناية الله فكان القرآن معجزة لها، ليحملها بعده رجال افذاذ استوعبوا هذه الرسالة وآمنوا بها ، وساروا على نهج نبيهم وليست هذه غير عاطفة مبكرة تفضي إلى ايمان عميق انعكس في ادبه منذ ان ظهرت بوادر شاعريته في العقد الاخير من القرن الماضي، نراها منبثة في ثنايا قصيدته الرائعة التي تتناول فيها كبار الحوادث في وادي النيل .

أشرق النور في العوالم لما ... بشرتها باحمد الأنبياء
باليتيم الامي والبشر المو ... حى اليه العلوم والاسماء
قوة الله ان تولت ضعيفاً ... تعبت في مراسه الاقوياء

(١) حسين شوقي – ابي شوقي – ص ٤٣ .

(٢) الشوقيات جـ ١ ص ٢٩ .

أشرف المرسلين آيته النطق مبينا وقومه الفصحاء

جاء للناس والسرائر فوضى لم يؤلف شتاتهن لواء

تلك آي الفرقان ارسلها الله ضياء يهدي به من يشاء

وحماها غر كرام أشداء على الخصم بينهم رحماء

ومن خلال هذه الدعوة الانسانية شهد العالم معنى الحق والحرية بعد أن اجتثوا جذور الفساد والغواية، ولاغرو في هذا فالعرب الذين حملوا هذه الراية كانوا اصحاب همة عالية لايعتريهم الغرور ولا يعرفون الطغيان مع انهم في عز سلطانهم

تشهد الصين والبحار وبغداد ومصر والغرب والحمراء

ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها فعلى الجهالة والضلال عفاء

حتى اذا فتحت لهم اطرافها لم يطغهم شرف ولا نعماء

وهو حتى في مثل هذا الموقف لاينسى ان يرد على الأعاجم الذين شوهوا حقيقة العرب وانسانيتهم : لقد كثر على هولاء ان يروا سكان الخيام وقد أصبحوا سادة العالم، ناسين الرسالة الانسانية التي أنقذتهم من الضياع :

أيرى العجم من بني الظل والماء عجيبا أن تنجب البيداء

وتثير الخيام آساد هيجا ترهب أسارها الهيجاء

وكان شوقي يستغل المناسبات وما اكثرها في شعره للاشادة بالاخلاق العربية، وعنده أن هذه الأخلاق منزلة، اختير لها العرب كما يكونوا هداة هذا العالم وقادته، بفضل ماتهيأ لهم من ايمان راسخ ونفسية سمحة تعلو على الصغائر والدنايا، قال وهو يرحب بهلال رمضان.

سرت الحضارة حقبة في ضوئه ومشى الزمان بنوره مختالا

وبنى له العرب الاجاود دولة كالشمس عرشا والنجوم رجالا

الله جل ثناؤه بلسانهم خلق البيان وعلم الامثالا

وتخير الاخلاق أحسنها لهم ومكارم الاخلاق منه تعالى

عدلوا فكانوا الغيث وقعا كلما ذهبوا يمينا في الورى وشمالا (١)

(١) الشوقيات ج١ ص ١٨٥ .

ويبدوا أن شاعرنا تفرغ وبكل ثقله حينما حل منفيا في بلاد الاندلس فردوس الشاعر المفقود ، لفنه ووضع حداً لكل مايتصل بالماضي وبدأ يعيش لقومه ولامته ، فما أن وطئت قدماه الارض حتى أباح لنفسه أن تظهر على حقيقتها في هذه البلاد ، ويقول : «فبلغت النفس بمرآه الأدب واكتحلت العين من ثراه بآثار العرب ، طليطلة تطل على جسرها البالي ، وأشبيليه تشبل على قصرها وقرطبة منتبذه ناحية بالبيعة الغراء ، وغرناطة بعيدة مزار الحمراء» (١) ، وهكذا عاش بروحه الحضارة العربية ، فما قدرت مناظر اسبانيا ومشاهدها على أن تشده اليها ، وقد وجدنا الشيء نفسه يوم أن كان طالبا في فرنسا ، فقد كان ، ورغم أنه يعيش في بيئة عصرية بعيداً عن أن ينغمس في مثل هذه المظاهر ، وانما بقي يعيش بروحه وبوجدانه الحياة العربية ، وان الادب الاوربي لم يؤثر عليه الا في الاخذ بالانموذج من غير أن يوغل الى اعماقه أوروحه فيستلها ليقلب موازينه بعد ذلك ، وحتى هذا الانموذج الجديد الذي تأثر به بقي يحوم في اطار البيئة الوطنية أوالعربية يقول الدكتور محمد صبري الذي عني بماضاع من آثار شوقي : « لوأن شوقي تشرب البيئة الاوربية وأدب الافرنج لعرف الفرق بين القديم والجديد في مذاهب الافرنج والعرب، ولما قال ان ابن خفاجه شاعر الطبيعة، وهو الذي كان يقول: ان جميع ليالي موسيه في ابن زيدون» (٢)، لقد استولى الادب العربي على كل تفكيره وبقي يحوم في ميدانه فلم تعد تشغله كل هذه الافاق الرحبه على ماسواها ، وربما يكون في هذا بعض القصور ، لكن نفسيته هي التي جبلته على هذه النظره فبقي يلح عليها في كل آثاره .

لقد وجد شوقي في بلاد الأندلس الفرصة مواتية لما يمكن ان يكون قد فاته في الوطن الام فأتاح لنفسه استيعاب الحضارة وتمثلها ليقدمها لامته

(١) ن — ب ج٢ ص ٤٤ .
(٢) الشوقيات الضائعة — ص ٢٩

بصورة مؤثرة وفعالة، «ولم يكن رهينا للهموم والاحزان في دارته بضاحية برشلونة، اغتنمها فرصة مناسبة ليجوس رحاب بلاد المجد المفقود ويعيش مع العرب الانماجد عبر صفحات التاريخ» (١).

ولم يقف الشاعر عند عرض نماذج من هذا التراث وانما أراد أن يستخلص منه مايمكن ان يغير هذا الواقع، وأتخذ من أعلام الامة في التاريخ نماذج حية ينبغي ان تتخذ مثالا يحتذبه في مثل هذا الواقط المرير، ومن هنا نراه يتخذ من التاريخ العربي موضوعا لمسرحياته يعرض فيها اخلاق العرب وقيمهم، حتى في مسرحياته العاطفية، فمسرحية مجنون ليلى على سبيل المثال مثل حي على غلبة القيم العربية على عاطفة يفترض فيها أن تكون مؤثرة. وهي عاطفة الحب، فليلى ترفض الزواج من قيس لالشيء الا لأنها اعتقدت أنه شهر بها وان الناس باتوا يتهامسون بحبها، ومن عادة العرب ان لاتتزوج الفتاة من رجل شاع الحب بينهما.

ومن سنة البيد نقص الأكف من العاشقين اذا شببوا

وهكذا نرى الشاعر، وطبقاً لهذه القيم واعتزازة، بها يرتفع فوق هذه المشاعر، مع أن أباها خيرها في الزواج ممن تحب لكنها ترفض ذلك فتقول لأبيها:

ولكن اترضى حجابي يزال وتمشي الظنون على سدله
ويمشي أبي فيفضي الجبين وينظر في الأرض من ذله
يداري لأجلي فضول الشيوخ ويقتلني الغم من أجله
فضحت به في شعاب الحجاز وفي حزن نجد وفي سهله (٢)

وهكذا يخضع الحب لمبادىء الأخلاق وسطوة التقاليد كما يقول الاستاذ مندور «واذا كان قد تحدث عن الغرام والجنون فانه لم يصوره

---

(١) احمد شوقي أمير الشعراء – ص ١٠ .
(٢) مجنون ليلى ص ٨٤ .

قط على نحو مافعله راسين به بل اخضعه في الغالب لمبادىء الاخلاق وسطوة التقاليد» (١).

وابطال اميرة الاندلس ، وهي الرواية النثرية الوحيدة، يمثلون الشمم العربي الذي لايعترف بالهوان تحت احلك الظروف، تدور حوادث هذه الرواية أيام ملوك الطوائف في اشبيلية، حيث الفرقة بين هؤلاء الامراء والمؤامرات التي تحاك فيما بينهم، كل واحد منهم يريد ان يسيطر على امارة غيره، وعدوهم من الاسبان له في كل يوم ضحية من هؤلاء، ولكنهم رغم هذه الفرقة يبقون محتفظين بكرامتهم كرجال، ففي مشهد من مشاهدها يتصرف ابن شالب اليهودي، وهو سفير للفونس ملك اسبانيا، تصرفا لايليق برجل يحترم نفسه، لالشيء الا لأنه يعرف جيداً ضعف الموقف العربي ممثلاً في المعتمد ابن عباد، فيستغل ابن شالب هذا الضعف ويتفوه بكلام يحط فيه من المعتمد ومن العرب ، لكن المعتمد لايعبأ بضعفه ولا بهذا اليهودي أو من يمثله، فيؤتى به أمام المعتمد، ويحاكم. فيصيبه الخور والضعف ويحاول ان يستغل نفسية العربي السمحة دون جدوى، ولا بأس من التعرف على شيء من ذلك لنعرف ان شوقي كان يتخذ من مواقف الضعف العربي قوة:

ابن شالب: الا تعفوا أيها الملك الكريم ، فهم يقولون ان العفو شيمتكم معشر العرب.

الملك: الا مامس الشرف والكرامة .

ابن شالب: أتقتلني من اجل كلمة تفوه بها لساني واعماني الغضب فلم أزنها ولم أقدر عواقبها؟

الملك: عجيب ياوزير الفونس أنت تزن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ثم لاتحسن أن تزن كلة خرجت من فيك.

(١) مسرحيات شوقي - مندور - ص ١٩ .

ابن شالب: اعف عني واستبقني أيها الملك وأنا اشتري منك حياتي بوزن جسمي ذهبا.

الملك: لا والله، ولا بثقله لآلىء ويواقيت، وأنا أعلم ان وراءك ملكا عظيما هو عبد المال، أما أنا ياأبن شالب فعبد الله.

ثم يلتفت الملك الى نبلاء الفونس الذين كانوا حاضرين لهذه المحاورة ويوجه الكلام لهم فيقول الملف: انقلوا ايها النبلاء الى الملك الفونس ماسمعتم، وتحدثوا في طول البلاد وعرضها ليعلم الناس ان الاسد العربي لايشتم في عرينه، وانه لو غلب على غابته حتى لم يبق له منها الاقاب شبر من الارض لما استطاعت قوى الانس والجن أن تنفذ الى كرامته من قاب هذا الشبر.

وبثينة بطلة الرواية وابنة الملك ترفض الزواج ممن تحب في ظل ظروف قاسية لانها تحس بالمصير المظلم الذي ينتظر مستقبل بلدها. «أهذا وقت التفكير في زواجي؟ ... مسكين أبي الملك لايدري من ابن يلتقي البلاء، المغاربة وسلطانهم ابن تاشفين يطلعون من البحر والاسبان وعاهلهم الفونس يزحفون من البر والملك بينهما كالصيد المطارد.

والعربي بطبيعته لاتلين عريكته أمام الحوادث وانما يقابلها بنفس منفتحة في زحمة أكثر الظروف قساوة، يدافع عن بلده مادام يملك القدوة على أن يدافع، فعلى لسان الجدة، أم الملك، ترد على بثينة فتقول:

الجدة: وأما ما ذكرت من اظلام الجو وجهامة الحوادث، فتلك حالة اختلفت علينا بها السنون حتى الفناها، وقد تصير إلى الأردأ والاسوأ، وقد يبعث الله برياح اللطف فتعصم السفينة من الصخرة وتقيها كارثة الاصطدام»(١)

ورغم ما يضمره ابن تاشفين من طمع لاحتلال مملكة ابن عباد الا أنه يستقبله في بيته، ويصبح ضيفا في بلاطه، وكان بامكان الملك أن يأخذ بنصيحة وزيره فيغدر بضيفه، لكن كرم اخلاقه يأبى عليه ذلك. كما ترفض

(١) انظر أميرة الأندلس ص ٩٠ .

أمه العجوز ذلك فتقول :

الجدة : ان الملك أعظم واكرم من أن يغدر ضيفه أو أن يخون جاره »

وهذه قيم يتحسسها شوقي من خلال ايمانه بالاخلاق العربية فاراد ان يبثها قومه وان يعودوا اليها ، من أن يتأثروا بهذه المظاهر المغرية التي جائتهم بها الحضارة الغربية ، ويرتفع شوقي إلى اكثر من هذا في الرواية نفسها ، فهوى يرى انه حينما لايكون أي خيار من الخضوع ، فالخضوع لعربي لا لاجنبي ، وعلى هذا الأساس فابن تاشفين خير من الفونس ، فعلى لسان الملك جاء :

الملك : سئلت مرة في مجلس الحكم ان كان لابد لي أن أخضع لسلطان أو أدين بالطاعة ناي الملكين أنضل ؟ رأي السلطانين أختار ؟ سلطان المغرب أم ملك الاسبان ؟ فاجبت أرعى الجمال عند أمير المسلمين ولا أرعى الخنازير لملك الأسبان .

وفي كثير من الأحيان تتحول هذه العواطف إلى احساس غامر بالألم وهو يرى هذا الضياع الذي يعيشه العرب في واقعهم ، والفرقة التي تأخذ بخياقهم حتى اسلمتهم إلى هجمة غربية تحاول أن تستل كل قيم العرب وحضارتهم ، لكنه أحس ان عليه دورا ينبغي أن يؤديه مادام يملك هذا التأثير المباشر في هز مشاعر الناس ، فاذا عجز عن الأثارة فلا أقل من أن ينبه او يحسس او يذكر . ولا أقل من أن يدعو قومه الذين دب الضعف بينهم حينما ابتعدوا عن الحق والجهاد وبعد أن ركبتهم الأهواء فراحوا يعيشون في كيانات هزيله يلفها التفكك وتقل فيها الثقة ، يعيشون في الماضي من هذا الماضي وسيلة تدفعهم إلى تغيير هذا الواقع المرير :

أدعوك عن قومي الضعاف لأزمة ... في مثلها يلقى عليك رجاء

ادرى رسول الله أن نفوسهم ... ركبت هواها والقلوب هواء

متفككون فما تضم نفوسهم ... ثقة ولا جمع القلوب صفاء

رقدوا وعزهم نعيم باطل ونعيم قوم في القيود بلاء (١)

وحينما يجد الشاعر نفسه في حالة يتعذر معها التغيير فلا يملك الا أن يستنجد ، وهذا كل مايقدر عليه في ظل اوضاع شاذة ، فقومه وصلوا إلى هذه الهوة بفعل ابتعادهم عن قيمهم التي خلفها لهم الاسلاف ، والعرب مادة الأسلام وفي القلب منه ،اذا عزوا عز الأسلام واذا ذلوا ذل المسلمون، فما الذي حول هذا المجد إلى مثل هذه الأوضاع المزرية ، ولماذا لايبنون لحاضرهم اذا كانوا لا يحافظون على هذا الماضي :

فقل لرسول اللّه ياخير مرسل ابثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها كاصحاب كهف في عميق سبات
وذلك ماضي مجدهم وفخارهم فما ضرهم لو يعملون لآتي
فقل ربّ وفق للعظائم أمتي وزين لها الأفعال والعزمات

ويبلغ الأنفعال حده عند الشاعر يصل إلى حد الألم والبكاء وبخاصة وهو يرى المجد الذي هوى في الأندلس والمدن ذات التاريخ العريق وقد تحولت إلى خرائب توشك ان تندثر . كانت في يوم من الأيام حضارة الأجيال وموئل الحضارة ، ولعل سينيته الرائعة تعبر تعبيرا حيا عن شعور الرجل ومدى حبه للعروبة ، حتى لقد هاجت نفسه وراح الكلام ينثال عليه بكل هذه الانسيابية الرائعة :

لم يرعني سوى ثرى قرطبي لمست فيه عبرة الدهر خمس
قرية لاتعد في الارض كانت تمسك الأرض أن تميد وترسي
ركب الدهر خاطري في ثراها فأتى ذلك الحمى بعد حدس
فتجلت لي القصور ومن فيها من العز في منازل تعسى
ما ضفت قط في الملوك على نذ ل المعالي ولا تروت بنجس (٢)

ومما يلفت النظر حقا اعجابه بني بتاريخ أمية. واطراؤه لاعمالهم باعتبارهم

(١) الشوقيات ج ١ ص ٤١ .
(٢) الشوقيات ج ٢ ص ٤٩ .

يمثلون العروبة وقيمها في جميع اعمالهم ، يكرر هذا في جميع قصائده التي تتناول العرب ودورهم في التاريخ ، فهم الذين وسعوا رقعة الدولة العربية واتجه حكمهم غربا وشرقا في وقت كان الغربيون يغطون في جهلهم، ونونيته في دمشق تمثيل حي لما ذهبنا اليه :

بنوا أمية للانباء ما فتحوا ... وللاحاديث ماسادوا وما دانوا (١)
كانوا ملوكا سرير الشرق تحتهم ... فهل سالت سرير الغرب ماكانوا
بالأمس قمت على الزهراء اندبهم ... واليوم دمعي على الفيحاء هتان

ولم يقف شوقي عند حدود تجسيد الألم : حيث كان يبكي غيره المجد المفقود فحسب ، وانما كان يرد بعنف على اولئك الذين يقفون متباهين بماضي الأمة وامجادها فحسب وانما راح يحث على الثورة لكي يكونوا في مستوى الأحداث وفي مستوى الأجداد ، ينبغي أن نضع حدا ل (كنا) وان نتحدث بضمير الجمع في هذه الأيام .

قد أنى أن نقول نحن ولانسمع أبناءنا يقولون كنا
دان آباؤنا الزمان مليا ... ومليا لحادث الدهر دنا (٢)

ولهذا راح يختار لمآسيه ابطالا من التاريخ العربي الذي لايعترفون بالهزيمة في احلك الظروف وهذا ما رأيناه في أميرة الأندلس حيث « كان يهدف إلى أن يظهر البطولة وسط تلك الكوارث » (٣) ، ويذكر الأستاذ شوقي ضيف أن أحمد شوقي حينما كان يتنقل في مدن اسبانيا كان «يرى مجد العرب في قرطبة واشبيلية وغرناطة وذهب يبكيهم ويبكي نفسه ، ووقف بتأسى على خروج العرب من الأندلس ويذكرهم دخولهم وكيف جاءوا في سفن كأنها الأرائك ، ثم خرجوا في سفن كانها اللحود » (٤)

---

(١) الشوقيات ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٢) الشوقيات ج ٤ ص ٢١ .
(٣) مندور ص ٣٣ .
(٤) شوقي ضيف ص ٣٤

لكأنه بهذا يشبه الليلة بالبارحة ، بين كارثة العرب في الأندلس وقد تحولوا إلى دويلات متأخرة همها حب السلطة ، وبين واقع أمته بعد الحرب الأولى يوم أن تحولت إلى دويلات لاصلة بينها بفعل عوامل خارجية الفوهاولم يعودوا ينظرون إلى حاضرهم ومستقبلهم ، وأحسب أن مثل هذا الشعور انما يمثل الزيادة الحقيقية التي هيأت الأذهان لظهور أفكار قومية سياسية تتخذ الوحدة وسيلة إلى لمّ شعث العرب من أن ينحدروا هذا الانحدار ، وشوقي بهذا نما يمثل قمة الشعور بالمسؤولية وقمة الشعور بالمأساة ، وهذا ما رأيناه في قصائد كثيرة كان يتابع من خلالها احداث الوطن العربي قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها ، ولم يكتف بذكر هذه الأحداث وانما عبر عن رأي الشعب العربي فيها ، وهي احداث خطيرة تمس كيان الأمة ووجودها واستقلالها دون أن يراعي السياسة الرسمية وانما كان على صلة بالثورة العربية التي تقوم في هذا القطر او ذاك ، يحذر من مكامن الخطر ويطرى الثوار ويحمس الجماهير للقيام بالثورة على هذا الواقع الفاسد ، فهو على سبيل المثال وحينما قام الملك حسين ابان الحرب الكبرى بوجه الغربيين الذين نكثوا بعهودهم وخلقوا كيانات تابعة لهم . وقف شوقي يطرى الملك حسين ويعرى نوايا المستعمرين وراح يدعو الى توحيد العرب ، يقول :

كره الدهر أن يقوم لواء	تحشر البيد تحته والعمائم
قم تحدث أبا علي الينا	كيف غامرت في جوار الاراقم
قد بعثت القضية اليوم فينا	رب عظم أتى الأمور العظائم
انما الهمة البعيدة غرس	متأتي الجنى بطيء الكمائم
حبذا مرتقى غلبت عليه	لم يقفه للعرب قبلك خادم
ذائدا عن ممالك وشعوب	نقلت في الأكف نقل الدراهم(١)

وحينما ضرب الأسطول الأيطالي مدينة بيروت راح يهز المشاعر من هذا الحادث الجلل ويثير الناس للوقوف أمام هذا الطغيان ، كما راح يتهكم

(١) الشرقيات ج ٢ ص ١٥٠ .

من هؤلاء الذين وقفوا يتفرجون على المدافع وهي تدك مدينة بيروت :

بيروت مات الأسد حتف أنوفهم ... لم يشهروا سيفا ولم يحموك

يا مضرب الخيم المنيفة للقرى ... ما أنصف العجم الألى ضربوك

ما كنت يوما للقنابل موضعا ... ولو أنها من عسجد مسبوك(١)

وحينما قصف الفرنسيون مدينة دمشق قام يعبر عن رأيه في حفل كبير أقيم في القاهرة دفاعا عن سوريا بقصيدة حماسية كان لها وقعها في الحاضرين، فضلا عن آثارها البعيدة في البلاد السورية :

لحاها الله أنباء توالت ... على سمع الولي بما يشق

يفصلها إلى الدنيا بريد ... ويحملها إلى الآفاق برق

تكاد لروعة الأحداث فيها ... تخال من الخرافة وهي صدق

وقيل معالم التاريخ دكت ... وقيل اصابها تلف وحرق

رياع الخلد ويحك مادهاها ... احق أنها درست ؟ احق ؟

ولاينسى ان يعرج بعد ذلك على الاستعمار الفرنسي وغطرسته وما أحدث من دمار في هذه المدينة العربية فوصفهم بالغرور والتعالي والحمق، من غير أن ينسى الثوار وما بذلوا من دماء في سبيل الحرية ، باسلوب فني رائع يدخل الى اعماق النفس الانسانية .

وللمستعمرين وان ألانوا ... قلوب كالحجارة لاترق

دم الثوار تعرفه فرنسا ... وتعرف أنه نور وحق

بلاد مات فتيتها لتحيا ... وزالوا دون قومهم ليبقوا

وهي قصيدة رائعة في الحث على الثورة ، وقريب منها نونيته المعروفه والتي مطلعها :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا ... مشت على الرسم أحداث وأزمان

وهي قصيدة تتخذ من الماضي وسيلة الى الحاضر . ليضع بعد ذلك دعائم

---

(١) ن - ت ج ١ ص ١٦٢ .

لهذا الحاضر تقوم عليه الدول الحديثة حيث العلم والمعرفة وحب الوطن .

الملك تحت لسان حوله أدب   وتحت عقل جبينه عرفان
الملك أن تتلافوا في هوى وطن   تعرفت فيه اديان واجناس

لقد كان لهاتين القصيدتين تأثير رائع لايقل عن تأثير سينيته في الاندلس حتى ان الامير مصطفى الشهابي وصف شوقي في خلالهما بأنه صاحب النزعة العربية يقول عن النونية «فقد تناولت تلك الدرة وصف دمشق وجناتها والاشادة بالامويين وملكهم العظيم ، وذكرت اهل الشام بانهم احفاد غسان وعبد شمس ، وحثهم على اعادة الملك وا وضحت لهم السبل التي تؤدى بهم الى هذه الغاية ، ولولم يكن للفقيد سوى هذه القصيرة في منازعنا القومية لكانت وحدها منة له في اعناقنا تدوم مادام في بلاد الشام ناطق بالضاد» (١) . ويثور الرجل ويحرص على الثورة حينما يسمع بالطريقة التي عامل بها الايطاليون الثائر العربي عمر المختار وما أشيع حول الطريقة التي أعدم فيها ، فكانت قصيدته في هذا المجال مثالا حيا للادب الثوري الذي يلهب الحماس ويثير النفوس :

ركزوا رفاتك في الرمال لواءا   يستنهض الوادى صباح مساء

ومنها :

جرح يصيح على المدى وضحية   تتلمس الحرية الحمراء

والشهيد وهو من عامة الناس ، رجل بسيط ماكان يبحث عن جاه أو ثراء ، وانما هو ثائر آثر الشهادة والجهاد في سبيل امته وشعبه ، وعدته الايمان بلد الة قضيته ، فكان جزاؤه هذه المعاملة اللاأخلاقية التي لاتليق بشعب متحضر . ومع هذا فقد بقي الثائر محافظاً عل رباطة جأشه بوجه مشرق يتحدى الموت :

---

(١) ج ٢ ص ١٠٢ .

وافاه مرفوع الجبين كأنه سقراط جر الى القضاء رداءا
شيخ تمالك سنه لم ينفجر كالطفل من خوف العقاب بكاءا

ولكي يجسم الشاعر صورة العذاب الذي لقيه الشيخ، راح يصوره بالأسد الذي قيد بالحديد دون ان يتخاذل. كما راح يصف القيود في رجليه وكيف تركت أثرها في ساقيه وهو شيخ هرم تجاوز التسعين:

وأتى الأسير يجر ثقل حديده أسد يجرز حية رقطاء!
عضت بساقيه القيود فلم تبوء ومشت بهيكله السنون فناءا
تسعون لو ركبت مناكب شاهق لترجلت هضباته اعياءا

ولنا بعد ذلك ان نتصور الأثر الذي يمكن ان تتركة مثل هذه القصائد في الوطن العربي وما يمكن أن تعمله في ايقاظ المشاعر والعواطف للثورة على هذا الاجنبي الدخيل ومن يسير ركابه.

واحسب ان الثورات المختلفة والانتفاضات المتلاحقة في الوطن العربي انما كانت ثمرة من ثمرات هؤلاء الادباء الذين استوعبوا مايخالج الشعب العربي ويلهب ظهور المحتلين. يقول الاستاذ العريان عن دور شوقي في هذا المجال« مايلفظ من قول الا تقفته الالاف من الالاف من أبناء الامة العربية، وانه لسانها المعبر عن كل مايلم بها محن الاحداث وما يهمس في ضميرها من الأماني. لقد أختار شوقي أن يكون لسان هذه الأمة فيما تحب وتكره وفيما تأمل وتحذر وفيما تفعل فيه من عواطف او ذكريات وحوادث فلم تلبث الامة أن رأت فيه شاعرها» (١) .

وشوقي بعد هذا كله رائد من رواد الوحدة العربية كان يعي مدى الخسارة الفادحة التي تصيب الامة جراء التجزئة التي تضرب باعماقها. يغذيها اجنبي دخيل يريد ان يستل روح الامة ووجودها، وسلطة القت هذه الفرقة وابرزتها كضرورة ملحة ، لانها كانت ترى في الوحدة العربية

(١) انظر مقدمة الجزء ١/ الرابع ص ٣

قضاء على أحلامها وهكذا وضع شوقي نفسه في وسط النضال وفي دائرته ليهيء النفوس لتقبل مثل هذا الشعور المشترك، مبتدء باللغة حيث رأينا، وملاحقاً لاحداث الوطن وعارضا لتراث الاجداد في ازهى عصوره، وليست العروبة الا وطنا واحدا.

يجاملك العرب النازحــون وما العربية الا وطــن (١)

كما أن مصر ليست الاجزء من هذا الوطن لغتها لغتهم ، وليس الشرق الا منزلا واحدا وان بدت اصقاعه متباعدة والا فان آماله والامة مشتركة ، قال في رثاء المويلحي :

ابن مصر وانما كل أرض ـ تنطلق الضاد مهده ورباعه
انما الشرق منزل لم يفرق أهله ان تفرقت اصقاعه
وطن واحد على الشمس والفصحى وفي الدم والجراح اجتماعه

ويقول :

ونحن في الشرق والفصحى بنورهم ونحن في الجرح والالام اخوان

وربما نلاحظ مسحة من الأسى حينما لايجد استجابه لما كان يدعو اليه ، لكأن الناس نيام لايدرون ماذا يخبأ لهم في مثل هذه الفرقة .

نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا في الهم شرق
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق

وينقل الاستاذ فوزى عطيوى صاحب كتاب أحمد شوقي أمير الشعراء قصيدته النونية التي ينفرد بها والتي تعبر في الواقع عن الرجل واحساسه في هذا المجال ، وكلها مشاعر طافحة الايمان بالوحدة العربية وبمصيرها الواحد وعنده أن الواقع الذي يعيشه العرب هو واقع متماثل ،يكبله الاجنبي بقيود من حديد ، ينبغي أن تتوحد لكي تقضي عليها ، وان الجرح الذي يضيب العراق انما يصيب الاجزاء الاخرى ، واعتقد أن مثل هذه المشاعر

(١) ج ٣ ص ١٦٩ .

الرائدة انما جاءت في حينها وانها كانت ارهاصا لكثير من الحركات السياسية التي ظهرت بصورة اوضح بعد نكبة فلسطين . يقول

رب جار تلفتت مصر تو ليه سؤال الكريم عن جيرانه
كان شعرى الغناء في فرح للشر ق وكان العزاء في أحزانه
كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه
وعلينا كما عليكم حديد تتنزى الليوث في قضبانه
نحن في الفكر بالديار سواء كلنا مشفق على أوطانه (١)

والذي كان يزيد من اهمية هذه الاراء ان صاحبها احمد شوقي وان كلامه كان يؤخذ باهتمام ، حتى ان الصحافة العربية كانت تتبارى بالحصول على ادبه ونشره، وعن طريق هذه الصحافة كان يصل أدبه الى كل صقع من أصقاع العروبة، يخاطب به الجماهير العربية التي كانت ترى فيه تعبيراً حيا عن كثير مما يتصل بحياتها. يقول شوقي ضيف «ونظرت في موشر مهم أثر في شعر شوقي وفي صناعته، اذ اخذ يخاطب الجماهير عن طريق الصحف اليومية والاسبوعية فاتسع النداء عنده، وقد وضع نصب عينيه ارضاء الجماهير بمدائحه وتسبب ان ذلك باستشعار عواطف وطنية او عربية» (٢) وقد ارتفع الشاعر فوق الامراض الاجتماعية ووعاها واعتبر العروبة موئلا يسمو على كل هذه الحزازات التي تودى بالروح القومية وتجعل ابناء الشعب الواحد يتلهون بامور جانبية لاتخدم المصلحة العربية العليا فاراد ان يرتفع فوق هذه المذاهب والاديان التي يعج بها الوطن العربي، واعتبر العروبة الرابطة التي يمكن ان تستوعب كل من ينضوي تحتها بصرف النظر عن الاختلافات ، ولهذا رأينا المرحوم طه حسين يغير رأيه في شوقي، ويراه شاعر العروبة المؤمن بها والمدافع عنها، يقول « وأما العروبة فشوقي شاعرها ورسولها والمؤمن بها ايمانا عميقاً ، حتى لتهزه كل نكبة تصيب قطرا

(١) فوري عطيوى ص ٢٨ .
(٢) شوقي ضيف ص ٦

عربيا، ويؤثر فيه كل مجد يرى فيه موضعاً للفخار» (١)، وأظن ان شوقي أول من استعمل لفظة الوطن العربي في أدبه، فقد جاء في بيت من قصيدته التي يرثي فيها نجل امام اليمن قوله:

يجاملك العرب النازحون   وما العربية الا وطن

وقوله:

وطن واحد على الشمس والفصحى.

وينقل الاستاذ فوزي عطوي الذي جمع قصائد شوقي ومقالاته التي لم تنشر، ومنها نصيحته للشعراء العرب، جاء فيها «ومما تقدم جميعه انني أرى للمشتغلين بالشعر من أبناء الوطن العربي ان يجمعوا في مسيرهم على الدرب بين ازواد ثلاثة لاوصول بدونها» (٢).

ويصل شوقي القمة في شعوره العربي من خلال مسرحيته الرائعة عنترة، فقد استطاع ان يوظف البطولة النادرة في هذه الاسطورة التراثية للارتفاع فوق حالة التداعي التي وصل اليها العرب بعد الحرب الاولى، وان يأخذ درسا من التاريخ العربي، يوم ان كان العرب على شكل قبائل متناحرة تعصف بها الاهواء ويستغلها الاجنبي. بعضها مع الرأوم وبعضها مع الفرس، ففي مشهد من مشاهدها يضطر عنترة لان يستولي على الاموال التي يجمعها بعض العرب على شكل أتاوات لكسرى ملك الفرس مقابل اطلاق هذا النفر في قومه وسلبه لامواله وعزتهم. يترصد عنترة لهولاء في الطريق بعد أن أثير من حراس هذه القافلة، فيقتل منهم من يقتل ويأسر من يأسر ثم يستولي على الاموال، وبين هؤلاء امرأة عجوز تندب حظ ابنها العاثر الذي وقع بين هؤلاء الأسرى. اعتقد أنه من الضروري ان تتعرف على شيء من هذا المشهد لتعطي الرجل دوره في هذا المجال:

(١) فوزي عطيوى ص ١٥٨ .

(٢) فوزي عطيوى ص ١٨٧ .

العجوز: عشرون من بواسل الفرسان تحت لواء ولدى سرحان
عبلة: اذن سرحان في القتلى لك الرحمن من ثكلى

من المغير؟

العجوز: عصبة

عبلة: من الزعيم؟

العجوز عنترة

عبلة: عنترة يفعل أفعال اللصوص الفجرة
العجوز: لايا ابنتي ظلمته عنترة لم يبتدي
عبلة: من بعث الحرب اذن ومن جناها

العجوز ولدي

وتشرح المرأة العجوز كيف أنهم كانوا يسيرون بالاموال التي جمعوها من فقراء العرب بغية ايصالها الى كسرى.

العجوز: وكنا نيمم أرض العراق لنجتازها
عبلة نحو كسرى ؟
العجوز أجل
عبلة (غاضبة)

لتعطوا الرشا وتنالوا المنى ويمنح سرحان بعض العمل

ويسترسل الشاعر في هذا المجال على لسان عبلة فيعرى اوضاع الوطن العربي من خلال استغلاله لمثل هذه المواقف في التاريخ، فكسرى يفرق بين العرب ويستغل بعض القبائل ليحكّمها في غيرها، وهذه بدورها تصبح سيفاً يبتز اموال الضعفاء وهم يهيمون في البراري والقفار لاوطن يجمعهم، رعاع همل لاتجمعهم دولة ولا ينظمهم عرف فلا غرو ان يكونوا تحت رحمة هذا الغريب الذي يسلبهم حقهم في الحياة، والقول هاهنا مايزال على لسان عبلة في سرحان رئيس القافلة:

ويحكم في البيد باسم الهمام — وتحت ظبى فارس والأسل
ذليل بباب أونو شروان — وعند الخيام العزيز البطل
إلى كم تهيمون تحت النجوم — وتفترقون افتراق السبل
فنصف قطاع رعتها الذئاب — ونصف على البيد فوضى همل
وليس لكم دولة في الوجود — وتسحبكم كالذيول الدول
ألم على حوضكم قيصر — وكسرى على جانبيه نزل
هم الأمراء وقد يرتدون — بباب الأعاجم ذل النذل(١)

هذه اللهجة الثائرة والممعنة في التقريع فيها مرارة دخل الشاعر من خلالها لتعرية الواقع العربي ، الا أنه لم يكتف بذلك وانما نراه يبحث عن البديل ، وهذا البديل جاء على لسان عامة الناس حينما أحسوا أنهم على هذه الطريقة ضائعون ،فلا بد من أن يبحثوا عن زعيم ينضوون تحت لوائه خشية الزوال والاندثار، وعبلة هي التي ترشدهم إلى ذلك بعد أن تعرفهم باطماع الفرس والروم .

الفرس والروم استبدوا — قواما قومنا واستعبدوا
صوت : عبلة تنطق الذهب — لوكنت تعقل الخطب
صوت : وما الذي ترمي له
عبلة — أرمي لتحرير العرب (٢)
ألا بطل نلتقي حوله — كاسرال حول لواء الرسل

وبعد جدال بين عبلة والحاضرين تقترح أن يكون هذا الزعيم هو عنترة لما يتحلّى به من قيم الفروسية والرجولة ، وهذا هو الزعيم الذي يريده شوقي

(١) مسرحية عنترة ص ٧٦ .
(٢) انظر مسرحية عنترة ص ٧٧ .

لامته ، وأعتقد أن ماعرفناه على قلته يكفي لان نقول: ان شوقي شاعر عربي استوعب الظروف العامة التي كان العرب يحيونها، وبعثها فيهم صيحة للتمرد على واقعهم،فكان بحق رائداً من رواد العروبة في عصرها الحديث فضلا عن ريادته لفنون ادبية أخرى خدم بها لغة الضاد .



المراجــــع

١ ــ احمد شوقي الشوقيات طبعة بيروت بلا تاريخ .

٢ ــ احمد شوقي أميرة الاندلس طبعة بيروت بلا تاريخ .

٣ ــ احمد شوقي مسرحية مجنون ليلى مصر بلا تاريخ .

٤ ــ احمد شوقي عنترة بيروت بلا تاريخ .

٥ــ د.عمر الدسوقي في الادب العربي الحديث بيروت بلا تاريخ .

٦ ــ د. محمد صبري الشوقيات المجهولة مصر سنة ١٩٦١م.

٧ ــ د. ماهر حسن فهمي ــ شوقي شعره الاسلامي ٢٧ سنة ١٩٥٣م مصر .

٨ ــ د. محمد مندور ــ مسرحيات شوقي ٣٧ مصر سنة ١٩٥٤م.

٩ ــ حسين شوقي ــ أبي شوقي ــ مصر سنة ١٩٤٧م

١٠ ــ اسعاف النشاشيبي ــ العربية وشاعرها الأكبر احمد شوقي مصر. سنة ١٩٢٨م.

١١ ــ شوقي ضيف ــ شوقي شاعر العصر الحديث ــ ط٢ مصر سنة ١٩٥٢م.

١٢ ــ أحمد عبيد ــ ذكرى الشاعرين ــ دمشق سنة ١٣٥١هـ .

١٣ ــ فوزي عطيوي ــ احمد شوقي أمير الشعراء ــ بيروت سنة ١٩٦٩م.

اخطاء القياس من الخرائط

الدكتور : ابراهيم محمد حسون القصاب
استاذ مساعد / جامعة الموصل

اخطاء القياس من الخرائط

الدكتور: ابراهيم محمد حسون القصاب
استاذ مساعد/ جامعة الموصل

١ ـ المقدمـة

في العديد من الحالات والابحاث يلجأ الباحثون الى استخدام الخرائط وخصوصا الطبوغرافية منها كوسيلة رئيسية لقياس ابعاد الظواهر ولا سيما الطبيعية منها (١) فالخارطة ذات المقياس الكبير من اصلح الوسائل للقياس لانها تمثل اجزاء صغيرة من سطح الارض. فهي افضل بكثير من استخدام الصور الجوية ، لان الصور الجوية غالبا ماتكون مشوهة فلا يمكن ابداً ضمان كون الصورة الجوية عمودية حقاً (٢) . او بتعبير أخر لايمكن ابداً الحصول على ابعـاد صحيحة مباشرة من غير تعديل ميل وتشويه الصورة الجوية .

٢ ـ اخطاء القياس

على الرغم من مميزات القياس من الخرائط الا ان هذه القياسات تظهر مختلفة مع الابعاد على الطبيعة بنسب مختلفة وهذا الاختلاف يعود الى الأخطاء في القياس ويمكن ان تصنف هذه الاخطاء الى صنفين بحسب مسبباتها :

أ ـ اخطاء بسبب كيفية القياس او مايطلق عليه اصطلاحاً بالاخطاء الخارجية .

ب ـ الأخطاء التي تحدث بسبب مادة الخارطة وتصميمها والتعميم وهذا مايصطلح عليه بالاخطاء الداخلية .

---

(١) انظر مثلا : ـ حسن رمضان سلامة : التحليل الجيمورفولوجي للخصائص المورفولوجية
(٢) للاحواض المائية في الأردن . مجلة دراسات المجلد السابع حزيران ١٩٨٠ ص ٩٩ .
2. G. Dickinson. Maps and air photographs London.1976p. 259

أ ـ الاخطاء الخارجية :

ان هذه الاخطاء تتم بمعزل عن طبيعة الخارطة اى بسبب ادوات القياس ودقة هذه الادوات وطريقة استخدامها حيث يتم استعمال ادوات متعددة للقياس وهي :

١ ــ المسطرة : يتم القياس باستخدام المسطرة في حالات الابعاد المستقيمة .

٢ ــ الخيط : يستخدم الخيط في حالة كون الظواهر المطلوب قياسها ذات تعرجات فيتم مد الخيط على طول الظاهرة ومن ثم شدة وقياس طوله ومن النادر جداً ان يتمكن الباحث من تثبيت الخيط بصورة دقيقة .

٣ ــ المقسم : وهو عبارة عن فرجال ذو راسين مدببين حيث يتم فتحه بطول معين ويتم نقله على طول الظاهرة وتحسب الابعاد بضرب عدد مرات الانتقال في طول فتحه المقسم .

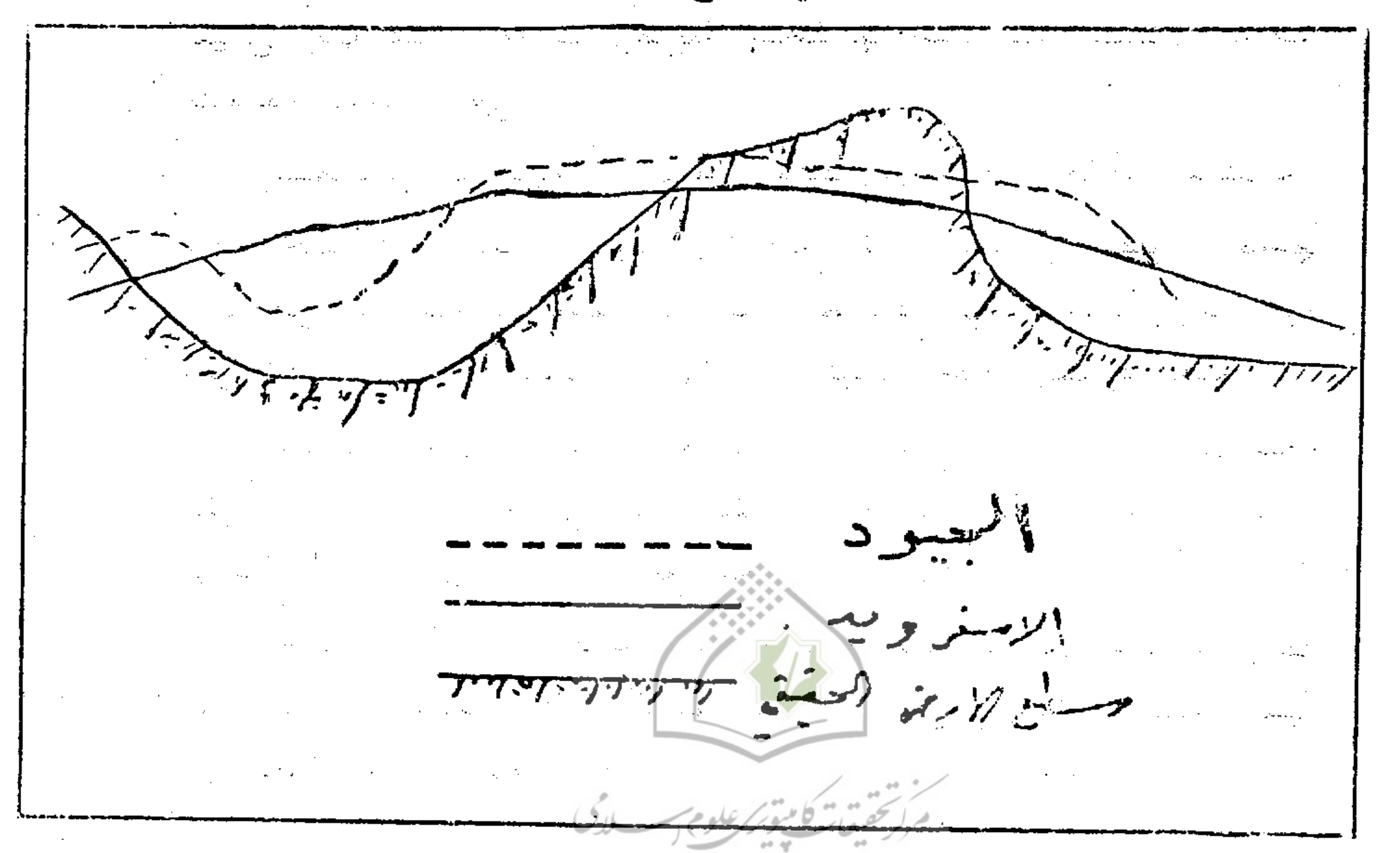
٤ ــ عجلة القياس : تستخدم هذه العجلة لقياس الابعاد المتعرجة وذلك بتسييرها فوق المسافات المراد قياسها بعد التأكد من ان عقرب القياس يشير الى الصفر ويتم القياس على اساس ان مقياس الخارطة $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠}$ او $\frac{١}{٦٣٣٦٠}$ لتصلح للقياس المتري او الانكليزي في ان واحد واذا ما اختلف مقياس الخارطة فلا بد من اجراء عمليات حسابية بسيطة لتصحيح القياس.

ب ـ الاخطاء الداخليـة :

ان الاخطاء الداخلية اشد خطراً من الاخطاء السابقة فلايمكن للمبتدئين اكتشافها وذلك لصعوبة ادراكها وهذه الاخطاء هي :

١ ــ خطأ القياس بسبب انحدار الارض : ــ ينتج هذا الخطأ بسبب ان القياسات تتم على اساس البعد الافقي للارض المتساوى الجاذبية ، اي

السطح الوهمي الناتج عن متوسط منسوب المياه في البحار (الأسفرويد)(١) (شكل ١) بدلاً من البعد الحقيقي الواقع على طول المنحدر وبذلك تظهر



(شكل رقم ١)

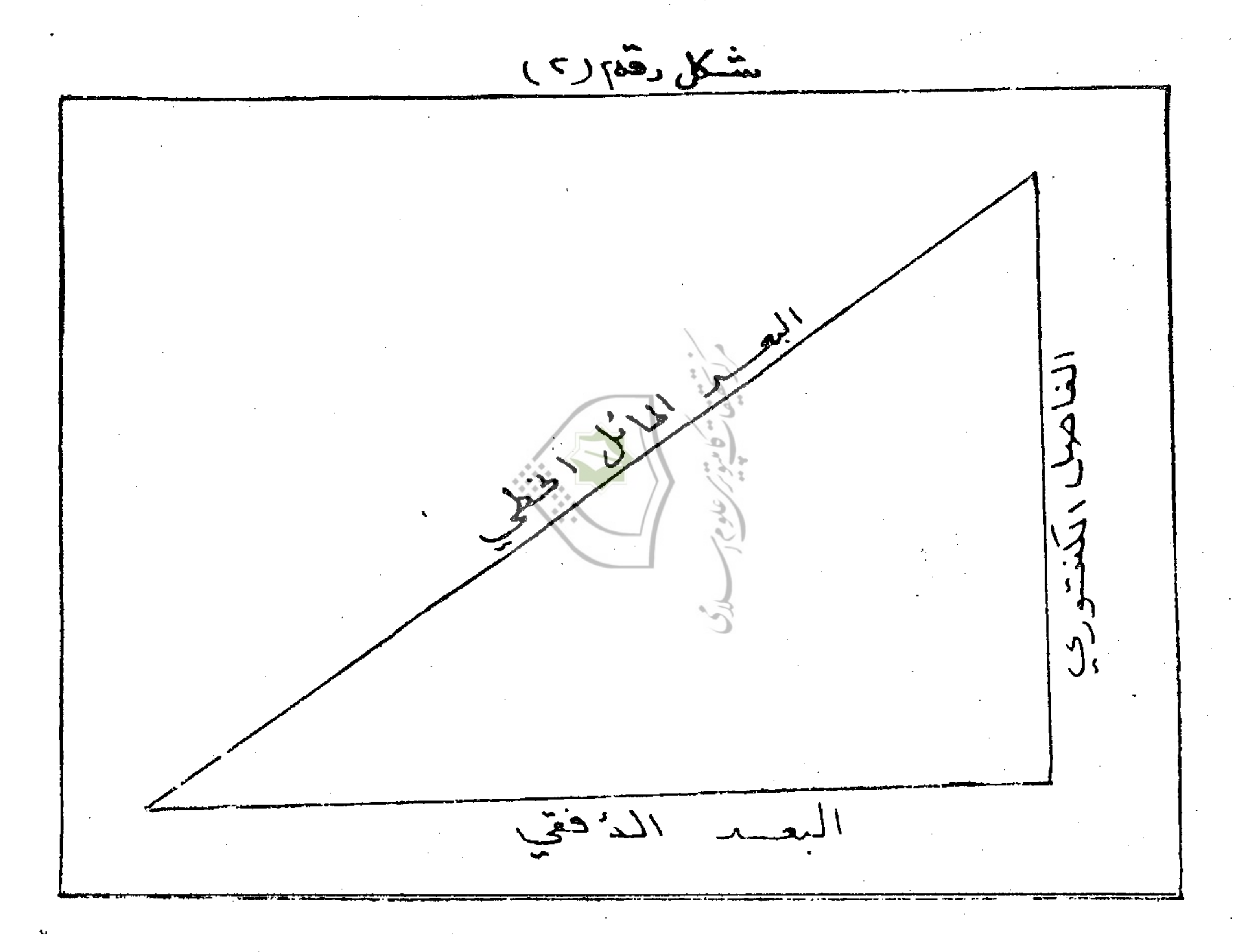
الابعاد اقل مما هي على سطح الارض ان البعد الحقيقي لايظهر على الخارطة ابداً ، بل يمكن حساب البعد المائل الخطي باستخدام نظرية فيثاغورس شكل (٢) اي :

البعد المائل الخطي = √ (الفاصل الكنتوري) ٢ + (البعد الافقي) ٢
(شكل رقم٢)

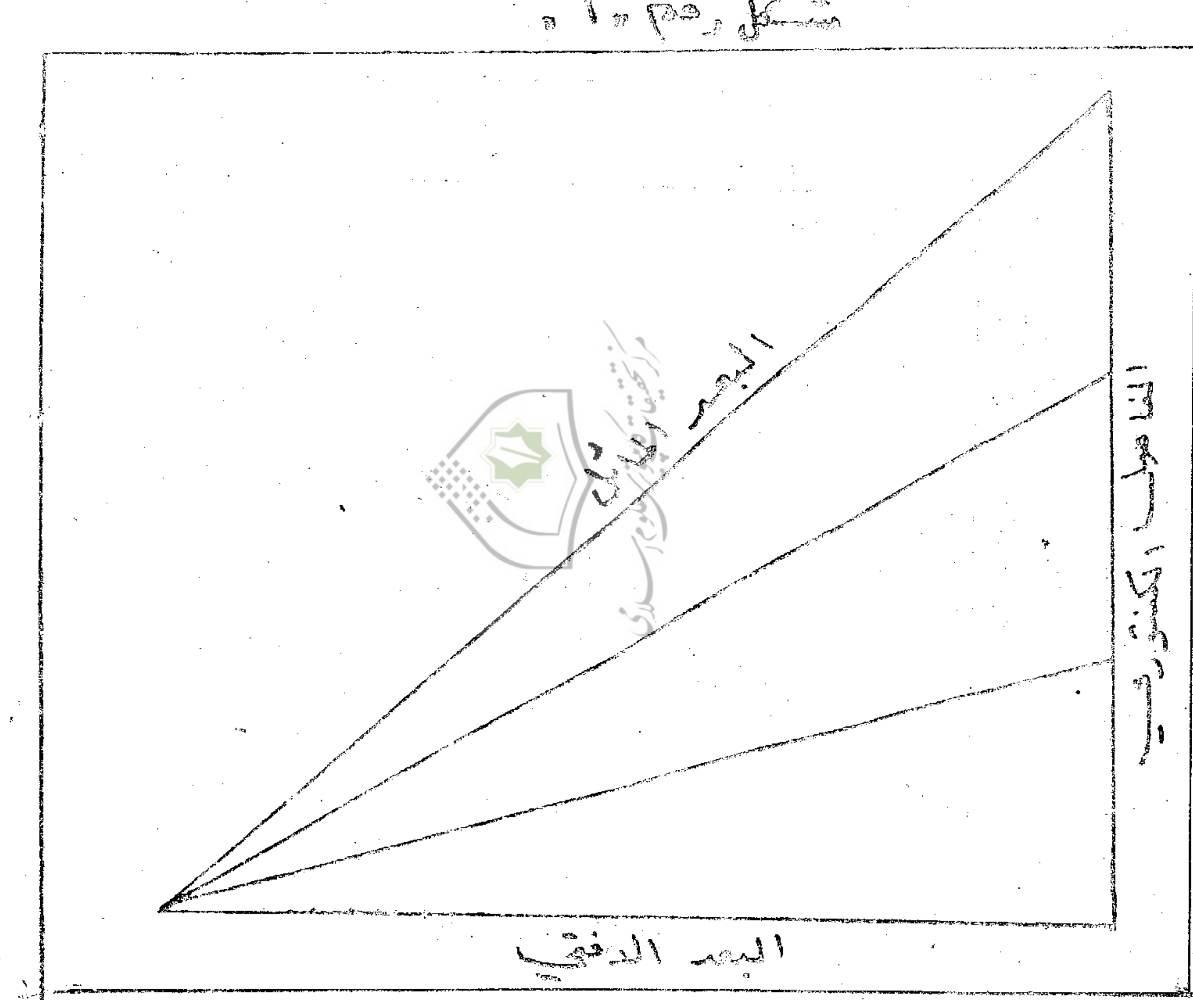
وبذلك فان طول البعد المائل الخطي يزداد بازدياد الفاصل الكنتوري حتى زاوية الانحدار ٤٥ (شكل٣)

(١) قد يصل الاختلاف بين الاسفرويد وسطح البحر الحقيقي إلى ٥٠ مترا احياناً .

شكل رقم (٢)

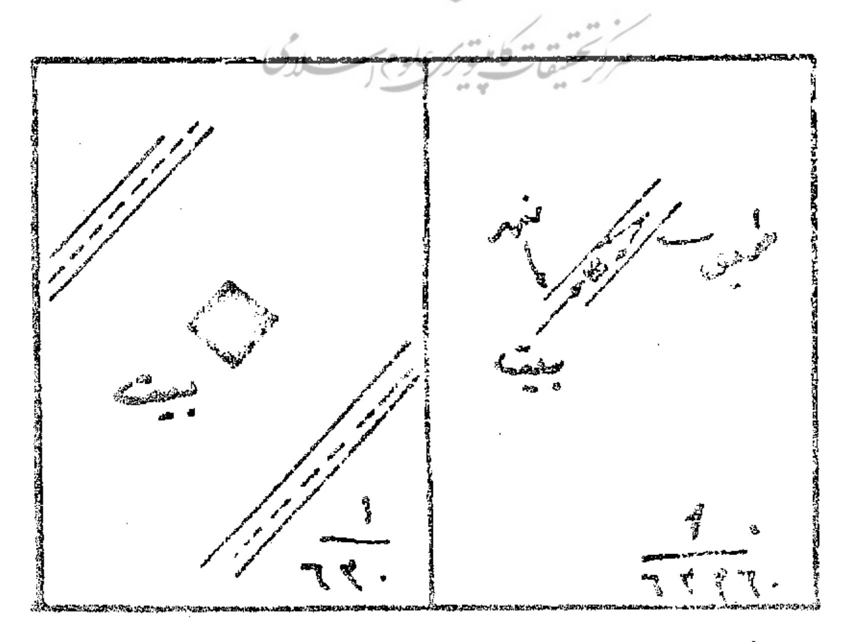


شكل رقم "٣"



٢ ـ اخطاء بسبب التعميم : تحدث هذه الاخطاء في حالات قياس ابعاد الطرق والانهر ففي الخرائط الطابوغرافية ذات المقياس غير المناسب او الخرائط ذات المقياس الاصغر الاخرى غالباً ماتهمل الانحناءات الصغيرة وبذلك تظهر ابعاد الطرق والانهر على الخرائط اقل مما هي على الطبيعة.

٣ ـ اخطاء بسبب التشويه في تناسب احجام الرموز : بعض الظواهر ذات اهمية كبيرة كالانهار والطرق وظواهر ذات اهمية خاصة كالابار والابنية فان رسم هذه الظواهر برموز متناسبة مع مقياس الخارطة يؤدي إلى ظهورها بحجم صغير او قد تهمل كلياً اذا ماكان حجم رمزها دون الحجم المرئي فلابدّ اذن من اعطاء تناسب اكبر لهذه الرموز الامر الذي يؤدي إلى المبالغة في حجم هذه الظواهر شكل (٤) فمثلاً ان تمثل وادي بخط سمكه ٠,٥ ملم على خارطة بمقياس ١ / ١٠٠٠٠٠ يدل على ان عرض هذا الوادي



شكل رقم (٤).

٥٠ متراً في حين ان هذا الوادي قد لايتجاوز عرضه بضعة امتارٍ .

٤ – اختلاف الاخطاء في تقدير نصف قطر الارض (الاسفرويد) عند رسم مساقط الخرائط يفترض ان الارض كروية وان نصف قطرها ٦٣٧٠ كم(١)ولرسمالخرائط ذات المقياس الكبير لابد منٍاستخدام انصاف الأقطار الحقيقية للارض وذلك للوصول إلى نصف قطر خط الطول عند كل درجة عرض من اجل الحصول على الابعـــاد الحقيقية بين دوائر العرض (٢) وانصاف اقطار الارض كما اقرت من قبل الاتحاد الدولي للجيوديسيا عام ١٩٦٧ هي : (٣)

نصف القطر الأكبر ٦٣٧٨١٦٠ متــر أ

نصف القطر الاصغر ٦٣٥٦٧٧٠ متــر ب

اي بمعامل انجاج قدره

$$\frac{أ - ب}{أ} = \frac{١}{٢٩٨,٢٥}$$

فعند حساب نصف قطر الارض لخط طول معين عند دائرة عرض محدده تستخدم العلاقة التالية : (٤)

$$نق = \frac{أ\,(١ - و^{٢})}{(١ - و^{٢}\,حا^{٢}هـ)^{٣/٢}}$$

(١) نقولا « ابراهيم مساقط الخرائط الجغرافية ، الاسكندرية ١٩٧٥ ص ١٠ .

(٢) وهذا ما اخذت به بعض البلدان عند رسم خرائطها انظر : –

J.A. steers: An introduction to the study of map projections. London. Fifteenth edition 1970. p. 227.

(3) F. Joly: La Cartographie. Paris 1970 P 10.

(4) P. C. Sen Gupta: How to map the earth. Calcutta. second edion 1969 P 61

حيث ان :ـ

نق = نصف قطر خط الطول عند دائرة عرض معينة .

أ= نصف قطر الارض الاكبر .

و = $[أ^{٢} - ب^{٢} / أ^{٢}]^{١/٢}$ ويطلق عليها معامل الاختلاف المركزي .

ب= نصف قطر الارض الاصغر.

هـ= درجة العرض.

وبذلك فان انصاف اقطار خط الطول الملائم للعراق عند درجات العرض المختلفة هي :

درجة العرض	نق خط الطول / متر
٢٩	٦٣٦٤٢٩٨,٥٣٣
٣٠	٦٣٦٤٧٧٧,٧٣١
٣١	٦٣٦٥٢٦٧,١٣٥
٣٢	٦٣٦٥٧٦٧,٥٧٩
٣٣	٦٣٦٦٢٧٢,٦٢٩
٣٤	٦٣٦٦٧٨٧,٧٠٧
٣٥	٦٣٦٧٣١٠,٢٠٢
٣٦	٦٣٦٧٨٣٩,٤١٧
٣٧	٦٣٦٨٣٧٤,٧١٨
٣٨	٦٣٦٨٩١٥,٢٧٧

اما انصاف الاقطار الحقيقية لدوائر العرض يتم استخدامها بموجب العلاقة التاليــة :

نق = ص حتاع

حيث ان

$$ص = \frac{أ}{\sqrt{(١ - و^{٢} حا^{٢} ع)}}$$

ع = درجة العرض

وبذلك فان انصاف اقطار دوائر العرض الملائمة للعراق هي :

درجة العرض	بعد قطرها / متر
٢٩	٥٥٨٠٦٦٨
٣٠	٥٥٢٥٩٦٨
٣١	٥٤٦٩٥٨٢
٣٢	٥٤١١٥٣٩
٣٣	٥٣٥١٨٣٩
٣٤	٥٢٩٠٥١١
٣٥	٥٢٢٧٥٦٧
٣٦	٥١٦٣٠٣٤
٣٧	٥٠٩٦٩٢٣
٣٨	٥٠٢٩٢٥٧

٤ ـ اخطاء المقياس: من النادر ان يكون مقياس الخارطة دقيقاً جداً فقد يكون دقيقاً في جزء صغير منها فقط ان الاختلاف الموجود في المقياس يعود طبيعية مسقط الخارطة فلا يوجد مسقط يحقق الابعاد الصحيحة على جميع الاتجاهات ولكن البعض منها يحقق البعد الصحيح على بعض الاتجاهات (١)

(١) في حالة رسم الابعاد بين دوائر العرض بالابعاد الحقيقية لها .

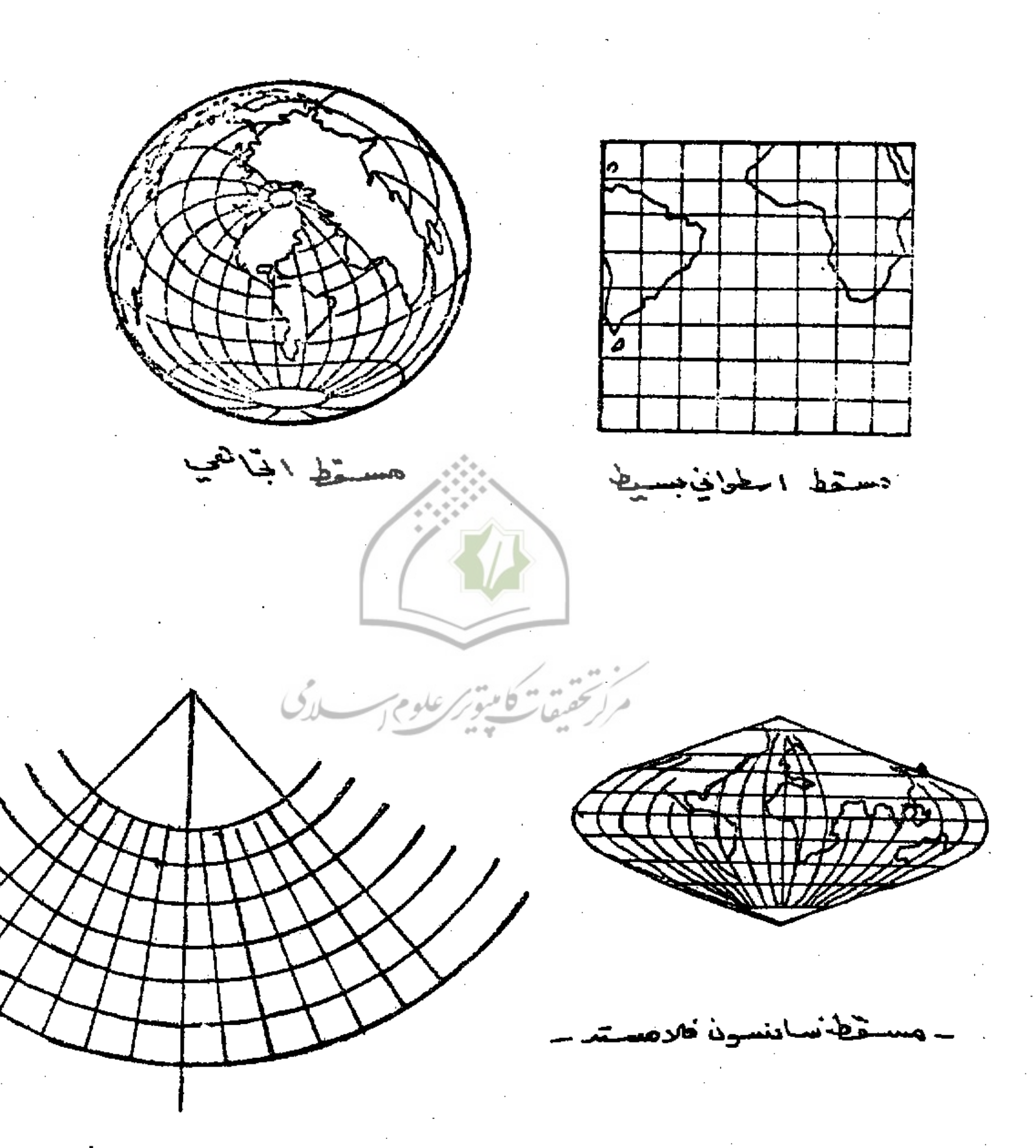
مثل المساقط الاتجاهية التي تحقق البعد الصحيح من نقطة التماس الى اي نقطة اخرى (شكل ٥) في حين ان المساقط الاسطوانية العمودية تحقق الابعاد الصحيحة على خط الاستواء فقط والمسقط الاسطواني البسيط يحقق البعد الصحيح ايضاً على خطوط الطول اما مسقط سانسون فلا مستد وهو من المساقط المعدلة فهو يحقق الابعاد الحقيقية على جميع خطوط العرض بالاضافة إلى خط الطول الرئيسي ،وفي المساقط المخروطية فان المسقط المخروطي البسيط يحقق البعد الصحيح على خطوط الطول وخط العرض الرئيس كذلك الامر في المساقط المخروطية ذات العرضين الرئيسيين اما في المسقط المتعدد المخاريط فتكون المسافات صحيحة على دوائر العرض وخط الطول الرئيس.

٥ ـــ تمدد الورق: ـــ ان ورق الخرائط كأية مادة اخرى تتاثر بعوامل الجو المختلفة كالحرارة والرطوبة فتتمدد وتتقلص وينتج عن ذلك تغيير في مقياسها الكسرى فقط اذا ماكان التمدد والتقلص منتظماً ،وتغير وتشويه في مقياسها الخطي في حالة التمدد والتقلص غير المنتظم ويساعد على التقلص غير المنتظم لصق قطع الشيفون خلف الخارطة من اجل حفظها من التمزق.

٣ ـــ الخلاصـــة

يتضح كما سبق انه مهما بلغت درجة الدقة في القياس ودقة الاجهزة المستخدمة فيه ومهارة الباحث فان من غير الممكن الوصول إلى نتائج صحيحة مطلقة فلابد من معرفة طبيعة هذه الاخطاء ومسبباتها والتمييز بينها ليتمكن الباحث من تداركها تداركاً جزئياً والتقليل من شأنها فالبعض من الابعاد يمكن تصحيحها وتقليل الخطأ في قياسها كالابعاد المستقيمة وذلك باستخدام الطرق الرياضية والبعض الاخر اي الابعاد غير المستقيمة وهي الاكثر شيوعاً فيمكن التقليل من خطأ قياسها نسبياً باستخدام الخارطة المناسبة من حيث الاسقاط والابعاد بين دوائر العرض وجهاز القياس الملائم.

شكل - ٥ -


مسقط اتجاهي
مسقط اسطواني بسيط
- مسقط سانسون فلامستد -
- مسقط مخروطي -

المراجع : ـ

١ ـ نقولا ابراهيم: مساقط الخرائط الجغرافية الاسكندرية ١٩٧٥م.

٢ ـ حسن رمضان سلامة: التحليل الجيمورفولوجي للخصائص المورفولوجية للاحواض المائية في الاردن، مجلةدراسات المجلد السابع العدد الاول ١٩٨٠م.

3. F. Joly: la cartographie, paris 1976.
4. P.C. Muc hrcke: Map Use. Madison 1978.
5. P.C. Sen Cupta: How to map the carth calcutta. Second-cdition 1979.
6. J.A. steers: An introduction to the study of map projections 15th edition. London 1970.





—١—

مظاهر الوحدة في اقاليم المشرق الاسلامي
خلال العصر العباسي

للدكتور رشيد عبد الله الجميلي

الاستاذ المساعد في كلية آداب جامعة المستنصرية

أدى استقرار العرب في المشرق إلى انتشار الاسلام وسيادة اللغة العربية والثقافة العربية بين شعوب تلك المنطقة، وقد استمر تدفق القبائل العربية إلى المشرق طيلة عصر الراشدين والدولة الاموية، فشاركت في عملية بناء الدولة العربية الاسلامية وارباء قواعدها. واسهمت في ازدهار الحضارة الانسانية.

وقد ارتبطت اقاليم المشرق الاسلامي ارتباطاً مباشراً بمركز الخلافة، وخضعت لسلطانها، وسارت وفق نظمها واحكامها مما اسهم في تعميق الروابط الروحية والثقافية بين شعوب تلك المنطقة وباقي انحاء الدولة العربية الاسلامية. وأدى إلى قيام نوع من الوحدة اتخذ عدة مظاهر أهمها: —

مكانة الخليفة :

تعتبر سلطة الخليفة في الواقع اساس الحكم في الدولة الاسلامية وهي على حد قول الماوردى «حراسة الدين وسياسة الدنيا»(١) أي انها رعاية الدين والاشتغال بالسياسة وفق الحكم، فهي بذلك رئاسة عملية وقد تطور نظام الخلافة في العصر العباسي، حيث اصبح الخليفة اماماً جمع بين السلطتين الدينية والدنيوية، ولم يكن حاكماً للدولة فحسب. بل ممثلا للشريعة ومطابقها وقد عبر ابو جعفر المنصور عن ذلك بوضوح حين قال «انما انا سلطان الله في ارضه اسوسكم بتوفيقه وتسديده، وانا خازنه على فيئه أعمل بمشيئته» .(٢) كما جرى في هذا العصر أيضا التأكيد على المظاهر الدينية في مراسم الدولة. فأتخذ خلفاء بنو

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٣.

(٢) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٤٠ .

-١-

مظاهر الوحدة في اقاليم المشرق الاسلامي
خلال العصر العباسي

للدكتور راشد عبد الله الجميلي
الاستاذ المساعد في كلية آداب جامعة المستنصرية

العباس بردة النبي(ص) شعاراً لهم، وسنته يدافعون عنها بحماس في ضرب الزندقة والحركات الشعوبية التي تهدف للنيل من تراث الامة العربية ودينها الحنيف واحاطوا أنفسهم برجال الدين والفقهاء لنشر هذه النظرية التي أصبح لها شان في الحياة السياسية في الدولة العباسية ومن هذا المنطلق فقد نظر المسلمون الخلافة على انها تمثل دورا لوحدتهم السياسية ومصدراً لقوتهم الذاتية . على الرغم من فترات الضعف التي مرت بها هذه المؤسسة خلال العصر العباسي ، فكان ذلك الشعور نحو الخلافة دافعا للامراء والأسر الحاكمة على السعي للحصول على رضا الخلافة وموافقتها واضفاء صفة الشرعية على حكمهم أمام رعاياهم ..

وقد ظهر هذا الاتجاه واضحاً في أقاليم المشرق التي شهدت ظهور عدد من الأسر الاسلامية التي أستقلت جزئياً من الخلافة العباسية. فعلى الرغم من الموقف العدائي الذي وقفته بعض تلك الأسر الحاكمة من الخليفة. الا انها لاتلبث ان تشعر بحاجتها إلى رضا الخلافة وتأييدها، لأن ذلك يعتبر ركنا هاما من اركان في الاقاليم. وبدونه يعتبر حكم هذه الأسر غير شرعي ويصبحون في نظر رعاياهم خارجين عن طاعة الخلافة ومتمردون على سلطانها. كما حدث لعمرو بن الليث الصفار حين اعلن الخليفة المعتمد عدم اعترافه بحكمه في شوال من سنة ٢٧٦هـ فواجه الصفار نتيجة لذلك معارضة عنيفة من قبل العلماء والفقهاء والمتطوعة ولم تستقر الأمور في بلاده الا بعد أن أقره الخليفة المعتضد بالله على مابيده من الولايات، وارسل له في رمضان من سنة ٢٧٩هـ التقليد بالحكم ومعه لواء الخلافة. وكان فرح عمرو بن الليث الصفار بهذا الاعتراف عظيماً فقد نشر لواء الخلافة في صحن داره في نيسابور ثلاثة أيام ليطلع عليه الناس جميعا.(١)

وقد أخذ امراء الاسر وحكام المدن في المشرق حذر الصفاريين ،فسعوا للحصول على رضا الخلافة وتأييدها ونيل موافقتها ،ليضفوا على حكمهم صفة الشرعية مما يؤكد خطورة مركز الخليفة واهميته عند المسلمين .ولا بد

(١) ابن الجوزي – المنتظم ج ٥ ص ١٣٨ .

من الاشارة هنا إلى ان تأييد الخلافة ودعمها للأسر الحاكمة في المشرق يلعب دورا هاما في امكانية استقرارها في الحكم والتفاف رعاياها حولها، مما يهيأ لهم ضم المزيد من المناطق إلى نفوذها مادامت تفعل ذلك بوحي من الخلافة وتأييد منها وقد تعمد - بعض الاسر الحاكمة إلى تجنيد نفسها لمحاربة اعداء الخلافة والخارجين على طاعتها خدمة لها وتقرباً منها، كما فعل السامانيون في اقليم ماوراء النهر الذي قضوا على العلويين في طبرستان وانهوا حكم الصفاريين في اقليم خراسان .في نفس الوقت الذي حرصوا فيه على مواصلة جهودهم من اجل نشر الاسلام بين القبائل الوثنية في بلاد الترك، مما دفع الخليفة المعتضد إلى اعلان تأييده لهذه الأسر دارس يبارك جهودها في نشر الاسلام وخدمة الخلافة،(١) وكان لهذا التأييد اثره في اتساع نفوذ السامانيين ورسوخ حكمهم في المشرق. مما اتاح لهم مواصلة حروبهم ضد الخارجين على الخلافة العباسية من جهة والمضي في نشر الاسلام بين القبائل الوثنية من جهة اخرى .

يتضح مما تقدم ان مكانة الخليفة في المشرق ظلت تستأثر باحترام الناس وتعلقهم بها، بأعتبارها رمزاً لوحدتهم الدينية وقوتهم الروحية وعلى الرغم من السياسة العنصرية التي سار عليها البويهيون الذين سيطروا على الخلافة في بغداد خلال الفترة من (٣٣٤هـ - ٤٤٧هـ) فأن مكانة الخليفة لم تتأثر بدرجة كبيرة في المشرق بدليل ان البويهيون ظلوا بحاجة الى تأييد الخليفة وموافقته كشرط اساس لسلامة موقفهم وشرعية حكمهم امام الناس .وهذا ينطبق على جميع العناصر التي مارست الحكم ضمن اطار الخلافة العباسية، وقد تخرج عن هذا المسار بعض الأسر الحاكمة التي لاتدين اصلاً بالولاء للعباسيين ولاتعترف بصحة امامتهم وحقهم في الخلافة. على ان هذه الاسر لاتستطيع الاستمرار في الحكم أو لا تلبث ان تفقد نفوذها وتنتهي إلى الزوال .

---

(١) ابن الجوزى، المنتظم ج ٦ ص ٢ ، ابن الأثير . الكامل ج ٧ ص ٥٠١ ابن خلدون ٣ ص ٣٥٢ .

ب ــ وحدة الدين والنظم :

كان من نتائج حروب التحرير واستقرار العرب في اقاليم المشرق انتشار الاسلام انتشاراً واسعاً بين شعوب الاقاليم وذلك بسبب المضامين الانسانية التي حملها الدين الحنيف والتي تمثلت بالعدل والمساواة ، وضمان حرية الفكر والتعليم والعقيدة للجميع . ولم يمض وقت طويل حتى اصبح الاسلام دين الاكثرية الساحقة في المشرق . وطبيعي ان تترتب على هذه الوحدة الدينية وحـــدة النظم بكل ماتعنيه هذه النظم من احكام وقوانين وتشريعات ، فالاسلام ليس ديناً فحسب وانما هو نظام اجتماعي كامل، وانه ليس مجموعة من الطقوس والعبادات يتقرب بها الانسان لربه ، وانما هو مجموعة من القواعد والانظمة التي يستطيع الناس ان يعيشوا بمقتضاها. ومن هنا كان الاسلام حضارة كاملة ونظاماً جامعاً استطاع مد أقاليم المشرق بكل مقومات الدول واساليب السياسة والحياة والتشريع والحضارة .

وعلى هذا الاساس اصبح التشريع الاسلامي اساس القانون في البلاد المحررة بأعتناق اهلها الاسلام . وحل مكان القوانين والتشريعات التي كانت سائدة فيها . وقد كان اثر التشريع الاسلامي في الواقع اكثر فاعلية مما قامت به القوانين السابقة وقوانين الدولة الفارسية . وذلك لأن من اسلم كان لابد له ان يلم بالتشريع الاسلامي ، عكس القوانين الفارسيـــــة او الرومانية او القوطية التي لم يكن يعرفها غير رجال القانون . (١) وهكذا اصبح انتشار الاسلام معناه انتشار القوانين والتشريعات المستمدة من روح الدين الحنيف .

وقد ترتب على الوحدة الدينية وحدة النظم المستمدة اصولها من الاحكام والتشريعات التي جاءت بها الشريعة الاسلامية ، فالاسلام هو الدين المفتوح بنصوصه وعقيدته وتشريعاته وانظمته وقواعده . فجاءت

---

(١) ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، ص ٢٠ ــ ٢٢.

نظم الدولة الاسلامية الادارية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين الاسلامي الذي هو اساس الحكومة الاسلامية .

فالغايات التي «تعطي لفكرة الدولة الاسلامية معناها ومبررات قيامها تنحصر في ان تجعل من شريعة الاسلام القانون المهيمن على شؤون الحياة كيما يسود الحق والخير والعدالة . وان تنظم العلائق الاجتماعية والاقتصادية بصورة تتيح لجميع الافراد ان يحظوا بالحرية والامن والكرامة ؛ وان يجدوا في نشرانهم التطور بشخصياتهم اقل قدر من العراقيل ، واكبر قدر ممكن من الحلفاء والتشجيع ، وان تتيح للمسلمين رجالاً ونساءاً ان يحققوا الاهداف الاخلاقية التي دعا اليها الاسلام ، لا في مجال العقيدة فحسب، ولكن في مجال الحياة العملية ايضاً» . (١)

وقد اعترف بهذه الحقيقة كثير من المستشرقين ، فهـــذا الاستاذ (شاخت) يقول في معرض حديثه عن الاسلام «ان الاسلام يعني اكثر من دين ، انه يمثل ايضاً نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القول انه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معاً» (٢) ، وقال الاستاذ (ستروغان) «الاسلام ظاهرة دينية وسياسية اذ ان مؤسسه كان نبياً ، وكان حاكماً مثالياً خبيراً بأساليب الحكم» . (٣) كما تناول الاستاذ (جب) هذا الموضوع وقال: «ان الاسلام لم يكن يمرد عقائد دينية فردية وانما استوجب اقامة مجتمع مستقل له اسلوبه المعين في الحكم ، وله قوانينه وانظمته الخاصة به» ،(٤) اما الاستاذ (فتزوجرالد) فيؤكد هو الاخر شمولية الاسلام ديناً ونظاماً للحياة ، فيقول «ليس الاسلام ديناً فحسب ، ولكنه نظام سياسي ايضاً

(١) محمد اسد ، منهاج الاسلام في الحكم ، نقله إلى العربية منصور محمد ماضي ، دار العلم للملايين ، بيروت ص ٧٣ .

(٢) محمد ضياء الدين الريس ، النظريات السياسية الاسلامية ، ص ١٧

(٣) نفس المرجع = = = ، ص ١٧.

(٤) نفس المرجع = = = ، ص ١٨ .

وعلى الرغم من انه قد ظهر في العهد الاخير بعض افراد من المسلمين ممن يصفون انفسهم بأنهم عصريون يحاولون ان يتمثلوا بين الناحيتين ، فان صرح التفكير الاسلامي حكمه قد بني على اساس ان الجانبين متلازمان لايمكن ان يفصل احدهما عن الاخر» . (١)

وهكذا فان وحدة الدين والنظام كانت السمة البارزة في اقليم المشرق منذ ان اصبحت هذه الاقاليم تؤلف جزءاً لايتجزأ من الدولة العربية الاسلامية في عصر الراشدين والدولة الاموية ، وذلك لان الولاة الذين تولوا حكم تلك الاقاليم ساروا على نهج الاسلام وهدى القرآن ، وكان دور القران الكريم في التشريع الديني وضع الاسس لبناء دولة راسخة الاصول والقواعد . ويتمثل هذا الدور في التشريع لحماية الفرد وتنظيم حياته من جهة ، وتقرير الاصول العامة لشؤون الدولة الداخلية والخارجية وتحديد علاقاتها بسواها على اساسين هما السلم والحرب . (٢)

اما في عصر نشوء الامارات المستقلة في المشرق ، فلم يطرأ أي تغيير جوهري يلحظ على بنية تلك الامارات عدا سياستها الخارجية التي تقررها مصلحة الاسرة الحاكمة . وماعدا ذلك فقد ظلت الشريعة هي المنهل الذي يستمد منه نظم الحكم والامارة على اعتبارها اثر هذه الكيانات وان استقل بعضها استقلالاً جزئياً عن الخلافة في بعض الفترات الا انها ظلت جزءاً لايتجزأ من الدولة الاسلامية . تستمد نظمها واحكامها من روح الدين الاسلامي . ويعوز هذا الرأي حرص الامراء وسعيهم للحصول على تأييد الخلافة ودعمها الروحي ، ... متوسلين من اجل الحصول على هذا الدعم اعلانهم التمسك بالشريعة الاسلامية وتطبيق احكامها في ولاياتهم وقد تضمنت رسائلهم الى دار الخلافة هذا المعنى ، بل ان بعض هؤلاء الامراء

---

(١) نفس المرجع = = = ، ص ١٨

(٢) الباز العريني ، المجتمع العربي ص ١٤٠ .

يتخذ من عدم تطبيق احكام الشريعة الاسلامية في احدى الولايات مبرراً لمهاجمتها والاستيلاء عليها واعادتها إلى حظيرة الدولة وشريعة الاسلام .

ج - حرية العمل والتنقل :

من المبادىء الانسانية والاساسية التي اكدها الاسلام ضمان الحرية والعدل والمساواة بين الجميع دون فرق او تميز ، وقد كانت هذه المضامين الانسانية في الواقع هي السبب الرئيس الذي دفع اهالي البلاد المحررة في المشرق الى اعتناق الدين الاسلامي بسرعة مدهشة ، وخاصة الصناع واصحاب الحرف واهل الطبقة العاملة والزراع الذين كان يقع عليهم حيف الطبقات الاستقراطية واستبداد الحكام والكهان في نظام الفرس الاجتماعي القديم .

وقد منحت التشريعات الاسلامية الفرد حريته شرط ان لاتشمل هذه الحرية خطراً على مجموع الافراد والذين يكونون الامة والمجتمع ، فالاسلام اعطى للانسان حرية حق التصرف في اموره شرط ان لايسيء الى نفسه ولا الى غيره ، ولايضر بمصالح الاخرين ، فحرية الفرد الخاصة في الاسلام تنتهي عند الحد الذي تبدأ منه الحرية العامة (١). ولان غالبية سكان البلاد المحررة في المشرق هم من الفلاحين او الزراع وكان هؤلاء يسكنون القرى والنواحي وتسمى في فارس الرساتيق . وقد ضمن الاسلام لهؤلاء الحرية والمساواة وأتاح لهم حرية العمل في الارض وسواها من الاعمال الحرفية وكان العرب يتركون الارض المحررة للاهالي يزرعونها على ان يؤدوا جزءاً من غلتها ضريبة تسمى الخراج (٢). وضمنت الدولة الاسلامية تحقيق الامن والاستقرار في اقاليم المشرق ، وعنيت ببناء - الطرق وحفر الترع واقامة القناطر والجسور مما ساعد أهالي البلاد على الانصراف الى اعمالهم وممارسة مهنهم المختلفة . وقد جعل الاسلام للانسان ارادة يختار

---

(١) ناجي معروف ، اصالة الحضارة العربية ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) الماوردى ، الاحكام السلطانية ص ١٢٦ .

بها مايقدر عليه من الاعمال ومايناسبه منها ونهى عن التكلف فيها ، فقال تعالى :(لايكلف الله نفسا الا وسعها، لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت) (١).

ودعا الاسلام الى العمل في كل الميادين ، ولم تضيق الشريعة حدود النشاط ولم تصغر معانية او تحدده ، بل تركته مفتوحاً ، لكي يعمل المسلمون ويبتكروا ويخترعوا ليحفظوا دنياهم ودينهم حتى لايكونوا متخلفين عن غيرهم فنظرة الاسلام إلى العمل هي نظرية تقديس، فهم يدعوا إلى الجد والاتقان فيه. ويضفي على كل عمل نافع صيغة تعبدية، في كل ظل ركابه الهية توجه نشاط كل فرد إلى نفع ذاته ونفع المتجتمع على السواء. فدعا إلى العمل والسعي لطلب الرزق دون ركود أو خمول ودون تقصير أو تصور، فقال تعالى: (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » وقال تعالى عزوجل (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور).وعن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغني بها عن الناس» كما حث على الاشتغال بالتجارة وقال (عليكم بالتجارة فان فيها تسعة المشار الرزق) (٢) وللرسول الكريم احاديث كثيرة تحث على العمل وتضع له القواعد وتدعوا إلى عدم الزهد في الدنيا اما التفريط بها. بل تأمر بالعمل وكسب المال الحلال، والتسابق إلى ذلك فيما يشبه الجهاد ، وتنهي عن الخمول والتواكل والقعود عن العمل (لأن الله يعطي العبد على قدر صحته ونهمته) وجعل السعي وراء الرزق والعمل الشريف من الفرائض. فقال صلى الله عليه وسلم: (طلب الحلال فريضة على كل مسلم) وحث المسلمين على الاشتغال بكل الاعمال وان كانت بسيطة لان العمل شرف والاستغناء عن الناس من الفضائل ، فقال صلى الله عليه وسلم (لان يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره فيبيعه خير له من ان يسأل الناس اعطوه أو منعوه) (٣) يتضح من ذلك كله ان

---

(١) سورة البقرة اية ٢٨٦ .

(٢) جمال الدين الرمادي ، سير وبحوث اسلامية ص ٩٢٠ .

(٣) ناجي معروف ، اصالة الحضارة العربية ، ص ٣٠٤ .

الشريعة الاسلامية قد اشتملت على نصوص عديدة حثت من خلالها المسلمين على العمل وعدم التواكل والخمول ،وما سلوك النبي الكريم صلى الله عليه وسلم واحاديثه جاءت لتؤكد اهمية العمل بالنسبة للمسلمين وحثهم على السعي دون ملل للحصول على رزقهم اينما كان وحيثما وجد، فاستغلوا بالزراعة والصناعة والتجارة، وطبيعي ان الشريعة التي كفلت للمسلمين، حرية العمل ولابد من ان تمنحهم حق التنقل سواء للحصول على الرزق من خلال ممارسة التجارة او السعي طلباً للعلم ؛ ومما ساعد على نشوء مراكز التنقل والاستقرار مضافا اليه حرية الفكر واختيار مواضعة ومجالاته واساليبه، فشهدت هذه البلاد حركة علمية نشطة بسبب من وفد عليها من العلماء والادباء والكتاب من اقاليم المشرق او مراكز الحركة الفكرية في بغداد والشام ومصر والمغرب العربي، فأضحت بخارى وسمرقند من الحواضر التي تألقت في سماء الازدهار الادبي والنهضة العلمية ،فلم يكن هناك مايمنع أو يحول دون توافد العلماء على المراكز العلمية سواء في المشرق أو المغرب. كما ان امراء الدويلات وحكام المدن من المشرق قدموا المزيد من الدعم والتشجيع للحركة العلمية واجزلوا العطاء للعلماء وناقشوا بعضهم بكثرة الوافدين اليهم من رجال العلم والفكر والادب، مما أدى إلى اغناء الحضارة الاسلامية بشتى انواع المعرفة الانسانية .

د ــ وحدة الثقافة وسيادة اللغة العربية :

كان دخول العرب بلاد المشرق بداية مرحلة جديدة في التاريخ السياسي والحضاري لتلك البلاد، فقد ترتب على استقرار العرب في اقاليم المشرق انتشار الدين الاسلامي واللغة العربية انتشاراً واسعاً، ولم يمض وقت طويل حتى اصبحت العربية اللغة المشتركة لكل الشعوب التي دانت للحكم العربي، وفرضت كتابتها على الفرس والترك والملايو وغيرهم من الامم والشعوب التي دخلت الاسلام.

وقد حرص العرب على ان يجعلوا من لغتهم العربية لغة علم كما هي لغة دين وأدب وسياسة، وقد ساعدهم على تحقيق هذه الغاية ماتميزت به اللغة

العربية من مرونة في الاشتقاق وثروة في المفردات، وقدرة على التعبير عن التطورات الاجتماعية والسياسية ونواحي الحياة كافة. (١)

وترتب على سيادة اللغة العربية في المشرق قيام وحدة ثقافية شارك في صنعها وتغذيتها العلماء ورجال الادب من اهالي البلاد المحررة الذين اعتنقوا الاسلام وعاشوا في ظلال الحكم العربي الذي اتاح لهم فرصة لأن يبدعوا ويؤلفوا في مختلف العلوم والفنون. ولم تلبث هذه النهضة الثقافية ان شملت بالاضافة إلى المسلمين رجال من اهل الذمة الذين اتخذوا العربية اداة للمخاطبة والثقافة والعلم، فألفوا كتبا بالعربية اسهمت في رفد تيار الحضارة العربية الاسلامية. بروافد لاتنضب. فقد قام هؤلاء بنقل ثقافة وعلوم الحضارات السابقة إلى العربية فنشأت عن ذلك حضارة جديدة نضج فيها العرب روحاً جديدة فنمت وازدهرت حين ألف العرب بين مقومات الحضارة اليونانية والفارسية والرومانية بالعبقرية العربية والروح الاسلامية فأشرقت وازدهرت وعم خيرها وفضلها على الغرب الاوربي طيلة قرون عديدة، وفي ذلك يقول غوستان لوبون: «ان من الواجب علينا أن نذكر ان العرب. والعرب وحدهم هم الذين هدونا إلى العلم اليوناني واللاتيني. وان الجامعات الغربية ومنها جامعة باريس عاشت مدة ستمئة سنة من مترجمات كتبهم، وجرت على اساليبهم في البحث وكانت المدينة العربية من ادهش ماعرف التاريخ (٢). وشهدت بلاد المشرق خلال العصر العباسي ظهور مراكز ثقافية كانت بدور بارز في اغناء الحضارة العربية الاسلامية وكانت تلك المراكز على اتصال فيما بينها متفتحة على بعضها، مما طبع المنطقة بطابع ثقافي موحد يستمد اصوله من حضارة العرب وتراث الاسلام، ويعبر عنه بلغة القرآن. فزخرت مدن اصبهان والري وبخارى وسمرقند وغزنة ونيسابور . بالنوابع من العلماء والادباء والشعراء والفقهاء والمحدثين الذين اسهمت مؤلفاتهم في تلك النهضة وذلك الازدهار الذي اصابته الحضارة العربية الاسلامية في المشرق .

---

(١) ناجي معروف : اصالة الحضارة العربية ص ٢٤٢ .

(٢) انظر : ناجي معروف : اصالة الحضارة العربية ٢٣٢ – ٢٤٣ .

مصادر البحث

(١) الماوردي -(ابو الحسن علي بن محمد) .
— الاحكام السلطانية ، طبعة مصر ١٢٩٨هـ

(٢) ابن الملقطقي (محمد بن علي بن طباطبا)
— (الفخري في الاداب السلطانية

(٣) ابن الجوزى (ابو الفرح عبد الرحمن).
— المنتظم في تاريخ الملوك والامم
طبعة حيدر آباد ١٣٥٨هـ.

(٤) ابن الاثير (عز الدين علي بن ابي الكرم)
— الكامل في التاريخ طبعة بيروت ١٩٦٦م.

(٥) ابن خلدون (عبد الرحمن)
— العبر ، طبعة بيروت .

المراجع الحديثة:

(١) د. ناجي معروف : اصالة الحضارة العربية .

(٢) د. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى مصر ١٩٦٣م.

(٣) محمد أسد : منهاج الاسلام في الحكم . نقلة الى العربية ، منصور محمد ماضي ، دار العلم للملايين بيروت .

(٤) د. محمد ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الاسلامية .

(٥) د. السيد الباز العريني وآخرون : المجتمع العربي ، بيروت ١٩٦٥م.

(٦) د. جمال الدين الرمادي : سير وبحوث اسلامية .



تأثير الفكر الاندلسي بالحركة العلمية في المشرق الاسلامي

الدكتور سوادي عبد محمد
مدرس في كلية التربية
جامعة البصرة

تأثير الفكر الاندلسي بالحركة العلمية في المشرق الاسلامي

الدكتور سوادي عبد محمد

يثير موضوع التأثيرات التي اورثها المشرق العربي الاسلامي في مجمل حركة الفكر الاندلسي وبصورة خاصة في مجالات العلم والادب والفن والفلسفة مناقشات مستفيضة بين المتخصصين وذوي الاهتمام خلال الفترة الواقعة منذ بداية القرن الثالث الهجري / التاسع حتى نهاية الحكم العربي لبلاد الاندلس العربية الاسلامية .

ويمكن ان نشير إلى مايعيننا على اظهار بعض التأثيرات من خلال هذه المناقشات وما أتت بها من نتائج على تطور الفكر الاندلسي في المجالات المشار اليها . فمن جهة يعتقد بعضهم ، ان هذا الموضوع من السعة والشمول بحيث يمكن ان تتاح للباحث فيه ، معلومات كثيرة وغنية . ربما تصل — حسب زعمهم — إلى الحكم بان كل ما انتجته بلاد الاندلس خلال الحكم العربي من حضارة فكرية ومادية هو من صنع المشرق بافكاره وثقافته وسياسته (١) ، ويذهب بعضهم الاخر إلى القول بانه لايمكن انكار ما للمشرق من تأثيرات في الاندلس ، ولكن في مجالات العلم والادب والفن والفلسفة ، تبدو قليلة ومحدودة ولابد ان تقتصر على المراحل الاولى .

ومهما يكن من امر ، فلابد من القاء بعض الضوء على الحركة العلمية في اهم مراكزها في المشرق اولاً ، ومن ثم استقراء نتائجها وتتبع اثارها ومؤثراتها في الاندلس ، بما يتوفر لدينا من معلومات وحقائق ، فالمراكز العلمية المشرقية ، كانت تتركز في بغداد والبصرة وخراسان وبلاد الشام والحجاز ومصر (٢)

---

(١) انظر احمد بن عبد ربه الاندلسي، كتاب العقد الفريد (تحقيق احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري ط٣، القاهرة — ١٩٦٥) ج٢، المقدمة

(٢) يمثل بيت الحكمة والجامع المنصور بغداد ومكتبة ابن سوار في البصرة ودار العلم بالموصل ومكتبة ابن الشاطر والجامع الإموي في دمشق والجامع الازهر ودار الحكمة بالقاهرة وجنديسابور في خراسان مراكز علمية، وكذلك كانت بمثابة معاهد للعلم في ارقى صورة في هذه الفترة.

وقد اشتهرت هذه المراكز منذ تأسيسها اوتمصيرها ، بكثرة معاهد العلم ودور الكتب وحلقات الدرس ، مما جعلها تلعب دوراً كبيراً في ظهور جمهرة من المشتغلين في العلم والادب والفن والطب والفقة والفلسفة . وبسهولة يمكن الاستدلال على ذلك باستعراض مئات التواليف والتصانيف في تاريخ العلماء والفقهاء والاطباء والفلاسفة والمهندسين والحفاظ والنحاة واللغويين والحساب والمعلمين والقصاص والادباء والشعراء والقراء وقراء الانغام والمتكلمين والصيادله والكيميائيين والكتاب والمجتهدين والطبيعين والمساحين وعلماء الفلك (١) كما ان في كتب التراجم والسير والمعاجم والرجال والطبقات مئات الاشخاص ، ترد اسماؤهم على انهم من هؤلاء الاعلام (٢) نبغوا في هذه المراكز واوجدوا قاعدة عريضة للاهتمام بالمعرفة الانسانية من جوانبها كافة وقد اسهم عدد غير قليل من الاعلام في الدراسات الدينية وكانوا يشغلون التدريس في المدرستين النظامية والمستنصرية ببغداد ويدرّسون علوم القرآن وفضائله والتفسير والخلاف والاصول والفقة (٣).

---

(١) فرانز روز نثال، علم التاريخ عند المسلمين ترجمة د. صالح العلي، بغداد ١٩٦٣) ص٥٢٨ — ٥٢٠

(٢) اذ : ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط١ — القاهرة — ١٣٦٥هـ) وابن الربيثي ذيل تاريخ بغداد (التاريخ المذيل به على تاريخ ابن السمعان) وابن الفوطي، تلخيص مجمع اداب في معجم الالقاب (تحقيق د. مصطفى جواد ١٩٦٢ — ١٩٦٥/.

(٣) ابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ج٩ (تصحيح وتعليق د. مصطفى جواد — المطبعه السريانية الكاثوليكية بغداد ١٩٣٤) ص٢٩٧ — ٢٩٨، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى (تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الخلق القاهرة — ١٩٦٤ — ١٩٧٠ ج٨ ص٣٦٨، الغساني، السجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك (تحقيق شاكر محمود عبد المنعم —رسالة ماجستير لم تطبع بعد ١٩٧٠) الورقة ٥٥٤.

وفي دراسات علوم الحديث (١) والدراسات اللغوية والادبية في النحو والتصريف والعروض والبلاغة والنثر الادبي (٢) ، وفي الدراسات التأريخية والغرافية (٣) كما نبع في العلوم العقلية والفلسفة والطب اعلام تركوا تأثيراتهم الواضحة في الحركة العلمية المشرقية ومنهم ابي الريحان البيروني (٤) وجابر بن حيان (٥) وموفق الدين عبد اللطيف البغدادى (٦) والجاحظ (٧) وجعفر البلخي (٨) ..

(١) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب ج٥ (باعتناء محمد عبد القدوس القاسمي طبع الهند ١٢٩٤٠) ص ٣٣٨-٣٣٩، ٦٨٩، ابن خلكان، وفيات الاعيان (مطبعة السعادة القاهرة ٢٩٤٩) ج٤ ص ٢٦، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (المنسوب لابن الفوطي - طبع بعناية د. مصطفى جواد) ص٣٧.

(٢) الغساني، العسجد المسبوك الورقة ٤٩٠، ابن الاثير، الكامل في التاريخ (دار صادر دار بيروت - ١٩٦٧) ج١٢ ص ص٣٢٢ الفلك الدائر على المثل السائر لضياء الدين نصر الله بن الاثير ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب ج٣ قسم ٢ ص١٩١.

(٣) من المؤرخين الذين تجدر الاشارة إلى بعضهم ابن الاتقى البغدادي (ت٦٠٧هـ) الذي نقل عنه القفطي في تأريخ الحكماء وابن الفوطي وابن المفرج التكريتي وكتابه الاختصاص في التأريخ الخاص وموفق الدين ابن اللباد البغدادي (ت٦٢٩هـ) وغيرهم كثيرون ممن اشتغل في حقل التأريخ منذ القرن الاول الهجري حتى نهاية القرن الثامن. اما في الجغرافية فابرزهم ياقوت وكتابه معجم البلدان والمقدسي وكتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم وابن عبد الحق وكتابه مراصد الاطلاع في الامكنه والبقاع وغير هؤلاء من الجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين الذين اثروا بكتبهم وتأليفهم.

(٤) وكان فلكياً ورياضياً وعالماً طبيعياً وجغرافياً ومؤرخاً واسع الاطلاع وقد لقب بالاستاذ.

(٥) وهو الكيميائي العربي المعروف، درس العلم على يد استاذه جعفر الصادق، وقد الف في الطب والرياضيات والفلسفة.

(٦) ولد ببغداد وهو عالم ولغوي واديب، درس الحساب والرياضيات والكيمياء، استقر في مصر واشتغل بالتدريس بالازهر، ونبغ كذلك في العلوم الدينية وعلوم العربية .

(٧) ابو عثمان بن بحر بن محجوب البصري، نبغ في علم الحيوان، ومن اشهر كتبه «الحيوان» .

(٨) من اعظم فلكيي العرب، الف في هذا العلم نحو ستين كتاباً.

والرازى (١) وابن سينا(٢) وابن الهيثم(٣)واخوان الصفاء(٤) والفارابي (٥)والقزويني(٦) وداود الانطاكي(٧) والكندى(٨) والخوارزمي(٩) وثابت بن قره (١٠) وغيرهم من العلماء والفقهاء وروآد الفكر .

(١) — احد مشاهير اطباء العرب في العصور الوسطى ، تلقى علومة على يد استاذه (حنين بن اسحق) وكان من رواد علم الكيمياء ثم انصرف إلى الطب. وهو واسع الاطلاع ، تزيد كتبه عن (١٢٠) كتاباً في الفلسفة والطبيعة والموسيقى والفلك والرياضيات .

(٢) — الحسن بن عبد الله ، رائد من رواد الفكر الانساني ، اشتهر بالطب والفلسفة وعلي الرياضيات والفلك اشتهر كتبه «القانون في الطب» و «الشفاء» .

(٣) — الحسن بن الهيثم ، ولد في منتصف القرن الرابع الهجري وعاش في البصرة ثم انتقل إلى القاهرة ودأب على تحصيل العلوم الفلسفية والطبية والفلكية والرياضية ، لكنه اشتهر في علم الطبيعة وعلم الضوء، وكانت له في هذين العلمين دراسات وبحوث عميقة وله كذلك رسائل في علم الحساب والجبر وحساب المثلثات والهندسة الاقليدية المستوية والمجسمة . توفي في القاهرة سنة ٤٣٠هـ .

(٤) — جمعية سرية فلسفية علمية مكونة من عدد من العلماء والفلاسفة ، يبحثون للوصول إلى تجديد في السياسه والأخلاق عن طريق ادماج التشريعات الاسلامية . اسست في العراق دائرة معارف مؤلفه من ٥٢ رسالة في علوم الطبيعية .

(٥) — من اشهر الفلاسفة الاسلاميين ، اولع بالدراسات العقليه مثل الرياضيات والفلسفة والمنطق والطب والموسيقى. تزيد مؤلفاته على السبعين مؤلفاً في الطبيعة والرياضيات والميتا — فيزيقيا والاخلاق والسياسة .

(٦) — ابو عبد زكريا بن محمد بن محمود ،وكان معنياً بالتأليف في الجغرافية والتأريخ . ومن اشهر كتبه «عجائب المخلوقات» كما شغف في الفلك والطبيعة والنبات والحيوان والمعادن .

(٧) — لقب بالحكيم الماهر والطبيب الحاذق ، اختص بدراسه الطب العلاجي وتحضير الادوية والوصفات واشهر كتبه تدكره اولى الالباب والجامع للعجب العجاب» .

(٨) — ولد يعقوب الكندي في الكوفه سنه ١٨٥هـ ، اشتهر بالفلسفة والطب والرياضيات (الحساب والهندسه والفلك) كما كان مهندساً قديراً وطبيباً حاذقاً وفيلسوفاً عظيماً .

(٩) — محمد بن موسى ؛ ولد بخوارزم واقام في بغداد ، تولى منصباً في بيت الحكمة . برز في الرياضيات والفلك. وهو اول من ألف في الجبر وله كتاب في الجبر والمقابلة، فيه افكار اساسية اعتمد عليها علماء العرب في دراساتهم وبحوثهم الرياضية .

(١٠) — وهو من بلاد مابين النهرين ، اعظم مهندسي العرب على الاطلاق ، وقد ترجم الكتب السبعة من اجزاء المخطوطات في كتب ايللونيوس الثمانية إلى العربية . كما نبع في الهندسة التحليلية .

ان هؤلاء وغيرهم ، اسهموا في خلق حركة علمية وفكرية مشرقية متميزة أخذت تنتقل تأثيراتها تدريجياً إلى بلاد الأندلس ، وذلك منذ قيام الحكم العربي فيها ، وبدأنا نلمس ظهور بوادر للاهتمام بعلوم المشرق وأفكاره هناك . وفي بداية العصور الوسطى وخلالها كانت الثقافة المشرقية قد تركت ظلها في الثقافة والفكر الاندلسيي ، ووفق الاندلسيون بين ثقافة المشرق وبين البيئة الطبيعية والاخلاقية والاجتماعية في الوقت الذي أخذت تنمو فيه حضارة متميزة للاندلسيي لها شخصيتها وطابعها ، غير انها دأبت على الاهتمام في أن تصون اللغة العربيةوان تحفظ التقليد الكلاسيكي الذي جرى عليه المشرق وخاصة التقاليد في المجالات الفقهية والدينية والعلمية والادبية والفنية والفاسفية. وحرص حكام الاندلس في ان يضعوا دولتهم على منوال بلاد الشام والعراق وبلاد فارس فيما هي عليه من وجود المدارس ومعاهد العلم ودور الحديث والمساجد التي تدور فيها حلقات الدرس والمعتكفات التي تدرس فيها العلوم ان هذا التقليد اخذ يتعمق منذ ارتقاء عبد الرحمن بن معاوية (الاول) الحكم بسبب تعضده بالعنصر العربي واطفائه بحذوة النزاع العربي القديم المحترم بين القيسيين واليمانيين . على ان فترات الاستقرار السياسي والاجتماعي كانت دائماً اكثر الفترات ملاءمة لازدهار الفكر وتطوره في هذه البلاد وكان نصيب الامير القرطبي الرابع عبد الرحمن الثاني كبيراً في انماء هذا الازدهار ففي عهده استطاع المشرق ان يترك بصورة حاسمة بصماته في الثقافةالأندلسية وبرز هذا الامير كأكبر الحماة للعلماء وصديقاً مخلصاً للآداب والفنون ، كما كان شغوفاً بكل مايتصل بعلمي الفلك والرياضيات ويجد متعة في دراسة الكتب القديمة في الفلسفة والطب فأحاط نفسه بجمهرة عن علماء الفلك ، ولم يكن غير المشرق بعلمائه ورجالاته ومؤسساته ومراكزه العلمية ليرضي طموحه وتطلعاته . لذلك يمكن الاقتناع بما ذهب اليه احد الباحثين ، بأن المعطيات المفيدة التي كانت تصل الى حد يثير العجب عن دور المشرق في تكوين الثقافة الاندلسية كانت مؤكدة من وجهة النظر التأريخية ولا نحتاج

ان نحمل النصوص الدقيقة التي جاءت بها المؤرخون معاني اكثر مما تحتمل او نضطر إلى التفتيش مابين سطورها (١) .

لقد كانت مدينة قرطبة المركز العلمي (٢) ميدانا « لهذه التأثيرات ، فقد انتقلت اليها المظاهر الفكرية بما وفد اليها من العلماء والفقهاء المشارقة . ويمكن بهذا الصدد ان نستفيد من الفصل المهم الذي عقده المؤرخ التلمساني المعروف بالمقرى في كتابة « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » فهو خير ما يصور لنا هذا الأهتمام بايراده جمهرة من هؤلاء العلماء والفقهاء والاباء المشارقة الذين استقروا في بلاد الأندلس فتركوا تأثيراتهم الفكرية والعلمية (٣) ، كما يمكن ان نجد معلومات مفيدة عن هؤلاء العلماء في كتاب «بغية الملتمس في تأريخ رجال أهل الأندلس » لاحمد بن يحي الضّبي ٥٩٩هـ[٣] وفي كتاب«تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس» للحافظ عبدالله بن محمد الأزدى المعروف بابن الفرضي ٤٠٣هـ[٤]) .

ولعل ما اشار اليه الأستاذ ليفي بروفنسال صحيح من ان المشرق قد فاز بنصب كبير في تكوين الثقافة الأندلسية ، فكل ما كان يفد من بغداد

---

(٢) –ليفي بروك فنسال levi-provencal ، حضارة العرب في الأندلس (ترجمة ذوقان قرقوط بيروت ص ٤٧ .

(٢)– مدينه عظيمه على نهر الوادي الكبير بالأندلس ، وهي قاعدة الدولة الأموية وحاضرتها ومركزاً علمياً وحضارياً متألقاً ، اكتسبت شهرة عالمية وأصبح أسمها يقترن بالعلم والعلماء وقد أكد أحد الشعراء أهميتها بقوله :

بأربع فاقت الامصار قرطبة منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة والعلم أعظم شي وهو رابعها

(المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (مطبعة السعاده مصر ١٩٣٩ ط٢) ج٤ ص٢٠٠–٢٠٣.

(٢)– ن . م . ص ٧–٢٢٠.

(٣)– الضبي ،بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (الطبقة الأوربية مجريط–١٨٨٤).

(٤)– ابن الفرضي ،تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس (القاهرة–١٩٥٤).

أو من المدن الكبرى الأخرى في العالم الاسلامي ، كان يستقبل باعجاب او بامتثال في الاقل في ربوع بلاد الأندلس . (١)

ولعل دراسة بعض صنوف العلوم المختلفة في الأندلس من خلال المصادر الأولية يعينها على تلمس الطابع المشرقي فيها ، اول هذه العلوم التي ينبغي الأشارة اليها هي ، العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية ، حيث ظهر عدد من العلماء في الفقه والمذاهب والحديث وعلم الكلام والشرائع والمنطق والتفسير والنحو والعروض ، كما ظهر في الفلسفة والموسيقى وعلم الفلك والطب والكيمياء والرياضيات وعلوم الحياة والتاريخ والجغرافية واصبح للاندلسيين في جميع هذه العلوم ابحاث مستفيضة وقواعد مستقرة. ومن الجدير الأشارة إلى ان ظهور يحيي بن يحيي الليثي (٢) يمثل بداية للأهتمام بالعلوم الدينية في الأندلس ، فقد رحل إلى المشرق وتوجه إلى الحجاز فسمع من مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وتفقه على عبدالله بن وهب ولما عاد إلى قرطبة روى كتاب «الموطأ» لمالك بن أنس ، على تلامذته ، وانتهت اليه الرئاسة في الفقه والقضاء في هذه المدينة (٣) .

ويبدو ان يحيي بن يحيي الليثي قد خلق الأتجاه لدى أهل الأندلس في دراسة الفقه والحديث على مذهب مالك بن انس ومنهم عبدالملك بن حبيب ١٧٩هـ/ ٨٥٣ هـ الذي كان هو الآخر قد درس الفقه على مذهب

---

(١)- حضارة العرب في الأندلس ص٤٧ «وجاء انه كان للاضطرابات والمنازعات الداخلية التي كانت حاضرة العباسيين مسرحاً لها قبل وصول الخليفة المأمون للحكم نتائج غير متوقعة، بأن سهلت انتقال الكنوز الملكية إلى هذه البلاد وغيرها على أثر نهب قصور بغداد .

(٢)- اصله من بربر مصموده، وقد سماه مالك بن أنس «عاقل الأندلس».
أنظر : المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج٢ ص٢١٧

(٣)- «وكان متصرفاً في ضروب العلم متفنناً في الآداب ورواية الأخبار مشاركاً في الفقه والرواية (ابن الفرضي ، تأريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ج٢ ص١٨٥ ، ابن حيان القرطبي، المقتبس من انباء أهل الأندلس (تحقيق د. محمود علي مكي-دار الكتاب العربي-بيروت) ص ٨٤-٨٥.

مالك بن انس في المدينة المنورة ورحل إلى المشرق وتردد على حلقات الدرس هناك واصبح من اكبر العاملين في تحويل اهل الأندلس إلى المالكية (١). وشجعهم على أن يفدوا إلى المشرق للدراسة على علماء المشارقة والاخذ عنهم (٢) الانهم احاطوا باحاديث الرسول وماروى عنه .

ويبدو ان الأندلس قد حققت وحدتها الدينية باتباعها المذهب المالكي حيث لم ترتد عنه بعد ذلك . وقد حل هذا المذهب رسمياً محل مذهب الاوراعي ١٥٧ هـ. ويجمع مذهب مالك ابن أنس ١٧٨ هـ عند انتشاره في هذه البلاد بين سلفية الاوزاعي (الأخذ بالحديث والتقليد باصوله) وبين حرية المذهب الحنفي في (الاخذ بالقياس)(٣) ويروى المقرى ان عدداً من فقهاء المالكية المشارقة من أهل بغداد ودمشق ونيسابور دخلوا الأندلس وحثوا طلبتهم وممن حضر مجالسهم ودروسهم على المواظبة والدرس ، ومن هؤلاء الفقهاء ، عبداللطيف ابن ابي الطاهر أحمد بن محمد الهاشمي الصدقي . وهو من أهل بغداد سمع عن ابي الوقت السجزى وابي الفرج ابن الجوزى، وقد ورد إلى غرناطة واقام فيها(٤). وعلى بن بندار البغدادي (٥) وابو نصر سهل بن علي النيسابوزي(٦) وأبو المكارم هبة الله بن الحسين ،

(١)- وجاء أيضاً أن «شبطون بن عبد الله أو الغازي بن قيس ، أدخل «الموطأ» لمالك بن أنس إلى الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية(الداخل) وأصبح لمذهب مالك انتشاره المستمر (آنخل جنثالث بالنثيا) ، تاريخ الفكر الاندلسي (ترجـ د. حسين مؤنس ط٢) القاهرة -١٩٥٥) ص٣ .

(٢)- كان أهل الأندلس يأخذون بأقوال أساتذتهم المشارقة ويحسون قدر ما يسمعون من أهل بلدهم أنفسهم-لان اولئك الشيوخ- كانوا ينظرون إلى أهل بلد الأندلس باحتقار عظيم ويرون أنهم جهلاء اجلاف . (بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٩٦).

(٣)- يذهب بروفنسال إلى أن هذه العقيدة العديدة التي اعتنقها أهل الأندلس حررتهم من الولاء الديني للعباسيين (حضارة العرب في الأندلس ص٤٣-٤٤) .

(٤)- نفح الطيب جـ٤ ص٦.

(٥)- ن.م. ص٦٦.

(٦)- ن.م. ص٦٧.

الذي وصف بانه من أهل العلم عارفاً بالاصول حافظاً للحديث ، دخل الأندلس وولي قضاء اشبيلية(١). وابو زكريا يحيى بن عبد الرحمن العنسي الدمشقي ، وكان فقيها على مذهب الشافعي ، عارفاً بالاصول والتصرف وله كتاب « الروضة الانيقة» وان اصله من دمشق ثم رحل إلى المغرب ولقي عددا من الفقهاء وتلقي على ايدهم الوعظ والتذكير ثم دخل الأندلس وتجول في بلادها واستوطن غرناطة و اتصل برجالها وطلبتها (٢) .

ومن الجهة الأخرى ، فقد رحل عدد من فقهاء الأندلس إلى المشرق ومنهم حسين بن محمد بن خيون الصدفي المعروف بابن سكره ، وهو امام محدث زاهد كثير الرواية ، دخل العراق وروى عن جماعة من فقهائها وعلمائها (٣) ، ويوسف بن محمد بن سليمان الهمذاني ، وهو من أهل شذونة ، رحل إلى المشرق و اقام في رحلته عشرة اعوام وقد اهتم بكتب محمد بن جرير الطبري في تفسير القرآن ، فنقل إلى أهل الأندلس ما تعلمه (٤) .

اما فيما يتعلق بعلوم اللغة العربية وآدابها ، فلدينا من الحقائق التأريخية ما يجعلنا نعتقد ، بأن تأثيرات المشرق كانت واضحة وجلية في بلاد الأندلس فقد رحل كثيرون من هذه البلاد إلى المشرق لطلب العلم في العربية ٥ كما ان التقليد الأندلسي القديم في جلب الكتب المشرقية الحديثة الصدور إلى الاندلسي بقي مستمراً (٦) وخاصة الكتب اللغوية، مثل الكشاف للزمخشري

(١)- ن.م. ص٦٨ .
(٢)- المقرى ، نفخ الطيب ج٤ ص٦٨ .
(٣)- ابن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم ج٢ ص٢٥٣-٢٥٤.
(٤)- ن.م. ص٢٠٦
(٥)- احصى احد الباحثين عدد الترجمات التي خصها المقرى في كتابه نفح الطيب للعلماء الراحلين إلى المشرف والمشتغلين باللغة او النحو وعددها (١٥) ترجمة (انظر : رضا عبدالجليل الطيار ، الدراسات اللغوية في الأندلس (العراق-١٩٨٠) ص٣٤.
(٦)- ن.م. ص ٤٥ .

(٤٦٧ — ٥٣٨هـ) ومقامات الزمخشري الخمسون وكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ٣٩٣ هـ و اكمال ابن القطاع ٥١٥ هـ لكتاب الأفعال لابن القوطية ٣٦٧ هـ (١) .

على أن التأثير الذي تركه العالم اللغوي أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، صاحب كتاب الامالي، كان واضحاً في بلاد الأندلس ، فقد امتاز هذا العالم بسعة الاطلاع في العلم وطول الباع في اللغة وفنونها، واقبل عليه علماء الأندلس وادباؤها للاستفادة من محاضراته في اللغة والآداب التي كان يمليها في أيام الاخمسة بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء (٢) كما حدّث بهذا القالي عن نفسه ، فرددوا ذكره وشهدوا له بالتقدم والاجادة (٣) واشار ابن خلدون إلى ان « القالي قدم من المشرق فأورث اهل الأندلس علمه » (٤) وذكر ابن الفرضي ، انه عندما وفد ابو علي القالي إلى الأندلس « فسمع الناس منه وقرأوا عليه كتب اللغة والاخبار والامالي وعظمت استفادتهم منه » . (٥)

وقد اتقن القالي علوم اللغة والشعر والنحو على طريقة البصريين ،(٦) وبحث على « ابن درستوية» عبدالله بن جعفر الفارسي النحوي (٧) كتاب « سيبويه » ودقق النظر فيه واملي شيئاً من حفظه مثل كتاب «النوادر » و

---

(١) ن.م. ص٤٥.

(٢) مدينة بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر وسماها باسم جاريته الزهراء (المقرى نفح الطيب ج١ ص ٣٤٦).

(٣) المقرى ، نفح الطيب ج٢ ص ٣٥٨-٣٦٨ .

(٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر (منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات — بيروت ٢٩٧٢) ج٤ ص١٤٥٦ .

(٥) تاريخ العلماء والروات للعلم ص٦٥.

(٦) المقرى ، نفح الطيب ج٤ ص٧٢ «كما وصف بأنه احفظ اهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين» ن.م.ص٧٣ .

(٧) وهو أحد النحاة المشهورين ،وكان شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة وعلوم العربية.

« الأمالي» وكتاب «الممدود والمقصور» الذي رتبه على التفعيل ومخارج الحروف وكتاب «البارع في اللغة» مرتب على حروف المعجم وكتاب «الأبل» « ونتاجها » وكتاب « حلى الأنسان والخيل وشياتها » وكتاب «فعلت وافعلت» وكتاب « مقاتل الفرسان » وكتاب شرح فيه المعلقات (١) .

وكان قد كتب مؤلفه الشهير « الامالي » في مدينة قرطبة التي استوطنها واصبح هذا الكتاب مرجعاً مهماً من مراجع علم اللغة هناك .

ويشير ابن خلكان الى اجتماع اللغويين والنحويين بابي علي القالي عند دخوله الاندلس فتلقوا عنه علومهم وآدابهم وتأثروا به (٢)حتى اتخذوه حجة واماماً في فقه اللغة وعلوم العربية . ومن الذين تأثروا به ابو بكر محمد بن الحسن بن بشر الزبيدى الاشبيلي(٣) وابو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز ابن ابراهيم بن القرطية الاشبيلي الاصل القرطبي المولد والدار والذى كان «من اعلم اهل زمانه باللغة العربية ، راويا للاشعار ، صحيح الالفاظ ، واضح المعاني، حسن المطامع والمقاطع» (٤) وابو عمرو يوسف ابن هارون الكندى الرمادى الشاعر الذي امتدح القالي(٥) .

(١) ياقوت ، معجم البلدان ج٢ ص٣٥٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان (دار الثقافة - بيروت) ج١ ص ٢٢٦-٢٢٨ .

(٢) وفيات الاعيان ج٤ ص٣٦٩ .

(٣) ن. م. ج١ص٢٢٦-٢٢٨ ، ج٤ ص٣٧٣ «وكان اماماً في الأدب واللغة واشغل وظيفة مؤدب لأحد أمراء الأندلس ، اتصف بالحذق والذكاء وقيد الأدب واللغة على أبي علي القالي لما دخل الأندلس» (المقرى ، نفح الطيب ج٤ ص ٧٤-٧٥، ج٤ ص٣٧٣).

(٤) ن. م. ج٤ ص٣٦٩.

(٥) ن. م. ج٧ ص٢٢٥-٢٢٦ قائلا .

« روض تعاهده السحاب كأنه	متعاهد من عهد اسماعيل
قسه إلى الاعراب تعلم أنه	أولى من الأعراب بالتفصيل
حازت قبائلهم لغات فرقت	منهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده فكأنما	نزل الخراب بربعه المأهول
وكأنه شمس بدت في غربنا	وتغيبت عن شرقهم بأفول

ومن الجدير بالذكر ان ابا علي القالي ، اوجد اهتماماً خاصاً لدى الاندلسيين في فن تصنيف معاجم اللغة ، حيث تطور جنباً الى جنب مع الدراسات النحوية واصبحت طلائع مؤلفات الاندلسيين في هذا الباب مختصرات لمعاجم مشرقية مثال ذلك «كتاب نوادر اللغة» الذي وضعه القالي ، فهو أشبه لما ورد في «الكامل» لابي العباس المبرد من الغريب . وكذلك وضع ابو بكر محمد بن بشر الزبيدى مختصراً لكتاب «العين» للخليل بن احمد الفراهيدي، وكان مبوباً بحسب مخارج الحروف وقد ذاع هذا المختصر بين اهل العلم في الاندلس واصبح معتمدهم في الدراسة(١).

وهناك عدد من الشعراء الاندلسيين الذين افصحوا بالعربية متأثرين بزملائهم منهم مغيث ابن الحارث بن الايهم الغساني الذي تأدب بدمشق مع بني عبدالملك بن مروان وصار يقول من الشعر والنثر مايصح اعتباره فريداً(٢) وعبد الخالق ابن ابراهيم الخطيب الذي وصف بانه اديب قوى العارضة مطبوع الشعر (٣) .

اما في مجال الفن القصصي الشرقي الذي انتقل الى الاندلس ، فاهمها قصة المعتمد بن عبّاد الاشبيلي وخطبته الجميلة الرميكية (٤) وقصة عن الخليفة الاندلسي الحكم المستنصر ٣٦٦هـ وما ادخله من تعديل على بعض

---

(١) بانثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٨٩.

(٢) المقرى ، نفج الطيب جـ٤ ص١١.

(٣) ن.م. ص٥٦ «ومن شعره قصيدة في وقت رحلته إلى الأندلس قوله :

على الذل أو فأحلل عقال الركائب ... وللضيم أو فأحلل صدور الكتائب
فأما حياة بعد ادراك مغنية ... واما ممات تحت عز القواضيب
فما في ظل الهوان بطيب ... وما الموت في سبل العلاء بوئب

(٤) وقد طلبت اليه ان يجعل لها بركة من ماء الزهر

يحفها طير من مسك وعنبر تذكيراً له بيوم رآها

تخوض في الطين على ضفاف الوادي الكبير باشبيلية (كتاب اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠) ص٨٨–٩٢.

الآلات الموسيقية وقصة عن أمرأة اندلسية مسلمة كانت تمثل بالقتلى المسيحيين انتقاماً لواحد من اهل قرابتها وقع في القتال الناشب بين الجانبين في بعض الثغور الاندلسية (١) وقد اتخذت جميع هذه القصص المنحى المشرقي في المعالجة والموضوع .

ومن الجدير بالاشارة إلى أن هناك كتباً مشرقية ادخل في باب التأليف القصصي قد عرفت في الاندلس وكان لها صدى ونفوذ كبيرين في هذه البلاد من اهمها كتاب ألّف في عصر هارون الرشيد لابي سرى سهل ابن ابي غالب الخزرجي سماه كتاب «ربيعة وعقيل» (٢) وهذا حمل كثيراً من الأدباء الأندلسيي على تقليده او معارضته (٣) .

اما ابرز من تضلع في الشعر الغنائي فهو ابو العلاء صاعد بن الحسين بن عيسى البغدادي٤١٧هـ/١٠٢٦م الذي كان اصله من الموصل واستوطن قرطبة(٤) وكان تأثيره واضحاً في ظهور عدد من تلاميذه ممن أخذ عنه أصول هذا الفن وفيما خلفه من تآليف ورسائل(٥).

وفي هذا الصدد لابد من التطرق إلى الاثر الذي تركته مقامات(٦) أبي علي محمد بن قاسم الحريري في الأدب الأندلسي . درس الحريري في البصرة وكتب مقاماته هناك وموضوعاتها تدور حول الأدب وقد سمعها كثير من

---

(١) أثر العرب والاسلام في النهضة الأوربية ص٩٢ .

(٢) ابن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم في الاندلس ج١ ص ٢٥٦

(٣) اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية ص٨٧-٨٨ «كان الامير المنصور بن ابي عامر الذي استولى على مقاليد السلطة خلال الربع الاخير من القرن الرابع الهجري كثير الشغف بهذا الكتاب»

(٤) وكان قد وفد على المنصور بن ابي عامر واراد ان يقتفي به آثار علي القالي (المقرى ، نفح الطيب ج٢ ص٥٢ ، ٦٦) .

(٥) ومن كتبه كتاب «الفصوص» الذي قوبل بالرفض من قبل لم يتحمس لهذا اللون من الشعر « فدحضوه ورفضو ونبذو في النهر» المقرى نفخ الطيب ج٤ ص٧٥-٦ .

(٦) المقامة ، لون اشبه مايكون بفن القصة القصيرة . وقد قدر لهذا الضرب من الادب ان ينتشر في العالم الاسلامي (اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية ص٨٨)

الاندلسيين وكان لها صدى بين ادبائهم حيث نشروها في بلادهم وقرأها طائفة من الاندلسيين على الحريري نفسه . ومضى نفر منهم ينسجون على منوالها مثل جعفر بن عبد الرحمن بـــن احمد الازدي ٥٧٥هـ الذي انشأ مقامات على غوارها(١). وكذلك الف أبو طاهر محمد بن يوسف السرقسطي الاشتركوني مجموعة مقامات يقول احد الباحثين انها لازالت مخطوطة في مكتبة برلين(٢). ووضع أبو طالب عقيل بن عطية القضاعي المراكش ٦٠٨هـ شرحاً على مقامات الحريري (٣) .

غير ان اكبر شراح المقامات في العالم الاسلامي آنذاك أندلسي من مدينة شريش هو إبو العباس احمد ابن عبد المؤمن بن موسى الشريشي ٦١٨هـ وكان بارعاً في علوم اللغة والعروض ، وقد وضع ثلاثة شروح لمقامات الحريري تغنى عن كل شرح تقدمها (٤). ويصح ان نقول بأن فن المقامة الاندلسية الذي هو نتاج المقامة المشرقية قد تطور وابتعد عن الجمود المشرقي وتحرر من فيقهة اللغويين المتكلفة . واصبحت المقامة قصصية الطابع واكثر شعبية بتقديمها الصور البديعة للمجتمع الاندلسي كما تميزت بالواقعية .

ومن الجدير بالذكر ان يهود الاندلس قد تأثروا بمقامات الحريري فنسج احد ادباء اليهود الاندلسيين مقامات باللغة العبرية على النهج نفسه الذي كان قد اتبعه المؤلف البصري الكبير ، كما انتهج سليمان بن صقبل القرطبي مقامات بالعبرية ، وتبعه مقلد يهودي آخر للحريري وهو يهوذا بن سليمان الحريري . حيث ترجم مقامات الحريري إلى العبرية والف كتاباً بعنوان «تحكموني» (أي الرجل الحكيم) بدا فيه وهو يعارض مقامات الحريري ويردّ عليها بمقامات انشأها (٥) .

(١) بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص١٨١ .

(٢) ن. م. ص١٨١-١٨٢ ..

(٣) ن. م. ص١٨٢ .

(٤) وكان الشريشي لايكتفي بما يصلح على المقامات من الشروح الإدبية بل يضيف من علمه كثيراً من الموضوعات ذات الاهمية البالغة . ومما يدل على اهمية هذه الشروح ، ان الناشرين المحدثين يجعلونها على هوامش طبعاتهم للمقامات (ن. م .ص١٨٢) .

(٥) كتاب اثر العرب والاسلام في النهضة الاوروبية ص٩٢ .

اما في الشعر ، فقد اتخذ الشعراء في الاندلس ، قصائد العرب الجاهليين نماذج ينظمون على منوالها وخصوا (المعلقات السبع) (١) بالدراسة والاقتداء ولكنهم تحولوا عنها الى قول الشعر الذي يخدم الاغراض العسكرية والاجتماعية لشد عزائم الجند في ميادين القتال وبثّ الحمّية في قلوب الناس لذكر الوقائع الحربية لغرض ترديدها في الطرقات والميادين والشوارع ثم انصرفوا الى الموضوعات التي كان يطرقها شعراء بغداد والبصرة ودمشق وهي تتعلق بالغزل والوصف وذكر محاسن الجمال والرياض الخضراء(٢) .

وعلى العموم فالشعر الاندلسي نبع من بحر الشعر المشرقي ، فقد تأثر الأندلسيون من ناحية البراعة الشعرية وليس من ناحية التفكير وتسلسل انماط الافكار ،فلم يستطيعوا ان يدخلوا على الشعر من التغيير الآّما يمس المعنى — كما كان يفعل المشارقة . وقد طرق الشعر الاندلسي فنون الشعر كافة من الزهد الى الهجاء وقصائد الحماسة والنسيب والمديح والرثاء والوصف وهو ماكان عليه الشعر في المشرق . وكانت الخمريات اكثر فنون الشعر ذيوعاً بين شعراء الاندلس ، كما ولعوا بالوصف للطبيعة والجمال ، غير انهم لم يظهروا براعة في الشعر السياسي اوالحماسي .

ولعل من المفيد القول بان الشعر الاندلسي لم يصل الى اوجه الا بعد قيام الدولة الاموية عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م ، حيث عرفت الاندلس دواوين المتنبي وغيره من الشعراء في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ٣٥٠هـ/ ٩٦١م وفي عهد خليفته ابنه الحكم المستنصر ٣٦٦هـ / ٩٧٦م ، وذلك عندما وفد سفراء الثقافة المشرقية ومنهم ابو علي القالي البغدادي الذي وفد عام ٣٣٠هـ/ ٩٤١م وصاعد بن الحسين البغدادي الذي دخل الاندلس عام ٣٨٠هـ /٩٩٠م

(١) لامرىء القيس وزهير بن ابي سلمى والنابغة الذبياني ولبيد بن ابي ربيعة وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد والاعشى .

(٢) بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص٣٧

(٣) ن. م. ص٥٩

وقد ادخل الى هذه البلاد طريقة جديدة في دراسة الشعر الجاهلي(١)، كما بــذل محاولاته في تأليف كتاب « الفصوص » بصورة يفوق فيها كتاب «الامالي» لابي علي القالي ، ولكن معارضيه قذفوه في النهر فقال أحد الشعراء :

قد غاص في الماء كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد :

عــاد إلـى معدنـــه ، انمــا توجد في قعر البحار الفصوص (٢)

وإلى جانب ترحيب الاندلسيين وخاصة الامراء منهم بأهل العلم من المشارقة ، فقد نشط هؤلاء باقتناء الكتب النادرة والحصول عليها من مصادرها كما اجتهدوا على حد قول احد الباحثين في ان يكون لقصورهم مجد ادبي يحاكي ماكان لقصور خلفاء المشرق واهتموا برعاية الآداب والعلوم والفنون لكي تصل قرطبة إلى مستوى يضاهي ماوصلت اليه دمشق وبغداد (٣) . ويشير ابن سعيد المغربي إلى أن الامير عبد الرحمن الاوسط كان يبعث رسلاً للبحث عن الكتب والمؤلفات في المشرق(٤) كما ان ابنه الحكم المستنصر كان معنياً هو الآخر «بالعلم ومكرماً لأهله وجماعاً للكتب بأنواعها وبما لم يجمعه احد غيره من الامراء والملوك . وكان يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي ويبعث باستقدام العلماء والفقهاء من المشرق(٥) وأوجد في قرطبة عدداً كبيراً من الكتبة والمجلدين والمزخرفين والنساخين ، استقدام بعضهم من صقلية ومن بغداد ، كانوا يعملون تحت اشراف المشارقة من حاشية الخليفة لاغناء

---

(١) بالنثيا ، تأريخ الفكر الاندلسي ص٦٠ .
(٢) المقري ، نفح الطيب ج٤ ص٧٥-٧٦ .
(٣) بالنثيا ، المصدر نفسه ص٤ .
(٤) المغرب في حلى المغرب ج١ ص٤٥ .
(٥) ن. م. ص٤٥ .

مفتبته التي كانت تحتوي على النفائس حيث ضمنّت حوالي اربعمائة الف مجلد ، اغلبها كتب المشارقة(١) . وترد تفاصيل مفيدة عن الدور الذي قام به الحكم المستنصر في انشاء المكتبة الاموية الكبرى (٢) بالقصر الاميري ، وهي اعظم مكتبات قرطبة (٣) حتى ان ابن حيان ذكر بأنه لم يسمع في الاسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب في طلبة ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الامصار النائية (٤)، وقد جمع في داره الحذاق في صناعة النسخ والمهارة في الضبط والاجادة في التجليد ، حتى اجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده (٥) ويبدو ان اغلب الكتب المنسوخة والمضبوطة التي تضمها هذه الخزائن التي ايسهم في صناعتها الفنيون المشارقة، حيث كان في مقدمة الوراقين الوافدين من المشرق « ظفر البغدادي» وهو من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط وعباس بن عمر الصقلي ويوسف البلوطي ومن في طبقتهما ، وكذلك ابو اليسر ابراهيم بن احمد الذي اشتهر ببراعة خطة وحسن وراقته ، فكتب بيده اكثر كتبه وكان قد تلقي معارفه في بغداد(٦) .

(١) المقرى ، نفح الطيب ج١ ٣٧٢

(٢) لما توفي عبد الرحمن الناصر عنى ولده بجمع مكتبات القصر وتنظيمها لتكون بداية للمكتبه الاموية التي انفق بقية عمره في جمعها وتنسيقها :

I. Ribera: Disertaciomesy opusculos,
(Madrid? 1928) p. 191? 192.

(٣) عهد الحكم بادارة المكتبة إلى اخيه عبد العزيز ويساعده الفتى سابور الفارسي الذي اختاره الحكم ليكون وصيفاً خاصاً له . وكان عالماً من علماء عصره .

Modesto lafuence:
Historia Genral de Espana, Tome, III, p. 337 .

(٤) محمد عبد الله عنان ، الدولة العامرية وسقوط الخلافة الاندلسية ج٢ من كتاب دولة الاسلام في الاندلس (مصر-١٩٥٨) ص٢١ ، ٢٢ .

(٥) المقرى ، نفح الطيب ج١ ص٣٦٢

(٦) ن. م. ج٤ ص١٠٨

والى جانب هذه المكتبة ، هناك سبعون مكتبة عامة في الاندلس ، حتى غدت العناية بالمكتبات ظاهرة عامة لدى الناس حيث كانوا يتبارون في جمع الكتب والمولفات والمصنفات واصبح الحصول على الكتب المشرقية خاصة يشغل اهتمام الاندلسيين (١) .

ومن المفيد ان نشير الى مايذكره المقرى بهذا الصدد نقلاً عن ابن حزم الاندلسي قائلاً «اخبرني — تليد الخصي — الذي كان على خزانة الكتب والعلوم بدار بني مروان ان عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسا ، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ، واقام بنو مروان للعلم والعلماء سوقاً نافقة جلبت اليها بضائعه من كل قطر» (٢) ويذكر هذا المؤرخ نقلاً عن ابن خلدون انه لما وفد ابو علي القالي صاحب كتاب «الامالي» من بغداد اكرم الامير عبد الرحمن الاوسط مثواه وحسنت منزلته واختص بابنه الحكم المستنصر واستفاد من علمه (٣) وكان الحكم يعينه على التأليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط في الاكرام (٤) .

ان الكتب التي حرص الحكم المستنصر على الحصول عليها من المشرق كثيرة ومنها كتاب « الاغاني» لابي الفرج الاصفهاني ، فقد ارسل اليه الف دينار من الذهب العين لكي يزوده بنسخة مكتوبة قبل ان تصدر في بغداد (٥) .

(١) الذهبي ، دول الاسلام (مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية—حيدر آباد الدكن ١٣٦٤هـ) ج٢ ص٥٠٤ .

(٢) نفح الطيب ج٢ ص٣٦٢

(٣) أمر ابنه ان يجيء مع ابي علي القالي إلى قرطبة وان يتلقاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكرمة لابي علي ، ففعل وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل فكانوا يتذاكرون الادب في طريقهم ويتناشدون الاشعار» ن. م. ج١ ص٣٦٣ ، ج٤ ص٧٠ .

(٤) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٤ ص١٤٦ ، نفح الطيب ج١ ص٣٦٢. وذكر ابن خلكان ان ابن القوطية القرطبي كان يبالغ في تعظيم ابي علي القالي وكثيراً مايفيد من علمه وفنه (وفيات الاعيان ج٤ ص٣٦٩) .

(٥) المقرى ، نفح الطيب ج٢ ص٣٦٢

وغنى عن البيان ما لهذا الكتاب من قيمة ادبية ولغوية حيث تبدّت اهميته في سعى الاندلسيين إلى استنساخه ونشره في بلاد الأندلس .

كما الف أبو الفرج الأصفهاني كتاباً آخر خصه لانساب بني امية وارسله إلى الحكم المستنصر ونشر في الأندلس (١) .

ومن الجدير بالذكر ان الحكم المستنصر قد فعل ذلك مع القاضي ابي بكر الأبهر المالكي الذي استقدمه من المشرق واقام في دانية ثم قصد سرقسطة واستقر به المقام آخر الأمر في غرناطة (٢) حيث قدّم له شرح كتاب « المختصر لابن عبدالحكم » الذي قرأه اهل الأندلس وتداولوا النسخة التي كتبت هناك (٣) .

اما ارسال الأمير عبدالرحمن الأوسط للعالم الأندلسي المشهور عباس بن ناصح الجزيري (٤) إلى المشرق الأسلامي للحصول على الكتب ، فقد ترك تأثيره في حركة العلوم العقلية في الأندلس ؛ حيث اتى له بكتاب « السند هند » (٥) وهو يحتوي على مباحث في علم الفلك والفلسفة والمنطقة. ويؤكد ابن سعيد المغربي بان عباس بن ناصح الجزيري ٢٦٠ هـ « هو الذي أدخلها الأندلس وعرّف اهلها بها ونظر هو فيها » (٦) واطلع علماء الاندلس على هذا الكتاب ونظروا فيه وتأملوه واعتمدوه في مؤلفاتهم وخاصة في علم

---

(٢) المقرى ، نفح الطيب ص٣٦٢ .

(٣) بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص١٠٧-١٠٨ .

(٤) المقرى-المصدر نفسه ص٣٦٣ .

(٥) وهو ابو المعلى الاندلسي الثقفي ، وكان من اهل العلم بالعربية واللغه والشعر المجودين وله حظ في الفقه والروايه ، وكان قد رحل مع ابيه إلى مصر وتردد إلى الحجاز طالباً اللغة العربية ولقي الاصمعي وغيره بالعراق واجتمع بابي نؤاس واذعن له بالفضل على نفسه واتضرف إلى الاندلس (جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ج٢ (الطبقة الاولى عيسى الباب الحلبي وشركاه) ص٢٨ .

(١) وقد جاء ان هذه الكلمة عربية محرفة عن السنسكريتية (الهندية القديمة) واصلها (الست هانت) ومعناها «مقالة الافلاك» ومؤلفها العالم الفلكي الهندي «برهمكيت» .

(٢) المغرب في حلى المغرب ج١ ص٤٥ .

الفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق ، وبذلك تتجلى التأثيرات التي يتركها كتاب « السند هند » الذي كان مقسما على جزئين ، احدهما في بحث الازياج (١) (الجداول) والاخر في رسائل هذه الجداول ، فيما اقدم عليه أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي ٣٩٤/١٠٠٤م العالم الفلكي الأندلسي (٢) وتلامذته ، (٣) تأليف الازياج وفقا للمباديء والافكار التي جاءت في هذا الكتاب المشرقي (٤) كما كتب العالم أبو القاسم . اصبغ بن محمد بن عبد الله (٥) الذي كان قد رحل الى المشرق فسمع بمكة والكوفة (٦) الازياج والاطارح (٧) الرسائل (٨) متأثراً بهذا الكتاب ، كذلك

---

(١) الزيج ، كتاب يعرف منه سير الكواكب ومنه يستخرج التقويم اي حساب الكواكب لسنة واخرى (ابراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر المعجم الوسيط- المكتبة العلمية- طهران جا ص٤١٠ .

(٢) ومن كتبه «رسالة الاسطرلاب» و ثمار علم العدد وملخص لزيج البتاني سماه « تعديل الكواكب) كما ان له ترجمة للكتاب و » قبة الفلك Planishaerium لبطليموس (بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص٤٨٨) كما اصلح الزيج الذي وضعه محمد بن احمد الخوارزمي وهو من اهل المشرق استوطن الاندلس .

(٣) ومن هؤلاء التلامذة ابي القاسم اصبغ بن محمد المهري ٤٢٥هـ/١٠٣٤ من اهل غرناطة الذي كان متقدماً في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم (ابن حيان القرطبي ، المقتبس من ابناء اهل الاندلس (تحقيق د. محمود علي مكي-بيروت-١٩٧٣م ص٢١٣) وابن الصفار ابو القاسم احمد بن عبد الله بن عمر الذي عمل « زيجاً مختصراً » على مذهب (السند هند) (بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلس ص٤٤٩) .

(٤) صاعد الاندلسي ، طبقات الامم (مطبعة السعادة) ص١٠٧ (بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص٤٤٨) كما اصلح الزيج الذي وضعه محمد بن احمد الخوارزمي وهو من اهل المشرق استوطن الاندلس .

(٥) الحميدي ، جذوة في ذكر رجال الاندلس تحقيق محمد تاويت الطنجي القاهرة - ٢٩٥٢) ص٢١٢ ، السيوطي ، بغية الوعاة ص٤٥٩

(٦) ابن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم في الاندلس - جا ص ٤٠٧-٤٠٨ .

(٧) الاطروحة ، مايطرح المسألة تطرحها للنشر والبحث ، المجمع اطارح (ابراهيم مصطفى وزملاؤه ، المعجم الوسيط ج٢ ص٥٥٩) .

(٨) الرسالة ماحمله الرسول والجمع الرسائل ورسيل الرجل الذي معه في نضال او نحوه (ابن دريد كتاب جمهرة اللغة -دار صادر ، مؤسسة الجلبي وشركاه- القاهرة الطبقة الاولى) ج٢ ص٣٣٥ .

ابو ابراهيم ابن يحيى النقاش بن زرقالي العالم الفلكي المشهور(١) الذي وضع الجداول الفلكية واسطرلاباً واجهزة دقيقة مثل «الزرقالية» «الصفيحة» التي كانت تسمى في اوربا Asafea وابتكر في علم الفلك نظريات جديدة عن الكواكب السيارة والحركات الدائرية للنجوم (٢) اعتماداً على كتاب «السند هند» (٣) .

اما فيما يتعلق بالفلسفة ، فلدينا مايشير الى ان تاريخ الفكر الفلسفي في بلاد الاندلس هو صورة مطابقة لما كانت عليه الثقافة الاسلامية المشرقية دون ان تكون له بالتراث المحلى صلة حقيقية يقوم عليها الدليل (٤) وانه خلال العصور الاسلامية الاولى في هذه البلاد لم تكن سوى آراء غامضة من البحث عن الطبيعة وما وراء الطبيعة وفي اصول التفكير الفلسفي ولابد من القول ، ان الفلسفة لم تدخل هذه البلاد كعلم قائم بذاته وانما وصلت اليها من المشرق من صحبة العلوم النظرية والتطبيقية مثل علم الفلك والرياضيات والطب اوانها كما افاد بعضهم قد تسربت اليها في ثنايا الاعتزال وبعض المذاهب الدينية (٥) .

واشار احد الباحثين الى ان تاريخ الفكر الفلسفي الاندلسي هو اقتباس امين عن الثقافة الاسلامية المشرقية وبدون اية روابط ايجابية تذكر . وقد برهن على ذلك من خلال التقاليد المحلية التي كانت تفصح عنها هذه البلاد (٦) .

---

(١) كما انه وضع مع ابن صاعد الاندلسي مبادىء جداول طليطله المعروفة بالزيج الطليطلي واخترع اصطرلاباً سمي باسمه Arzchel ويعتبر من اعظم اهل الفلك من العرب اطلاقاً .

(٢) بالنثيا ، تاريخ الفكر البغدادي ص ٤٥١ .

(٣) ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ص٣٥-٤٦ .

(٤) بالنثيا ، تاريج الفكر الاندلسي ص٣٢٣ .

(٥) ن. م. ص ٣٢٥-٣٢٦ .

(٦) ليفي بروفنسال ؛ حضارة العرب في الاندلس ترجمة ذوقان قرقوط بيروت) ص٦٢.

ولكن بحلول القرن الرابع الهجري نبغ محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي (١) فيلسوف قرطبة الاول الذي اتقن دراسته على يد المشارقة ،حيث رحل الى المشرق ، فكان مذهبه يجمع بين التصوف وبين الاعتزال ففي الاعتزال كان يقول بالاستطاعة والوعد والوعيد ونفي رؤية الله ، وهي آراء تتفق مع آراء المشارقة وقد تأثر بابن مسرّة كل من ابن حزم الاندلسي (٢) .وصاعد بن احمد بن عبد الرحمن بن صاعد الطليطلي ٤٦٢هـ (٣) وعدد كبير من الاندلسيين ممن اخذوا عنه وتلمذوا عليه ، ويورد بالنثيا قائمة باسمائهم (٤).

والى جانب ذلك فقد ظهر فلاسفة آخرون اخذوا عن المشارقة ومنهم ابن باجه ٥٢٣ هـ وهو من مدينة سرقسطه ومن شراح فلسفة ارسطو، وابن طفيل ٥٨١هـ وكتابه «حي بن يقظان» من احسن ماتفخر به الفلسفة العربية، وكان قد تأثر بفلاسفة المشرق الذين تناولوا هذا الموضوع .

وميزّ بين آراء ارسطو وافلاطون ، ونبذ كثيراً من آرائهما التي لاتتفق مع الدين . وفي علم الكلام ظهر كتاب «الدليل في الطريق من اقاويل اهل التحقيق (٥) لعبد اللطيف بن ابي الطاهر بن هبة الله الهاشمي(٦)

(١) خرج من الاندلس فاراً بعد ان اتهم بالزندقة ودخل المشرق واشتغل بملاقاة اهل الجدل واصحاب الكلام والمعتزلة ثم انصرف إلى الاندلس واظهر نسكاً وورعاً واتخذ الناس بظاهره فاختلفوا اليه وسمعوا منه (ابن الفرضى) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس جـ٢ ص٤١ .

(٢) وهو ابو محمد بن احمد بن سعيد بن حزم. ولد بقرطبه سنة ٣٨٤هـ ؛ وكان حافظاً لعلوم الحديث والفقه مستنبطاً للاحكام ؛ وعرف بالجدل والمناظرة (انظر ترجمته : الحميدي جذوة المقتبس ص٢٩٠-٢٩٣ ، ياقوت ؛ معجم الادباء جـ٢ ص٢٣٥ ، ابن خلكان وفيات الاعيان جـ١ ص٣٤٠-٣٤٢ .

(٣) ابو القاسم الطليطلي سكن قرطبة وكان تلميذاً لابن حزم ، له كتاب «طبقات الامم وهو موجز للتاريخ البشري . وقد بني اراءه الفلسفية على آراء فليون السكندري وافلوطين وإنبدوقليس ومن تلاميذه الياس بن يوسف الطليطلي .

(٤) ومن بين اولئك التلاميذ حي بن عبد الملك وخليل بن عبد الملك القرطبي ومحمد بن سليمان العكي واحمد بن فرج بن فتيل بن قيس وغيرهم كثيرون (تاريخ الفكر الاندلسي ص٣٢٨)

(٥) ابن حزم الاندلس ، جمهرة انساب العرب (تحقيق عبد السلام محمد هارون — مصر ١٩٦٢ ص ٦ . ٤) المقري ، نفح الطيب جـ٤ ص ٦٥ .

وهو من اهل بغداد دخل الاندلس ونشر علومه فيها . وقد اثار هذا الكتاب اهتماماً واسع النطاق في الاندلس وخاصة في مدينة غرناطة ، كما كان ابو البركات عمر بن مودود الفارسي البخاري من اهل التصوف والتحقيق بعلم الكلام في مدينة قرطبة في نهاية القرن الخامس الهجري (١) ويبدو تأثير ابي المكارم هبة الله بن الحسن في اوساط المهتمين في الاندلس واضحاً في اصول علم المنطق ، حيث تلمذ على يديه بعض من اهل اشبيلية سنة ٥٧٩هـ (٢) ، كما الف ابو محمد بن احمد بن حزم الاندلس كتاباً في المنطق اسماه «التقريب لحد المنطق والمدخل اليه» وجعله بالفاظ اهل العلم لابالفاظ اهل الفلسفة متخذاً مثلته فيه من السائل الفقهية (٣) ، وهو المنحى الذى كان يتجه اليه المشارقة ويفضلونه .

اما نشؤ المدرسة التأريخية العربية الاندلسية وتطورها ، فيمكن القول باطمئنان انها تمت على يد المؤرخين المشارقة ، فأول مؤرخ لهذه البلادهو عبد الملك بن حبيب ١٧٩ — ٢٣٨هـ ، الذى رحل الى المشرق وتردد على مجالس العلم في مدنه المختلفة واصاب في الاندلس بعد عودته شهرة واسعة ، حتى لقبه الناس بـ «عالم الاندلس» . واستقر في مدينة قرطبة ، وفي مسجدها الجامع كان يعقد حلقات دروسه (٤) وانتهج في كتابة تاريخ الاندلس منهجاً مشرقياً وكان كتابة في التأريخ الموسوم «كتاب في ابتداء خلق الدنيا وذكر ماخلق فيها من ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجبال ...الخ »(٥)

---

(١) ن. م. ص١٤٠-١٤١ .

(٢) المقرى ، نفح الطيب ج٤ ص١٤١

(٣) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ص٦

(٤) وكان الى جانب ذلك نحوياً عروضياً وشاعراً« حافظاً» للاخبار متصرفاً «في فنون العلم» وله مؤلفات كثيرة في علوم الطب والفلك والانساب والفقه (كتاب اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية /الفصل السابع ، الدكتور جمال الدين الشيال ص٢٧٠ ، ٢٧١) .

(٥) توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبه بودليان باوكسفورد .

يمثل خطوة رائدة في علم التأريخ حيث جعل فيه تأريخ العالم مقدمة لتأريخ الاندلس ، وهو اقدم مؤلف لمؤرخ اندلسي عن تاريخ هذه البلاد ـ[1]
وقد نقل عن شيوخه المصريين ، كما اعتمد كذلك إعلى ماكان يتناقله الاندلسيون في ايامه من روايات في شأن افتتاح الأندلس . وفي اوائل القرن الثالث الهجرى ، ظهر المؤرخ محمد ابن موسى الرازي وهو مشرقي الاصل من مدينة الرى ، وقد وفد الى الاندلس سنة ٢٤١هـ واستوطن قرطبة واهم مؤلفاته كتاب «الرايات» الذى نحافيه منحى المؤرخين المشارقة . ثم خلفه ابنه احمد ابن محمد الذى لقب (بالتأريخي) لكثرة اشتغاله بالتاريخ.

ولكن تجلت التأثيرات التي تركها المشرق الاسلامي في هذا الجانب بظهور اعظم مؤرخ ان جبته الاندلس وهو حيّان بن خلف بن حسين بن وهب القرطبي الذى وصف بصاحب لواء التأريخ بالاندلس . افصح الناس فيه واحسنهم نظاماً له ٣ ومن كتبه «المقتبس من ابناء اهل الاندلس» وقد وصفه ابن حزم الاندلس واثنى عليه ٤ وابن سعد المغربي ٥ والكتاب الاخر «المتين» الذى ذكره خلكان وهو يقع في ستين مجلداً . ٦ وهناك

---

(١) المقرى ،نفخ الطيب جـ٢ ص٣٧
(٢) ومن مؤلفاته :
(١) اخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم .
(٢) كتاب في انساب مشاهير اهل الاندلس في خمسة مجلدات .
(٣) كتاب في صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها .
(٤) كتاب عن كبار الموالي الاندلسيين .
(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ٢ ص٢١٨ .
(٤) يقول عنه بانه كتاب التأريخ الكبير في اخبار اهل الاندلس ، هو نحو عشرة اسفار من من اجل ما الف في هدا المعنى (المقرى ، نفح الطيب جـ٤ ص٢٦٧)
(٥) وكان يعلق على النص الدي اورده ابن حزم فيقول «وانما ذكر ابن حزم كتاب المقتبس وهو في عشر مجلدات (ن.م. ص ٢٧٢) .
(٦) وفيات الاعيان جـ٢ ص٢١٨. ويقول عنه ابن سعيد المغربي «وكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين في نحو ستين مجلدة يذكر فيها اخبار عصره ويمعن مما شاهده المقرى نفح الطيب جـ٤ ص١٧٢

طائفة من مؤرخي الاندلس ، كتبوا مختصرات لتأريخ محمد بن جرير الطبرى ٣١٠هـ فذكروا اخبار المشرق عنه واضافوا اليه اخبار المغرب والاندلس مثل عريب بن سعد ٣٦٩هـ الذي كان من اصل نصراني ثم استعرب واحمد بن محمد بن سعيد بن الجسور ٣١٩هـ (١) وكان تلميذاً لقاسم بن اصبغ الذي برع في الوثائق والاحكام ، ويوسف بن محمد بن سليمان الهمداني الذى عني هو الاخر بكتب محمد بن جرير الطبرىفكتب تفسيراً للقرآن وتأريخ الملوك والذيل وهو كتاب العلماء وكتاب «بعض تهذيب الاثار» وكتاب «اختلاف العلماء» (٢) .

وفي حقل الجغرافية ، يمكن الاشارة الى جهود الرحالة ابي محمد تاج الدين عبد الله بن حموية السرخسي ٥٩٣هـ الذى استقر في بلاد الاندلس بعد رحلة زار خلالها المشرق واطلع على احوال وكتب في رحلته قائلاً «فحدث باعث يدعو الى الحركات والاسفار ومشاهدة الغرائب في النواحي والاقطار(٣) ومن مصنفاته كتاب «المسالك والممالك» وهو كتاب جغرافي ترك صدى واسع النطاق في الاوساط العلمية في الاندلس . كما لابد لنا ان نشير الى ظهور الجغرافي الاندلسي الكبير ابي عبيدة بن ابي مصعب البكرى ٤٨٧هـ الذى افاد من الجغرافيين الشارقة مثل اليعقوبي ٢٨٤هـ احمد بن جعفر بن واضح في كتابه «البلدان» وابن خرداذبه ٣٠٠هـ عبيد اللهبن احمد في كتابة «المسالك والممالك» وابن رسته ٣٢٢هـ احمد بن عمر في كتابه «الاعلاق النفسية» والاصطخرى ٣٤١هـ ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي في كتابيه «صورة الاقاليم» «ومسالك الممالك» وابن حوقل ٣٦٧هـ ابي القاسم النصيبي في كتابه «صورة الارض» فقد تأثر بهم عندما وضع كتابه «المسالك والممالك »الذى تناول فيه جغرافية العالمواتبع المنهج التأريخي

---

(١) الضبي ، بغية الملتمس في رجال اهل الاندلس (طبع في مدينة مجريط ١٨٨٣) ص ١١٦.
(٢) ابن الغرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ص٢٠٦ .
(٣) المقرى ، نفح الطيب ج٤ ص٩٩ .

الجغرافي المشرقي ، كما وضع كتاب «معجم ماستعجم» وهو قاموس جغرافي للبلاد التي جاء ذكرها في اشطر العرب .

اما الرحالة ابن جبير ٦١٤هـ محمد بن احمد الكناني الاندلس البلنسي فأنه اكثر الجغرافيين الاندلسيين تأثراً بالمشرق وبأفكاره ، فقد قام بثلاث رحلات ، اهمها الرحلة الى المشرق حيث زار بغداد والكوفة والموصل وخراسان ودمشق واطلع على معالمها الثقافية والعلمية ، واكتسب خلال رحلاته هذه ، كثيراً من المعارف وسجلّ انطباعاته وماشاهده فكان لذلك اثره في ظهور ادب الرحلات في بلاد الاندلس.

ثم ظهر بعد ذلك الجغرافي الاندلس على بن سعيد المغربي ٦٨٥ هـ نور الدين الغرناطي متأثراً باساتذة المشارقة ، بعد ان جال في الديار المصرية والعراق والشام فجمع وصنف كتابه « المغرب في حيّ المغرب(١) وكتابة الاخر « بسط الارض في الطول والعرض » كما وضع مختصراً لجغرافية بطليموس (٢) ونقل ابن سعيد عن الادريسي واعتمد على مؤلفاته البلدانية (٣.)

اما على نطاق العلوم العقلية او النقلية وهي العلوم التطبيقية والتجريبية فقد اسهم بعض علماء المشارقة بنقل تراث الشرق الى الاندلس / فالمشارقة كما هو معروف هم اصحاب الفضل الاول في وضع الطريقة العلمية والمنهج التجريبي في العلوم العقلية ، ويشهد على ذلك رسوخ قدمهم في العلوم والمعارف

(١) ويفصل في جغرافية الاندلس وخصائصها وفضائلها ويقع في خمسة عشر مجلدا ، وكان المؤرخون يكثرون من النقل عنه .
بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص٢٤٤

(٢) واثنى على هذا الجغرافي كل من ابي الفد والمقريزي وابن خلدون وابن خلكان والمقري ن.م.ص٢٤٥)

(٣) ومن الجهة الاخرى فقد اورثت المدرسة الجغرافية الاندلسية اهتماماً اهتماماً لدى المشارقة في القرنين السابع والثامن الهجريين، فقد عول عليه ياقوت شهاب الدين الرومي البغدادي في اخراج كتابه المشهور «معجم البلدان »وابو عبدالله محمد الانصاري الدمشقي المعروف وما جاءت لها من افكار وموضوعات في مجال جغرافية البلدان . (النثيا تأريخ الفكر الاندلسي ص٢٤٥).

بصورة عامة . وفي علم الحساب ينبغي ان نشير الى علي ابن محمد الانطاكي التميمي نزيل الاندلس الذي كان بصيراً بعلم الحساب حيث « ادخل للاندلس علماً جمّاً فيه(١)» ومن المرجع جداً انه تأثر بالعالم المشرقي الكبير محمد بن موسى الخوارزمي الذي يرجع اليه الفضل في وضع علم الحساب عند المسلمين عموماً ، اذ كان كتابه في هذا العلم ، الاول من نوعه من حيث الترتيب والتبويب والمادة وقد اصبح مرجعاً اعتمده العلماء الحاسبون (٢) كما ان كتابة «الجبر والمقابلة» هو الاخر يعتبر مصدراً استقى منه العلماء في الشرق والغرب على السواء . ويذكر ابن الفرضى ان مسلم بن احمد ابن ابي عبيده الليثي المعروف بصاحب القبلة ، وهو من اهل قرطبة ، كان قد رحل الى المشرق «وكان عالماً بالحساب والنجوم» (٣) واخذ عنه بعض اهل الاندلس وترددوا عليه وتوفر على حل ما اشكل عليهم في هذا المضمار . اما علي بن محمد بن على القرشي القلصاوى، الذي كان عالماً بالحساب فقد انصرف بعد عودته من المشرق واستقراره في مدينة غرناطة ، الى تقديم المزيد من المؤلفات والاثار في علم الحساب ومنها كتاب « كشف الجلباب في الحساب» وكتاب «القانون في الحساب » وكتاب « التبصرة في علم الحساب » . (٤) وكتاب «كشف الاسرار في علم الغبار» ١ ، حيث اقبل الناس عليها وتوسعوا فيها.

ونتيجة لتأثيرات المشرق ، ظهرت الى الوجود المدرسة العلمية في الرياضيات والفلك التي كان تزعمها ابو القاسم مسلمه بن احمد المعروف بالمجريطي ٣٩٤هـ / ١٠٠٤م الرياضي الفلكي المشهور التي نشطت في نقل

---

(١) المقرى ، نفح الطيب ج٤ص ١٤٠.

(٢) بقي على الحساب قروناً معروفاً باسم الغوريثمي (Algorithmi) نسبة الى محمد ابن موسى الخوارزمي .

(٣) تأريخ العلماء والرواة للعلم بالإندلس ج٢ ص١٢٥ – ١٢٦

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج٦(القاهرة – ١٣٥٤هـ) ص١٥ ، اسماعيل البغدادي هدية العارفين (طبعة الاوفسيت المكتبة الاسلامية في طهران – ٢٩٦٧) ص٦٣٧ ، ٧٣٨ ، بالثنيا تاريخ الفكر الاندلسي ص٤٥٧ – ٤٥٨ .

«رسائل اخوان الصفا» الى الاندلس (١) .وهذه الرسائل هي للجمعية العلمية العربية التي نشأت في البصرة في القرن الرابع الهجري ولها فرع في بغداد وعملت بصورة سرية واشتهرت بالاراء العلمية الحرة (٢) وقد قام الطبيب الفيلسوف ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن احمد بن علي الكرماني ٤٨٥هـ بنشر هذه الرسائل في مدينة سرقسطه ويذكر صاعد بن احمد الاندلسي لهذا الخصوص قائلاً « ان الكرماني من اهل قرطبة واحد الراسنين في علم العدد والهندسة ، رحل الى ديار المشرق وانتهى منها الى حران من بلاد الجزيرة وعنى هناك بعلم الهندسة والطب واتقنه ثم رجع الى بلاد الاندلس واستوطن مدينة سرقسطه وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل المعروفة برسائل اخوان الصفا لانعلم احداً ادخلها الاندلس قبله (٣) ويذهب بالنثيا الى القول انه « بدخول رسائل اخوان الصفا الى الاندلس ، تكون قد دخلت فلسفة افلاطونية حديثة بالاضافة الى ما به جاء الفلاسفة الاندلسيون الاخرون (٤)»

وقامت في الاندلس الى جانب ذلك نهضة طبية تطورت على غرار طب المشرق غير ان علماء الطب وكتبته ومشتغليه في الاندلس اولوا الجراحة الطبية عنايتهم الخاصة دون فروع الطب الاخرى . وقد غدّى المشرق الاسلامي هذه النهضة بافكاره ، فأزدهر هذا العلم بين مسلمى الاندلس

(١) بالنثيا — المصدر نفسه ص٢٣٣.

(٢) وقد جمعت بين حرية فكر المعتزلة واتجاه الشيعة بالتوفيق بن شتى الاراء والمذاهب وبلغت رسائلهم اثنين وخمسين رسالة مقسمة على اربعة اقسام ،رياضية تعليمية وجسمانية طبيعية ونفسية عقلية وناموسية آلهية ، ثم تليها الرسالة الجامعة .وقد تناولوا فيها جميع معارف عصرهم ومن بينها الفلسفة وعلم الفلك والرياضيات ،وكانت معالجاتهم للموضوعات التي تناولوها بطريقة علمية من حيث جمع الحقائق وترتيبها واستقراء النتائج وبحث الماهية والتركيب لاشك فيها وتدل على سعة في الفهم ودقة في العرض(د. عبد الحليم منتصر، تاريخ العلماء ودور العلماء في تقدمه ص٦٩ — ٤) .

(٣) طبقات الامم (مطبعة السعادة مصر) ص١٠٩ — ٨١٠

(٤) بالنثيا ،تاريخ الفكر الاندلسي ص٣٣٣

على يد الطبيب يونس بن احمد الحراني (١) الذي وفد من المشرق سنة ٢٣٧هـ / ٨٥٢م واخذ عنه الكثيرون وتأثروا به ومنهم ابناه احمد وعمر ، حيث امتاز الاول بالخبرة في تحضير الادوية واشتهر الثاني بالكحالة . وعلى اغلب الظن بان عمر بن يونس بن احمد الحرّاني علم ابا القاسم خلف الزهراوي طريقة استخراج ماء العين (الكتار اكتا) بواسطة الابرة (٢) .

واشار ابو القاسم صاعد ابن احمد الاندلسي ، الى ان احمد وعمر رحلا الى المشرق واقاما هناك عشرة اعوام ودخلا بغداد وقرا فيها على ثابت بن سنان بن ثابت بن قره الصابي ٢٨٦هـ (٣) كتب جالينوس ثم انصرفا الى الاندلس سنة ٣٥١هـ /٩٦٢م فاستخلصهما الامير الحكم المستنصر لخدمته في الطب . وقد خلف احمد في قرطبة اثاراً نفسية (٤) . واضاف ابن ابي اصيبعة ، ان احمد بن يونس الحراني كان «عاقلاً عالماً بما شاهد علاجه ورآه عياناً بالمشرق (٥)»

واورث الطبيب محمد بن عبدون الجبلي علومه الطبية بلداً لاندلس وكان قد رحل الى المشرق سنة ٣٤٧هـ ودخل البصرة ومصر وزار بيمارستانيهما

---

(١) ابن ابي اصيعه ، عيون الابناء في طبقات الاطباء (طبقة القاهرة ١٨٨٢) جـ٢ص٤٢

(٢) عرف الزهراوي بين اهل المشرق والمغرب على السواء بالبراعة في الجرحة الطبية ،فقد عمل طبيباً في بلاط الامير عبدالرحمن الثالث واجرى العمليات الجراحيه واستعان بالالات وكان كتابة «التعريف لمن عجز عن التأليف اكبر تصانيفه واشهرها (ابن ابي اصيبعة – المصدر نفسه (بيروت – ١٩٦٥) ص (٦٠) وهو موسوعه طبية تقع في ثلاثين جزءاً نشر الجزء الثلاثون من كتابه بالالاتينية باسم « الجراحة Chirurgia » وهو اهم كتاب في تاريخ الطب على الاطلاق، حيث جعل الجراحة علماً قائماً بذاته مستقلا عن الطب (بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص٤٦٦) واشار فيه الى اهميه الكي واستئصال السرطان ووصف الكسور والخلع واستخراج حصى المثانه بالشق والتفتيت

(٣) نبغ في الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ، وكان من اعظم المترجمين في العالم الاسلامي آنذاك ، حيث ترجم كتباً كثيرة من علوم الاقدمين في الرياضيات والمنطق والطب)د. عبد الحليم منتصر التاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ص١٦٤) .

(٤) طبقات الامم ص١٢٤

(٥) عيون الابناء في طبقات الاطباء جـ٢ص٤٦

ستانيهما وتمهرّ في الطب واحكم كثيراً من اصوله ، كان شيخه فيه ابا سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي ، ثم عاد الى الاندلس سنة ٣٦٠هـ فخدم الامير الحكم المستنصر في الطب (١) اما ابو العباس احمد بن محمد الملقب بابن الرومية من اهل اشبيلة فقد طاف بنواحي المشرق وسجّل ملاحظاته ومشاهداته في رحلته وكان اول من درس النبات بطريقة مباشرة واستخلص انه ليس مجرد عشب يتداوى بل موضوعاً للدراسة والمعاينة وتأثر بدراساته ابن البيطار ٦٤٦ هـ ابو محمد عبد الله بن احمد الذي يعد اكبر علماء النبات في المشرق آنذاك (٢) .

ويبدو ان جهود ابن البيطار مهّدت لظهور اشهر الاطباء في هذه البلاد ومنهم ابو الوليد محمد بن رشد ٥٩٥هـ حيث بلغ الطب اوجه في عهده فقد جمع المشتغلون فيه بين الفلسفة والطب (٣) .

وفي باب علم الموسيقى والغناء ، يجدر بنا ان نعالج التأثيرات التي اورثها الموسيقار المشرقي ابو الحسن علي بن نافع الملقب «زرياب» ٢٣٨هـ / ٨٥٢م (٤) في نقل التراث الموسيقي والغنائي وما يرافقها من التقاليد الحضارية المشرقية الى بلاد الاندلس . وكان زرياب قد وفد الى هذه البلاد سنة ٢٠٦هـ فقرّ به الامير عبد الرحمن بن الحكم وارتفعت مكانته لديه ، واشار ابن

---

(١) صاعد الاندلسي – طبقات الامم ص ٢٢٤ – ٢٢٥ ، ثم انظر بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص٤٦١ .

(٢) استوطن ابن البيطار في اشبيلية ثم طلب المشرق ووصل الى مصر واقام فيها ومن اهم مؤلفاته كتاب «الجامع في الادويه المفردة» و«الجامع لمفردات الادوية والاغذية) وكتاب «المغني في الادوية المفردة »ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٦٠١ – ٦٠٢ .

(٣) من كتب ابن رشد في الطب « الكليات في الطب) غير انه انصرف الى ترجمة كتب ارسطو وشرحها حتى سمى «الشارح» انظر :كتاب اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية ص١٧٣ – ٢٧٤ .

(٤) ابن حيان القرطبي ، المقتبس من انباء اهل الاندلس ص٢٢١ .

خلدون الى «قدوم زرياب على الحكم بن هشام فركب لتلقيه وبالغ في اكرامه واورث صناعة الغناء بالاندلس (١) » .

كان زرياب الى جانب ذلك ، عالماً بالنجوم وقسمة الاقاليم السبعة واختلاف طبائعها واهويتها وتشعب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها ، كما انه استطاع ان يحل الرموز الموسيقية في كتاب «المجسطي» لبطليموس . وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بالحانها وهي المقطوعة التي ذكرها بطليموس (٢). واوجد زرياب مدرسة فنية استطاعت فيها الموسيقى الاندلسية التي كانت في البداية وثيقة الصلة بالمدرسة المشرقية ان تكتسب سمات الاصالة كذلك يمكن ان يقال عن زرياب فيما عدا ذلك بأنه مجدد اجتماعي صاحب ذوق رفيع ، ومن تجديداته التي اسندها المؤرخون اليه ، انه علّم اهالي قرطبة آداب المائدة وفتح معهداً حقيقياً للجمال (٣) .

ونبغ من اهل الاندلس موسيقيون وصنعوا الحاناً مبتكرة على الطريقة المشرقية ، ومن هؤلاء عبد الوهاب ابن عبد الحسين بن جعفر الحاجب الذي كان يقيم مع اهله في بيته حفلات موسيقية وابي جعفر الوقشي الوزير الطليطلي الذي يبدو انه اخترع عوداً يختلف عن اعواد المشرق في الشكل (٤) ومصابيح جارية الكاتب ابي حفص عمر بن قهليل ، اخذت الغناء عن زرياب (٥) بالاضافة الى بنية وبناته الذين مارسوا صناعة الغنـاء في طول بلد الاندلس وعرضـه (٦) .

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر (منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت – ١٩٧١) ج٤ ص٢٢٧ وقال المقرى «وزاد زرياب بالاندلس في اوتار عوده وتراً خامساً اختراعاً ، واخترع مضراب العود من قوادم النسر) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ج٤ ص١٢٢ .

(٢) المقرى ، نفخ الطيب ص١٢٣ .

(٣) ويضيف المقرى ان زرياب قد جمع في خصاله ضروب الظرف وفنون الادب ولطف المعاشرة وآداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة »المصدر نفسه ص١٢٣ .

(٤) بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ص٥٥ .

(٥) المقرى ، المصدر نفسه ص١٢٧ .

(٦) ن.م. ص١٢٥ .

وانتقلت تأثيرات المدرسة المشرقية في الترجمة والنقل ، الى الاندلس في بداية القرن الثالث الهجري وكان لمدرسة طليطلة ، دور مهم في نشر واذاعة العلم العربي في اوربا ، حيث اهتمت بنقل وترجمة العلوم الطبية والفلسفية والرياضيات والجغرافية ، وذلك على غرار مدرسة بغداد التي عرفت ببيت الحكمة (١)، فقد حذت حذوها فضمت مجموعة كبيرة من النساخ والمترجمين الذين اتقنوا عدة لغات . وترجمة فيها كتب اليونان الكبرى مثل كتب افلاطون في الفلسفة وابقراط وجالينوس في الطب واقليدس وارخميدس وبطليموس في الرياضيات(٢)، كما انها كانت تقوم بعملها المنظم في نقل ثمار العلوم الاسلامية الى اللغة اللاتينية التي كانت لغة العلم في سائر انحاء اوربا .

وكانت ترجمة كتاب «ديوسقوريدس» في الطب ، وهو مصوّر الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . وقد دخلت الاندلس ، وكان الكتاب مكتوباً بالأغريقي الذي هو اليوناني (٣) وأهم هذه الترجمات، ترجمة حنين بن اسحق العبادى (٤)إلى العربية ويبدو انها ترجمة مستقلة عن السريانية التي كان قد ترجمها اسطيفانوس ابن باسيلوس تلميذ حنين بن اسحق عن الاغريقية(٥).

وظهر عدد من المترجمين الأندلسيين وهم متأثرون بهذه الترجمات منهم ابو يوسف حسداى بن اسحق ابن عزرا بن شبروط **٣٥٩** وزير عبد

---

(١) ابن النديم ،الفهرست (القاهرة) ص١٥٩ — ١٦٠ .

(٢) ابن ابي اصيبعة ، عيون الابناء ج٢ص٢٦٩ .

(٣) ن.م. ص٥٦ (وهو ضمن الهدايا التي كان قد ارسلها الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بسفارته الى الامير عبدالرحمن الناصر).

(٤) وهو من اهل الحيرة تعلم العربية وسمع محاضرات ابن ما سويه في جند يسابور ثم تعلم الاغريقية وعاد الى البصرة واقام فيها ،ودرس العربية ثم انتقل بغداد واتقن الترجمة ، وعهد اليه الخليفة المأمون بادرة دار الحكمة وتخرج على يديه مترجمون عظام ،حكمت نجيب عبدالرحمن ، دراسات في تأريخ العلوم عند العرب (جامعة الموصل — ١٩٧٧) ص٢٣ — ٢٦ .

(٥) د. دى لاسي اوليري ، انتقال علوم الاغريق الى العرب (ترجمة متي بيتون ويحيى الثعالبي) (ط٢ ،بغداد — ١٩٥٨) ص٢٢٤ — ٢٢٥ .

الرحمن الناصر الذي كانت له اهتمامات كبيرة في الطب والشعر والموسيقى، وابي عثمان البزّاز الملقب باليابسة ومحمد بن سعيد وعبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم الصقلي وكان الاخير متضلعاً باللغة اليونانية (١)، لقد احدث هؤلاء نهضة في نقل كتب اليونان الى العربية ، واسهموا في ترجمة التراث العربي الاسلامي في العلم والآداب والفن والفلسفة والسياسة والاجتماع الى الاغريقية او اليونانية .

ومن الجدير بالاشارة الى أنّه امكن في هذه الفترة استنساخ بعض مؤلفات الفكر اليوناني من العصور الكلاسيكية والهندسية لحساب المراكز الثقافية وخاصة قرطبة وطليطلة عن طريق المشرق الاسلامي ، حيث ارسل الامير الحكم المستنصر رسله للتحري والحصول على نسخ عن ترجمات الآثار العلمية لبلاد فارس القديمة وبلاد اليونان ، وعمل على جلب اهم المؤلفات النادرة والمتعلقة بالعلوم القديمة والحديثة وخاصة العلوم الرياضية والطبية ، من بغداد ومصر واماكن اخرى في المشرق ،واوجد عدداً كبيراً من الباحثين والنساخين ، أخذوا يتابعون تحرياتهم عن التأليف بمختلف اللغات في طول العالم الاسلامي وعرضه لنقلها إلى العربية (٢) .

ومهما يكن من أمر ، فأن استقصاء التأثيرات التي اورثها المشرق الاسلامي في بلاد الاندلس ، كانت مفيدة وحاسمة ، لأنها أوضحت عن مدى صياغتها لنهضة حضارية واسعة ومتميزة لها خصائصها ومعاييرها واسسها في جميع الميادين العلمية والثقافية والفكرية ، كما انها مهدّت لظهور عدد كبير من العلماء والفقهاء والمعلمين والاطباء والفلاسفة العظام .

---

(١) يبدو ان اهل الاندلس في ذلك الحين لم يكونوا يعرفون الترجمة العربية لكتاب «ديوسقوريدس» التي صنعها اصطفن بن باسيل في عهد الخليفة العباسي المتوكل او الترجمة الاخرى التي انجزها حسان الناتلي استاذ ابن سينا سنة ٣٧٤هـ (بالنثيا ،تاريخ الفكر الاندلسي ص٤٦٣)

(٢) ليفي بروفنسال ، حضارة العرب في الاندلس ص٦٣ — ٦٤ .

لقد تجلّت لنا نتائج هذه التأثيرات بوضوح واصبحنا نتلمسها بسهولة وبدون عناء .فلولاها، لم يكن لديتا مانقوله عن عوامل نضوج الفكر الأندلسي واستكماله بالصورة التي كان عليها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، وبالطريقة التي دخل فيها هذا الفكر ــ الذي تأصل في نهاية هذه الفترة ــ إلى اوربا وتأثيراته هناك وحدوث عصر النهضة الاوربية، حيث كان عاملاً مؤثراً من عواملها وأخيراً ، يصح لي القول ، عندما اختتم هذا البحث، وانا ارُدد لنفسي على الاقل بأنه يمثل اضافة ذات قيمة لدراسات الاتصال الحضاري، ومعالجة موضوعية لنتائج هذا الاتصال على النطاق الثقافي والفكري ، وذلك بهدف الوصول إلى الحقيقة ، بوضع الحضارة العربية والاسلامية في المشرق العربي والاسلامي في اطارها الصحيح والمؤثر في اسس ومفاهيم الفكر الاندلس. اضافة إلى أن هذا البحث ، يلقي بعض الضوء على حركة التاريخ الحضاري، ويعين على التقييم السليم لأثر حضارة المشرق ومحاولة رسم أحدث صورة عن هذا التأثير من النواحي الفكرية .

الخلاصة :

يعالج البحث موضوع التأثيرات التي اورتها المشرق العربي الاسلامي في مجمل حركة الفكر الاندلسي وخاصة في مجالات العلم والآداب والفن والفلسفة ويقدم معلومات عما أتت بها المناقشات بين المتخصصين في هذا المجال ونتائجها على تطور الفكر الاندلسي .

ان استقصاء تأثيرات المشرق على بلاد الاندلس من النواحي الفكرية تبدو مفيدة وحاسمة لانها اوضحت عن مدى صياغتها لنهضة حضارية واسعة متميزة لها خصائصها ومعاييرها واسسها . لقد تجلت نتائج هذه التأثيرات بوضوح واصبحنا نتلمسها بسهولة وبدون عناء ، فلولاها لم يكن لنا مانقوله عن عوامل نضوج الفكر الاندلسي واستكماله بالصورة التي كان عليها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين وبالطريقة التي دخل فيها هذا الفكر — الذي تأصل في نهاية هذه الفترة — إلى أوربا وتأثيراته هناك وحدوث عصر النهضة الاوربية ، حيث كان عاملاً مؤثراً من عواملها . ويصح القول بأن البحث يمثل اضافة ذات قيمة لدراسات الاتصال الحضاري ومعالجة موضوعية لنتائج هذا الاتصال على النطاق الثقافي والفكري وذلك بهدف الوصول إلى الحقيقة بوضع الحضارة العربية والاسلامية في المشرق الاسلامي في اطارها الصحيح والمؤثر في اسس ومفاهيم الفكر الاندلسي. كما ان البحث يلقي بعض الضوء على حركة التاريخ الحضاري ويعين على التقييم السليم لأثر حضارة المشرق ومحاولة رسم احدث صورة عن هذا التأثير في العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية والفقه والمذاهب والحديث وعلم الكلام والشرائع والمنطق والتفسير والنحو والعروض وكذلك في الفلسفة والموسيقى وعلم الفلك والطب والكيمياء والرياضيات وعلوم الحياة والتأريخ والجغرافية حيث أصبح للأندلسيين في جميع هذه العلوم ابحاث مستفيضة وقواعد مستقرة ففي العلوم الدينية ظهر عدد من الفقهاء الذين كانوا قد رحلوا إلى الشرق وتفقهوا هناك وخلقوا الاتجاه لدى أهل الاندلس في دراسة الفقه والحديث على مذهب مالك بن انس ويورد

البحث كثيراً من اسماء هؤلاء الفقهاء ويرسخ التقليد الاندلسي بجلب الكتب المشرقية اللغوية الحديثة الصدور إلى الاندلس مثل الكشاف للزمخري وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهري وغيرها هذا بالاضافة إلى ماتركه العالم اللغوي المشرقي أبو علي اسماعيل ابن القاسم القالي البغدادي صاحب كتاب (الامالي) في النهضة اللغوية الاندلسية .

وفي هذا الصدد لابد من الاشارة إلى الاثر الذي تركته مقامات الحريري في الأدب الاندلسي فقد نشأت مقامات على غرارها وظهر لها شراح مشهورون بارعون في علوم اللغة والعروض وكذلك كتاب (الاغاني) لابي الفرج الاصفهاني وكتاب (المختصر) لابن عبد الحكم وكتاب. «السند هند» الذي يحتوي على بحوث في علم الفلك والفلسفة والمنطق .

اما تاريخ الفكر الاندلسي فهو صورة مطابقة لما كانت عليه الثقافة الاسلامية المشرقية . وكذلك نشوء المدرسة التأريخية العربية الاندلسية وتطورها فأنها تمت على يد المؤرخين المشارقة .

اما على نطاق للعلوم العقلية او النقلية وهي العلوم التطبيقية او التجريبية فقد اسهم بعض علماء المشارقة بنقل تراث المشرق إلى الاندلس ، ففي علم الحساب وضع الأندلسيون معارفهم متأثرين بالعالم المشرقي الكبير محمد بن موسى الخوارزمي كما نقلت (رسائل اخوان الصفا) إلى الاندلس وهي رسائل علمية اشتهرت بآرائها الحرة . وإلى جانب ذلك قامت في الاندلس نهضة طبية تطورت على غرار طب المشرق وفي باب علم الموسيقى والغناء عالج البحث التأثيرات التي تركها الموسيقار المشرقي ابو الحسن علي بن نافع الملقب «زرياب» بنقل التراث الموسيقي والتقاليد الحضارية المشرقية إلى الاندلس . وانتقلت تأثيرات المدرسة المشرقية في الترجمة والنقل إلى الاندلس حيث اصبح لمدرسة طليطلة دور مهم في نشر واذاعة العلم العربي في اوربا كما ارسل الامير الحكم المستنصر رسله للتحري والحصول على نسخ من ترجمات الآثار العلمية لبلاد فارس التقليدية وبلاد اليونان وعمل على جلب اهم المؤلفات النادرة المتعلقة

بالعلوم القديمة والحديثة وخاصة العلوم الرياضية والطبية من بغداد ومصر واماكن اخرى من المشرق واوجد عدداً من الباحثين والنساخين اخذوا يتابعون تحرياتهم عن التأليف بمختلف اللغات في طول العالم الاسلامي لنقلها إلى العربية ويمكن القول ، ان البحث يقدم معلومات مفصلة عن انتقال التأثيرات في بعض جوانب الفنون والسياسة والاجتماع والشعر ويوضح كل جانب يعين على اظهار التأثيرات بحيث يمكن ان نجد معلومات كثيرة وغنية ربما تساعدنا على الحكم بأن كل انتجته بلاد الأندلس خلال الحكم العربي من حضارة فكرية هو من صنع المشرق بأفكاره وثقافته .



THE INELﬃENGE —F RHE JNTELLECTUAL IN ISLAMIC EASTION THE THOﬃGHT —F ANVALﬃS I

The present sJudI attemptd to piscuss the question dI the lchltural relations uetweem Islamic East aod Andalus io NiddleITg6t· in geoeral, aod in jiterature, Art and PqiIotopqI in karJfchlar, aod inJeods, the hopes, to preseot more iofkr[mation about theIcootributions of the inJellectual pisscussioot —qich took place in the intellectualIcircles anp their fruits oo the develokmeot of the Arab? IIslamic thou£qt in Andajut.

The investigation of this question is v6ry hsefull, uecaus6 it will certainly reveal how the iofluence of Islamic East frmhl[ated a dfstinctive chltural rfsing whicq had its own charactert and iotellectual vajuesI. This iofluence is now widely accepted among scholars and prauably it is the main factor of the riting and developing of an Arab? Islamic thougqt, and the flourishin£ of the intelectual life in Andalus in the 4th and 5th centuriet T.H. and its transfer to Euroke, where itbecameaveryimpor[tant factor of European Venaissance .

Thfs research is also a valuableIcootribution to Jh6 tJupI of theIchltural relctions, aod an oujectige approacf to the fruitt of these relatioo. IJ also will shep aligqt on Jh6 zhltural qitJoal ofIIslam in the EasJ. ITqit tJudy also inJenpt to evajuaJe Jh6 ePect of Islamic chlture in the East on Andalus in a6jigion tvi[6ozes, jinguitJics, jurisprudenceszhools, Islamic Ifiraditioot· Thedlogy, Islamiz law, logiz. Quran interpretation, Arabiv grammar, Metrics, as well as PhliotokhI· Astrojogy, Mepicioe· Chemfstry, NathemaJics, Tidlogy, Hfstory and Geography io which Nuslim scholaas in Andalus contributed very important studies and stable rhlet.

In a6jigion sciences many of the outstanping turfstt dl Andalus m6re educated in the East and tucceedep to founp ao interests in their sJudies in Andalus, following the school dl Anas to Nalik, many of these scholars will be mentioned io tqis study. I

The Tradition of importing the new issued books ir linguistics from the East like Al-Kash-Shaf of Zamakhshar, Taj Al-Lugha of Jawhari and other books was vivid and contio-ous, in addition to this contribution of the great linguist Ismail Al-Qali the author ol the famous book Tl-Amali, which had a great deyl of influence in linguistic studies in Andalus.

It is also important to mention the influence of the favous book of Hariri, Al-Maqamat on the literature of Andalus wer6 it was immitated by some bell literists , and created a great decl of interests after the commentateries nmade by some outst-anding scholars who were very well educated in linguistics and Metrics. The book of Al-Aghani by Abu Al-Faraj Al-Shahani, and Kitab Al-Mukhtasar by Ibn Abd Al-Hakam as well as Kitab Al-Sind hind which contained many studies in Astrology, Phil-osopy and logic, had profound influence in the intellectural life in Andalus.

As for the History of Arab-Islamic thought in Andalus, it is possible to say that it was exactly of the same features as the Islamic thought in the East. The historical sch Anda-lus which was founded by the historians of the East. As for rational and traditional sciences Pure and Applied Sciences some Muslim scholars of the East took part in transfer e Islamic heritage of the East to Andalus. In mathematics the books of Muhammad b Mudsa Al-Khawauzmi had a great influ-3nce in Andalus. The Rasa'il of of Ikhwan Al-Safa which were scientific studies known by their liberal attitude, were transf-erreo to Andalus, in addition to Andalus hao developed a medi-cal moveffient in the same manuer of the Eastern Movement.

In Music and singing the study has discussed the influence of the outstanding Eastern Musecian Abi Al-Hasan Alı b. Nafi who was known as Ziryab, in transferring the Msuical Traditions in the East to Andalus.

The tradittions of translation of the important works from other languages were transferred to Andalus, the school fo Toledo had a great decl of influence in making Arabic thought w6ll known in Europe.IAl-Hckam Al-Mustansir sent many hocslars to bring the most important works in old land modern sciences of ancient Persia and Greece, especially in mathematfcs and medfcine from Baghad, Egypt land other places in the East, and appointed many researcheas and transcr beaş who went lall over Islamic world in search of the important works in many languages to translcte into Arabio, it fs possible to say that the study contains detailld Informations about the nfluene of Islamic East in the aspects of Arts, Pplitfcs, Sociology and Poetry, in a way that explain how all aspects contributed by Andalus were exzctly formulated by East in thought and culture.

ـ اهـم مصادر البحث ـ

ابن الاثير ، الكامل في التاريخ (دار صادر دار بيروت ـ ١٩٦٧م)
ابن أبي أصيبعة ، عيون الابناء في طبقات الاطباء (طبعة القاهرة ـ ١٨٨٢م).
آنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ترجمة د.حسين مؤنس ط١، القاهرة ـ ١٩٥٥ .
ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ بغداد (التاريخ المذيل به على تايخ ابن السمعاني)
د.دي لاس اوليرى، انتقال علوم الاغريق الى العرب (ترجمة متي بيثون ويحيي الثعالبي ط١ ، بغداد ـ ١٩٥٨م).
الذهبي ، دول الاسلام (مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ـ الدكن ـ ١٣٦٤هـ) الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر رجال الاندلس (تحقيق محمد تاويت) الطنجي ، القاهرة ـ ١٩٥١م)
الحوادث الجامعية والتجارب النافعة في المائة السابعة (المنسوب لابن الغوطي ، طبع بعناية د. مصطفى جواد).
ابن حيان القرطبي ، المقتبس من ابناء أهل الاندلس (تحقيقد .محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي بيروت)
ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر (منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ ١٩٧١م)
ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط١ القاهرة ـ ١٣٦٧هـ) .
ابن حزم الاندلسي ، جمهرة انساب العرب (تحقيق عبد السلام محمد هارون، مصر ـ ١٩٦٢م)
السخاوي . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (القاهرة ـ ١٣٥٤هـ)
ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب (تحقيق د. شوقي ضيف ـ

دار المعارف بمصر — ١٩٦٤م).
السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (ط١ عيسى البابي الحلبي وشركاه) .
السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى (تحقيق محمود محمد الطناحي (القاهرة — ١٩٧٠م) .
ابن الساعي ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ج٩ (تصحيح التعليق د. مصطفى جواد ، بغداد — ١٩٣٤م) .
كتاب أثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر — ١٩٧٠م) .
ليفي بروفنسال ، حضارة العرب في الاندلس (ترجمة ذوقان قرقوط بيروت) صاعد الاندلسي ، وطبقات الامم (مطبعة د السعادة — القاهرة) .
الضبي ، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس (الطبقة الاوربية مجريط — ١٨٨٤م) .
ابن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم في الاندلس (القاهرة — ١٩٥٤م) ابن الغوطي ، وتليص مجمع الآداب في معجم الالقاب (تحقيق د. مصطفى جواد) .
فرانز روذنثال ، علم التاريخ عند المسلمين (ترجمة د. صالح العلي، بغداد — ١٩٦٣م) .
د . عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه (دار المعارف بمصر ، ط٦ — ١٩٧٥م) .
ابن عبد ربه ، كتاب العقد الفريد (تحقيق أحمد أمين مع آخرين ط٣، القاهرة — ١٩٦٥م) .
الغساني ، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك (تحقيق شاكر محمود عبد المنعم — ١٩٧٠م) .

محمد عبد الله عنان ، الدولة العامرية وسقوط الخلافة الاندلسية مصر — ١٩٥٨م) .
المقرى ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (مطبعة السعادة مصر — ١٩٤٩م).
رضا عبد الجليل الطيار ، الدراسات اللغوية في الاندلس (العراق — ١٩٨٠م) .
ياقوت ، معجم البلدان (دار صادر — بيروت — ١٩٥٧م).



REFERENCES

1. J. Ribera: Disertacionesy, Opusculos, (Madrid-1928)
2. Modesto Lafuente: Historia Genral de Espana, Tome III)
3. M. S. Marsh, 288, Badlian Library, Oxford.

العلاقات المكانية للمؤسسات السياحية والترفيهية في مدينة الموصل

الدكتور صلاح حميد الجنابي
كلية التربية / جامعة الموصل
الجمهورية العراقية

العلاقات المكانية للمؤسسات السياحية والترفيهية في مدينة الموصل

الدكتور صلاح حميد الجنابي

تعتبر المراكز الحضرية نوى لنشاطات اقتصادية واجتماعية تعمل مزدوجة او مركبة ضمن اطار مكاني محدد ــ متطور بمرور الزمن ــ لتسد بها متطلبات سكانها وسكان اقليمها . ان هذا التركيب المعقد يستثمر حيزا من البيئة الحضرية يتباين تبعا للاهمية الوظيفية التي يؤديها ومقدار حاجة سكان المركز الحضري . فالاستعمالات التجارية والسكنية والصناعية والنقل والترفيه والسياحة (١) تتقاسم مساحة الحيز الحضري بنسب متباينة ، يحتل الصدارة فيه الاستعمال السكني (٢) ، بينما يحتل الاستعمال التجاري المستوى الادنى بحيث لاتتعدى نسبته سوى ٥٪ فقط من مساحة المدينة الاوربية (٣) ، وقد يتخطى هذه النسبة في مدن الدول النامية بتأثير صيغة الانتشار الافقي على صفحة الاقليم . وتختلف نسبة السيطرة التي يفرضها الاستعمال الصناعي على مساحة الحيز الحضري ، تبعا للتخصص الوظيفي للمركز او للتباين في التوزيع داخل المركب العام لاستعمالات الارض الحضرية . ولكنها عموما نسبة متزايدة بتأثير انفتاح المراكز الحضرية على هذا الاستعمال بدافع تطوير اساسها الاقتصادي . كما ان المراكز الحضرية ذاتها تعتبر مناطق ملائمة للتوطن الصناعي بما تحويه من مقومات موقعية .

ومن البديهي ان للاستعمال الصناعي . الريادة في زيادة فاعلية قوة الجذب المركزية المفروضة على سكان الريف وتركيزهم في بيئات حضرية تحمل في صفاتها العامة خصائص البيئة الحضرية المتطورة ، بينما تكمن في دواخلها خلفيات ريفية وبدوية سرعان ماتظهر في فترات الاحتكاك المباشر . وتتركز هذه البيئة في موضعين ، الاول في المنطقة المتهرئة المحيطة بمنطقة الاعمال المركزية ، والثاني عند منطقة الاطراف الريفية ــ الحضرية

Rural urban Fringe . ان من خصائص هذه البيئات التكدس السكاني والوظيفي في وحدات مساحية صغيرة ذات نمط متهرء)

كما كانت الصناعة وراء انتشار استعمالات الارض الحضرية بصيغ من النمو التراكمي المتتابع — في بادىء الامر — الى صيغ الانتشار الاصيعي — الخطي — المتطاول مع خطوط النقل باتجاه منطقة الظهير المجاور ، الامر الذي جعل مراكزنا الحضرية اشبه بالمراكز الحضرية المشتتة او الخطية او المتعددة الاذرع . ان هذه الصورة الحديثة في مورفولوجية المدينة جعل مقدار مايتوفر من مؤسسات خدمية للحيز الحضري غير كفوء بنفس الصيغة التي كان عليه فيما سبق ، مما حول المراكز الحضرية الى بيئة مريضة تشكو من خطر الاكتضاض السكاني ، والتطاول المساحي ، والتلوث البيئي بشكل لم يسبق له مثيل . الامر الذي دفع اجهزة التخطيط الاقليمي الى التدخل من اجل تغيير نمط التوزيع القائم لاستعمالات الارض . وذلك بالاعتماد على الجانب العلمي في تحديد مواقع استعمالات الارض الحضرية ، والوقوف بحزم امام الزحف الحضري عن طريق وضع سقف مقنن نسبيا للمركز الحضري بما يتناسب ومقومات كل من الموضوع والموقع (٤) .

وبالرغم من ذلك بقيت اجهزة التخطيط — بالرغم من فاعليتها — عاجزة حيال هذا المستثمر النهم للارض الزراعية ، وصارت امام خيارين اما التسليم لهذا التشتت الحضري او ايجاد صيغ تخفف بها سلبيات الانتشار الحضري عن طريق توفير مواضيع معينة لاستثمارها بالاسعمالات الترفيهية والسياحية . وقد رجح الخيار الثاني فبدأ الاهتمام ينحاز الى توفير مواضع داخل الحيز الحضري او عند اطرافه تخفف من معاناة البيئة الحضرية المنهارة . ويؤكد هذا الجانب على الاعتناء بالمواقع التراثية وتوفير مراكز ومؤسسات خدمية وسياحية لامتصاص بعض سلبيات المدينة الحديثة .

وقد عانت مدينة الموصل — كغيرها من المدن العراقية — من هذا التشتت في استعمالات الارض الحضرية ، الامر الذي جعلها تفكر جديا

في زيادة فاعلية المؤسسات الوظيفية التراثية والترفيهية سواء كان ذلك بصيانة ماموجود منها او باستحداث مؤسسات وظيفية جديدة اخذة بنظر الاعتبار متغيرات الموقع في الاختبار . وسيكون هدف هذه الدراسة التوزيع الجغرافي لهذه المؤسسات الوظيفية والعوامل التي ساهمت في نشأتها والتحليل المكاني موقعها (٥) .

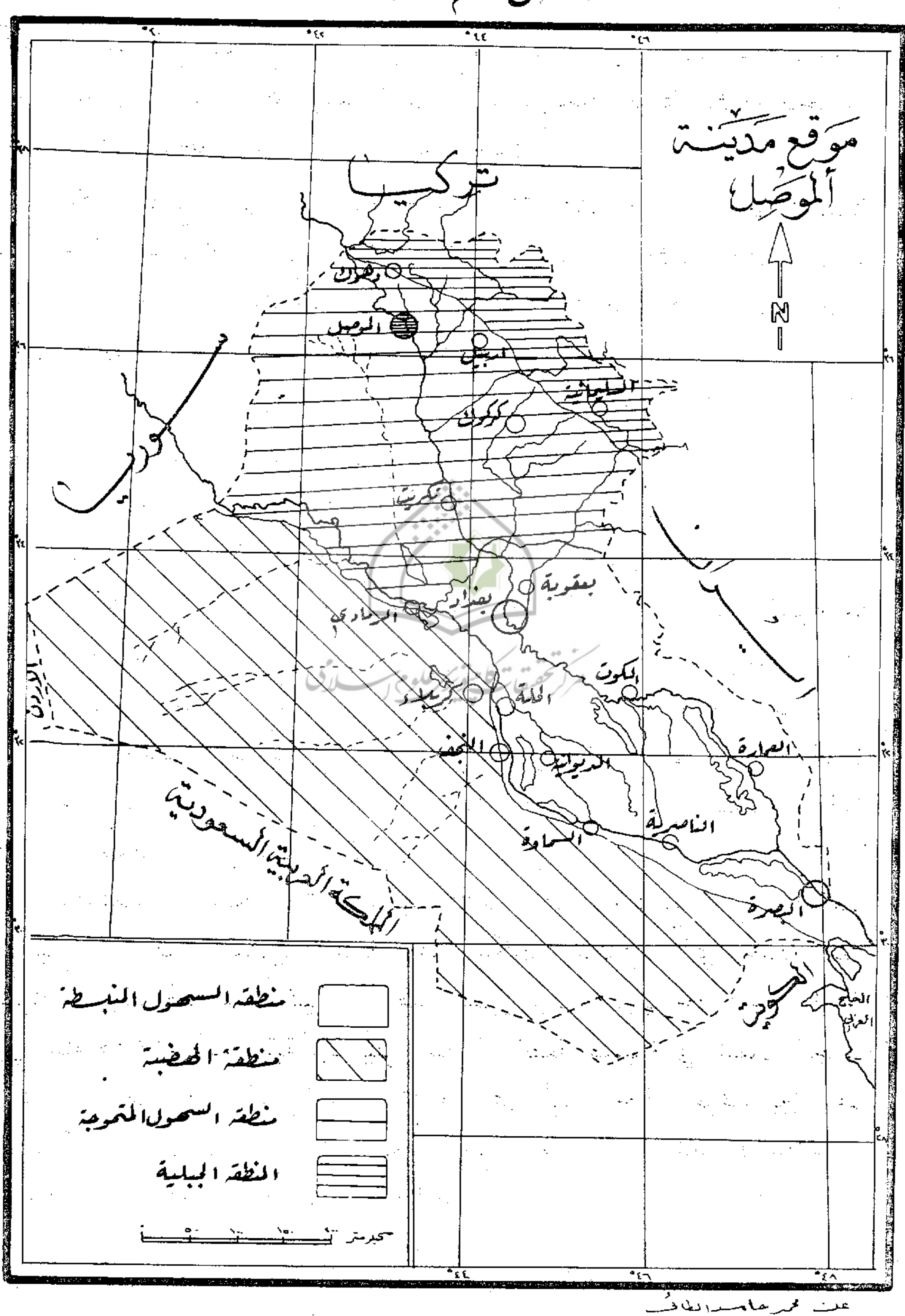
الخصائص الموقعية لمدينة الموصل :

تقع مدينة الموصل على نهر دجلة في القسم الشمالي من العراق (٦) عند منطقة تقاطع خطي ٤٣° شرقا و ١٩ ٣٦° شمالا . وتحتل جانبي النهر في منطقة يتراوح ارتفاعها بين ٢١٠ ــ ٣٤٠م عن مستوى سطح البحر (شكل ــ ١ ــ) ، ويمتاز جانب المدينة الايمن بالارتفاع النسبي مقارنة مع جانبها الايسر، كما يمتاز بانحداره متخذا اشكالاً مصطبية . بينما يغلب الاستواء على جانبها الايسر . وهذا لايعني خلوه من بعض المناطق المرتفعة لكنها اقل نسبياً مما تشغله من حيز في جانبها الأيمن.

ويعتبر موضع الموصل ملائما لنشأة المراكز الحضرية ، وهو عبارة عن حوض تنحدر اليه الوديان من جوانبه المختلفة لتنتهي بنهر دجلة ، كما يمتاز موضعها بعقديته سواء من ناحية النقل ، حيث تلتقي عنده شبكة من طرق النقل المتنوعة ، اومن الناحية الفيزوغرافية حيث يتحدد موقعها في جبهة التقاء الاقليم الجبلي بالاقلمين الهضبي والسهلي ، مما جعلها سوقاً تلتقي فيه منتجات أقاليم متباينة السطح والمناخ ، ونقطة احتكاك وتفاعل دائمين بين الجبل والسهل . ان هذا التباين في ظروف السطح وطبيعة استثمار الارض ، جعلها مركزا مميزا بالتخصص الوظيفي التجارى ، واثر في تشكيل الحياة السياسية والحضارية فيها مما امنحها بتوالي العصور شخصية محلية واضحة المعالم ظاهرة السمات .

كانت مدينة الموصل قبل الفتح الاسلامي بليدة ضئيلة القدرة قليلة العمران،

شكل رقم (١)



عن محمد حامد الطائي

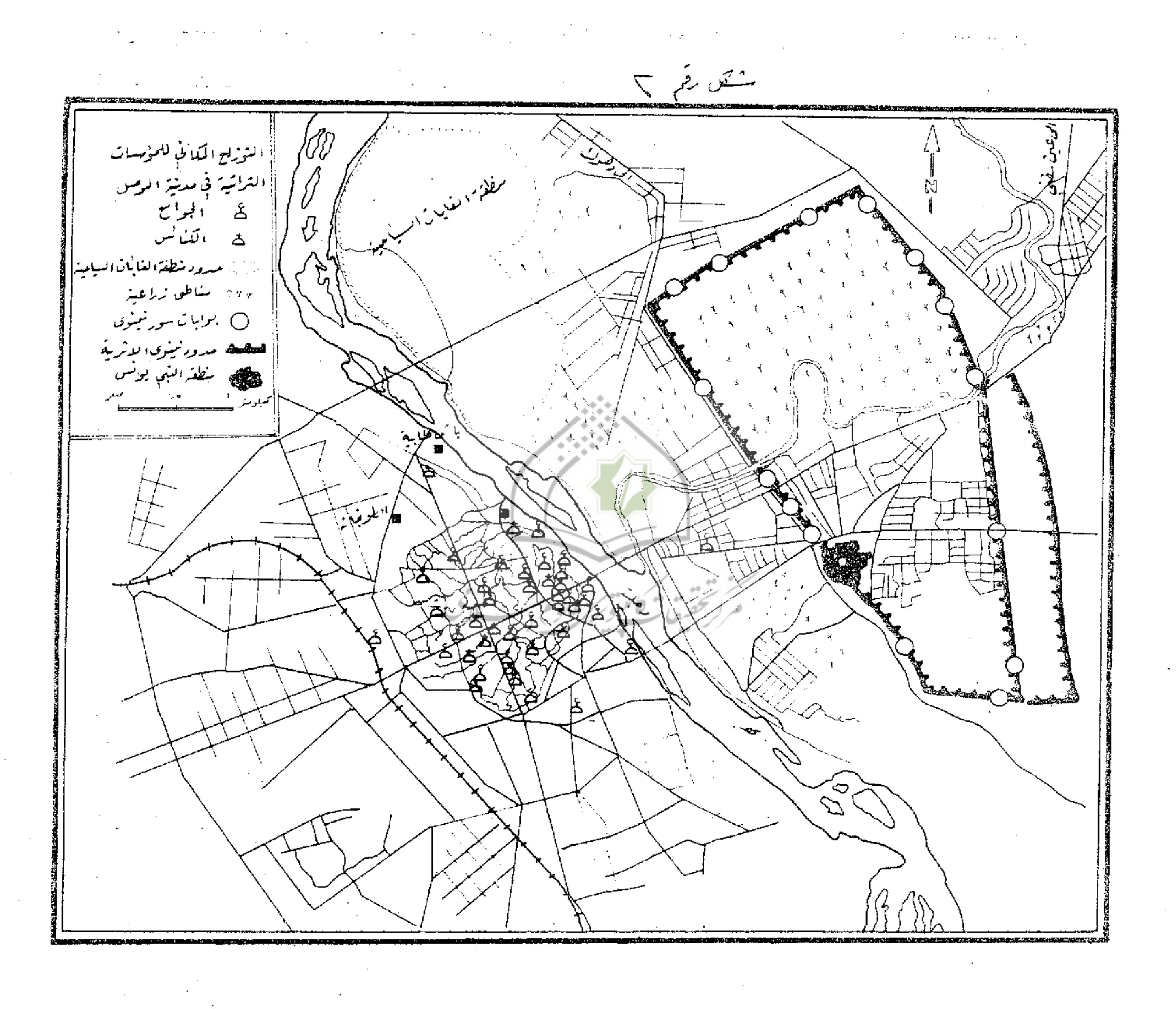
ولما فتحها المسلمون سنة ٦٣٧م اتسعت بمن نزلها من العرب (٧) ، بحيث انتشرت بعض استعمالات الارض السكنية الى خارج حدودها المرسومة قسرا بالسور ، الذى كان يعتبر حتى فترة تاريخية حديثة بمثابة حاجزغير طبيعي نادر الوجود في مدن عراقية اخرى .

وكان يقطع السور في فترة نضجها ثلاثة عشر بابا ، وتحولت المدينة الى مرحلة الشيخوخة في فترة الغزو المغولي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي . (٨) فتراجعت تدريجيا الى داخل سوارها ، حتى اصبح نصفها متهرئا في بداية السيطرة العثمانية .

وخلال فترة الحكم العثماني عادت مرحلة الشباب من جديد الى المدينة ، خاصة في فترة حكم ال الجليلي (١١٣٩ — ١٢٥٠هـ) ، ومن ثم لم تشهد المدينة اى محاولة جادة لاصلاح مرافقها العامة ومنشأتها ،حتى انه لم يشر لها في مصادر النصف الاول من القرن السابع عشر الا باعتبارها قلعة لا أكثر . ووصفها بعض الرحالة في نفس القرن بانها تبدو للمرء من خارجها فخمة باسوارها الحجرية بينما في داخلها تكاد تكون برمتها خربة، فليس فيها مايستحق المشاهدة والالتفات . (٩) وقد صورها نيبور عام ١٧٦٦ م وفليكس جونس ١٨٥٢م وهرسفيلد ١٩٠٧ بشكل يشابه ماكانت عليه بعد الغزو المغولي ، فالاسوار واستعمالات الارض الحضرية حافظت على مواضعها — شكل رقم ٢ —

واستمرت المدينة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والعقدين الاولين من القرن العشرين محافظة على شكلها الدائري الذي حدده سور المدينة ، وقد هد قسم كبير من هذا السور وابوابه وابراجه عام ١٩١٥م، وفي سنة ١٩٣٤م هدم باقية ولم يبقى منه الا قطعة صغيرة في شمال الجانب الايمن . وهي بقايا قلعة شامخة تشرف على نهر دجلة تعرف بين اهل الموصل باسم (باش طابية) ، وتعتبر اقدم عمرانا في المدينة الاسلامية ، متكونة من جملة حصون استحكامية . .

شكل رقم ٢


التوزيع المكاني للمؤسسات
التراثية في مدينة الموصل
الجوامع
الكنائس
حدود منطقة الغابات السياحية
مناطق زراعية
بوابات سور نينوى
حدود نينوى الاثرية
منطقة النبي يونس
كيلومتر
صفر
منطقة الغابات السياحية

مما تقدم يظهران ان تاريخ المدينة الاسلامية يرقى الى اكثر من ١٣٥٠ سنة خلت ، وبذلك تعتبر نموذجاً جيداً للمدن القديمة — الحديثة ، لما تحويه من نماذج واضح بين المعالم التراثية القديمة التي ورثتها عن تاريخها، ومن نهضة عمارية حديثة حققها التطور التكنولوجي وارتفاع المستوى المعاشي للسكان ونمو اساسها الاقتصادى ، والسكاني والمساحي — شكل — ٣ —

وتمتاز مدينة الموصل بمناخ معتدل بالمقارنة مع مناخ وسط وجنوب العراق ، كما تمتاز بمعدلات مطر معتدلة . وتدخل المدينة ضمن اقليم الحشائش القصيرة — الاستبس — . وتسود عليها — لمعظم ايام السنة — الرياح الشمالية الغربية المعتدلة السرعة .

التوزيع الجغرافي لاستعمالات الارض السياحية (والترفيهية) :

اولا : المناطق التراثيه والترفيهيه :

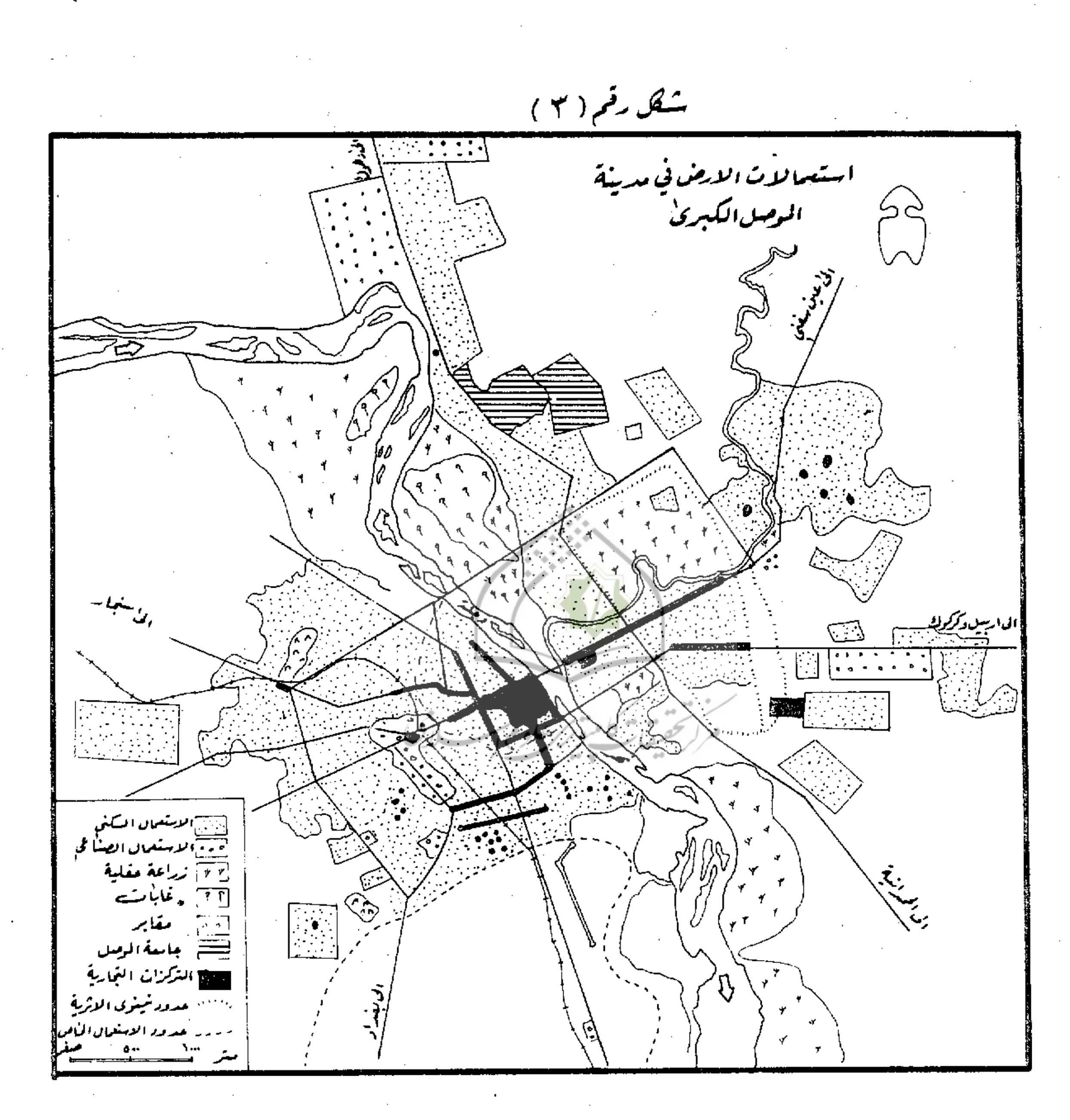
(أ) استعمالات الارض التراثيه

١ — نينوى الاثرية :

تشغل الموسسات التراثية حيزاً مهما من مساحة مدينة الموصل ، موزعة ضمن اطارها المكاني .وتعتبر مدينة نينوى الاثرية من اقدم استعمالات الارض التراثية ، وتشغل مايقرب من ١٠كم٢ من مساحة الجانب الايسر على شكل مقارب للشكل المثلث قاعدته في الشمال ويحيطها سور ترابي عال وقد رممت بعض جوانبه واعيدت الى شكلها الاصلي بصورة جدران حجرية يقطعها خمسة عشر بابا ، مصانه منها حالياً (باب شمس) في منطقة تقاطع السور مع طريق موصل — اربيل وابواب (ادد) (ونركال) (وسن) في الجدار الشمالي ، والباب الغربي مع امتداد طريق موصل — دهوك .

لقد استثمر بعض اجزاء هذا الحيز باستعمالات حضرية على اثر

شكل رقم (٣)


استعمالات الارض في مدينة
الموصل الكبرى
الاستعمال السكني
الاستعمال الصناعي
زراعة حقلية
غابات
مقابر
جامعة الموصل
التركزات التجارية
حدود نينوى الاثرية
حدود الاستعمال الحالي
متر ١٠٠٠ ٥٠٠ صفر
الى اربيل وكركوك

الانتشار الحضري لمدينة الموصل في العقدين الرابع والخامس من هذا القرن. ثم اوقف هذا الاستثمار بعد ان وضعت اليد عليها مديرية الاثار العامة باعتبارها منطقة تراثية خاصة . ان عمليات الصيانة القائمة فيها تركز على اعادة بناء السور الخارجي اما التركيب الداخلي للمدينة فلم يكتمل نتيجة لاستمرار عمليات التنقيب ، بينما تستثمر حاليا بعض المناطق المكشوفة من مدينة نينوى الاثرية بنمط من الزراعة الحضرية معتمدة على مصادر المياه السطحية من نهر الخوصر وعلى المياه الجوفية المحلية .

٢ ـ دور المملكة (قرة سراي)

تقع على نهر دجلة شمال الجانب الايمن ، بناها (عماد الدين زنكي) على انقاض دار المملكة التي بناها السلاجقة في الوصل ، وقد جدد في زمن (بدر الدين لؤلؤة) بعد ان سيطر على مقاليد الامور على اعقاب الاتابكة (١١) ولم يبقى منها حاليا الا رواقان مبنيان بالحجر والجص رممتهما مديرية الاثار العامة (١٢) (شكل ٤) .

٣ ـ قلعة (باش طابية)

عبارة عن جملة حصون استحكاميه تقع على نهر دجلة في موضع مرتفع شمالي المدينة القديمة تشرف من خلاله على سهول جانبي النهر . ويعود هذا الاثر الى فترة تسبق تاريخ فتح المدينة في ١٦هـ (٦٣٧م) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب . وقد جدد بنائها خلال فترتي حكم (عماد الدين زنكي) وال الجليلي ولم يبقى منها حاليا سوى بناء شاهق على شكل برج يطل على نهر دجلة .

(ب) الوحدات الحضرية الوظيفية

تتمثل الوحدات الحضرية الوظيفية بكافة استعمالات الارض التراثية المشغولة حالياً بمؤسسات وظيفية حضرية .

شكل رقم (٤)


التوزيع المكاني للمؤسسات
التراثية في مدينة الموصل
الجوامع
الكنائس
حدود منطقة الغابات السياحية
مناطق زراعية
بوابات سور نينوى
حدود نينوى الاثرية
منطقة النبي يونس
كيلومتر
صفر
منطقة الغابات السياحية

لقد اثرت هذه الموسسات على خطة المدينة القائمة ، وطبيعة توزيع استعمالات الارض الحضرية ، وتوزيع مناطق التخصص الوظيفي والسكاني . وقد حافظت تلك المؤسسات على مواضعها وخصائصها العمارية بتأثير صلابة المواد الاساسية المستعملة في البناء ، وانخفاض مستوى الماء الباطني ، وجودة التصريف بتأثير الطبيعة الكونتورية لارض الموضع . وتشمل تلك المؤسسات على بؤرة المدينة والجوامع والكنائس .

١ – بؤرة المدينة : (الموصل القديمة)

تنحصر الموصل القديمة في حيز يمتد من قلعة (باش طابية) شمالا وشارع (ابن الاثير) من الشمال والشمال الغربي والغرب ، وشارع الجمهورية جنوبا ، ونهر دجلة شرقا . وتتكون من وحدات سكنية متكدسة ، تقطعها شوارع بنظام عضوي يصعب تحديد اتجاهها . ان هذه الصيغة من الوحدات العمارية يعتبر انعكاسا لمورفولوجية المدينة العربية الاسلامية القديمة وذلك لاعتبارات متعددة منها ، استمارها الكثيف للوحدة المساحية ، وزيادة تقارب الوحدات السكنية بدوافع اجتماعية وامنية ، وحماية المارة من حرارة الشمس والامطار خلال فصلي الصيف والشتاء .

ولم تحافظ هذه المنطقة على صيغتها الاولى بتأثير الغزو الممارس من قبل استعمالات الارض التجارية والصناعية الحديثة ، نظرا لانها تحتل منطقة الاعمال المركزية في المدينة الحالية ، ولما كانت الاستعمالات القديمة وخاصة السكنية منها غير قادرة على منافسة استعمالات الارض الغازية ، تشتت الى اطراف الحيز الحضري على اثر صيغ من التتابع الممارس بين استعمالات الارض الغازية والمتشتتة .

فتقطعت المنطقة بشبكة من الشوارع الجديدة ، التي استثمرت جوانبها بنمط من الوحدات العمارية الوظيفية ذات صيغ حضرية حديثة تمتاز بقابليتها العالية على سد متطلبات ايجار الارض في الموقع المركزي ، واستيعاب

التغيير التقني الممارس في الشوارع . يضاف الى ذلك ان هذا التغيير في مورفولوجية المنطقة القديمة كان مقصودا لان صيغ الاستثمار القديم اصبح غير ملائماً لسد متطلبات العصر الحاضر والنمو الوظيفي للمركز الحضري، فظهرت صور التغيير واضحة في شوارع (نينوى) و (السرجخانة) (وخالد بن الوليد) (والسوق العصري) وغيره .

وبالرغم من هذا الغزو والتركز للمؤسسات الوظيفية الجديدة والمتطورة فقد استمر الاستثمار القديم متواجدا في شكل اسواق تجارية متخصصة بوحدات وظيفية صغيرة المساحة تقطعها شوارع عضوية مسقفة كما هو في سوق السراي، الذي يشكل حاليا منطقة القلب التجاري لتخصصه المفرط بهذا الاستعمال. كما حافظت بعض الوحدات السكنية القديمة على مواضعها القديمة خاصة بين الشوارع الرئيسة وفي المناطق الغير مرغوبة للاستعمالات الحضرية الجديدة .

٢ ـ الجوامع

بالنظر للأهميه الروحية والمكانية التي يتمتع بها هذا الاستعمال ،احتل مواقع مركزية من المدينة العربية الاسلامة. كما كان سبباً مباشراً في احداث تكتلات سكانية في مواقع بؤرية مميزة . وبالنظر لاتساع المركز الحضري ـ خاصة اثناء فترات الاستقرار ـ اصبح المسجد الجامع غير قادر على توفير متطلبات العبادة ، فانشئت جوامع جديدة موزعة على الاطار المكاني للحيز الحضري المحدد بسور المدينة، ومن اشهر تلك الجوامع : الجامع الاموي الذي يرقى إلى ماقبل عام (١٧٦هـ) (٧٨٣م) الذي لم يبقى منه سوى مئذنته الاتابكية، ويطلق عليه حاليا بجامع (الكوازين) او (المصفي). والجامع النوري نسبة إلى (نور الدين زنكي) الذي اقامه سنة (٥٦٦ ـ ٥٦٨هـ) (١١٧٠ ـ ١١٧٢م) ورممته مديرية الاوقاف العامة ويمتاز بمنارته المائلة التي تعتبر اعلى منارة في القطر العراقي حيث يزيد ارتفاعها على (٥٥مترا) تستند على قاعدة رباعية مبنية بالجص والحجارة. أما سائر أقسام المنارة

فسبنية بالاجر المزخرف . والجامع المجاهدي الذي يعرف بجامع الخضر او الجامع الاحمر الذي يقع على نهر دجلة على رأس جسر الجمهورية (شكل٤) ،بني هذا الجامع سنة ٥٧٢هـ (١١٧٦م) وجدد عام ١٩٧٩. وجامع النبي يونس الذي يعتبر من اقدم الجوامع في المدينة ،ويقع في الجانب الايسر فوق تل يطلق عليه تل التوبة. جدد في فترات متباعدة ، يتميز بقبته التي تعتبر من اجمل القباب لما فيها من زخارف جبسية جميلة. وجامع النبي جرجيس الذي جددت عمارته في زمن تيمورلنك ، في عام ١١٥٤هـ (١٧٤١م) واخيراً في نهاية السبعينات من قبل مديرية الاوقاف العامة .

وجامع العمرية الذي انشأ عام ٩٧١هـ (١٥٦٣م) وجدد عام١٣٧٦ هـ (١٩٥٦م) مع الاحتفاظ بمنارته الاصلية ،وجامع الجوبجي الواقع في شارع الفاروق في محلة باب العراق جدد بنائه ١٠٦٠هـ (١٦٥٠م) وعام ١٣٥٨هـ (١٩٤٢م) بالاضافة إلى جامع السلطان ادريس وجامع الباشا وجامع النبي شيت وغيرها . (٣)

اما الكنائس القديمة في مدينة الموصل فاشهرها كنيسة مارتوما التي ورد ذكرها في القرن الثاني للهجرة ، وكنيسة مارحودين التي بناها التكارته الذين نزحوا إلى الموصل واقدم ذكر لها سنة ٩١٩م ، وكنيسة شمعون الصفا وكنيسة الطاهرة وكنيسة اللاتين التي بناها الرهبان الدومنيكان سنة ١٨٧٢م في محلة الساعة الحالية (١٤).

ثانياً — المناطق الخضراء:

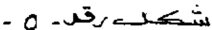
تقع مدينة الموصل — كما اسلفنا — ضمن اقليم الاستبس الذي يعتبر منطقة انتقالية بين المناخات الرطبة والجافة ، وتكون الامطار الساقطة كافية ليمارس عند ظهير المدينة زراعة المحاصيل الديمية الشتوية . ان هذه الخاصية جعلت ظهير المدينة من المناطق التي تسودها الخضرة لمعظم ايام السنة يضاف لها التداخلات الارضية ضمن الحدود البلدية التي كونت

بجموعها بيئة حضرية ريفية نادراً ماتتوفر في مركز حضري أخر (١٥) .

وتستثمر هذه المناطق حالياً كمناطق للترويح والنزهة خلال عطل نهاية الاسبوع او في فترات الاعياد وبشكل خاص في فترتي الربيع والخريف . يضاف الى ذلك استثمار مناطق واسعة من الاراضي المكشوفة القريبة من نهر دجلة والواقعة ضمن حدود بلدية الموصل في زراعة الغابات الدائمية من اجل خلق بيئة سياحية ومتنفساً لسكان المدينة المركزية. وقد ساهم التخطيط الاقليمي في استثمار هذا الحيز بانشاء مؤسسات خدمية ترفيهية تابعة لكل من القطاعيين الاشتراكي والخاص.

وتعتبر مدينة الالعاب امتدادا نطاقياً لغابات الجانب الايسر ناقلة البيئة الخضراء الى محاذاة مناطق التكدس السكاني في المدينة القديمة . ويتخذ هذا النطاق شكلاً مثلثا رأسه عند جسر نينوى وقاعدته في الاطراف الشمالية للجانب الايسر (شكل٥) وعند اضافة مناطق الزراعة الخضرية في الرشيدية فان هذا النطاق يتطاول الى خارج حدود البلدية. ولم تقتصر المناطق الخضراء في المدينة على المروج الخضراء ومناطق الغابات فقط وانما تتداخل كثير من الاراضي الزراعية (الخضرية) بين استعمالات الارض الحضرية نتيجة للتطاول الخطي (الشريطي) لاستعمالات الارض الحضرية مع امتداد طرق النقل التي تربط جانب المدينة الايسر مع المراكز الحضرية الاخرى كما هو الحال في المنطقة المحصورة بين شارعي الحرية وخير الدين والمنطقة المحصورة بين حي الصحة والنور من جهة ونهر الخوصر من جهة اخرى والمناطق الواقعة خلف احياء الزراعي والثقافة والمجموعة الثقافية التي تشكل مع منطقة الغابات نطاقا اخضراً مميزاً (شكل رقم ٥) .

ولم تظهر المناطق الخضراء في جانب المدينة الايمن بوضوح بتأثير جملة اسباب اهمها: ـــ



شكل رقم - ٥ -

توزيع المناطق الخضراء في مدينة الموصل

١٩٧٩

١ – طبيعة استثمار الارض، حيث واكب هذا الجانب مرحلة النمو الاولى للمدينة بعد تحررها من سيطرة الاسوار. وكان نموها يتخذ صيغة النمو التراكمي المتتابع على صفحة الاقليم حتى يضمن للمؤسسات الوظيفية المتشتتة الارتباط المباشر بالمدينة المركزية.

٢ – ارتفاع اراضي الجانب الايمن الأمر الذي يصعب معه استثمار مياه نهر دجلة اضافة الى ان معدل الارتفاع يزداد بالبعد عن النهر مما يجعل الري الالي غير ذي فائدة.

٣ – بعد اطراف الجانب الايمن عند مجرى نهر دجلة.

وبالرغم من ذلك توجد منطقة غابات اخرى تقع الى الشمال من هذا الجانب ولكنها عموما اقل اتساعا من غابات الجانب الايسر.

اما المناطق الخضراء الاخرى فتشمل بعض الحدائق المركزية مثل حديقة الشهداء في الجانب الايمن والساحات والاشرطة الخضراء الممتدة مع الشوارع الرئيسية خاصة في الجانب الايسر. وعند اضافة المناطق الخضراء الموجودة ضمن الوحدات السكنية في الاطراف الريفية – الحضرية لمدينة الموصل تصل المساحة الكلية لهذا الاستعمال إلى حوالي (٣٠٠) هكتارا عام ١٩٧٦، وتكون حصة الفرد الحضري ٦٦,٧٧م٢ يقابلها (٣,٤)م٢ في مدينة بغداد عام ١٩٧٣ و(٢)م٢ مربعا في مدينة اربيل عام ١٩٧٧ التي لاتبعد عنها سوى ٩٠ كيلو مترا الى الشرق (١٦).

ثالثاً – المسطحات المائية :–

بالرغم من وقوع مدينة الموصل على نهر دجلة لكنها لم تستثمر هذا المورد الطبيعي لاغراض السياحة والترفيه سوى بعض اجزاء الجانب الأيسر الممتدة من شمال مدينة الالعاب الى جنوب جسر الجمهورية ويأتي وراء هذا التواضع في الاستثمار مجمل متغيرات اهمها :–

أ ــ مورفولوجية المدينة القديمة :ــ

لقد ظهر ــ فيما سبق ــ ان مدينة الموصل قد استوطنت الجانب الايمن للنهر . وكان يشكل حاجزاً طبيعياً عوض المدينة عن بناء سور شرقي وبذلك تطاولت استعمالات الارض الحضرية ــ خاصة السكنية والتجارية ــ إلى جبهة النهر مباشرة مما جعل عملية تغيير صيغة الاستثمار القائم تعاني من صعوبات تتعلق بالمؤثرات الاقتصادية والاجتماعية .

ولم يصار إلى فتح شارع النهر الا حديثاً مما ترك اثاراً سلبية على الوحدات الحضرية الوظيفية القديمة وعلى امكانية قيام مؤسسات حضرية ترفيهية .

ب ــ طبيعة الاستثمار القائم :ــ

لقد استثمرت المؤسسات الوظيفية الادارية جبهة النهر في وقت مبكر الامر الذي لم يشجع استعمالات الارض الحضرية الترفيهية على الاستثمار. كما ان وجود الجوامع بالقرب من جبهة النهر قد اثر في نمط الوحدات الحضرية التي تقام بجوارها وهي بالتالي ليست لصالح المؤسسات الترفيهية.

جـ ــ التوزيع المكاني للمؤسسات الترفيهية :

لقد توزعت المؤسسات الترفيهية والسياحية داخل الحيز الحضري في نطاقين الاول يرتبط بمنطقة الاعمال المركزية ، والاخر في المناطق المفتوحة والغابات في الجانب الايسر . ويعتبر هذين النطاقين قطبا جذب اساسية على المؤسسات الترفيهية مما تركا اثاراً سلبية على الاهمية الموقعية لجبهات النهر .

رابعاً ــ. استعمالات الارض الترفيهية داخل المدينة :ــ

على الرغم من ان مدينة الموصل تعتبر من المراكز الحضرية العراقية المحافظة ، لكنها لم تستطع الوقوف حيال غزو الاستعمالات الترفيهية .

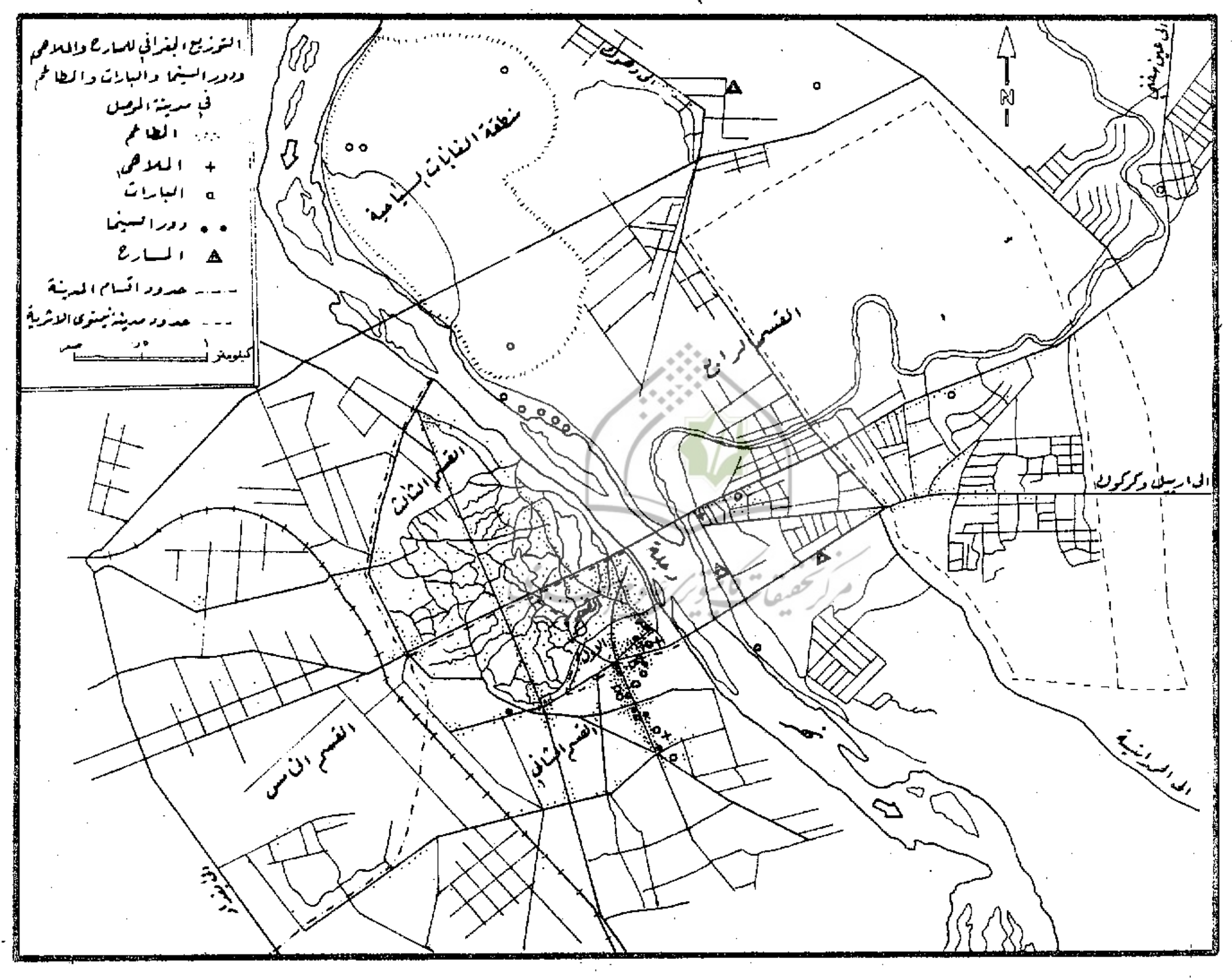
نظراً لعلاقة هذا الاستعمال بالمؤسسات الوظيفية الجديدة والمتطورة في المدينة كالجامعة والمؤسسات الصناعية الكبرى ، وارتفاع المستوى المعاشي والحضاري لسكان المدينة . كما كان للتخطيط الاقليمي ومصلحة المصايف والسياحة دوراً رائداً في رفد المدينة ببعض المؤسسات الترفيهية والسياحية باعتبارها نقطة ارتكاز اولى الى مصايف العراق الشمالية . وتتمثل هذه المؤسسات بما يلي :—

أ— المسارح دور السينما والملاهي :—

تحوي مدينة الموصل على مجموعة من المسارح ، بعضها مخصص لتأدية الفعاليات الفنية والبعض الآخر ملحق بالمؤسسات الثقافية والمهنية كالمدارس والجامعة والنقابات والاتحادات . وتعتبر المسارح المتخصصة اكثر من غيرها تأثيراً في حركة السياحة لانها تقدم عروضاً وفعاليات ذات توجه جماهيري متخصص ويبلغ عددها اثنان في القسم الرابع (الجانب الايسر) (شكل رقم ٦)هما قاعتا الربيع ونقابة المعلمين . اما المسارح الأخرى الملحقة بالمؤسسات الثقافية والنقابية فانها خاصة بالقطاعات التي تتعامل مع هذه المؤسسات ويعتبر دورها محدوداً الا في المهرجانات العامة التي تنظمها تلك المؤسسات اثناء مراسم الاعياد الوطنية او في مهرجان الربيع الذي يقام في ٢١ اذار من كل عام .

وتسيطر منطقة الاعمال المركزية على جميع دور السينما في المدينة البالغة (١٢) داراً موزعة توزيعاً خطياً مع امتداد شارعي حلب والدواسة (جدول ١ ، ٢) ويتفق توزيع هـذه المؤسسات ومدى فاعلية المتغيرات الاجتماعية كالشكل والتخصص التي تعمل من اجل توزيع المؤسسات الوظيفية بشكل يتحقق من وراءه افضل السبل في تأدية خدماتها الى سكان المركز الحضري .

شكل رقم (٦)


التوزيع الجغرافي للمسارح والملاهي ودور السينما والبارات والمطاعم في مدينة الموصل
المطاعم
الملاهي
البارات
دور السينما
المسارح
حدود أقسام المدينة
حدود مدينة نينوى الاثرية
كيلومتر
منطقة الغابات السياحية
القسم الرابع
القسم الثالث
القسم الثاني
القسم الخامس
دجلة
الى اربيل وكركوك

(جدول رقم ١)

—جدول لعدد المؤسسات السياحية و الترفيهية و الخدمية في مدينة الموصل ١٩٧٩—

نوع الاستعمال	العدد في القسم الأول	العدد في القسم الثاني	العدد في القسم الثالث	العدد في القسم الرابع	العدد في القسم الخامس	المجموع
المطاعم	٣٨	٢٢	١٢	٤٧	١٧	١٣٦
الكباب و المشرويات	٤٤	٤٠	٣١	٤٢	٢٨	١٨٤
ساندويج	١٩	٢٧	١٨	١٤	٥	٨٣
باجة	١٠	٥	٥	٣	٢	٢٥
على السدة	—	—	—	١٤	—	١٤
المطعم و المشرب	١	١٨	—	١٢	—	٣١
مطعم دجاج	٤	٦	—	٩	—	١٩
نوادي	—	٧	—	٨	—	١٥
مقاهي	٧٦	٨٣	٥٤	٨٦	٦٤	٣٦٣
فنادق	٥٨	٢٦	١	١٠ (٢)	٤	٩٩
منازل فنانات	٢	٢	—	١	—	٥
صالون حلاقة	٤٧	٦٠	٤٩	٤٠	٢١	٢١٧
فرن لحم بعجين	٥	٩	١	١	—	١٦
فرن صمون	٥	٢٠	١١	٢٥	١٣	٧٤
فرن خبز عربي	٣	٥	١	٥	٣	١٧
فرن كيك	٨	٢٤	١٩	١٦	١٨	٨٥
مخبز رغيف	٤	١٩	١٣	٢٦	١٠	٧٢
مرطبات	٣٧	٢٥	٢٧	١٩	٥	١١٣
سينما	٣	٩	—	—	—	١٢
ملاهي	٢	١	—	١	—	٤
حمام شعبي	٣	٨	٦	١	٢	٢٠

١— مديرية صحة المدينة ، جداول غير منشورة

٢— يضاف لها (٣٥) داراً سياحياً في منطقة الغابات .

(جـدول رقم ٢)

نسبة السيطرة التي تفرضها منطقة الاعمال المركزية على تـوزيـع استعمالات الارض السياحية والترفيهية والخدمية في مدينة الموصل ١٩٧٩

نوع الاستعمال	العدد في منطقة الاعمال المركزية وهوامشها	العدد في المدينة	النسبة المئوية للسيطرة المركزية
الفنادق	٨٩	١٠٤	٨٥,٦
المطاعم	٢٩٦	٤٦٣	٦٤,—
المقاهي والكازينوهات	٢١٣	٣٧٧	٥٦,٥
النوادي	٧	١٥	٤٦,٧
مطعم ومشرب	١٩	٣١	٦١,٣
سينما	١٢	١٢	١٠٠,—
ملهى	٣	٤	٧٥,—
مرطبات	٨٩	١١٣	٧٨,٨
الصمون والكيك والخبز	١٣٢	٢٤٨	٥٣,٢
صالون حلاقة	١٥٦	٢١٧	٧١,٩
حمامات الشعبية	١٧	٢٠	٨٥,—

كما تسيطر منطقة الاعمال المركزية على ٧٥٪ من مجموع الملاهي، ويعتبر الملهى المتواجد في قطاع ٤ اقرب إلى الموقع المركزي من التشتت في الهيكل العام المدينة.

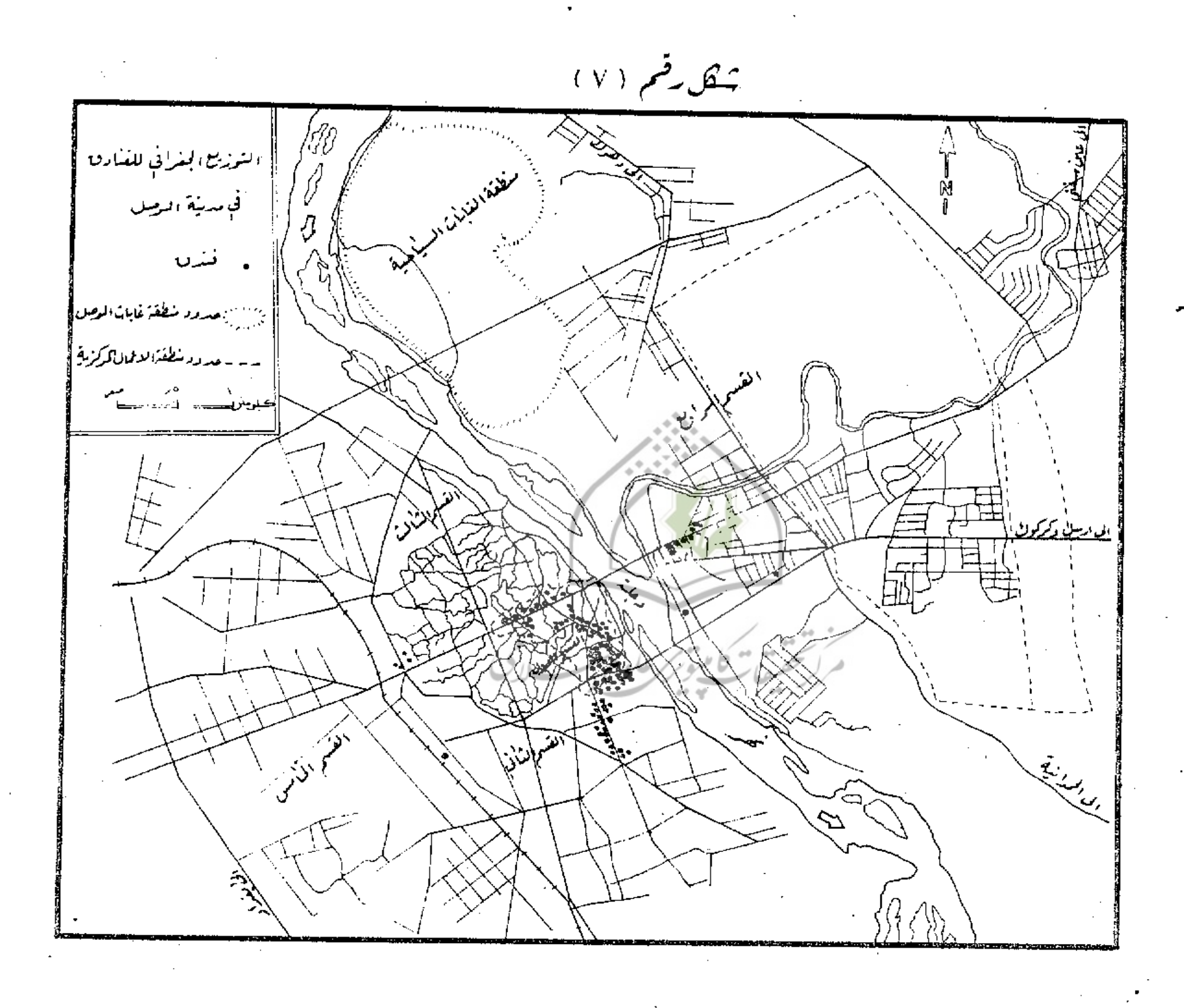
ب ـ المطاعم والبارات والفنادق:

تتكتل هذه المؤسسات في داخل وهوامش منطقة الاعمال المركزية بشكل شوارع متخصصة ويأتي هذا التكتل بتأثير قابليتها العالية على منافسة استعمالات الارض الاخرى ،بالاضافة إلى مايحمله الموضع المركزي من مواصفات موقعية جيدة لتوفر مواقف السيارات والفنادق. علاوة على مايفرضه الشارع من بريق على توقيعها، وتسيطر منطقة الاعمال المركزية وهوامشها على ٦٤٪ من مجموع المطاعم في المدينة، وعلى ٦١,٣٪ من مجموع البارات وعلى ٨٥,٦٪ من مجموع الفنادق وعلى ٧٨,٨٪ من مجموع محلات بيع المرطبات. وبحكم اهمية منطقة الاعمال المركزية توطنت فيها وفي هوامشها ٧١,٩٪ من مجموع مؤسسات الحلاقة و٨٥٪ من مجموع الحمامات الشعبية (شكل ٧)

ج ـ المقاهي والنوادي :

شغلت المقاهي حيزا مهما من مساحة مدينة الموصل ولكن اهميتها تضائلت في السنوات الاخيرة بتأثير منافسة وسائل اللهو الاخرى الأمر الذي قلل من عدد زبائنها مما جعلها غير قادرة على منافسة استعمالات الارض المركزية كالمؤسسات التجارية والصناعية وبعض المؤسسات الترفيهية. وغدت هذه المؤسسات امام خيارين، اما التسليم للمؤسسات النازية ذات القابلية العالية على دفع اعلى الايجارات، او التشتت الى مواضع جديدة تتوفر فيها مواصفات موقعية ملائمة كالمساحات الكبيرة والرخيصة والواجهات المائية والمناطق البعيدة عن صخب المواقع المركزية. وبالرغم من ذلك استمرت منطقة الاعمال المركزية تفرض نظاما من السيطرة على توقيع مثل هذه المؤسسات بلغت نسبتها ٥٦,٥٪.

شكل رقم (٧)


التوزيع الجغرافي للفنادق
في مدينة الموصل
فندق
حدود منطقة غابات الموصل
حدود منطقة الاعمال المركزية
منطقة الغابات السياحية
القسم الرابع
القسم الثالث
القسم الثاني
القسم الخامس
الى اربيل وكركوك
N

ان قلة التركز في منطقة الاعمال المركزية وهوامشها لايعني تشتتها الى مواضع جديدة بين الوحدات السكنية البعيدة عن مركز المدينة. وانما وجدت لها مواضع ذات مواصفات مرغوبة عند منطقة الاطراف الريفية الحضرية وفي المناطق الشاطئية التي تمتد من شمال جسر نينوى حتى منطقة الغابات السياحية (شكل ٨).

اما النوادي فهي من المؤسسات الترفيهية الخاصة والتي تؤول ملكيتها الى مؤسسات القطاع الاشتراكي والنقابات والجمعيات. ونتيجة لارتباطها بقطاعات سكانية كبيرة نسبيا حاولت استثمار مواضع واسعة يتوفر فيها المنظر الطبيعي مما شجعهـا على استثمار المناطق الزراعية او الشاغرة عند اطراف منطقة الاعمال المركزية او ضمن الهيكل العـام للمدن معزولة نسبيا عن الوحدات السكنية.

ان هذا التوزيع الجديد جعل سيطرت منطقة الاعمال المركزية لاتتعدى ٤٦,٧٪، بينما سيطر القسم الرابع على بنسبة ٥٣,٣٪. كما ان نسبة سيطرة منطقة الاعمال المركزية لاتعطي صورة متكاملة عن حقيقة الامر لان توزيع هذه المؤسسات يقتصر على القسم الرابع الذي يتطاول إلى محلات الطيران والدندان والجوسق ووادي حجر والمنصور.

د ـــ الاستعمالات الاخرى :

تشتمل على الملاعب ومراكز الشباب والنوادي الرياضية وفي المدينة ملعبين لكرة القدم تابعان للادارة المحلية وجامعة الموصل. يضاف إلى ذلك المساحات الشاغرة في اطراف المدينة استثمرت في انشاء ملاعب شعبية يستغلها سكان الضواحي والامتدادات الحضرية الشريطية كمـا تحوي المدينة على مركزين للشباب وناديين رياضيين. ومما يلاحظ على المدينة قلة النوادي الرياضية بتأثير الاستقطاب المفروض على الشباب من قبل المؤسسات الرياضية التابعة للقطاعات الشعبية والجماهيرية.

شكل رقم (٨)


المقاهي والملاعب والنوادي الرياضية ومراكز الشباب في مدينة الموصل
المقاهي
النوادي الرياضية
الملاعب
مراكز الشباب
حدود نينوى الاثرية
حدود منطقة غابات الموصل
منطقة الغابات السياحية
القسم الرابع
القسم الثالث
القسم الخامس
القسم الثاني
الى اربيل وكركوك

تحليل التوزيع المكاني لاستعمالات الأرض التراثية والسياحية والترفيهية في المدينة :

١ ـ استعمالات الارض التراثية :

ظهر سابقاً ان استعمالات الارض التراثية (المتمثلة بالمواقع الأثرية والمؤسسات الوظيفية) يتفق توزيعها الجغرافي تبعاً لمقدار علاقتها المكانية بالموضع . فمدينة نينوى الاثرية قد اختارت موضعاً يمتاز بالانبساط النسبي مع توفر مقومات الحماية الطبيعية . فحدودها الشرقية والجنوبية الشرقية والجنوبية تحميها مياه نهر الخوصر والوديان المنحدرة من جهة الشرق ، بينما اختزلت حدودها الشمالية وحصنت بالشكل الذي تستطيع فيه المدينة صد الغارات بوسائل دفاعاتها التقليدية ، كما كانت مياه نهر دجلة تطغي على حدودها الغربية الامر الذي يوضح وجود مسناة عند الحافات السفلى للسور الغربي (١٧) . يضاف إلى ذلك ان موقعها في شرق نهر دجلة جعلها في مأمن من غزو القبائل الرعوية المنتشرة في منطقة الجزيرة بين نهري دجلة والفرات وبشكل خاص في مواسم شحة الأمطار الساقطة.

اما المناطق الاثرية كقلعة باشطابية وقره سراي والمساجد والكنائس والوحدات السكنية الوظيفية فان توزيعها يتماشا مع المركز الحضري القديم لمدينة الموصل الحالية ، ويتفق توزيعها مع الحيز الحضري المحدد قسراً بالسور العام للمدينة . ولكن عموماً تميل استعمالات الارض العسكرية والدفاعية إلى ان تكون في مواقع هامشية من الحيز الحضري بينما تتوطن استعمالات الارض التراثية الاخرى في مواقع مركزية لتسهل عملية الارتباط بينها وبين سكان المدينة .

وتأتي جملة عوامل وراء تغيير موضع الحيز الحضري من نينوى القديمة إلى موضع مدينة الموصل القديمة اي من الجانب الايسر للنهر إلى جانبه الايمن اهمها : ـ

١ ـ التغير الوظيفي للمدينة من صيغة الحلاّت الزراعية الى مدينة خدمات تجارية، الامر الذي لم يشكل فيه انبساط الارض ضرورة من ضرورات تطورها وديمومتها.

٢ ـ ضمن لها الموقع الجديد الاتصال المباشر مع المراكز الحضرية العراقية القديمة التي تقع عموما الى الغرب والجنوب الغربي منها دون الحاجة الى اجتياز عوائق طبيعية كنهر دجلة مثلا.

٣ ـ لقد وفر الموضع الجديد ـ بخصائص الكونتورية ـ حماية طبيعية من خطر فيضان نهر دجلة الذي كان مع نهر الخوصر يغمران اجزاء واسعة من الاراضي الواقعة في جانبه الايسر.

٤ ـ الاستمرار التاريخي لمواضع حلات كانت تستثمر هذا الجانب.

٥ ـ الابتعاد عن المراكز الحضرية المتهرئة بتأثير متغيرات اجتماعية تتعلق معظمها في نظرة السكان لمثل هذه المواقع.

٦ ـ احتواء الموقع الجديد على مادة الحجر التي تعتبر مادة البناء الاساسية.

من ذلك يظهر السبب المباشر في تغير موضع الاستيطان الذي استمر لاكثر من ١٣٠٠ سنة وبذلك يمكن تحليل سبب ارتباط المواقع الأثرية والتراثية ـ خاصة الاسلامية فيها في الجانب الايمن الذي شهد كل مراحل نمو المدينة وتدهورها خلال فترات الشباب والكهولة.

وتتخذ استعمالات الارض التراثية صيغتين : الاولى مايتعلق منها بالقلاع الاستحكامية والثانية باستعمالات الارض التراثية السكنية والتجارية والدينية . وعند ملاحظة خرائط الرحالة (شكل٢) نجد ان استعمالات الارض في المدينة تتحدد في نطاقين الاول الشمالي متخصص للتدريبات العسكرية وبذلك تحددت مواضع القلاع الاستحكامية ومنشآت الادارة المركزية مثل قلعة باشطابية ودور الامارة اما المناطق الوسطى والجنوبية فقد خصصت للأستعمالات السكنية والتجارية والمؤسسات الدينية لارتباطها

الحاد بمثل هذه المؤسسات الوظيفية. وهذا يحلل سبب التواجد لهذه المؤسسات في مواضعها الحالية عند مناطق التركز السكاني والوظيفي. ويشذ عن ذلك موضع جامع النبي يونس الذي يتحدد موقعه في الجانب الايسر للمدينة مستثمراً موضعاً مرتفعاً (تل التوبة) على انقاض مدينة نينوى الاثرية. ويعتبر موضعه حصينا لارتفاعه الذي اتاح له الاشراف على مساحات واسعة بالاضافة الى مايوفره الموضع من حماية طبيعية من خطر فيضان نهري دجلة والخوصر اللذان كانا الى وقت قريب يغمران المناطق المنبسطة من جانب المدينة الايسر.

وكما هو معروف بالنسبة للمراكز الحضرية الاسلامية شدة ارتباط الاسواق مع الجامع الكبير للمدينة الذي يتخذ عادة موقعاً بؤرياً ضمن الحيز الحضري المستغل وهذا مايوضحه التوزيع المكاني للمؤسسات التجارية القديمة في المدينة. ونظراً للاهمية الكبيرة الملقاة على النهر باعتباره مصدراً للمياه المستثمرة في المركز الحضري واستعماله كواسطة نقل سهلة ورخيصة لربط المدينة بظهيرها فان استعمالات الارض التجارية انزاحت قسرا الى ضفة النهر اليمنى، وهذا يحلل سبب ارتباط منطقة الاعمال المركزية (منطقة سوق السراي)بجانب النهر. ولما كانت الوظيفة التجارية تمثل الاساس الاقتصادي للمدينة فان استعمالات الارض التجارية لم تمتد على شكل نطاق شمالي جنوبي مع النهر كما هو الحال في مدينة بغداد ـ وانما تداخلت بنطاق متطاول باتجاه الغرب، وذلك لان اقليم المدينة التجاري لايعتمد فقط على الظهير الخطي الممتد مع نهر دجلة وانما للمدينة اهمية مركزية لظهير اقليمي يمتد غربا، كما انها كانت بؤرة اتصال مع سوريا وعالم البحر المتوسط .لذلك تطاولت استعمالات الارض التجارية باتجاه باب سنجار مفتاح الاتصال مع العالم الغربي.

٢ ـ استعمالات الارض الترفيهية :

تبعاً لما ورد ذكره سابقاً تشمل تلك الاستعمالات على مجموعة من التخصصات تقوم بتأدية وظيفة واحدة او خدمات لتلك الوظيفة .ان مايلاحظ على توزيعها ضمن المركب العام للمدينة بانه يتأثر بمجموعة من العوامل اهمها : ـ

١ ـ الاستمرار التاريخي للموضع القديم وذلك لشدة علاقته بالعادة والسلوك الاجتماعي الذي يرسم غالباً حركة السكان داخل الحيز الحضري .

٢ ـ الارتباط بمناطق التواجد السكاني الكثيف والمناطق ذات الكثافات العالية للنقل الامر الذي يعطي صورة واضحة عن طبيعة توزيعها في منطقة الاعمال المركزية او عند هوامشها .

٣ ـ التكامل الوظيفي بين بعض المؤسسات التي تقوم بتأدية خدمات وظيفية متقاربة (متكاملة) الاهداف يجعل توزيعها متجانساً بعضها بالاخر كما ان زحمة الحياة الحضرية في المراكز الحضرية الوسطى والكبيرة جعلت الساكن الحضري ينطلق إلى تطمين اكثر من حاجة عند تحركه داخل المدينة الامر الذي زاد من مقدار ارتباط هذه المؤسسات بعضها بالآخر .

وتبعاً لهذه المفاهيم نجد استمرار تواجد كثير من المقاهي والكازينوهات في داخل منطقة الاعمال المركزية او عند مناطق التقاطع مع امتداد الطرق الرئيسة . كما ان كثير من المؤسسات الترفيه قد غزت المناطق المتهرئة المحيطة بمنطقة الاعمال المركزية لما تتمتع به من قابلية على منافسة استعمالات الارض الاخرى بالاضافة إلى مايوفره هذا الموقع من مواصفات مرغوبة لهذا الاستعمال كسهولة الاتصال ، التكامل الوظيفي مع المؤسسات الوظيفية المتوطنة . وبالمثل نلاحظ درجة الارتباط عالية بين توزيع الفنادق والمطاعم ودور السينما والملاهي وصالونات الحلاقة ومحلات بيع المرطبات ، بما يوحي للناظر بوجود شوارع متخصصة لتأدية هذه

الفعاليات عند الاطراف الخارجية لمنطقة الاعمال المركزية مثل شوارع (السوق الحصري والدراسة والعدالة وحلب)،وهذا مايوضح سبب ارتفاع درجة السيطرة المفروضة من منطقة الاعمال المركزية وهوامشها على هذه الاستعمالات .

وعلى ضوء ذلك كان الغزو الممارس من هذه الاستعمالات على استعمالات الارض القديمة قد ولد نمطا من التشتت للاستعمالات القديمة ونمطا من التتابع بين استعمالات ذات مردود اقتصادي عالٍ ، وقابلية عالية على المنافسة ، واستعمالات اخرى ضعيفة حيال هذه المنافسة غير المتكافئة

فتشتت الى مواضع جديدة عند اطراف المركز الحضري لتحدث بالتالي تخصصاً سكنياً . وبالمقابل ظهر تخصص آخر في منطقة الاعمال المركزية واطرافها بتأثير تركز استعمالات الارض الترفيهية والخدمية . ان تشتت الاستعمالات القديمة لم يكن بدافع المنافسة فقط وانما بتدخل متغيرات اجتماعية اخرى حالت دون استمرار تلك الاستعمالات بتواجدها القديم . فاحدثت فيها نوعاً من التتابع بين استعمالين ، احدهما غاز يبحث عن مثل هذه المواضع الجديدة لتأدية خدماته بيسر وكفاءة، والاخر متشتت لايجد في الاستعمالات الغازية ما يساعده على الاستمرار والتطور .

ولايقتصر اثر العوامل الاجتماعية على العلاقة بين استعمالين متباينين في مردودهما الاجتماعي ، وانما يحدث بين الاستعمالات المتقاربة في تخصصها او موقعها المركزي ، فقد اصاب المقاهي المحيطة بمنطقة الاعمال المركزية او الواقعة على امتداد الاشرطة التجارية الرئيسة ، غزو من استعمالات ترفيهية اخرى او من استعمالات تجارية بتاثير قلة مردودها الاقتصادي من الوحدة المساحية التي تحتلها ، اضافة الى عامل السيطرة المفروض من قبل تلك المؤسسات علاوة على ذلك فان تباعد اطراف المدينة

قد ازداد من طول المسافة ومقدار الوقت المصروف للوصول الى الموقع المركزي لهذه المؤسسات . عند ذلك اصبحت تلك المؤسسات امام عدة خيارات.

امـا التسليـم للمؤسسات الخدمية الغازية للموقع المركزي او البقاء والاستمرار في المنافسة – والتي تكون في غير صالحها عادة – او التشتت الى مواقع جديدة هي اقرب الى الاطراف الريفية الحضرية منها الى المكان المركزي حيث تتوفر فيها مقومات موقعية مرغوبة مثل المساحة الواسعة ، والمنظر الطبيعي والبعد عن مناطق الصخب المركزية ويمكن القول ان الخيار الثالث كان اكثرها تناسباً مع حركة المقاهي والكازينوهات الى الوجهات المسائية واطراف المركز الحضري الإدر الذي يوضح سبب انخفاض نسبة السيطرة التي تفرضها منطقة الاعمال المركزية عليها . وقد ساعد على تغير التوزيع المكاني لهذه المؤسسات هو اتساع المركز الحضري وزيادة حجمه وارتفاع المستوى المعاشي للسكان ، وزيادة نسبة حيازة وسائل النقل الخاص يضاف الى ذلك دور التخطيط الاقليمي في استثمار مقومات الموقع الجيد فـي انشـاء مثل هـذه المؤسسات ولاينعكس هـذا المؤثر على المقاهي والكازينوهات فقط وانما اثر ايضا على توزيع السيارات والفنادق والنوادي .

اما الفنادق والمطاعم فانها من المؤسسات التي تعتمد على الشارع والمناطق التي تتوفر فيها مواقف السيارات لذلك ظهر توزيعها متماشياً مع الشوارع الرئيسة التي تقطع منطقة الاعمال المركزية او مع الشوارع التجارية او الاشرطة التجارية التي تخرج من منطقة الاعمال المركزية وترتبط نوعية الفنادق والمطاعم ومقدار الخدمات التي توفرها بـ درجة تطور المنطقة وطبيعة مؤسساتها الوظيفية المجاورة . فالفنادق والمطاعم المجاورة لمؤسسات وظيفية مركزية جيدة النوعية تكون ذات مستوى الدرجات الاولى والثانية مثل فنادق السوق العصري والدواسة وشارع الجمهورية وخالد بن الوليد ونينوى بينما تميل فنادق ومطاعم شارع خير الدين الى الدرجة الثالثة لطبيعة تعاملها

مع مؤسسات بمستويات متدينة كما انها تتعامل مع سكان منطقة الظهير ويشذ عن ذلك فنادق القطاع الاشتراكي فانها تكون غالبا من الدرجة الاولى وترتبط اما بمؤسسات وظيفية مثل فندق المحطة ، او بمنطقة الاعمال المركزية — فندق المطار ، او بالموضع الذي يتوفر فيه الهدوء والمنظر الطبيعي كفنادق الادارة المحلية والمصايف السياحة والمركز الثقافي ودور السياحة في الغابات.

وتزداد الحاجة في المدينة الى الفنادق والمطاعم والسيارات والملاهي سنة بعد اخرى بتأثير التطور الحاصل لاساس المدينة الاقتصادي وزيادة علاقاتها الاقليمية نتيجة لتطور مؤسساتها الوظيفية والمؤسسات الصناعية الكبرى ، وبتاثير موقعها الذي يعتبر مسيطراً على بوابة الدخول الى مصايف العراق الرئيسية في محافظتي اربيل ودهوك .

مما تقدم يظهر ان مدينة الموصل تحوي على مجموعة من المؤسسات التراثية والترفيهية قلما تتوفر بمركز حضري آخر في العراق على الرغم من المتغيرات الاجتماعية التي كان لها الدور الرائد في تأخر استثمار مقومات الموضع الجيد في المدينة وتقف عدة عوامل وراء هذا التنوع والتعدد لمثل هذه المؤسسات اهمها :—

١ — الجذور التاريخية للمدينة التي ترقى الى اكثر من ٣٠٠٠ سنة خلت قد ساعدت على زيادة كثافة هذه الاستعمالات وقد ساهمت مواد البناء المستعملة على استمرار تواجدها حتى الوقت الحاضر بالرغم من التقلبات المناخية والتغيرات الحاصلة في الهيكل القائم للمدينة بتأثير مظاهر الغزو والاحتلال والتخريب خلال تاريخها الطويل.

٢ — الاهمية الموقعية للمدينة المركزية خلال ادوارها التاريخية قد جعلها مركزاً للادارة والحكم مما ساعد على قيام مؤسسات وظيفية على درجة عالية من الحصانة والثبات .

٣ — طبيعة المناخ السائد الذي يغلب عليه مناخ الاستبس Bs جعلها بيئة ملائمة للاستثمار السياحي والترفيهي سواء ضمن وحداتها الحضرية المركزية او في نطاقاتها الاقليمية .

٤ ــ موقعها على الطريق الواصل بين وسط وجنوب العراق من جهة ، والمصايف العراقية من جهة اخرى جعلها بالضرورة بوابة اتصال مباشرة لمعظم ايام السنة .

٥ ــ زيادة درجة مركزية المدينة بتأثير ما استحدث فيها وفي منطقتها المتممة من مؤسسات صناعية اكبر او مؤسسات ثقافية ساعد على توفير بيئة حضرية متغيرة لتلبية متطلبات التغير الوظيفي .

٦ ــ ان ارتفاع المستوى المعاشي للسكان وزيادة الكثافة السكانية ضمن الحيز الحضري تتطلب وجود مؤسسات وظيفية ترفيهية لتلبية حاجات السكان المتزايـــدة .

٧ ــ زيادة درجة الاهتمام بالمواقع التراثية والحضارية والسياحية من قبل الدولة عن طريق مؤسساتها المتخصصة كالمديرية العامة للاثار ، والمديرية العامة للمصايف والسياحة والتخطيط الاقليمي بما يضمن الاستثمار الامثل للوحدة الحضرية ذات النشاط المتخصص .

وبالرغم من ذلك لازالت المدينة بحاجة مستمرة الى مؤسسات سياحية وخدمية نظراً لمـــا تعانيه المؤسسات القائمة من زخم متزايد بتاثير الزيادة المطردة في حجم المدينة بتاثير الهجرة وتنعكس هذه الصيغ على الفنادق والمطاعم ، وقد قامت المصايف والسياحة بانشاء (٣٥) وحدة سكنية في منطقة الغابات ولكنها دون الطموح اذا ماعلمنا ان مدينة الموصل ذات توجه سياحي واسع عن طريق مهرجان الربيع السنوي الذي يستقطب اعداداً كبيرة من سكان العراق .

لذلك اقترح ان يصار الى دراسة وافية عن واقع المدينة الاقتصادي والاجتماعي والثقافي اخذة بنظر الاعتبار متغيرات الموضع والموقع للمركز الحضاري من اجل وضع سياسة مخططة ــ طويلة الامد ــ باستثمار المؤسسات التراثية والسياحية بما يضمن للمدينة دخلا متزايداً يساهم في رصانة اساسها الاقتصادي ويساعد على سرعة تطورها وديمومتها (١٨) .

الهوامش والمصادر:

(١) تعتبر استعمالات الارض الترفيهية من ضمن الاستعمالات الحضرية الاساسية التي تشكل الهيكل العام للمركب الحضري.

Marlin Bierre, New towns , Regional planning and developm-ent Methune and Co-ltd, London, 1971 p-251

(٢) يحتل الاستعمال السكني نسبة تتراوح بين ٣٠-٤٠٪ من مساحة الحيز الحضري في المدينة الاوربية.

Raymond. E: Murphy, The American city An urban Geography Mc.Graw-Hill Book Co, New york 1966 p. 269.

بينما ترتفع في المدينة العراقية بتأثير صيغة الانتشار الافقي على صفحة الاقليم، فهي في اربيل ٥٧٪ والموصل ٦٢,٣٪. انظر في ذلك.

a) Republic of Iraq, ministry of muncipalities Directorate general of planning and Engineering Mosul masterplan 1974p. 87. Polserivic cons ulting Engineers, Warsow, 1973 p.80

(ج) وزارة البلديات، التصميم الاساسي لمدينة اربيل لغاية عام ٢٠٠٠ بغداد صفحة ٢١.

Raymond E. Murphy, OpcitP. 254.

(٤) الموضع - يدل على الصفات الطبيعيه للمنطقة او المساحة التي تحتلها المدينة. اما الموقع فيعني بيان مركز المدينة وعلاقاتها بالنسبه للمناطق المحيطة بها. او التي تقع خارج حدودها المعمورة.

عبد الرزاق حسين، جغرافية المدن، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٧٧ صفحة ٣٥.

(٥) جاءت الوظيفة الترفيهية مع الوظيفة الصحيه في المراكز الحضرية كمصحح لاخطاء المدينة الصناعية.

جمال حمدان، جغرافية المدن، الطبعة الثانية، دار غريب للطباعة، القاهرة ١٩٧٧ صفحة ١٥٧.

(٦) تعتبر المواقع النهرية من المواقع المرغوبة في الاستثمار الحضري على مستوى العالم عموما وفي المناطق الجافة على وجه الخصوص.

Griffit Taylor, urban Jeography Methuen and Co.Ltd London 1961 P. 219.

(٧) كوركيس عواد: مدينة الموصل، مطبعة الحكومة، بغداد: ١٩٥٩ ص ٣-٤.

(٨) سيطر القائد سمداغو على مدينة الموصل في عام ٦٦٠هـ (١٢٥٧م) وتيمورلنك في سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٣م).

سعيد الديوه جي، الموصل ام الربيعين، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٥، صفحة٩

(٩) جان باتست فرنبيه، العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة المعارف/ بغداد، ١٩٤٤، صفحة ٥٨.

(١٠) كوركيس عواد؛ مدينة الموصل، مصدر سابق ص ١ – ٢ .

(١١) حكم الاتابكة الموصل في الفترة (٥٢١ – ٥٦٦٠) (٢١٢٧ – ١٢٦١م).
سعيد الديوه جي، مصدر سابق صفحة ٧ .

(١٢) انظر كوركيس عواد، مصدر سابق ص ٢٣
سعيد الديوه جي صفحة ١٣.

(١٣) المصدر السابق ص ١٥ – ١٨ .

(١٤) المصدر السابق ص ٢١.

(٢٥) تمتاز المناطق الخضراء بتواجدها عموما في الاطار الخارجي للمدينة، اما المناطق الداخلية فان ارتفاع قيمة الارض الحضرية، وقلة قابلية هذا الاستثمار على منافسة استعمالات الارض الاخرى قد حال دون ذلك. علما ان سكان المدن يميلون السكن بجوار هذا الاستثمار لكونه يوحي لهم بالسكن المترف المتواجد في مناطق الضواحي .

James E-Johnson Ed, Sabhrban Growth Geographical processes at the Edge of the Westeren city Aberdeen university press Aberden. 1974 P. 223.

(٢٦) انظر في ذلك.

(ب) عبد الرزاق عباس حسين، مصدر سابق، صفحة ١٥٨.

(ج) التصميم الاساسي لمدينة اربيل ، مصدر سابق صفحة ٢١.

(١٧) قد لايتفق بعض الكتاب في ان نهر دجلة يصل الى الحدود الغربية لمدينة نينوى الاثرية، لانه لو كانت كذلك لما تجشمت المدينة عناء بناء الاسوار العالية وفتحت عدة ابواب باتجاه الغرب والتي لاتزال اثارها شاخصة الى يومنا هذا ولكني اميل الى ان نهر دجلة قد غير مجراه الى ماهو عليه الان بعد فترة من بناء مدينة نينوى لان كثير من التنقيبات اظهرت اثاراً لعمليات زراعية في المنطقة المحصورة بين اسوار نينوى الغربية ونهر دجلة.

(١٨) اجريت عدة دراسات على مدينة الموصل اثناء قيام الشركات الاستشارية بوضع تصاميمها الاساسية ولكنها دراسات غير كاملة لانها اهملت كثير من المتغيرات التي تلعب دورا في توزيع استعمالات ارض المركز الحضري وبشكل خاص العوامل الاجتماعية.

الخلفية التاريخية للمجتمع الاندونيسي قبل تحوله الى الاسلام

الدكتور عادل محي الدين الالوسي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

الخلفية التاريخية للمجتمع الاندونيسي قبل تحوله الى الاسلام

الدكتور عادل محي الدين الالوسي

منهج البحث :

لكي ندرك خلفية المجتمع الاندونيسي : وعناصره البشرية والتجارية والحضارية، منذ القرون الاولى الميلادية حتى القرن السابع الميلادي والقرون التي تلته . حيث صار الاسلام دين الاغلبية الساحقة من السكان ، سأتناول بالبحث القوى الخارجية أو أقُل المؤثرات الاجنبية التي وفدت الى اندونيسيا وهي الصينية والهندية والعربية التي تمازجت مع الاندونيسية المحلية وساهمت بشكل أو بآخر في بلورة خصوصية اندونيسية مميزة حضارياً وثقافياً وحتى دينياً . مازالت طابعاً يميز كل مايفد الى جزر الارخبيل ، وهذا مانجده في الاسلام ، فمع مافيه من تعاليم مقننة وشعائر مثبتة ، صار الى حد ما اندونيسيا، (١) وهذا الى جانب الايجابية التي عُرفت بها العقيدة الاسلامية السمحاء، يفسران سر الاقبال الرائع والاحترام الفائق الذي حظي به الدين الاسلامي عندما طرق ابواب اندونيسيا لاول مرة.

ان مما يميز صلات اندونيسيا بهذه الامم، كون بداياتها جاءت عن طريق التجارة، ولذلك ساولي الجانب التجاري اهمية خاصة في بحثي هذا.

١ ــ التأثير الصيني :

مع ان اقدم انسان عرفته البشرية ، هو انسان جاوه، والذي كشفت عنه التنقيبات التي اجراها الدكتور ايوجني درنبوا سنة ١٨٩٠م، فان سكان اندونيسيا الحاليين ليسوا من نسل هذا الانسان الاول بل انهم وفدوا اليها من الخارج، واغلب الظن انهم من المغول الذين نزحوا منذ سنة ٢٠٠٠ ــ ٥٠٠ قبل الميلاد ، (٢) من جنوب اسيا الشرقية وهي البلدان المعروفة باسم

كوشني صينا وكامبوجا وانام المشهورة اليوم باسم الهند الصينية او فيتنام، وبتوالي هذه الهجرات نزح المهاجرون الاولون الى الشواطىء واخيراً ركب بعضهم البحر وانتشروا في بلدان شتى ، فمنهم من هبط في الجزر الاندونيسية ، ومنهم من وصل الى جزيرة فرموزا وجزائر الفلبين واجزاء من جزر اليابان الجنوبية . (٣)

وهذا يعني ان التكوين البشري للشعب الاندونيسي يرجع اساساً الى الجنسين المغولي والملاييزي . (٤)

لقد بدأ اتصال الصني البحري والتجاري مع المناطق الاندونيسية في حدود سنة ٢٠٦ ــ ١٢٤ قبل الميلاد ، وكانت مواد الاتجار خلال هذه الفترة المبكرة لاتتعدى الاحجار الكريمة والجواهر والحديد والارز والتوابل وقد توضحت وتكشفت هذه المعرفة منذ اوائل الحقبة المسيحية ، ففي سنة ٣٥٠م سمعنا عن سفن صينية ابحرت قاصدة ارخبيل الملايو حتى وصلت الى Penang على ساحل سومطره الغربي ، كما وصلت الى سيلان مرورا ساحل سومطره في نهاية القرن الرابع الميلادي (٥) . وتحتمل وصولها في القرن الخامس الميلادي الى الخليج العربي وكانت تحمل مواداً تجارية للعراق وهذا ما اوضحته المصادر الاسلامية القديمة . (٦)

ومنذ القرن السابع الميلادي ، زارت سفن الجنك Junk الصينية ميناء Dou-win على ساحل استراليا والذي يبعد عن جزيرة تيمور Timor الواقعة في اقصى الجنوب مسافة ٤٠٠ ميل (٧) .

ولا ادل على هذه المعرفة المبكرة من الاثار المادية التي اكتشفت في هذه الجزر ، من ذلك ان قدامى الاندونيسيين وبخاصة الاثرياء منهم ، قد تداولوا تحف الصين النادرة كقطع السيراميك والسبح والادوات المعدنية ، وكانوا يحصلون عليها مقايضة للحوم الطيور المأخوذة من عشوش كهوف نيا Nialh وبعاج طير البوقير وقرون الكركدن ، وثمة هنالك الجرار الصينية التي وجد منها في بورنيو وساراواك الشيء الكثير. (٨)

والى جانب ذلك وجدت قطع نقود صينية تعود الى الربع الاول من القرن الاول الميلادي مسجلة على شواهد احد القبور في دونكسيون ... Don وفي سومطره وجاوه وبورنيو ، كما وجدت قطع من الخزف الصيني عليها معلومات يرجع زمنها الىسنة ٤٥ قبل الميلاد ، وعُثر في سومطره على قطع صخر منحوته ترجع الى زمن هان Han (٩) في الصين (١٠)

ولازالت جدران مبنى معبد بورو بودور Boro Badur (١١) التذكاري في جاوه محلى بقطع منحوته لسبعة من السفن الصينية يرجع تاريخيها الى القرون الميلادية المبكرة . (١٢)

لقد استوطن بعض الصينين في اندونيسيا وزاولوا الزراعة التي احتكروها لانفسهم دون سواهم ، والى هؤلاء المستوطنين تعزى زراعة الفلفل الاسود وقصب السكر في منطقة بانتى وسومطره الجنوبية . ولعل الوضع الاجتماعي الذي كان عليه سكان اندونيسيا الاصليون واهل جاوه على وجه الخصوص ، وشعورهم بالكبرياء رغم فاقتهم ، قد فسح المجال لنشاط الصينيين في مجال الزراعة والمجالات الاخرى . (١٣) ولم يقتصر نشاط هؤلاء المهاجرين على الزراعة بل زاولوا الحرف اليدوية والصناعات الصغيرة ، واغلبهم امتهن التجارة واحتلوا فيها مركز الصدارة ، ويعزى سر هذه النجاحات التجارية الى (١٤) :

١ ـ عدم وجود تنافس رأسمالي بين التاجر المغترب واهل البلاد الاصليين .

٢ ـ الحرية والطمأنينة التي تمتع بها التجار الاجانب في الموانيء التجارية الساحلية .

٣ ـ ان الصينيين لم يفدوا الى اندونيسيا بخلفية دينية مثل غيرهم من التجار الاجانب الهندوس من الهند والمسيحيين الاوربين من الغرب بل وفدوها كتجار سرعان ماتوطدت علاقتهم بالسكان المحليين .

٤ ـ الخبرات التجارية التي يمتلكها المستوطنون الصينيون اضافة الى تحمسهم للعمل التجاري بكل جزئياته فهم كما قيل عنهم كانوا يتجولون حاملين الميزان في يد والعملات الصينية في اليد الاخرى (١٥). وخلال الغزو الهندي لاندونيسيا ، وفي ظل ازدهار التجارة الخارجية استحوذ التجار المعينيون على التجارة الساحلية وبخاصة في الجزر البعيدة كجزر كالمنتان (بورينو) وسلاوسي (سلبس) وغيرها ، وظل تأثيرهم تجارياً دون ان يكون لهم تأثير يذكر في اندونيسا حضاريا ، وذلك انهم حصروا نشاطاتهم في التجارة مصدرين ومستوردين بعيداً عن التصب الديني والاستعلاء الطبقي (١٦) . لقد استحوذ هؤلاء المستوطنون على الاقتصاد الاندونيسي ، لكنهم تدريجيا وبحلول الهيمنة الغربية ، تحولوا الى وسطاء بين الشركات الاستعمارية (١٧) واخيراً فقدوا حتى هذه المراكز التجارية الثانوية بعد تنامي روح الاستقلال والمنافسة الوطنيـة .

اما العلاقات السياسية بين الصين واندونيسيا فقد بدأت منذ القرن الخامس الميلادي ، فالفترة الزمنية الواقعة بين ٤٣٤ ــ ٤٥٢م والتي كشف عنها بيان السفارات زمن سلالة سونغ الاولى ، تشير الى مملكة هولوطان Ho-lo-Tan ومملكة هولونغ Ho-lung في جاوة الوسطى ، ومملكة ثالثة هي طوبو Toupo اي جاوه أو يي بوطي Ye-Po-Ti كما سماها الزائر الصيني فاهيان Fa-Hien الذي قضى نحو خمسة اشهر في جاوه خلال العامين ٤١٤ ــ ٤١٥ الميلاديين (١٨) .

وتشير الحوليات الصينية : الى انه منذ ان فتح ميناء كانتون للتجارة الخارجية زمن عائلة سنغ (٩٦٠ ــ ١٢٧٩م) بعد الغزوات المغولية للصين خلال النصف الاول من القرن العاشر الميلادي القرن الرابع الهجري ، وصلت الى الصين عشر سفارات ثمان منها جاءت من باليانغ عاصمة مملكة سري فيجايا Sryvijaya في اندونيسا ، والتاسعة من جاوه ، والعاشرة من

جزيرة بالي شرقي جاوه ، ومن المحتمل ان هؤلاء السفراء لم يصلوا الى مقر الامبراطور الصيني، بل انهم توقفوا عند كانتون واستقبلهم فيها حاكمها، وهلو بدوره كتب بالاخبار الى الامبراطور ، وربما كانوا قدجلبوا معهم رسائل من ملوكهم ولانعرف شيئا عن المحتويات التي يحتمل ان تكون سياسية ، ولكن من المؤكد انهم جلبوا معهم تجارات اندونيسية ليبادلوها بالمنتوجات العينية ، كقرون الكركدن من سومطره التي كانت لها سوق رائجة في الصين (١٩) . وفي بعض الروايات التي يرويها بعض التجار والجغرافيين العرب، اشارات الى هذه المنتجات الاندونيسية المصدرة الى بلاد الصين، كالقصدير والذهب والعاج والتوابل والاخشاب النفيسة والكافور والببغاوات التي اشتهرت بها سومطره والتي كانت على درجة كبيرة من الذكاء حتى انها تتكلم العربية والفارسية والاغريقية والهندية كما يشير الى ذلك احد المؤلفين العرب (٢٠) .

وقد كشفت السفارات الصينية المتأخرة في اندنيسيا : ان هناك ممالك نشأت في جاوه وسومطره وحلقا تحت تأثير الصين ، وان هذا التأثير قد تحدد في قوتين :

اولهما : قوة سلطة الامبراطورية الصينية السياسية والتجارية ،

وثانيهما : نشاطات المستوطن الصيني الذي استقروا في اندونيسيا منذ عهد بعيد. وكان من حصيلة تعاون هاتين القوتين، قيام ممالك في جاوه وسومطره وحلقا وبورينو تدين بالولاء للاباطرة الصينيين ، ففي مدينة بالمبانغ Palembag في الجنوب الشرقي من سومطره ، (٢١) فُرضت الهيمنة الصينية بعد ان أطيح بملكها الذي كان قرصانا متمرداً على سلطة الامبراطور الصيني ، واقتيد مسجوناً إلى بلاد الصين ، وفي جاوه فُرضت غرامة نقدية على امرائها الذين تململوا ضد التسلط الاجنبي الصيني ، ونقل مقر الحكم الملكي من المجافاهيت الى كارتون الجديدة Karton .(٢٢)

اما في ملقا والتي ظهرفيها النفوذ الصيني جلياً ، فقد اعتمدت على امدادات الصين ومساعداتهم ضد ملوك سيام التأئيين Ta'i King فالمصادر الصينية تشير الى ان راجا ملقا زار الصين وحصل على أمرٍ أمبراطوري موجه الى ملك سيام بان يترك التدخل في شؤون ملقا ، وظلت العلاقات بين ملقا والصين ودية لمدة طويلة بدليل الزيارات التي قام بها حكام ملقا للصين في السنوات ٨١٤هـ/ ١٤١١م، ٨١٧هـ/ ١٤١٤م، ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م، ٨٢٨هـ ١٤٢٤م ٤٣٧هـ/ ١٤٣٣م، ويهمنا ان نذكر ان الزيارة التي حدثت سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م ،قام بها الحاكم المالقي المسلم «محمد اسكندر شاه». (٢٣) مما يدل على ان علاقة هذه البلاد بالصين قد استمرت حتى بعد ان وفد الاسلام الى جزر الارخبيل الملاوي .

وبفضل المساعدات الصينية تحولت حلقا الى اهم مركز تجاري وسوق لمختلف البضائع بعد ان كانت مركزاً ثانوياً للصيد ، يساعدها في ذلك موقعها التجاري بين سومطره والملايو . (٢٤)

لقد توثقت العلاقات مابين بورنيو والصين ، بالزيارة التي قام بها ملك بوني Puni (في ساحل بورنيو الغربي) الى عاصمة الصين ، ويذكر الصينيون ان هذا الملك من التمس الامبراطور الصيني ان يعفيه من الغرامة التي كان يدفعها الى مملكة المجافاهيت الهندوكية في جاوه ، وان يسمح له بأرسالها اليه مباشرة أي الى ملك الصين العظيم (٢٥) .

نستخلص من هذا كله الى ان دور الاسطول الصيني في البحار الجنوبية وعلى الخصوص في مياه الارخبيل الملاوي ، لم يكن تجارياً فحسب بل كان سياسياً القصد منه فرض السيطرة الصينية على هذه البلاد بما يضمن لهم احتكار التجارة البحرية وكل مايتعلق بها من منافع اقتصادية تخدم مصالح الرأسمال الصيني .

٢ ــ التأثير الهندي

علاقة الهند باندونيسيا قديمة ترجع الى القرن الاول الميلادي واذا شئنا التحديد فان سنة ٥٦م كانت بداية الغزو الهندي الى اندونيسيا وبالذات الى جاوه (٢٦) .

وبشأن كيفية اتصال الهند باندونيسيا نفترض الاحتمالات التالية :

الاول : يفترض حصول هجرة هندية بفعل ضغط سكاني ، وعن طريق القوة والفتح حيث هيمن ملوك هنود على اجزاء من اندونيسيا بالقوة ونشروا هنالك الحضارة الهندوسية (٢٧). وهذا الافتراض لايفسر لنا لماذا بقيت عناصر اندونيسية مهمة من المجتمعات الاولى الهندو ــ اندونيسية.

الثاني : ان يكون الاتصال الهندي الاندونيسي قد حصل تدريجيا عن طريق الزوار والبحارة والتجار (٢٨). واهم اعتراض على مثل هذا الافتراض ان اهم مراكز الحضارة الهندو ــ اندونيسية قد وجدت في وسط جاوه بعيداً عن شواطئها .

الثالث : يشير الى ان الحضارة الهندية والثقافة الهندية ، وصلت الى اندونيسيا وكل شرق اسيا عن طريق العادات والممارسات الدينية على تلك البقاع حيث تصرّف الاندونيسيون على هذه الممارسات الدينية البرهمية والهندية كأعمال السحر وتجسيد الالهة على شكل تماثيل (٢٩) .

وعليه فان الغزو الهندي الى اندونيسيا ، كان غزواً حضاريا أداته الاولى التجارة ، حيث بدأت هذه الصلات بعدد من التجار وصلوا الى جزر هذا الارخبيل بارساليات تبشيرية ثم بعد ذلك تلتها العلائق الدبلوماسية والثقافية (٣٠) .

مصادرنا القديمة (٣١) كانت تعتبر هذه البلاد ــ التي كثيرا ماتشير اليها كجزر تُذكر باسمائها كالرامني (اي سومطره(وَالزابج) اي جاوه وربما بورينو) ــ جزءاً من بلاد الهند تتقارب اجتماعياً ومناخياً وحتى

بايولوجيا من خلال اوصافهم للون بشراتهم واحجام اجسامهم ومعتقداتهم الدينية ، ولذلك فقد نعتتها هذه المصادر بـ « جزائر الهند الشرقية» (٣٢)

يمكن ان نستدل على علائق الهند باندونيسيا ببعض الدلالات الثقافية التي تتمثل في مجموعة الحوليات الصينية والجاوية والكتابات الهندية التي اكتشفت منها اربع مخطوطات تتحدث عن اندونيسيا بداية القرن الخامس الميلادي . وقد عثر عليها في مكان يدعى Muara kanam في شرق بورينو وتعكس هذه المخطوطات المكتوبة باللغة السنسكريتية بداية التأثير الهندي على اندونيسيا (٣٣) .

واحدى هذه المخطوطات تتحدث عن تقديم أضاحي للاله مما يدل على ان التأثر بالهندوسية لم يكن الا بسيطاً لانه قلما تقدم الاضاحي عند الهنود وانما هي عادة شائعة في الديانات الاندونيسية القديمة (٣٤) .

وثمة ماكتبه المؤرخون الغربيون وفي مقدمتهم الهولنديون ككتابات كرن Kern وفوجيل Vogel وكروم Krom وبرانديسي Brandes التي اوضحت جوانب كثيرة كانت غامضة في تاريخ العلاقات الهندية الاندونيسية.

كما يمكن ان نستدل على هذه العلاقات بدلالات مادية تتمثل في الاثار والتماثيل والاواني وشواهد القبور والتي تمتد لتشمل ممارسات الافراد اليومية ، ومعظم هذه الاثار محفوظة في متحف ميردكالان merdekalan والذي يسميه الاندونيسيون باسم Runah gadjah اي بيت الفيل Elephant House من ذلك تماثل براهما وفشنو وسيفا الموجودة في مدخل بهو المتحف، بينما تشير مجموعة من السيراميك والقدور والاواني الى الزوار الأول من الهنود والصينيين الذين استقر بعضهم في اندونيسيا .(٣٥)

ومجمل هذه المصادر المادية والثقافية تشير الى :

١ — ان اقدم اتصال اجنبي مع اندونيسيا كان قد تم على يد التجار من المبشرين الهندوس الذين وصلوا الى اندونسيا في وقت مبكر من القرن الاول (الميلادي ٣٦) .

٢ ـ ومع ان هذا الغزو كان حضاريا الاانه لاينفي حقيقة وجود حضارة اندونيسية ، فالتنقيبات الاثرية تشير الى انه لم يكتشف اقدم من انسان جاوه Java mam (٣٧) ، كماتشير الى ان الاندونيسين القدامى كانوا ماهرين في سبك البرونز وعمل السبح الزجاجية المزركشة وصناعة شواهد القبور الملونة . (٣٨).

لقد امتزجت معتقدات البوذ والهندوس الدينية وممارساتهم الفنية واستعمالاتهم اللغوية السنسكريتية التي اضافت الى اللغة الملاوية الكثيرمن المفردات وبنفس المستوى كان تأثيرها في اللغة الملاوية اساس لغـــة اندونيسيا المعاصرة والمسماة Bahasa . (٣٩)

والى الهنود يُعزى انشاء نظام الطبقة الدينية المتميزة (نظام القسس) الذي لايزال موجوداً في جزيرة بالي Bali ، (٤٠)

بعض العادات والتقاليد التي لاتزال سائدة في اندونيسيا وبخاصة في جاوه الشرقية وجزيرة بالي تستمد اصولها من المجتمع الهندي ، منذلك الرقص والاغاني التي يمارسها الاندونيسيون ليحيوا بها الاعياد والمناسبات المسيحية وحتى الاسلامية والتي في الغالب تمثل الفن الملحمي الهندي — الرامايانا Ramayana والمهابهارتا Mahabaharta وفي العادات المتعلقة بالزواج والموت فمثلاً ملابس العروس الاندونيسية في الزواج تشبه ملابس الفتاة الهندية . ومن العادات المتبقية في الموت انه عندما يموت المسلم فأن وعاء من البخور يبقى مشتعلاً قرب سريره الممدد عليه تماماً كمافي حالة وفاة هندي (٤١) .

٣ ـ انه منذ القرن الاول الميلادي تأسست في جاوه وسومطره عدد من الممالك الهندية منها : (٤٢)

أ/دولة ماتارام	Matarm	في وسط جاوه
ب/مملكة سري فيشايا	sry viiaya	في جنوب سومطره

ج/مملكة باجاجاران	PadJadJaran	غرب جاوه
د/مملكة ماجافاهيت	MadJa Pahit	شرق جاوه
ه/مملكة ماليو	Malayu	شمال سومطره

وقد ذكرت الكتب الجاويه المسماة بالياباد Babad's ان الهندو أبي كاكا aji Caka زار جاوه مع حاشيته سنة ٧٥ أو ٧٨م وهو الذي اسس دولة ماتارام التي بلغت في اواخر القرن التاسع الميلادي ذروة مجدها كما يتبين ذلك في أحد الاحجار المكتوبة بتاريخ ٣٠٧هـ / ٩١٩م (٤٣) ، وتظهر عظمتها في عمالها وبنائها المهرة الذين بهروا العالم ببناء المعابد الفخمة مثل بورو بودور Boro Budur ومندوت Mendoet وشندى سيو Tiandi sewoe . (٤٤)

اما مملكة سري فيشايا (من القرن الخامس الى القرن الرابع عشر الميلادي) فقد تكونت في الجاليات الهندية الموجودة في جزيرتي جاوه وسومطره التي تجمعت على شكل مراكز الدولة منظمة بسطت سيطرتها على كل سومطره منذ اواخر القرن السابع الميلادي / الاول الهجري واقامت امبراطورية تجارية ذات نفوذ واسع امتد الى مضيق ملقا وسوندا وسومطره وشبه جزيرة الملايو والنصف الغربي من جاوه والى ساحل سيلان الجنوبي وجزيرة فزموزا ، وقد دانت هذه المملكة اول الامر بالبرهمية الا ان ملوكها من اسرة سيلندا تعصبوا للديانة البوذية واتخذوا من دولتهم مركزاً لنشر هذه الديانة في كل جزر الارخبيل كما يشير الى ذلك مبنى المعبد التذكاري (بورو بودور) في جاوه الوسطى . (٤٥)

٤ ــ حلت البوذية محل البرهمية في اندونيسيا وتعاظم امرها خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين/ الاول والثاني الهجريين ولم يقتصر تأثيرها على وسط جاوه بل امتد ليشمل الجزر الاخرى ، ومع ان المستوطنين من التجار الهنود كانوا اداة انتشار هذه الديانة في اندونيسيا ، فان دور التجار الصينيين يذكر في هذا الصدد وان كان بسيطاً وخال ٍ من الحماس العقائدي(٤٦).

اخبرنا احد زوار اندونيسيا بين سنة ٥١هـ ــ ٧٣هـ/ ٦٧١ ــ ٦٩٢م عن وجود اكبر مركز ديني في سومطرة لتعليم ونشر مبادىء البوذية يعمل فيه اكثر من الف رجل دين ، حتى ان الصينيين كانوا يأتون اليه ليتعلموا فيه سنة او سنتين قبل ان يذهبوا الى الهند مركز البوذية الام ، (٤٧) .

٥ ــ وفيما بين القرن الخامس والتاسع الميلاديين ، كان هناك مركزان بارزان للحضارة الهندو ــ اندونيسية ، الاول في بالمبانغ عاصمة مملكة سري منشايا ، والمركز الثاني في وسط جاوه والذي انتقل تدريجياً فيما بعد القرن التاسع الميلادي / القرن الثالث الهجري الى شرقها ، (٤٨)

٦ ــ لم يقتصر التأثير الهندي على سومطره وجاوه بل امتد الىبورنيو (كالمنتان حاليا) وسليبس (سلاوسي الان) ولم يتجاوزهما ، وكان ضئيلاً واقل تأثيرا قياساً على ماحدث في جاوه وظل محصوراً في الاجزاء الساحلية من هذه الجزر ولازالت هناك اقليات هندية في بعض هذه الجزر . (٤٩)

التأثيـر العربي :

لكي نستدل على قدم العلاقات العربية الاندونيسية التي دشنها عرب الجنوب (الحضارمة) اول مرة ، نفزع الى الحجج التالية :

١ ــ يفترض Chau Ju-Kua (٥٠) ، ان الطريق البحري الى الصين لابد ان يمر عبر San-FoTs'i اي بالمبانغ Palembang في سومطره الشرقية . وهو لذلك يصف سومطره بممر الامم ومخزن تجارات العالم (٥١) ، وبعكس ذلك يلاقي التجار مصاعب قد تودي بحياتهم او بغرق سفنهم (٥٢).

وهو مايؤكده ابن بطوطة بقوله (٥٣) : « بعد ان غادرت ميناء الزيتون (٥٤) ، جنوب الصين وبعد شهرين وصلنا الى الجاوه ونزلنا في سومطره وقضيت فيها شهرين سافرت بعدها فوصلت بعد اربعين يوما الى كوله ملي (٥٥) ، ومنها الى مالقوط (٥٦) ... ... الى ظفار ومنها الى مسقط».

٢ — علاقة العرب بالهند عن طريق التجارة الهجرية تعود الى اوائل العهد المسيحي وعلى وجه التحديد قبيل انقراض الدولة الحميرية في اليمن (٥٧) ، هذه العلاقات كانت بداية صلات العرب بالشرق الاقصى عموما وباندونيسيا على وجه الخصوص ، ذلك ان التجار العرب اتخذوا من الهند محطة توصلهم الى سرنديب اولاً ثم الى اندونيسيا ثانياً واخيراً الى الصين واطراف الشرق الاقصى . هذا ما اكدته مؤلفات البلدانيين المسلمين امثال سليمان التاجر (٥٨) وابن خردازبه والمسعودي (٥٩) .

كما ان هذه المصادر تُلقي الضوء على ان امتزاجاً بشرياً قد حدث بين هذه الاطراف عن طريق الهجرات المتتالية . فقد ذكر ان بعض اجناس الهند قد نُقلت الى شواطيء الخليج العربي ابان القرن الخامس الميلادي ومنها نُقلوا الى البصرة ومناطق اخرى في جنوب العراق والجزيرة العربية. وقد شارك بعضهم في الاحداث السياسية التي شهدها العهد العباسي في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ القرنين التاسع والعاشر الميلادين ، وقد سكن عدد كبير منهم جزيرة العرب بعد ان انضموا الى الاساورة ضد الفرس وزاولوا التجارة وتوطدت علاقاتهم بالعرب (٦٠) .

لقد اتصلت سواحل الهند وسرنديب واندونيسيا ببلاد العرب منذ القرن الرابع الميلادي ، بفضل موانئها التي كانت تشكل مراكز للتجارة العربيـة (٦١) .

٣ — طبيعة الاسفار البعيدة استلزمت وجود اماكن استقرار فالسفن التي تبحر في مواسم معينة تبعاً لحركة الرياح الموسومية ، كانت تستغرق في سفرتها الى الشرق الاقصى مايقارب السنتين ذهاباً واياباً (٦٢).

ازاء ذلك كان لابد من وجود اماكن استقرار يستريح فيها التجار فمن يروم الوصول الى الصين كان عليه ان يمر بموانيء كالديبل ، (٦٣) وكرلم ملي في الهند (٦٤) ، وجال في سرنديب ، (٦٥) ولامبري وباروس وبالمبانغ في اندونيسيا (٦٦) . اختلط من خلالها التجار بالسكان المحليين

اختلاطاً وقتياً عن طريق البيع والشراء او اختلاطاً دائمياً بمعنى الاستيطان عن طريق الزواج والمصاهرة والتولد .

مع تضارب الاراء بشأن البداية الزمنية لاتصال العرب باندونيسيا فان حدود القرن الرابع الميلادي كان الوقت المناسب لهذه العلاقات (٦٧). فمنذ هذا التاريخ تتابعت هجرات العرب الحضارمة الى كوجرات التي يسميها بلدانيونا بـ « قزرات » .

في سواحل الهند الغربية (٦٨) ، وكونوا هناك جاليات اطلق عليها الهنود اسم عربتو Arabito (٦٩) ، واندفع بعضهم الى اندونيسيا واستقروا في شمال سومطره (٧٠) .

لقد جاءت بعض الخطوطات التي هي عبارة عن تقارير صينية ، يشير الى ان العرب قد وصلوا الى شواطيء سومطره قبل ظهور الاسلام (٧١). كما ان التنقيبات الاثرية التي قامت بها وزارة الثقافة الاندونيسية قد كشفت على ٣٠٠٠ رقم حجري ومعدني مكتوبة بالعربية (٧٢) بعضها منقوش عليها بالخط المسند الحميري (٧٣) ، والبعض الاخر عبارة عن شواهد قبور مدون عليها ابيات من الشعر العربي معلمة بالتاريخ الهجري (٧٤). وتشكل الدراسات الجادة التي قام بها نفر من المؤرخين الاندونيسيين مؤخرا اهمية خاصة ، فقد اثبتت هذه الدراسات وجود التجار العرب في شواطيء سومطره الشمالية وبالذات في اتشية قبل مجيء الاسلام ،حتى انهم اطلقوا عليها اسم « الواجهة العربية في اندونيسيا» (٧٥). وانه بظهور الاسلام تحول معظم هؤلاء المستوطنين الى دعاة للدين الجديد . وحجتهم في ذلك ان الاسلام قد انتشر الى بقية المناطق الاندونيسية من هذه المنطقة بالذات (٧٦) .

لقد كان للعرب تأثير يذكر في المجال الثقافي الاندونيسي الـذي انعكس في بعض لغات سومطره كالاتشهينزية التي استعملت الابجدية

العربية (٧٩) ، كما يقال ان اللغة الاندونيسية كانت تُكتب بالحروف العربية قبل ان يُدخل عليها الهولنديون الحروف اللاتينية (٨٠) .

ان انتشار الحروف والكلمات والمفردات العربية وتداخلها في لغة اندونيسيا المعاصرة Bahasa التي تعتبر اللغة العربية احدى مكوناتها الى جانب اللغة الملاوية واللغات المحلية الاندونيسية التي تقدر بـ ٢٩ لغة و ٢٥٠ لهجة (٨١) ، تدل على تفوق اللغة العربية العلمي اولاً ومدى تأثير العرب الثقافي والحضاري في اندونسيا ثانياً (٨٢).

لقد ازداد هذا التأثير العربي وبخاصة الثقافي منه بشكل واضح بعد دخول الاسلام الى هذه الجزر ، باعتبار ان العربية لغة القرآن والناطقة بلسان الدين الجديد (٨٣) .



الملاحظات والمـراجع

(١) بهذا الصدد يمكن مراجعة رسالتي في الدكتوراه الموسومة بـ« تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا حتى اواخر القرن السابع الهجري » غير مطبوعة ، بغداد ١٩٨١ .

(٢) لمحة عن اندونيسيا،وزارة الشؤون الدينية الاندونيسية ١٩٧٩ ص٧

(٣) قهر الدين : هذه هي اندونيسيا ، القاهرة ١٩٤٧ ص٣٢

(٤) السامر : الاصول التاريخية للحضارة العربية في جنوب شرقي اسيا والشرق الاقصى ، ص٥٩

(٥) Needhan, Science and Civilisation in China, (eantsdge 1971)Voi I P.179 I

(٦) ترجع النصوص التالية :

«تجيئك الميرة في السفن من الصين والهند «الطبري حـ٧ص ٦١٧ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٦

«والابلة مرفأ السفن من الصين ومادونها» ايضا الطبري حـ٣ ص٥٩٤ وماذكره المسعودي «من ان خالد بن الوليد حين فتح الحيرة زمن ابي بكر خاطب عبد المسيح بن عمر والغساني وقال له : ماتذكر؟ قال : اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون » مروج الذهب مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨ جـ١ ص١٠٣ ويذكر اليعقوبي انه كانت في بغداد «سوق يقال لها سوق خضير وهي معدن طرائف الصين » البلدان ، طبعة النجف ١٩٥٧ ص٢٠ .

(٧) Needhan Vol 4, Part 3, P. 536

(٨) op. cit, p. 537

(٩) هان اسرة صينية حكمت اربعة قرون (٢٠٢ق.م — ٢٢٠م) شهدت الصين في فترة حكم هذه الاسرة نهضة ثقافية فوضع اول قاموس صيني واول تاريخ موسوعي للصين وقد اعقب سقوطها قيام عدد من الدويلات الصغيرة — الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٨٦ .

(١٠) Needhan, Vol4, Part 3, P443

(١١) معبد بوذي في اواسط جاوه باندونيسيا ، يرجع الى حوالي سنة٨٠٠م والمعبد يقوم على الحجر ويتكون من طبقتين وهو يحتوي على اربعة ابهاء تتصاعد الى الاعلى متضائلة في الحجم ويعتبر هذا المعبد بفنه المعماري ودقة صنعة ومنحوتاته الجميلة وتماثيله نموذجاً للفن البوذي .

(١٣) جوجني تجوان : الوضع التجاري المتغير للصين في جنوب شرقي اسيا ، ترجمة محمد انيس المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد ٨ السنة الثانية ١٩٧٢ ص ٥٣ .

(١٤) المصدر السابق نفسه ، ص٥٥ — ٥٧ .

(١٥) المصدر السابق نفسه ، ص٥٤ .

(١٦) WooDmam, Dorothy, The Republic of qudouesid. (London1955) P. 134.

(١٧) تجوان ، ص ٥٤ .

(١٨) ماجومدار : اثر الحضارة الهندية على جاوه ، مجلة ثقافة الهند م٢١ عدد ٣ سنة ١٩٧٠ ص ٣٦ .

(١٩) Vlekke, Nusantara a History of jndonesia (anduuy 1959) P. 40

(٢٠) Op. cit, P. 41

المقصود به ابن الفقيه ، فقد ورد في مؤلفه «مختصر كتاب البلدان ص ١٠ مانصه : «ومن الزابج ببغات بيض وحمر وصفر تتكلم على مالقنت بكلام فصيح عربية وفارسية ورمية وهندية»

على الارجح ان مصدر هذه الطيور جزيرة جاوه وليس سومطره كما ذهب Vlekke والنص الذي ذكره ابن الفقيه يوضح ذلك .

(٢١) يطلق العرب على هذا الميناء اسم جزيرة الراضي في كتبهم منذ القرن التاسع الى القرن الخامس عشر الميلادي ، ومما ذكروه تتجلى اهمية بالمبانغ في التجارة البحرية .

— بدر الدين الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، مصر ١٩٥٠ ص ١١٨ .

(٢٢) Vlekke, P. 82

من مظاهر هذا السخط ماكان يتعرض اه الرسل الصينيون واتباعهم من معاملة سيئة على يد الامراء الجاويين والسكان المحليين .

(٢٣) Op. cit, p. 82

(٢٤) Op. cit, P. 80

(٢٥) Op. cit, P. 81

(٢٦) ماجومدار : ص ٣٦

(٢٧) Vlekke, p. 23

(٢٨) Ibid

(٢٩) Vlekke, p. 25

(٣٠) مقبول احمد : الهند والعالم الاسلامي ، ثقافة الهند م٣ العدد ٣ — ٤ سنة ١٩٧٢ ص ١٤.

(٣١) الادريسي : وصف بلاد الهند ومايجاورها ، ص ١٧ ، ايضا مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ١٠ جدير بالذكر ان هناك مدينة باسم رامني وهي اول مكان وصله الربانية من العرب واليهود وربما كان ذلك هو السبب في اطلاق اسم رامني على سومطره باسرها ، واسم رامني يعرف الان واصله محرف من لامنو وهو اسم مكان يقع على بعد ٦٠ كم من كرتاراجا عاصمة اتشيه حاليا — لمحة عن اندونيسيا ، ص ١٤ .

(٣٢) البيروني : في تحقيق ما للهدف مقوله مقبولة في العقل او مرذولة، ١٩٥٧ ، ص١٦٩ حيث يسميها صراحة بهـذا الاسم بقولـه: «الجزائر الشرقية اقرب إلى حد الصين وهي جزائر الزابج» .

(٣٣) Vlekke, p. 19

(٣٤) Op. Cit, P. 21

(٣٥) ماجومدار : ص٣٨

(٣٦) Dorothy, p. 130

(٣٧) Vlekke, p. 18

(٣٨) لمحة عن اندونيسيا ، ص٧

(٣٩) Dorothy, p. 131

(٤٠) السامر : الاصول التاريخية ، ص٦٠

(٤١) Dorothy, p. 132

(٤٢) Pp. Cit, p. 139

(٤٣) اسماعيل العطاس «محاضرة في الجزائر الهندية الشرقية الهولندية» القيت في نادي الشبان المسلمين بمصر سنة ١٩٢٩ منشورة ضمن كتاب حاضر العالم الاسلامي ص٣٦٥

(٤٤) هذه هي اندونيسيا ، ص٤٩

(٤٥) محاضرة العطاس ، ص٣٦٤ — ٣٦٥

(٤٦) وليام لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، النهضة المصرية بالقاهرة ، حـ٣ ص٩٣٨

(٤٧) Smith, The land and Peple of Jndonesid (New York 1973), p. 26

(٤٨) Vlekke, k. 30

(٤٩) Op. cit, p. 32

(٥٠) Dorothy, p. 133

(٥١) في كتابه الموسوم «تجارة العرب مع الصين»
TheChinese and Arab Trade
ولهذا الكتاب اهمية بالغة ذلك ان مؤلفه قد كتبه في حدود القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بعد ان اشغل منصب مفتش التجارة الخارجية في ضياء كانتون

(٥٢) Chau Ju-Kua, p. 193

(٥٣) op. cit, p. 62

(٥٤) رحلة ابن بطوطة : حـ٢ ص١٧٢ — ١٧٤ المطبعة التجارية بمصر سنة ١٩٦٤

(٥٥) هو ميناء اجوان شو Chuan chow في فوكين Fukien كان يعرف باسم دجان فو Dian Fu ، وقد اشتق العرب اسم الزيتون كما عرف اخيراً من اسم اشجار Tzha - Thung التي زرعت حول المدينة

— Needha, Vol. I, p. 180 —

(٥٦) اي ميناء كويلون حالياً

Huzzayen, Arabia and Far East (Cairo 1942) p. 144.

(٥٧) قاليقوط او كاليكت ، قصبة مديرية ملايار في ولاية مدراس وهي الآن كلكتا في الهند

— معني النهي الندوي : معجم الامكنة ، دار المعارف لجيدر اباد الدكن ١٩٣٤ ص٤٠ .

(٥٨) اسماعيل الندوي : تاريخ الصلات بين الهند والعرب ، ص١٧ دار فتح ببيروت .

(٥٩) رحلة سليمان التاجر السيرافي التي يرجع زمنها إلى سنة (٢٣٧ ، ٨٥١م) من الكتب العربية القديمة في مصف البلدان وذكر اخبار التجارة البحرية ، وهذه الرحلة مع الذيل الذمي وصفه لها ابو زيد الحسن السيرافي سنة (٢٦٧ — ٨٨٠م) قد طبعت سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م) ونشرت على يد المستشرق فران ضمن سلسلة التواريخ سنة (١٢٩٩هـ / ١٨٨١م) تحت اسم «رحلة إلى الصين والهند» وقد اسماها المستشرق سوفاجية «اخبار الهند والصين» حينما نشرها مع بعض الملاحق سنة (١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م)

(٦٠) في مؤلفة «المسالك والممالك» اواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي

(٦١) في كتابة «مروج الذهب ومعادن الجوهر» الذي الفه في حدود النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

(٦٢) من هذه الاجناس : الزط والاساورة والسيابجة والبياسرة وللتعرف على شأن هذه الاجناس على مراجعة بحث «من النارجيل إلى النخيل» للمباركوري في مجلة ثقافة الهند م١٦ ع ١ ١٩٦٥ ، وكتاب «تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية» لمحمد اسماعيل الندوي ، وكتاب «الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء» لشارل بلات ورسالتي في

الدكتوراه «تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا حتى اواخر القرن السابع الهجري» غير مطبوعة / هامش ص١١٩

Nell, Twentieth Century Indoveia (New York and Londan 1973) p. 250 .

(٦٤) حوراني : جورج فضلو «العب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى» دار الكتاب بمصر ١٩٥٨ ، ص٢٢١

(٦٥) ربما هي كراتشي الحالية — السامر ص١٤٧

(٦٦) السيرافي : اخبار الهند والصين ، نشر سوفاجين ، ص٧

(٦٧) ابن خرداذبة . المسالك والممالك ، ض٦٥

(٦٨) Chau Ju -Kua, p. 144

(٦٩) Huzzayeh, p. 152

(٧٠) السامر : ص٨٣

(٧١) صلاح الدين البكري : هوة العرب إلى اندونيسيا ، مجلة الثقافة العربية المصرية ، العدد ٣٨٦ سنة ١٩٤٦ ص ١٩

(٧٢) المصدر السابق نفسه .

(٧٣) لمحة عن اندونيسيا ، ص١٤

(٧٤) SoedJatmoko , Au Jntroductio To Jndovesia Historioiraphy (New York 1965) p.48

(٧٥) السامر : الاصول ، ص٤٥

(٧٦) المصدر السابق نفسه ، ص٦٦

(٧٧) اي الدراسات التي قام بها الاساتذة ، نجيب العطاس ، وقدر الله الفاطمي ، ومحمد حسين نانيا ، وقد اشرت اليها في رسالة الدكتوراه ، غير مطبوعة ، هامش ص ١٤٦ .

(٧٨) لمحة عن اندونيسيا ، ص١٤ ــ ١٥

(٧٩) نيووينهويحزه : اندونيسيا ، تراث الاسلام ، الكويت ١٩٧٨ ص٢٢٢

(٨٠) حبيب جاحاتي : «الجزر الخضراء» القاهرة ، ١٩٥٧ ص٥٠

(٨١) عبد الرحمن زكي : المسلمون في العالم اليوم ، ح٤ ص٥٤

(٨٢) السامر : الاسلام في اندونيسيا ، مجلة الاقلام ، ص١٢ ، السنة الخامسة ، اذار ١٩٦٩

(٨٣) هذه هي اندونيسيا ، ص٣٣



طبيعـــة مشكــلات
الانهر الحدودية العراقيــة الايرانيـــة

د. عباس علي التميمي
مدرس في كلية التربية ـ جامعة الموصل

طبيعة مشكلات الانهر الحدودية العراقية الايرانية

تقديـــم :

تعد مشاكل الانهار من اهم عوامل اثارة النزاع بين الاقطار المجاورة التي تمتلك انهاراً مشتركة ، لما تشكله مياهها، على وجه الخصوص ، من اهمية في حياة تاطني و ديانها وتزداد تلك الاهمية في الاقاليم الجافة حيث تعد الانهار مصدر حياة السكان واساس استيطانهم .

وقد اظهرت الحرب الحالية بين العراق وايران عمق تلك المشاكل فقد سبق ان اثارت الاعتدءات الايرانيةعلى انهرنا الحدودية المشتركة،سواء ما كان منها بغرض السيطرة على مياه تلك الانهر او تغيير مجراها وبناء السدود عليها ، اثارت الكثير من النزاعات والصدامات وعملت على خلق التوتر المستمر بين البلدين .وعلى الرغم من محاولة العراق عبر سنوات طويلة ايجاد الحلول المناسبة لها وسلوكه كافة السبل الممكنة ومن ذلك طرحها في المحافل الدولية ، الا ان ايران كانت دوماً تهرب من تحديد نفسها ولا ترغب في عقد اتفاقات تفصيلية ونهائية تضمن مصالح الطرفين ،تحدوها في ذلك نزعة التوسع على حساب المياه والاراضي العراقية، مما جعل قيام النزاع امر ممكن حدوثه في اى وقت ، ولعل الحرب القائمة بين البلدين تشكل ابرز مظاهر تلك النزاعات لان غمط الحقوق لايمكن السكوت عنه دائماً ، كما اظهرت الحرب تعدد المشاكل حول الانهر. واذا كان شط العرب يمثل بؤرة الصراع الرئيس والمباشر وان غمط حقوقنا فيه قد اسهم في اشعال فتيل الحرب فان النزاع حول الانهر الحدودية الاخرى — وهي موضوع البحث — كانت من الدوافع الرئيسة في تأجيج الصراع ، ويتضح ذلك من سيطرة الجيش العراقي على العديد من السدود والتي انشأتها ايران على تلك الانهر لضمان تدفق المياه بشكل طبيعي نحو الاراضي العراقية وفك اسرها الذي تسبب في تلف وهلاك المزارع وتدمير الاراضي التي كانت تقوم عليها .

ويهدف البحث التعرف الى الاهمية التي تشكلها تلك الانهر في حياة سكان بلادنا ، والى طبيعة المشكلات التي نشأت بسببها حتى يمكن في ضوئها وضع الظوابط المحددة التي لاتقبل التأويل عند عقد اتفاقات بهذا الشأن تنتهي الى تحقيق المصالح المشتركة والمترابطة والالتزام بها وفق هذا المنظور، كي لاتلعب الاهواء والتغيرات السياسية الايرانية دورها في غمط الحقوق التاريخية لشعبنا اضافة لمتطلبات احترام الجار وحسن النوايا فيما اذا توفرت لدى الجانب الايراني .

ويتألف البحث من ثلاث نقاط اساسية ، تتعرض النقطة الاولى الى طبيعة الحدود العراقية الايرانية بقدر ما يتعلق بالانهر الحدودية المشتركة وتتناول الثانية اهمية هذه الانهر بالنسبة للعراق وتتناول النقطة الثالثة المشكلات المهمة التي تبرزها الانهر الحدودية المشتركة للوصول منها للاستنتاجات الضرورية في هذا المجال .

أولا : طبيعة الحدود والانهر المشتركة بين العراق وايران :ـ

تتصف منطقة الحدود العراقية الايرانية المشتركة بطبيعة واحدة حيث يمر خط الحدود عبر القمم العالية لجبال زاكروس كما هو الحال في الاجزاء الشمالية والى الغرب منها في اغلب امتداده نحو الجنوب ،كما يتصف مناخ المنطقة الحدودية بالتشابه ايضاً ،الامر الذي جعل جزءاً مهماً من حوض المياه الجارية نحو الاراضي العراقية تقع في الاراضي الايرانية وتمتد الحدود العراقية الايرانية لمسافة تقرب من ١٥٢٠ كيلومتراً ابتداء من نقطة التقاء الحدود العراقية التركية الايرانية المشتركة شمالاً حتى مصب نهر شط العرب في الخليج العربي ولا يمتد خط الحدود بصورة مستقيمة فهو قليلاً ما يسير مع اتجاه خطوط الطول او دوائر العرض ،التي تميز الكثير من الحدود الدولية المشتركة فخط الحدود في جزئه الشمالي يمر عبر منطقة جبلية شاهقة الارتفاع من جبال زاكروس التي تتجه من الشمال نحو الجنوب والجنوب الشرقي ، ويخترق هذا الخط قمماً عالية يزيد ارتفاع بعضها عن ثلاثة آلاف متر مثل

جبال شاكيف (٣٠٦٨م) وحصاروست (٣٦١٥م) وقنديل (٣٠٥١م) ويسير الخط في بعض اجزائه مع خط تقسيم المياه بين الجانبين ، او مع منتصف الأنهر الصغيرة (١) لروافد نهري الزاب الصغير وديالى والأنهر الصغيرة الاخرى .

وتاخذ مناطق الحدود بالانخفاض كلما اتجهنا نحو الجنوب ويظهر خط الحدود ممتداً الى غرب جبال زاكروس وتلال بشتكوة ، ثم بعد ذلك يمر عبر الاراضي المنخفضة في هور الحويزة والاراضي السهلية في الاحواز التي تعد امتداداً طبيعياً لسهول وادي الرافدين .ولذا فان الاجزاء الشمالية في المنطقة الحدودية ذات الطبيعة الجبلية تدفع بمياهها نحو الغرب مع انحدار سفوحها ، مما ساعد على سرعة جريان الانهار وقصرها لقرب منابعها . اما في الاجزاء الجنوبية فتظهر الطبيعة السهلية حيث تبتعد سلسلة جبال زاكروس الى داخل الاراضي الايرانية ، مما جعل الانهار هناك طويلة وتجري في سهل الاحواز الفسيح قبل ان يقودها انحدار السطح نحو الغرب الى مصباتها حيث تصبح جزءاً من حوض تغذية نهر دجلة كما هو واضح في نهري الكرخة والكارون .

اما من حيث المناخ فهو يتشابه على طرفي خط الحدود ، الا ان الامطار تغزر في المناطق الجبلية الحدودية (لاحظ شكل ١) لتعرضها الى الرياح الغربية الممطرة شتاء التي تدفع معها اعاصير البحر المتوسط ، وهي غزيرة في مناطق الحدود الشمالية وتقل بالاتجاه نحو الجنوب طبقاً لمواجهة الجبال للرياح المذكورة او تبعاً لمقدار ارتفاعها عن مستوى سطح البحر . وللسبب نفسه فان السفوح الغربية لجبال زاكروس اكثر مطراً من السفوح الشرقية مما جعلها تشكل المنابع الاولى للانهر الحدودية التي تتجه عموماً نحو الغرب لتدخل الاراضي العراقية مكونة في معظمها الروافد الرئيسة لنهري الزاب الصغير وديالى ،او تكون انهرا صغيرة تصب بعضها في نهر دجلة مباشرة تنتهي واغلبها في المنخفضات والاهوار التي تعد جزء من حوضه .

---

(١) فلاح شاكر اسود ،الحدود العراقية الايرانية ،مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٠ .

ولهذا فان قسماً مهماً من حوض نهر دجلة يقع ضمن الاراضـي الايرانية وبمساحة تقرب من (١٦٠١٥٨) كيلو متر مربع او حوالي ٣٤٪ من مساحة حوضه . في حين ان بقية الحوض تقع ضمن الاراضي التركية وبنسبة ١٢,٢٪ وقسمها الاكبر تضمها الاراضي العراقية وبنسبة مقدارها ٥٣,٧٪ (انظر جدول رقم١) .

جـدول رقم (١)

الاهمية النسبية لموقع حوض نهر دجلة وروافده كيلومتر مربع

النهر	تركيا	٪	ايران	٪	العراق	٪	المجموع
دجلة	٥٧٦١٤	١٢,٢	١٦٠١٥٨	٣٤	٢٥٣٠٠٠	٥٣,٨	٤٧١٦٠٦
الزاب الكبير	٢١٠	٣٤,٨	٦٧٣	٢,٥	١٦٦٠٠	٦٢,٧	٢٦٤٧٣
الزاب الصغير	=	=	٥٥٠٠	٢٥,٦	١٥٩٧٥	٧٤,٤	٢١٤٧٥
ديالى	=	=	٧٨٢٤	٢٤,٥	٢٤٠٧٢	٧٥,٥	٣١٨٩٦
العظيم	=	=	=	=	١٣٠٠٠	١٠٠	١٣٠٠٠
الكرخة	=	=	٤٦٠٠	١٠٠	=	=	٤٦٠٠٠
الكارون	=	=	٨١٠٠٠	١٠٠	=	=	٨١٠٠٠

المصدر اعتماداً على .

المجلس الزراعي الاعلى ،الموازنة المائية في العراق ،دراسة رقم ١ - ١ مطبعه الارشاد ، بغداد ،١٩٧٨ص ١٦ - ٢٣.

ومن الجدول اعلاه يظهر ان النسبة الكبرى من حوض دجلة في الاراضي الايرانية هي التي تشكل حوضاً لنهري الكرخة والكارون اللذان يجريان في الاراضي الايرانية ويصبان في هور الحويزة وشط العرب على التوالي ، ويكونان معاً (١٢٧) الف كيلو متر مربع او حوالي ٧٩,٣٪ من حوض دجلة

في الاراضي الايرانية ، في حين لاتشكل مساحة حوض الانهر الحدودية الاخرى سوى ٢٠,٧٪ . لاحظ شكل (٢) .

ان الاهمية المباشرة لنهري الكارون والكرخة لاتبرز واضحة في الاستغلال الزراعي في العراق ، وانما تقوم بشكل مباشر وغير مباشر في زيادة كمية المياه في هور الحويزة وشط العرب وفي عملية ضمان عذوبة مياههما ،حيث يقع الحويزة في الجزء الجنوبي الشرقي من العراق وهي منطقة جافة شديدة التبخر لشدة حرارة الصيف وطوله ويصرف الهور مياهه عن طريق نهر السويب الى نهر دجلة جنوب مدينة القرنة .

اما نهر الكارون فتأثيره كبير في استمرار عذوبة شط العرب ووقف زحف مياه الخليج العربي المالحة حيث يخفف من تأثيرها في ملوحة النهر اثناء ظاهرة المد .

ثانياً : اهمية الانهر الحدودية بين العراق وايران :

يتزايد الاهتمام بتوفير الموارد المائية وترشيد استهلاكها مع تزايد السكان والتطور الاقتصادي والحضاري ، ولذا يتطلب توفير المياه والحفاظ على عذوبتها ونقاوتها وابعاد مصادر التلوث عن مجاريها اضافة إلى ضرورة المحافظة على ديمومتها ، ويعني ذلك وطنياً . المحافظة على حصة القطر التي تكونت تاريخياً في مياه الانهار الدولية التي تمر عبر اراضيه ، اذ ان الحفاظ على تلك الحقوق في مياه انهاره : احد المهمات الاساسية امام المجتمع عامة ويزيد من اهمية ذلك ان مناخ العراق يتميز بالجفاف وانخفاض نسبة التساقط السنوي حيث تقل الامطار في أغلب مناطق العراق عن ٢٠٠ ملم في السنة بالاضافة إلى ان متوسط حرارة الهواء السنوي تزيد عن ٢٠°م وان معدل سقوط الامطار لايتجاوز اربعون يوماً في المنطقتين الوسطى والجنوبية(١) مما يؤكد اهمية الموارد المائية النهرية في العراق ومدى التعلق الذي يوليه المواطنون في بلادنا بتلك الموارد .

---

(١) د. مهدي الصحاف ،الموارد المائية في العراق ، وصيانتها من التلوث ، مطبعة الحرية بغداد ١٩٧٦ص ٢٦ وانظر الاشكال ٣،٢ من نفس المصدر .

وكمية المياه العذبة عادة محدودة ضمن الاقاليم الجغرافية لطبيعة ارتباطها بالعوامل الطبيعية مثل كمية المطر الهاطلة وفصيلتها وانحدار السطح ومسامية التربة وتوافر النبات الطبيعي وماليها مما يجعل الانهار لاترتبط بالحدود السياسة والوطنبة والقومية ، سواء كان ذلك في طول مجاريها او كمية مياهها المنسابة عبر الحدود وهو مايخلق مشكلات معقدة الجوانب بين الدول المتجاورة حول كمية المياه وضمان استمرارها والمحافظة على حقوق الملاحة او في رسم الحدود السياسية وغيرها، لذا ظهرت العديد من النظم والقوانين والاتفاقات الدولية التي تنظم شكل العلاقة بين الدول في هذا المضمار طبقاً لطبيعة الانهار والمجاري المائية المشتركة (١)

وتبرز اهمية الانهر الحدودية العراقية الايرانية في جانبين مهمين، الاول ماتشكله مياه الانهر الحدودية من اهمية نسبية في ايراد القطر من مياه والثاني مايشكله المواطنون العراقيون من القاطنين في حوض دجلة من اهمية نسبية لعموم سكان القطر .

١ ــ الايراد المائي للانهر الحدودية العراقية الايرانية

تتباين كميات المياه التي تصل الاراضي العراقية من سنة لاخرى بحسب الظروف المناخية المتغيرة وما يرتبط بها من كمية الامطار وفصيلتها ومقدار الثلوج المتكونة في حوض الانهر الحدودية ، كما تتأثر بتباين درجات الحرارة ، وهذا ما يلاحظ من الاختلاف الكبير في تصاريف تلك الانهر مثال ذلك ان مياه الزاب الصغير تراوحت كميتهـا بين ٢,٨٢ مليارم٣ عام ١٩٥٩ و ١٥,٩٧ مليارم٣ عام ١٩٦٩ عند دوكـان ، اي ان اكبر ايراد مائي يتجاوز ٥,٦ مرة لايراده الواطيء (٢)

(١) انظر :في هذا الصدد ، الدكتور جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدوليه ومشكلة الحدود العراقية الايرانية مطبعة دار السلامة بغداد ،١٩٧٥، ص ١٢٣ – ١٤١ .

(٢) Repcllic of Iraq, Ministr Of rrigations, Discharges for selected Gauging station in Iraq 1959-1975, Directorate General of Irrigation, Bashdad, Iraq 1976 P. 17and p. 188.

ومثل ذلك يقال عن ايراد نهر ديالى ، ففي الوقت الذي بلغ اوطئ ايراد مسجل له عام ١٩٦٢ مقداره ١,٣٨ مليارم٣ (١) ، فان اعلى ايراد مسجل له كان قد بلغ ١٩,٧٢ مليارم ٣ عام ١٩٥٤ (٢) او ما يقرب من اربعة عشر ضعفاً ويجعل هذا من الصعب التعرف على الاهمية النسبية التي تصل العراق من الاراضي الايرانية ، كما ان التغيرات في كمية الايراد حسب الفصول شديدة التباين ايضا ، نتيجة لفصلية الامطار وتذبذبها . ومما يزيد في اثر تلك التغييرات قيام مشاريع الري في ايران التي تحجز المياه ، حتى ان بعض الانهر تنقطع عن الجريان صيفاً ، وهو الفصل الذي تزداد فيه الحاجة الى المياه .

وتجدر الاشارة هنا الى ان المنابع الاولى الرئيسة لنهري الزاب الصغير وديالى ومعظم الانهر الحدودية الصغيرة الاخرى تنبع من الاراضي الجبلية الايرانية ، فلا بد ان تكون نسبة مايصل من مياهها للعراق يفوق الاهمية النسبية التي تشغلها احواضها في ايران ، ومن ذلك مثلاً ان معدل الايراد السنوي لمياه الزاب الصغير التي يزود بها من ايران تعادل ٤٠٪ من مياهه في حين ان حوضه لايشغل هناك سوى ٢٥,٦٪ (راجع جدول ١) لذا فان الاهمية النسبية للمياه التي تصل الاراضي العراقية من ايران تتراوح على مثل هذا الاساس بين ٣٠ — ٤٠٪ من ايرادها اي مابين ٨,٨ — ١١,٧ مليار متر مكعب وبذلك تشكل مابين ١٩,٩ — ٢٦,٥٪ من مياه حوض نهر دجلة وهذه النسبة يمكن ان ترتفع اكثر من ذلك للتذبذب الكبير في الايراد السنوي ويعطينا الجدول رقم ٢ صورة عن مقدار الايرادات السنوية واهميتها النسبية لنهر دجلة وروافده الرئيسة .

---

(١) I bid ., p. 269.

(٢) محمد سعيد محمد علي ، مشاريع الري المقترحة ضمن محافظة السليمانية ، مطبعة الجامعة بغداد ١٩٧٠ص ص٢١ — ٢٣ .

هذا وقد تراوح معدل تصريف بين ٢٦م٣/ثانية كحد ادنى و٣٦٦٠م٣/ثا كحد اعلى عام عام ٢٩٥٤ .

انظر : احمد سوسة فيضانات بغداد الجزء الثالث مطبعة الاديب بغداد ١٩٦٦ص ٨٤٩.

جدول رقم (٢)
معدل تصريف ايراد نهر دجلة وروافده في العراق

النهر	معدل تصريفه م٣ / ثا	معدل ايراده السنوي مليارم٣	الاهمية النسبية لمياهه من نهر دجلة٪
الخابور	٣١	٠,٩٨	٢,٢١
الزاب الكبير	٤٥٧	١٤, ٤	٣٢,٦٤
الزاب الصغير	٣٣٤	٧,٣٩	١٦,٧١
ديالى	١٧٦	٥,٥٦	١٢,٥٧
العظيم	٢٣	٠,٧٣	١,٦٤
مجموع الروافد	٩٣٢١	٢٩, ١	٦٥,٧٧
نهر دجلة	١٤٠٠	٤٤,٢٤	٣٤,٢٣
الاجمالي	٢٣٢١	٧٣,٣٤	١٠٠

(١) د. جاسم محمد الخلف ، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعيه ، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العالمية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الثانية ، القاهرة وقارن أيضاً .
الحكومة العراقيه ، مديرية الري العامه ، نهر دجلة ، مطبعه السكك الحديد ،بغداد . ١٨٥٠؛ ج٢ الجداول ٥٨ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٠ .

وبالاضافة للانهار الرئيسة التي ذكرناها في الجدول رقم (١) فان الأنهر الصغيرة الأخرى التي تخترق الحدود العراقية تعد اساس الحياة لكثير من السكان على الرغم من أن أهميتها النسبية ضئيلة في مقدار ما توردە من مياه ويأتي في مقدمتها نهر كنكير الذي يغذى بساتين مندلي اذ يبلغ معدل تصريفه السنوي صيفا ٣,٥ ــ ٧م٣ / ثا (١) وقد استغلت ايران مياهه بصورة كلية قبل قيام

(١) فلاح شاكر اسود ، مصدر سابق ، ص ٦٣.

القوات العراقية بالسيطرة على السدود التي اقيمت في منطقة سومار . ومثل ذلك نهر كنجان جم الذي يشكل أهم روافد نهر بدرة ، ومعدل تصريفه الحالي ١,٢٥ م٣ / ثا صيفاً ، وهو دون مستوى نصف تصريفه السابق الذي كان يتجاوز ٢,٥ م٣ / ثا (١) وقد امكن للقوات العراقية من اعادة جريان مياهه بعد نسف السد الذي اقامته ايران على نهر كنجان جم في منطقة مهران إلى الشرق من مدينة بدرة .

واضافة إلى هذين النهرين هناك العديد من الأنهار الصغيرة معظمها فصلية الجريان وتتباين تصاريفها بين الصفر و ١٠٠٠م٣ /ثا وتمون هذه الانهر الاجزاء الشرقية من البلاد المجاورة للحدود الأيرانية في كل من محافظات السليمانية وديالى وواسط وميسان والبصرة . وهي في محافظة السليمانية تكون في معظمها روافد لنهري الزاب الصغير وديالى . وروافد الأول منها هي : زواره ، الزاب ، بانه ، قزلجة ، جم رشيد ، بناوه سوته سيباره (وتصب الأنهر الأربعة الأخيرة في نهر قره جولان) وجم كوكة سور (٢) .

وروافد نهر ديالى هي . بياره ، صفان ، وادي الطويلة ، سيروان ، زمكان ، عباسان ، قره نو ديربنديبلك ، نهر الوند .

اما الأنهر الحدودية الأخرى فهي في محافظتي ديالى وواسط التي تخترق الدالات المروحية التي كونتها عند قدمات جبال زاكروس وتلال بشنكوة فهي : ابي نفط ، كلال كنجير ، كاني شيخ ، (مويلح) وادي الحزام ، طلخ ، ترسخ (ترساق) ، وادي كورسنك ، وادي طهلاو ، وادي سوبنة سورسيرين ، كنجان جم ، زلي اب ، بالك (خشم رطان).

---

(١) نفس المصدر ص ٧٦ .

(٢) عباس، فاضل السعدي ؛ الزاب الصغير وامكانيه استثمار مياهه بحث منشور في مجله الجمعية الجغرافية العراقية ؛ المجلد السابع . تشرين الثاني ١٩٧١ص ص٢٣٣ – ٢٧٥ وفي البحث تفصيل وافي عن روافد الزاب الصغير .

كما تنتهي الى محافظة ميسان ، انهر سارخر ، الجباب ، الزفراني، الطيب دوبريج ، شط الأعمى ، ونهر الكرخة (شكل ٣) .

اما في محافظة البصرة فان نهر كارون الذي ينبع ويجري ضمن حدود البلاد الأيرانية كله يزود شط العرب بالمياه العذبة وبكمية تعادل ٢٧ مليار م٣ (١) ، وبذلك يحفظ عذوبة نهر شط العرب ويجعل مياهه صالحة لارواء البساتين والاراضي الزراعية في حوضه .

ومما لاشك فيه ان حقا تاريخيا أضحى للعراق في مياه انهره الحدودية المشتركة يتمتع به المواطنون القاطنون في احواضها ، كما يترتب على ذلك الحق نسبة ثابتة من مياه الأنهر لايجوز التصرف بها اذ لايحق ايقاف مجرى أي نهر أو تحويل مياهه ، او استخدامها بشكل يسبب الضرر بالمصالح المشتركة ، او يمنع الأنتفاع السليم بمياهها (٢) وعلى هذا فان التجاوزات التي حدثت على انهارنا الحدودية المشتركة غير قانونية مما ترتب عليها من اضرار بالغة بمصالح العراق سواء ما حصل من اضرار بالانتاج الزراعي شمل مناطق مهمة غنية بالفواكه والنخيل والمحاصيل الزراعية الأخرى ، أم في قلة المياه المتوافرة للشرب ولحاجات الأنسان الأخرى ، مما اسهم في انخفاض الأنتاج الزراعي وفي جفاف نسبة كبيرة من بساتين الفواكه ، كما عمل على زيادة الهجرة من المناطق المستثمرة لتلك المياه ، كما حدث في كل من خانقين وبدرة ومندلي وغيرها . اضافة إلى تحميل العراق كلفة انشاء مشاريع نقل المياه للمزارع والمدن الحدودية وباتجاه معاكس غالباً لانحدار الأرض وما يتبع ذلك من استمرار زيادة النفقات ويعرقل التوسع في استثمار الاراضي الزراعية .

---

(١)- فلاح شاكر اسود . مصدر سابق ص ٨٨.

(٢)- د. أمين محمد عبد الله اصول الجغرافيه السياسية . نشر مكتبة النهضة العربية / القاهرة/ ١٩٧٦ ص ٩٤.

٢ ـ الاهمية النسبية لسكان العراق في حوض دجلة :ـ

وتبرز أهمية الأنهر الحدودية العراقية الأيرانية لا بكمية المياه التي تزود بها نهر دجلة واراضي الأقسام الشرقية المتاخمة ، بل وايضا في الأهمية النسبية المرتفعة لعدد سكان العراق القاطنين في حوض النهر ، وبما ان نهر دجلة يمر في محافظتي دهوك ونينوى قبل ان يبدأ بالتزود من مياه الروافد المنسابة عبر الحدود الشرقية للقطر ، فقد استثني سكانها من سكان العراق في حوض دجلة ولذا فان المعتمدين على حوض النهر بعد بدء تزوده بمياه تلك الروافد هم سكان كل من محافظات السليمانية واربيل والتأميم وصلاح الدين وديالى وبغداد وواسط وميسان والبصرة اضافة إلى جزء واسع من محافظة ذي قار ممثلاً في مجرى نهر الغراف ومشاريع تزويد مدينة الناصرية وسوق الشيوخ بالمياه العذبة من اسفل مجرى الغراف ، وباستثناء الأهمية الكبيرة التي ستبرز اثر انجاز مشروع ربط منخفض الثرثار بنهر الفرات.

وتبلغ مساحة المحافظات المذكورة انفا (١٤٣٨٢٢) كيلو متر مربع أي ما نسبته ٣٣,١٤٪ من مجموع مساحة المحافظات العراقية ويعني ذلك ان ثلث مساحة القطر تقع ضمن حوض نهر دجلة وتتزود بالمياه منه ومن روافده وفروعه (١) ، ويقطن تلك المساحة التي تشغلها المحافظات المذكورة حوالي ٧,٣٦٥,٠٠٠ نسمة إلى نسبة ٦١,٣٧ ٪ من مجموع سكان العراق (لاحظ الجدول رقم ٣) أي يتركز سكان القطر في حوض نهر دجلة ويعود ذلك ، كما يظهر ، إلى قيام المدن العراقية الرئيسية في حوضه ، فاضافة إلى العاصمة بغداد تقع مراكز عشر من المحافظات الأخرى.

وبذلك يلاحظ ان ما يشغله سكان حوض نهر دجلة يعادل ١.٨٥ مرة مما يشغله من المساحة الكلية للقطر. وترتفع نسبة السكان الحضر في هذا الأقليم (حوض النهر) مقارنة

(٣)ـ وهذه المساحه لاتدخل ضمنها مساحة كل من محافظه دهوك ونينوى للأسباب التي سبق ذكرها وان النسبة ترتفع باضافة المحافظتين إلى ٤٣,٤ ٪.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن مناطق واسعة في المحافظات الجبلية تزود بمياه الأمطار مباشرة .

جدول رقم (٣)

الاهمية النسبية لمساحة وسكان العراق في حوض دجلة جنوب محافظة نينوى

المحافظة	المساحة	الريف	الحضر	مجموع السكان
السليمانية	١٥٧٥٦	٣٦٤٩٥	٣٢٥٦٠٢	٦٩٠٠٥٧
اربيل	١٤٤٧١	٢٥٣٣٩٢	٢٨٨٠٦٤	٢٤١٤٥٦
التأميم	٩٦٥٩	١٤٧٩٨٨	٣٤٧٤٣٧	٤٩٥٤٢٥
صلاح الدين	٢٩٠٠٤	٢٠٦٠٣٢	١٥٧ ٨٧	٣٦٣٨١٩
ديالى	١٩٣٠١	٣٤٥٧٠٠	٢٤٢٠٥٤	٥٨٧٧٥٤
بغداد	٥١٥٠	٢٦٩٦٢٨	٢٩٢٠٠٧٢	٣١٨٩٧٠٠
واسط	١٧٣٠٨	٢٣١٤٦٨	١٨٣٦٧٢	٤١٥١٤٠
ميسان	١٤١٠٣	٢٠٦٧٩٣	١٦٥٧٨٢	٣٧٢٥٧٥
البصرة	١٩٠٧٠	٢٠٨١٧٣	٨٠٠٤٥٣	١٠٠٨٦٢٦
المجموع	١٤٣٨٢٢	٢٢٣٤١٢٩	٥٤٣٠٩٢٣	٧٣٦٥٠٥٢
مجموع محافظات القطر	٤٣٤٠٠٠(×)	٤٣٥٤٤٤٣	٧٦٤٦٠٥٤	١٢٠٠٠٤٩٧
الأهمية النسبية لسكان الحوض	٢٣,١٤	٥١,٣	٧١,٠٣	٦١,٣٧

مصدر البيانات : المجموعة الاحصائيه السنوية لسنة ١٩٧٨ جدول ١/١ ص٩ وجدول ٣/٢ ص ٢٧

(×) مستثناة منها مساحة المياه الأقليمية .

مع نسبة السكان الحضر في العراق عموما اذ تصل إلى ٧١,٠٣٪ كما ان نسبة سكان الأرياف عالية هي ايضا في مجموع سكان الأرياف في القطر اذ تقرب من ٥١,٣ ٪ أي ان ما يسكن في الحوض يزيد على نصف سكان الأرياف في العراق عموما ولما كنا قد اشرنا سابقا إلى ان ماتورده الأنهر الحدودية من المياه في الاراضي الأيرانية تتراوح بين ٨,٨ — ١١,٧١ مليار متر مكعب او ما يقدر بـ ١٩,٩ — ٢٦,٥٪ من مياه نهر دجلة ، فان عدد السكان من مواطني بلادنا الذين يعتمدون في احتياجاتهم على الموارد المائية المنسابة عبر حدودنا الشرقية يتراوح بين (١٤٦٥٦٤٥—١٩٥١٧٣٨) نسمة أي ما بين خمس وربع السكان القاطنين في حوض نهر دجلة جنوب محافظة نينوى ، اي مابين ١٢,٢ — ١٦,٢٪ من سكان القطر عموما .

من كل ذلك يتضح ان ضمان حقوق شعبنا في مياه انهره الحدودية ذات أهمية كبيرة وعالية لابد أن تكون عنصراً اساسياً في اية اتفاقيات لاحقة بين الطرفين بحيث تضمن تلك الأتفاقيات انسياب المياه إلى الاراضي العراقية بالكميات والخصائص التي عرفها العراق طيلة تاريخه ولضمان تطوره اللاحق عبر الأستفادة المشتركة في اقامة المشاريع الاروائية والزراعية وعدم انفراد جانب واحد في تحقيق مصالحه دون النظر إلى المصالح المترتبة للجانب الاخر .

ثالثاً : مشكلات الانهر الحدودية العراقية الايرانية :

من المعروف ان المياه تكون احد اهم مقومات الحياة البشرية واهم اسس قيام الزراعة وتربية الحيوان اضافة إلى استخدامات حيوية واقتصادية متنوعة لذا فمياه الأنهار ومنها انهارنا على الحدود الشرقية تعد ابرز مقومات الأستيطان البشري في العراق وان اجراء اي تغيير في كمية مياهها او في خصائص

(١)— ترتفع النسبة إلى ٦٧ر٧٢ ٪ في حالة اضافة سكاني محافظتي دهوك ونينوى إلى مجموع سكان حوض نهر دجلة .

عذوبتها يضر بالمصالح الوطنية ويخالف العرف والاتفاقات المعقودة بين العراق وايران ولذا فان ما قامت بـــه الحكومات الأيرانيـة المتعاقبة من اجراء تغيرات في واقع الأنـهـار الحدوديـة ، يعـد دون شك اعتداء صريح وتهديد لأية مصالح مشتركة في استثمار تلك الانهر وكثيرا ما ادت تلك الاعمال الى قيام النزاعات المسلحة عبر الحدود والى توتر مستمر شاب العلاقات العراقية الايرانية واضطر العراق الى رفع شكواه الى المحافل الدولية اكثر من مرة ، كما تعد تلك المشاكل احد اسباب الحرب القائمة بين البلديـــن .

وتظهر للانهار عموماً استخدامات رئيسة ، فهي اما تشكل حدود سياسية للدول الواقعة على جانبها او انها تكون ممرا للملاحة، وتزداد اهميتها في حالة كون النهر دوليا ويصب في البحار المفتوحة ، او انها تستغل في ارواء المحاصيل الزراعية ، الذي يمكن اعتباره اهم اغراضها ،او تستخدم لتوليد الطاقة الكهربائية اضافة الى الاغراض الصناعية والبشرية المتزايدة وان كل من تلك الاهميات تختلف بين نهر واخر حسب كمية المياه الجارية وفصيلتها ونوعية الاراضي التي يمر عبرها النهر وطريقة الاستغلال الزراعي والاستيطان البشري والى سرعة جريانه وطبيعة المصب الذي ينتهي اليه اضافة الى المناخ السائد من حيث درجات الحرارة وكمية الامطار .

ولعل هذه العوامل ادت الى تباين المشاكل حول الانهار مما جعل الاتفاقيات الدولية في هذا المجال متنوعة وتعتمد غالبا على علاقات الجوار وتوفر حسن النية اضافة الى المصالح المشتركة حيث يعد استغلال الانهار جزء منهـا .

ويمكن اعتبار ابرز المشكلات في مجال الانهار هي :ـ

أ ـ التغير المستمر لمجرى النهر او جزء من ضفافه الناجمة عن حركة النهر على جانبيه ، او عن الفيضانات والعالية منها على وجه الخصوص .

ب ـ التغير في كمية المياه السنوية واكبر ماتبرز في الانهار التي تعتمد على الامطار الفصلية المتذبذبة .

جـ ــ حدوث تغيرات مقصودة في مجرى النهر ضمن الحدود الاقليمية لواحدة من الدول المشتركة فيه بالشكل الذي يؤثر على استغلال واستخدامات تلك الدول .

د ــ بناء السدود الاروائية ولتوليد الطاقة وحفر القنوات الاروائية التي تؤثر في كمية المياه الجارية نحو الدول المجاورة .

هـ ــ بنـاء المنشآت الاخرى للاغراض السياحيـة كالبحيرات الصناعية ومنشآت النقـل .

و ــ ظهور التلوث في مياه النهر نتيجة بناء المنشآت الصناعية والاقتصادية التي تنتهي نفاياتها للنهر ، مما يقلل الانتفاع من مياهه او يهلك الثروة السمكية لهذا الحد او ذاك .

وطبقا لما مر ، فان المشكلات التي تواجه العراق في انهاره الحدودية التي تنبع من البلاد الايرانية ، كثيرة ومتباينة ويمكن تحديد ابرزها لما يلي:

١ ــ الاستغلال المفرط لمياه الانهر الحدودية :

يظهر الاستغلال المفرط للانهر الحدودية العراقية الايرانية بانشاء ايران السدود الاروائية وحجز كميات كبيرة نسبياً من المياه ، وانشاء قنوات واستصلاح اراضي جديدة ، مما ادى الى خفض الحصة التاريخية من المياه وتتجلى بشكل بارز فيما حصل لكل من انهار كنكبر والوند وكنحان جم ودويريج ، اضافة الى السدود على نهر الكارون والكرخة ونحاول فيما يلي التعرف على اهمها .

أ ــ نهر كنكير (١) : ينبع هذا النهر من السفوح الغربية لجبال زاكروس الى الشرق من منطقة مندلي العراقية ، ويتجه النهر اولا نحو الشمال الغربي

---

(١) يطلق على نهى كنكبر نهر كوينكبر وهناك اقتراح لتغيير تسميته إلى وادي حران : انظر : نزار قزانجي (اعداد) تقرير الحدود العراقية الايرانية ومياه الأنهر المشتركة مديرية الري العامة ، ص من الملاحق ، مطبوع بالرونيو .

ثم الى الغرب حتى يدخل الاراضي العراقية عند مضيق كومة سنك بعد قطعه مسافة تقرب من ٢٥ كيلومتر ضمن الاراضي الايرانية (١) : ويشكل نهر كنكير دلتا مروحية من ترسباته التي يجلبها من المناطق الجبلية وهو يجري حاليا من الحافة الجنوبية لدلتاه ويصب في هور الشويكة الى الشمال من مدينة الكوت . ويبلغ تصريفه صيفا بين ٣،٧ـ ٠،٧م٣ / ثا (٢) ولكن السلطات الايرانية كانت قد اخذت باستغلال جميع مياه النهر واصبح تصريفه حاليا يقرب من الصفر صيفا دون مراعاة حصة العراق في مياه هذا النهـــر .

ان السند القانوني لحصة العراق في مياه نهر كنكير في مندلي يعود الى قرار قوميسون تحديد الحدود لسنتي ١٩١٣ ـ ١٩١٤ القاضي بتقسيم مياه النهر مناصفة بين مندلي العراقية ومنطقة سومار الايرانية (٣). لكن الجانب الايراني لم يلتزم بقرار قوميسون الحدود ، كما لم يلتزم بالحقوق التاريخية لسكان مندلي في مياه النهر . فاقام سد سومار عـــلى النهر وحول مياهه الى الاراضي الايرانية واخـــذ بالتوسع غير المشروع باستغلال مياه النهر وزيادة الرقعة الزراعية عـــلى حساب هلاك بساتين ومزارع الجانب العراقي . حتى اضحت اهمية النهر محدودة ولايستفاد منها الا في فصل سقوط الامطار شتاءاً . ان حجب مياه نهر كنكير قد اضطر الحكومة العراقية في السنوات الاخيرة الى انشاء مشروع ري مندلي لتوفير مياه الشرب واسقاء جزء من البساتين والمزارع ويأخذ المشروع مياهه من نهر ديالى ، وتستخدم لرفـــع الميـــاه عشـــر مضخـــات ذات قدرات عاليـــة تبلـــغ (٩٠٠) حصان لكل منها ونقـــل الميـــاه لمسافة تقرب من ٦٤ كم منها

---

(١) خالدة السعدون ، تحليل العوامل التي ترسم خط الحدود بين العراق وايران ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد عام ١٩٧٠ ص ٨٤ (غير منشورة).

(٢) رشاد قزانجي ، المصدر السابق ص ١٧.

(٣) وزارة الخارجية العراقية ، حقائق عن الحدود العراقية الايرانية بغداد ١٩٦ ص ٧.

١١,٨ كيلو متر من الانابيب الحديدية. والمشروع لا يسهم بتزويد مياه الري إلا بحوالي خمسة الاف دونم (١)، في حين كان النهر يروى ٤٢٦٥ دونما من البساتين و (١٢٨٥٨١) دونما من المحاصيل الشتوية (٢) م، يشير الى الضرر الكبير الذي تكبده القطر والمشاكل التي واجهت الاراضي العراقية المعتمدة على على نهر كنكير ، حتى ان الاضرار التي اصابت بساتين مندلي وحدها قادرت ب ٧٠٪ من اشجار الحمضيات والفواكه وبنحو ٤٠٪ من محصول التمور الى غيرها من الاضرار (٣)

ب ـ نهر الوند : ينبع نهر الوند من جبال كرند الغربية في ايران تبلغ مساحة حوضه ٣٤٥٠كم٢ منها ٨٣٫٧٪ في داخل الاراضي الايرانية (٤)، ولايزيد طوله في العراق عن ٥٠ كم ويصب النهر في الجانب الايسر من نهر ديالى الى الشمال من مدينة جلولاء .

ويعد نهر الوند من الانهار الحدودية المهمة حيث تعتمد عليه منطقة خانقين في العراق ومنطقة قصر شيرين ـ خسروى في ايران .

يبلغ معدل تصريف نهر الوند صيفا حوالي ٥م٣ / ثا عند دخوله الاراضي العراقية وقد برزت المشكلة حول هذا النهر عندما بدأت ايران بتحويل مياه نهر قصر شيرين الى منطقة خسروى وزيادة الرقعة الزراعية على حساب مايصل العراق من مياه ، وعلى الرغم من المحاولات المتكرره حول ضرورة الوصول الى اتفاق لضمان حقوق المواطنين العراقيين المشروعة في مياه هذا النهر الا ان السلطات الأيرانية لم تعر اي اهتمام لذلك مما عمل على الحاق ضرر جسيم في منطقة خانقين على اثر قطع مياه النهر عام ١٩٦٠،

---

(١) حسن كاشف الغطاء (اعداد) دور مديرية الري العامة في استغلال الموارد المائية والسيطرة عليها جـ٣ بغداد ١٩٧٣ ص٢٥١ (بالرونيو) .

(٢) تقرير محافظة ديالى ، نقلا عن : رشاد قزانجي ، مصدر سابق ش ز من الملاحق

(٣) رشاد قزانجي ، المصدر السابق ص١٦.

(٤) نفس المصدر ص ١٣ .

وقد اضطر العراق للتخفيف من تلك الاضرار بانشاء مشروع رى خانقين عن طريق مد قناة خانقين وايصالها بمجرى جدول بلاجو الذي يمتد لمسافة احد عشر كيلومترا ليصبح طوله (٤٠) كيلومترا ابتداء من نقطة تفرع الجدول من ايسر نهر ديالى إلى الجنوب من سد دربندى خان، وقد ضم هذا المشروع الاروائي ستة نواظم اروائية بهدف توفير مياه الشرب ولاارواء ٨٧١٠٠ دونما منها ٨٦٢٥٠ دونما من المحاصيل الحقلية والبقية من بساتين للنخيل والفواكه (٢). وعلى الرغم من سعة المشروع ، الا أنه لا يغطي كامل الأراضي التي كانت تروى سابقا من النهر قبل حجز مياهه ، كما ان كلفة الري مرتفعة لأستخدام المضخات الكبيرة لرفع المياه وجويانه باتجاه يخالف انحدار الأرض لبعض من اقسامه .

ويظهر مما مر ان ايران قد اغتصبت مياه الوند ، ولم تكترث لمصالح العراق فيه والحق التاريخي الذي اكتسبه مواطنينا . وان ما يدعيه الأيرانيون باستمرار من ان التصرف بمياه الحدود يعد عملاً داخلياً من حقوق السيادة يتنافى مع القواعد والأنظمة الدولية ومع مطالب ايران نفسها في نهر هلمند على حدودها الشرقية مع جمهورية افغانستان .

جـ- نهر كنجان جم (كلال بدرة)

ينبع نهر كنجان جم من الأجزاء الغربية لتلال بشتكوه من منطقة هضبية مرتفعة ، وينحدر جنوباً فغرباً حيث يدخل الحدود العراقية ، ويشكل مجراه قبل ذلك خطاً للحدود لمسافة تقرب من ١٣ كيلو مترا اضافة إلى ستة كيلو مترات (٣) في وسط رافده كاني رود والذي يتكون من التقائها قبل دخول الأراضي العراقية نهر واسع هو نهر بدرة ويطلق عليه محليا بالكلال وهو وادي متسع تندفع فيه المياه بقوة كبيرة اثناء سقوط الأمطار،

---

(١) نفس المصدر والصفحة

(٢) حسن كاشف الغطاء ، نفس المصدر السابق ص٢٥٢

(٣) جابر ابراهيم الراوي . مصدر سابق ص ٣١٥ .

نتيجة لانحداره الشديد وقرب منابعه ، ويبلغ معدل تصريفه ٢,٥م^{3} /ثا في فصل الصيف ، ويزيد تصريفه عند سقوط الأمطار الغزيرة على ١٠٠٠م^{3} /ثا .

ويروى هذا النهر اراضي زرباطية وبدره وجصان والعديد من القرى اكبرها مرزابات ، وينتهي النهر في منخفض الشويجة إلى الشمال من مدينة الكوت .

ان السند القانوني لحقوق العراق في هذا النهر يرجع إلى ماجاء في محاضر جلسات قوميسون للحدود لسنتي ١٩١٣ - ١٩١٤ (١) الا ان ايران لم تلتزم بالحقوق المشروعة لابناء شعبنا في مياه هذا النهر وقامت ببناء سد كنجان جم عند مهران ، كما حفرت قنوات الري لتوسيع رقعة الأراضي في الجانب الأيراني ، مما عمل على قطع المياه في فصل الصيف، مما اضطر الحكومة العراقية إلى تموين السكان هناك بمياه الشرب بطريق السيارات الحوضية من مدينة الكوت التي تبعد حوالي ٧٠ كيلو مترا عن مدينة بدرة ، اظافة الى العمل لبناء مشروع بدرة الاروائي لتزويد بدرة وجصان وزرباطية بالمياه من نهر دجلة ورفعه بالمضخات وعبر انابيب حديدية بما في ذلك من كلفة عالية ، وحتى في حالة انجاز المشروع فانه غير قادر على تعويض البساتين والمزارع بحاجتها الكاملة إلى المياه ويظهر ارتفاع الكلفة من ان المشروع يحتاج إلى ١١٦ سنة لتسديد نفقات منشآته (٢).

د- واضافة إلى الأنهار المذكورة فقد اقيمت السدود على عدد اخر من الأنهار ابرزها نهر الكارون والكرخة اللذان يعتبران نهران ايرانيان ، الا ان تأثيرهما مهم في استمرار عذوبة مياه شط العرب وهو ما سنأتي عليه في الصفحات التالية ، اضافة إلى نهر دوبرج جنوب شرق العمارة .

---

(١) حقائق عن الحدود العراقية الايرانية ، مصدر سابق ص ٨ ولزياة التعرف على تطور مشكلة هذا النهر راجع د. عباس التميمي من قضايا الحدود العراقية الايرانية ،مجلة الجامعة تصدرها جامعة الموصل تشرين الثا ١٩٨٠،ص ٦٤-٦٧ .

(٢) فلاح شاكر اسود ، مصدر سابق ص٧٧ .

٢ ـ تركز الملوحة في الأنهر الحدودية : من مشكلات الأنهر الحدودية البارزة الأخرى والناجمة عن العمل غير الودى من العراق ارتفاع نسبة الملوحة في الأنهر الحدودية . وعلى الرغم من ان الملوحة ناجمة عن تظافر عوامل طبيعية وبشرية ، واذا تجاوزنا العوامل الطبيعية فان العوامل البشرية ناجمة اساساً عن عاملين الأول خفض كمية المياه الجارية في الأنهر حيث تتوفر فرصة تركز الأملاح عبر مرورها باراضي ملحية او نتيجة التبخر الشديد ، والثاني حجز المياه العذبة وترك مياه المبازل تنصرف إلى وديان الأنهار . ويبرز ذلك واضحا في انهار كل من كنكر والوند وكنجان جم وترسخ والطبب ودويريج .

والواقع ان هناك ممالح عديدة على جانبي الحدود تسهم في رفع نسبة الملوحة في الأنهر الحدودية وبشكل خاص الى الجنوب من نهر ديالى ومن مظاهر التركز الأملاح ما يظهر في الأنهر التالية (١).

النهر	نسبة الاملاح	
ترساق	٣٠٠٠ ــ ٥٠٠	جزء في المليون
دويريج	٢٣٠٠ ــ ٧١٣٠	جزء في المليون
الجباب	١٥٠٠ ــ ٣٥٠٠	جزء في المليون
الطيب	٢٠٠٠ ــ ٢١٠٠	جزء في المليون
كنكير	١٥٠٠ ــ ٢٠٠٠	جزء في المليون

وتصب عيون كبريتية في كل من انهر طهلاو وسونيه والشهابي ان تطوير استغلال هذه الانهار يتطلب في الواقع ان يتفهم الجانب الايراني حقيقة افضلية الاستغلال القائم على المنافع المشتركة . والذي كان يمكن ان يقوم على تطوير الاستفادة من احواض ووديان تلك الانهار وابعاد العيون

(١) المجلس الزراعي الأعلى ، الموازنة المائية في العراق، مصدر سابق ص٢١ وانظر أيضاً فلاح شاكر اسود، مصدر سابق صص٤٦-٤٨.

الكبريتية عنها وتجنيب بعضها المرور ضمن الاراضي المحلية وبجهد مشترك اما التمادى في استغلال الانهار من جانب واحد وعدم الاكتراث لمصلحة الجانب العراقي فهو مضر بمصلحة الجانبين معا ، كما ثبت ذلك ، اذ ان تجاهل حقوق العراق في ميـــاه الأنهر الحدودية كان دون شك احد عوامل قيـــام الحرب بين البلدين لان من غير الممكن استمرار السكوت عن هضم واغتصاب الحقوق المشروعة لشعبنا .

ومن الاثار الاخرى لارتفاع نسبة الملوحة ، ما يظهر في شط العرب اذ يعتمد هذا النهر في مياهه على نهرى دجلة والفرات وعلى المياه العذبة التي يأتي بها نهر الكارون ، إضافة الى مايصرفه هور الحويزة من مياه الكرخة وبعض الانهر الحدودية الاخرى عن طريق نهر السويب .

ان التوسع الحاصل في استغلال مياه نهر الكارون وروافده وهو النهر المغذى الرئيس لشط العرب ، اضافة الى مشاريع الري الاخرى على نهري دجلة والفرات يعمل على ارتفاع نسبة الملوحة في شط العرب وهو مايثير حالياً قلقاً متزايداً في العراق، لان ذلك يعمل على الاضرار في الانتاج الزراعي وبساتين النخيل لمساحة تقدر بـ ١،٦ مليون مشارة (١)

ويمتاز نهر الكارون بسرعة جريانه وشدة انحدار مجراه وكثرة مياهه التي تزيد على معدل تصريف نهر الفرات . وقد اقيمت السدود على نهر الكارون وروافده الرئيسة بسعة خزن تقرب من ١٩ مليارم٣ . ويزود نهر الكارون شط العرب بحوالي ٢٧ مليار متر مكعب منها عشرون مليار عند فم شط العرب و ٧مليارات يزود بها فرع الكارون الذي ينتهي بالقرب من المصب (٢) . لذا فان مياه نهر الكـــــارون تعد المؤثره الاولى في استمرار عذوبة نهر شط العرب وتقف حائلاً امام سيطرة مياه البحر اثناء

(١) المجلس الزراعي الأعلى ، انجازات وتطلعات ، مطبعة مديرية المساحة العامة ببغداد ١٩٧٦ ص ١٧٣ .

(٢) فلاح شاكر اسود ، مصدر سابق ص ٨٨.

المد، على مياه هذا النهر واضافة الى ما لاحظناه من اهمية نهر الكارون في توفير المياه العذبة لشط العرب ، نلاحظ ان نهر الكرخة هو الآخر له تأثير مشابه في جلب المياه العذبة لحوض دجلة الاسفل .

تقع المنابع الأولى للكرخة في جبال زاكروس الشديدة التضرس ، يبلغ معدل تصريفه السنوي في الحميدية ١٣٧م٣/ ثا واعلى تصريف له ١٤٣٠ م٣ /ثا ويهبط اقل تصريف له الى ٤٧ م٣ / ثا ومعدل ايراده السنوي ٦,٣ مليار متر مكعب (١) ، وقد اقامت ايران على هذا النهر سد الحميدية بسعة ٣,٣٥ مليار متر مكعب.واذا كان الكرخه يجرى بأكمله في ايران فان تأثيرات مياهه مهمة في منطقة هور الحويزة الذي يصب فيه وفي نهر السويب العراقي الذي يقوم بتصريف مياه الهور الى دجلة واذا سلمنا بانه ليس للعراق من حق قانوني فيه (٢) الا ان الحكومة الايرانية لم تأخذ في الاعتبار علاقات الجوار وضرورة الأستفادة المشتركة منه التي يمكن ان تعود بالنفع المتبادل لاستغلاله .

٣ ـ مشاكل اخرى هناك مشاكل عديدة اخرى تنتظم الانهر الحدودية واذا كان بعضها بارزا كالملاحة في نهر شط العرب ، فان بعضها الاخر ليست له أهمية كبيرة في الوقت الحاضر ، الا ان حدتها تزداد مع الزمن وفي مقدمتها ظاهرة التلوث . حيث تعمل اقامة الصناعة والاستعمالات الحضرية الاخرى ، إلى زيادة المواد الملوثة في الانهار التي تضر بالصحة العامة وتعمل على قتل الكائنات الحية او الاضرار بها .

كما ان اقامة السدود الاروائية لها سلبياتها الأمر الذي يقتضي دراسة نتائجها مقدما لتجنب مخاطرها المحتملة ، في انخفاض كمية مياه الأنهر وقلة الطمويات وارتفاع نسبة الملوحة ، مما يتسبب في تدمير الاراضي الزراعية

(١) نفس المصدر ص٨٤

(٢) انظر في ذلك : شاكر صبار الضابط ، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران نشر وطبع دار البصرى ، بغداد ١٩٦٦ .

وتحويلها إلى ارض ملحية سبخة الى غير ذلك . اما موضوع الملاحة في شط العرب وما حصل من تجاوزات ايرانية مستدرة فيه ، والتي كثيراً ماادت الى خلق التوتر بين البلدين فقد تناولته أفلام كثيرة اكدت على ضرورة اعتراف ايران بحقوق السيادة الوطنية على نهر شط العرب والملاحة فيه .

وخلاصة ماتقدم ، اتضح ان للانهر الحدودية اهمية كبيرة في حياة سكان العراق لكونها تسهم في تزويد مناطق شاسعة من الاراضي العراقية بالمياه ، تمون العراق بنسبة مهمة من مياهه الجارية ، الا ان عدم وجود اتفاقات تفصيلية حول تلك الأنهار فسح المجال لايران من التجاوز المستمر على حقوق العراق التاريخية في مياه انهره الحدودية ، جعل عقد اية اتفاقات في المستقبل بين العراق وايران ، ينبغي ان تأخذ بنظر الاعتبار مسألتين اساسيتين اولاهما : ضرورة ضمان الحقوق المكتسبة تاريخياً في الانهر الحدودية ، وثانيهما ضرورة ترشيد الاستغلال والاستفادة من مياه تلك الانهر طبقاً لمصالح الطرفين المتجاورين ولضمان تطور قطرنا اللاحق .

د . عباس علي التميمي
١٩٨١/٢

مصادر البحث :

١ — اسود ، د. فلاح شاكر ، الحدود العراقية الايرانية ، مطبعة العاني بغداد ١٩٧٠ .

٢ — الحكومة العراقية ، مديرية الري العامة ، نهر دجلة جـ١ ، مطبعة السكك الحديد بغداد ١٩٥٠ .

٣ — الحلف ، د. جاسم محمد ، محاضرات في جغرافية العراق الطبعة الثانية ، جامعة الدول العربية ، مطبعة لجنة البيان العربي الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦١ .

٤ — الراوى د. جابر ابراهيم ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الأيرانية ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٩٧٥

٥ — السعدون ، خالدة ، تحليل العوامل التي ترسم خط الحدود بين العراق وايران ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب في جامعة بغداد ١٩٧٠ «غير منشورة»

٦ — السعدي ، الدكتور فاضل عباس ، الزاب الصغير وامكانات استثمار مياهه ، بحث منشور في مجلة الجمعية العراقية الجغرافية ، المجلد السابع ، تشرين الثاني بغداد ١٩٧١ .

٧ — سوسة ، الدكتور احمد ، فيضانات بغداد ، جـ٣ ، مطبعة الاديب بغداد ١٩٧٦ .

٨ — الصحاف ، د. مهدي ، الموارد المائية في العراق وصيانتها من التلوث مطبعة الحرية بغداد ١٩٧٦ .

٩ — الضابط شاكر صابر ، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، نشر وطبع دار البصرى ، بغداد ١٩٦٦ .

١٠ ــ عبد الله ، د. امين ، اصول الجغرافية السياسية ، نشر مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦.

١١ ــ قزانجي ، رشاد ، تقرير الحدود العراقية الايرانية ومياه الانهر المشتركة (اعداد) مديرية الري العامة ، مطبوع بالرونيو .

١٢ ــ كاشف الغطاء ، حسن ، دور مديرية الري العامة في استغلال الموارد المائية والسيارة عليها (اعداد) ج٣ بغداد ١٩٧٣ . (مطبوع بالرونيو .)

١٣ ــ محمد علي ، محمد سعيد ، مشاريع الري المقترحة ضمن محافظة السليمانية ، مطبعة الجامعة بغداد ١٩٧٠ .

١٤ ــ المجلس الزراعي الاعلى ، الموازنة المائية العراقية ، دراسة رقم ١ ــ ١ مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٨.

١٥ ــ انجازات وتطلعات ، مطبعة مديرية المساحة العامة ، بغداد ١٩٧٦.

١٦ ــ وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٧٨.

١٧ ــ وزارة الخارجية العراقية ، حقائق عن الحدود العراقية الايرانية مطبعة الحكومة بغداد ١٩٦٠ .

18– Repoblic of Iraq, Ministry of Irrigations , Discharges for selected Gauging station in Iraq 1959-1975 Baghdad, 1976.

حركة التحرير في غينيا ـــ بيساو
وموقف العراق منها



الدكتور عبد الرزاق مطلك الفهد
كلية التربية ـــ جامعة الموصل

مقدمة

تقع غينيا في الجزء الشمالي الغربي من القارة الافريقية ــ وبيساو هي العاصمة ــ وبهذه الصيغة (غينيا ــ بيساو) مايفرقها عن جمهورية غينيا الشعبية التي عاصمتها كوناكري .

تعتبر من الدول الافريقية الصغرى من حيث المساحة والسكان ، اذ يبلغ مساحتها ٣٦١٢٥ كم٢ ونفوسها ٧٧٧٢١٤ نسمة (١) .

وصلها البرتغاليون عام ١٤٤٦ م حيث حلوا في شواطئها وواصلوا سيرهم الى الشواطىء المجاورة ، وقد عرفوا في المنطقة الامكانيات الاقتصادية من ذلك الذهب والعاج ، كما ادركوا ان لغينيا موقعاً تجارياً مهماً ــ فاقاموا مراكز فيها ــ ثم عرفوا الجزر المجاورة لشواطئها وهي (جزر الرأس الأخضر) ولأنعزال هذه الجزر فقد اتخذوا منها مراكز تجارية اعتبروها اكثر أماناً من الشواطىء الغينية ــ كما جعلوا منها مراكز لادارة شؤون الجزر وغينيا معاً (٢) .

ومنذ عشرينات القرن الثامن عشر حتى نهايته ــ أخذ المستكشفون والتجار والمبشرون ومنهم بصورة خاصة الفرنسيزن يجوبون هذه السواحل ــ ثم اقاموا مراكز تجارية بصورة خاصة لتجميع الرقيق من المناطق الافريقية المجاورة (٣) .

ولم تكن هذه الشواطىء تحت السيطرة المباشرة لدولة معينة في تلك الفترة التي لم يشتد فيها تزاحم الدول الاوربية على افريقيا ــ ولكن بعد ان بدأت المانيا تتوسع في الكاميرون ــ وفي غرب افريقيا خاصة بعد مؤتمر برلين لعام ١٨٨٥م (٤) .

وفي بداية القرن العشرين ركزت البرتغال جهودها على التمسك بالسواحل المواجهة لجزر الرأس الأخضر وجنوب سواحل غينيا ــ ثم تغلغلت إلى داخل غينيا حوالي ١٤٠٠ ميل (٥) وركزت جهودها على

هذه المنطقة خاصة بعد ان فقدت بعض المناطق الافريقية منها جزء من الكونغو بعد مؤتمر برلين المذكور (٦) .

واذا كان نشاط البرتغاليين قد اقتصر على التجارة قبل مؤتمر برلين، واعتمد نفوذهم على التجار وعلى البعثات التبشيرية فانهم بدأوا بعد ذلك بتوجيه حملات عسكرية واحتلوا البلاد واخضعوها لحكمهم .

الاستغلال الذي تعرضت له غينيا

اتخذت غينيا مركزا لتصدير الرقيق سواءا كان ذلك الرقيق من سكانها او من سكان المناطق المجاورة ، وقد تعرض شعبها بصورة خاصة الى عملية استرقاق قاسية ، اذ ان البرتغال التي كانت تسيطر على البرازيل ومناطق اخرى من العالم الجديد . كانت محتاجة الى الايدي العاملة ، فكانت تأخذ اعداداً كبيرة من الرقيق من مستعمراتها — انكولا — موزمبيق — وغينيا — بيساو ، وفي منتصف القرن الثامن عشر فاقت غينيا — انكولا في عدد ماترسله من الرقيق الى البرازيل ، وفي نهاية القرن نفسه ، وضعت غينيا بسبب تجارة الرقيق بانها «قد كنست من معظم سكانها» (٧)

كان الرقيق يشحن عن غينيا الى مراكز العمل باسلوب قاسي حيث يتعرضون لظروف سيئة ، فبعد ان يجمعوا من المناطق الداخلية يقطعون مسافات طويلة سيرا على الاقدام ، مع وضع عصي طويلة على اعناقهم متصلة بعضها ببعض بحبال متينة ، وذلك لمنعهم من الهرب ، كما قد يحملون اثقالا او بضائع اثناء سيرهم (٨) .

وكان الفلاح الغيني ايضا يتعرض للاستغلال فكانت هناك شركتان احتكاريتان برتغاليتان ، لايستطيع المزارعون ان يبيعوا محصولاتهم لغيرها — فكانتا تشتريان الارز والفول السوداني وتحققان من وراء ذلك ارباحا كبيرة عند عملية التصدير بينما لايحصل الفلاح الافريقي الا على ثمن يسير تقرره الشركتان بحسب ماتريان ، وعندما يحتاج الفلاح للارز فهو بعد ان يبيعه

يعود فيشتريه ، ولكن الشراء في هذه الحالة سوف يكون بثلاثة اضعاف ثمن البيع (٩) .

ولما لم تكن البرتغال دولة صناعية متطورة ، وكان اقتصادها ضعيفاً فقد استعانت بالرأسمال الاجنبي ، بل خضعت للرساميل الاجنبية وخاصة البريطانية حتى اصبحت اسهم الرأسمال البريطاني في ستينات هذا القرن تستأثر بكل المشروعات البرتغالية (١٠) ، وكان ذلك يعني ان المستعمرات البرتغالية ومنها غينيا — بيساو كانت تتعرض لاستغلال مزدوج برتغالي واوربي عامة .

كان شعب غينيا يعاني من كبت شديد للحريات في ظل السيطرة البرتغالية — من ذلك منع التجمعات فلا يجوز ان يلتقي اكثر من ثلاثة اشخاص ، واذا حدث فسوف لن تكون هناك رحمة ، واذا اراد السكان الاحتفال وجب عليهم دفع ضريبة مقابل الاحتفال والرقص (١١) .

ومع ان المستعمرات البرتغالية قد منحت استقلالا ذاتياً تحت الإشراف العام والسيطرة الاقتصادية للشبونة منذ عام ١٩١٤م، كما منحت عام ١٩٢٠م استقلالا ذاتياً مالياً ، الا ان الاحوال قد تغيرت بعد سنة ١٩٢٦م حيث وقع انقلاب في البرتغال وتولى الحكم على اثره سالازار (Sala Zar). وقد ظهرت آثار ذلك الانقلاب في المستعمرات البرتغالية اذ فرض سالازار حكماً دكتاتورياً ، مع عدم ايمانه بالتحرر سواء في الداخل او الخارج — اذ كان من رأي وزير المستعمرات البرتغالي انذاك ارمندومونتيرا : «ان الافريقي واد ليكون عبداً» (١٢) .

وبهذه السياسة الدكتاتورية والنظرة الاستعلائية سارت البرتغال في حكمها لمستعمراتها الافريقية ومنها غينيا — بيساو .

ولم يكن التمييز العنصري او الاضطهاد السياسي وكبت الحريات هو ما يعاني منه شعب غينيا — بيساو فحسب ، بل ان هناك ايضاً عدم الاهتمام بتطوير الشعب او تقديم الخدمات الضرورية له .

ان الخدمات التي تقدم للمواطنين من صحية او تعليمية كانت ضئيلة، فهناك ٩٠٪ من الشعب الغيني يعاني من الامية وطوال خمسة قرون من الحكم البرتغالي لم ينل التعليم الجامعي سوى ١٤ فرداً (١٣) ، وكان قلة من الاطفال الافارقة يدخلون المدارس ، وهذه القلة كانت تتعلم كل مايتعلق بالبرتغال من تاريخ وطبيعة ... الخ دون ان يعرف شيئاً عن افريقيا.

اما الخدمات الصحيحة فقليلة جداً ، ويعتمد الافارقة على الطب القديم وعلى التعاويذ ، ويدل ذلك على استمرار الاعتقادات القديمة التي شجع البرتغاليون على بقائها .

وعلى الرغم من ان غينيا - بيساو بلد فقير يفتقر إلى الموارد الهام بالاضافة إلى صغر مساحته وقلة سكانه ، على الرغم من ذلك أصرت البرتغال على البقاء فيها وحاربت حركة التحرر وربما يعود ذلك إلى أسباب منها:

١ - سبب نفسي وهو ان هذه المنطقة هي اول مستعمرة وصل اليها البرتغاليون في افريقيا السوداء .

٢ - سبب استراتيجي وهو اعتبار غينيا - بيساو بمثابة مدخل طبيعي لقلب القارة الافريقية حيث تتوافر أهم مناجح المواد الخام الموجودة في العالم (١٤) .

الحركة الوطنية :

تعامل سكان غينيا مع الوافدين الاوربيين في البداية بنيات حسنة باعتبارهم تجارا او ميشرين، ولكن سرعان ما انكشفت نوايا الاوربيين الشريرة، حيث مارسوا تجارة الرقيق، ثم استغلوا الثروة الزراعية وسيطروا على ميناء (بيساو) ثم بعد مؤتمر برلين المار ذكره شددوا من قبضتهم عليها بالسيطرة العسكرية.

قاوم الشعب الغيني هذا الاحتلال منذ سنواته الاولى - ولكن هذه المقاومة في بدايتها كانت ذات طابع عشائري ، كل عشيرة بمفردها أدون اي تنسيق بينها.

ومن الجدير بالذكر ان شعب غينيا — بيساو يقسم إلى عدد من القبائل لكل منها لغتها وتراثها الحضارى، وهذه القبائل هي :

١ — بالانتو	Balamto	٢٥٠٠٠
٢ — ماندجاك	Mondjak	١٤٠٠٠٠
٣ — فولا	Fula	١٠٠٠٠٠
٤ — ماندنكا	Mandinka	٨٠٠٠٠
٥ — بيبال	Pepal	٥٠٠٠٠
٦ — برامي	Brame	٣٥٠٠٠
٧ — فيلوب	Felup	١٥٠٠٠
٨ — بيساخوس	BiSSagaS	١٥٠٠٠
٩ — مجموعات اخرى صغيرة		١١٥٠٠٠٠

تدين المجموعات ٣، ٤ بالديانة الاسلامية في حين يدين الباقون وهم ٧٠٪ من السكان بديانات وثنية افريقية مختلفة (١٥)

وفي تحليل للتركيب الاجتماعي للسكان في غينيا عرضة الزعيم الغيني اميليكار كابرال امام ندوة في (مركز فرانتز خانون) في ميلانو — ايطاليا في ١٩٦٤/٣/١ نجد مايأتي :

في الارياف يمكن التمييز بين فئتين : الفئة التي تعتبر شبه اقطاعية — والفئة التي لاتملك شيئا وهي خاضعة لنظام القبيلة من جهة ثانية، ويوجد عدد من الفئات الوسيطة بين هاتين الفئتين الاثنتين (اللتين تمثلان قطب الوضع الاجتماعي).

كما نجد عدة مراتب وسيطة بين هذين الطرفين — ففي الريف نجد ملاك المزارع الافارقة الصغار ، وهم فئة قليلة العدد لكنها مهمة الى حد ما ، خاصة وانها بالغة النشاط في نضال التحرر الوطني .

اما في المدن فهناك تمييز بين الاوربيين والافريقيين ، هناك اولا الموظفون الكبار ومديروا الشركات وهم فئة لاتربطها صلة فعلية بالفئات الاوربية الاخرى ، يليها الموظفون المتوسطون والتجار الاوربيون الصغار ومستخدموا التجارة واصحاب المهن الحرة ، واخيرا يأتي العمال ومعظمهم من العمال المهرة .

امـا الافريقيون في المدن ، فيشكل الموظفون الكبار والمتوسطون واصحاب المهن الحرة فئة قائمة بذاتها ، تليها فئة الموظفين الصغار والمستخدمين في التجارة بالتعاقد ، وتضم هذه الفئة ايضا ملاك المزارع الصغيرة . وينتمي هؤلاء جميعا الى البرجوازية الصغيرة الافريقية .

ويلي ذلك فئة الاجراء (وهم المستخدمون دون عقود عمل) وتضم هذه الفئة عدة مراتب : عمال المرفأ ، والعاملون في القوارب التي تنقـل المواد الغذائية ، والمنتجات الزراعية ، خدم البيوت ، والعاملون في مشاغل الصيانة والمصانع الصغيرة .

اما تحديد موقع كل فئة - كيف والى اي مدى تعتمد كل فئة من هذه الفئات على النظام الكولونيالي ، وموقعها من نضال التحرر الوطني ، فيذكر اميلكاركابرال وهو المطلع على شؤون بلاده : ان الفئة الاولى وهم شبه الاقطاعيون وبطانتهم مرتبطة بالاستعمار وقد تحالف البرتغاليون معهم للسيطرة على غينيا في مطلع الاحتلال .

ان الفئة ذات المصلحة الاكبر في النضال هي فئة الفلاحين ولكنهم متأثرين بالتقاليد الافريقية الغينية ، لذلك يميلون نحو تبعية شيوخهم . لذلك فان قادة الحركة الوطنية الغينية ادراكاً منهم لهذه الحقيقة فقد قاموا بعمل شامل ومركز من اجل حشدهم وتعبئتهم .

لايعتبر اميكاركابرال الفلاحين في غينيا قوة ثورية ، مع ان الحركة الوطنية قد جعلت نضالها التحرري المسلح مرتكزا على الفلاحين ، لانهم

قوة كبيرة في غينيا ، فهم يمثلون تقريباً مجمل السكان ، ويسيطرون على ثروة البلاد ، فهم الفئة المنتجة ، لكن قادة الحركة الوطنية وجدوا صعوبة في اقناع الفلاحين بشتى النضال ، مع انهم الاشد معاناة من الاستغلال ، ولكن فيما يتعلق بالنضال ، فمع ان الفلاحين هم الأشد معاناة من الاستغلال اذ يخضعون إلى نمط من الاستغلال يعادل العبودية لكنهم لا يدركون هذا الاستغلال. وحين يفسر لهم الاستغلال والنهب اللذين يتعرضون لهما يصعب إقناعهم بينما من السهل إقناع العمال والأهالي المستخدمين في المدن الذين يكسبون ١٠ اسكيدوس مثلا في اليوم لقاء عمل يكسب من الأوربي بين ٣٠ إلى ٥٠ اسكيدوس بانهم يخضعون لاستغلال وظلم عظيمين لأن هؤلاء يمكنهم معاينة الاستغلال (١٦).

وقد ادركت الحركة الوطنية الغينية ان النضال الذي تأمل ان تقوده يجب ان يكون بقيادة الطبقة العاملة — ولكن لم تكن الطبقة العاملة قد تكونت حينئذ في غينيا — ومع ان هناك مجموعة من العمال إلاّ انها قليلة ولم تتكون بعد طبقة واضحة. ولهذا فإن النضال في غينيا كان بمبادرة بعكمن المثقفين الثوريين الذين يمثلون فئة من البرجوازية الصغيرة (١٧)

وحين نعود إلى خلفية الصراع الوطني الغيني نجد أن المقاومة الأولى التي واجهها البرتغاليون كانت مقاومة العشائر فقد أرسل البرتغاليون حملة في سنة ١٨٧٨م ضد فيليبين فيلوب وما نرجاك اللتين قاومتا هذه السيطرة الجديدة. ولكن الحملة نجحت في ايجاد موضع قدم راسخ للبرتغاليين في الاقليم — وفي الفترة من ١٨٨٠م — ١٨٨٢م كانت هناك حملات ضد الفولا وضد قبائل أخرى صغيرة — وفي الفترة ١٨٨٣ — ١٨٨٥ سيطر البرتغاليون على قبيلة فو ول مرة — وتبع ذلك اصطدامات وحروب مع القبائل استمرت حتى عام ١٩١٥م.

هذه المقاومة المتواصلة للسيطرة الأجنبية وضعت البرتغاليين في موقف حرج — وفي جو غير آمن من هجمات القبائل — اضطروا معه إلى العيش

في مدينة بيساو في حالة اشبه بالسجن اذ أحيطت المدينة من جهاتها البرية بالأسوار العالية على شكل مثلث يستند على البحر ويعشيش سكانها داخل تلك الاسوار (١٨) .

اما الحركة الوطنية بشكلها المنظم وفق خطة سياسية معينة ذات أهداف واضحة فقد برزت بعد الحرب العالمية الثانية — وبعد أن نما الوعي الثقافي والسياسي للافارقة وبعد أن ظهر جيل من المثقفين ذوي الاحساس الوطني — ومن بين هؤلاء أمياكار كابرال الذي كان في عام ١٩٤٨ يدرس في لشبونة مع اثنين من الشبان الأفارقة وهم بنيودي إندوادي وانطونيو أجوستونيو تيتو وكان كابرال يدرس الهندسة الايدروليكينية — وكان هؤلاء الثلاثة يكونون مركز للدراسات الأفريقية ويهتمون باللغات الأفريقية — وقد انفصل بعضهم عن بعض بعد الانتهاء من دراستهم وعاد كل منهم إلى بلده — وعمل كابرال مهندساً زراعياً — بالادارة البرتغالية في غينيا — بيساو (١٩).

ومن الجدير بالذكر ان البرتغال عدت مستعمراتها الافريقية منذ عام ١٩٥١، عبارة عن اقاليم لما وراء البحار، وانها جزء من البرتغال، وطبقا لهذا فان مواطني المستعمرات هذه يعتبرون مواطنين برتغاليين لهم حقوق مشابهة لحقوق البرتغاليين وكانت الحكومة البرتغالية منذ بداية حكمها تقدم الاغراءات المختلفة والامتيازات لاي افريقي غيني ان يتخلى عن عاداته وتقاليده الافريقية، وعن التزاماته الوطنية والاجتماعية، ويندمج بالمجتمع البرتغالي ويسمى هؤلاء بالمستوعبين « assimilated » ولكن لم يقبل بمثل هذه الصفة ويتحمل تبعاتها الاعدد قليل من الافارقة لايتجاوز ال٢١٩٠عام ١٩٤٠ مواصبح لايزيد عن ١٤٧٨ عام ١٩٥٠(٢٠).

لقد تسنى للزعيم اميلكار كابرال أن يجوب القرى الغينية وان يتعرف على حياة الشعب. وذلك بعد ان كلف باعداد الاحصاءات الزراعية عن الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤م من قبل الحكومة الغينية كمهندس زراعي، وخلال ذلك اخذ يبث الوعي السياسي بين الفلاحين مما دفع بالحاكم البرتغالي إلى ان يوجه له انذاراً سياسياً بسبب احاديثه مع الفلاحين، التي عدها الحاكم

موجهة ضد الحكم البرتغالي ،وعلى اثر هذا الانذار غادر البلاد إلى لسبونة . ، ثم تولى وظيفة في انكولا ، وهنالك التقى بزعماء الحركة الوطنية ، وفي مقدمتهم زميلاه القديمان المذكوران آنفا ، حيث اشترك معهما في تشكيل «الحركة الشعبية لتحرير انكولا» ثم زار غينيا – بيساو لعدة اشهر وبدأ يعد لانشاء «الحزب الافريقي لاستقلال غينيا وجزر الرأس الاخضر» (٢) وقد تأسس هذا الحزب عام ١٩٥٦م ، ويتضمن برنامجه مايأتي:

١ – تحقيق الاستقلال الوطني الناجز غير المشروط لشعب غينيا وجزر الرأس الاخضر ، بكافة الوسائل الضرورية لذلك.

٢ – الغاء كافة العلاقات ذات الطبيعة الكولونيالية والامبريالية والغاء كافة الامتيازات البرتغالية والاجنبية.

٣ – وحدة شعبي غينيا وجزر الرأس الاخضر.

٤ – بعد نيل الاستقلال الوطني وعلى اساس الارادة الشعبية يناضل الحزب من اجل وحدة الشعوب الافريقية ككل او عبر توحيد مناطق من القارة الافريقية.

٥ – اقامة حكومة جمهورية ، ديمقراطية ، علمانية ، معادية للكولونيالية والامبريالية.

٦ – كل الافراد ومجموعات الأفراد الذين يؤيدون الامبريالية والكولونيالية او يعملون على تهديم وحدة ارادة الشعب بالعمل او المسلك سوف يجردون بكافة الوسائل الممكنة من الحريات الاساسية.

٧ – اربعة اشكال من الملكية : ملكية الدولة ، الملكية التعاونية ، الملكية الخاصة ، الملكية الشخصية .

سوف تعتبر ملكية وطنية في غينيا وجزر الرأس الاخضر كل من الموارد الطبيعية ووسائل الانتاج الرئيسية ووسائل النقل والاسكان والتعليم والرقاية الصحية ، ووسائل النشر والاعلام .

٨ ـ الالغاء التدريجي لاستغلال الانسان للانسان وكافة اشكال اخضاع الفرد للمصالح المهنية، لربح الافراد، الجماعات أو الطبقات، القضاء على الفقر والجهل والخوف.

٩ ـ حماية حقوق العمال وضمان العمل للقادرين عليه، الغاء العمل القسري في غينيا، او التصدير القسرى او التعاقدى للعمال.

١٠ ـ حرية النقابات وضمان ممارستها الفعالة.

١١ ـ سوف تعتبر مراكز التعليم والمعاهد التقنية ملكية وطنية وتديرها او تشرف عليها الدولة.

١٢ ـ المحو السريع للامية، التعليم الاجباري والمجاني الابتدائي.

١٣ ـ الحرية الدينية، الحرية في اعتناق او عدم اعتناق دين معين، حماية الكنائس والجوامع، والامكنة المقدسة، الاستقلال الوطني لرجال الدين (وقف أعتمادهم على الارساليات الاجنبية).

١٤ ـ دفاع وطني فعال مرتبط بالشعب ويشكل الذين قاتلوا من اجل الاستقلال نواة جيش الدفاع الوطني.

١٥ ـ التعاون السلمي مع كافة شعوب العالم، على اساس الاحترام المتبادل، والسيادة الوطنية، والوحدة الناجزة للتراب الوطني، تطوير الروابط الاقتصادية والثقافية مع كافة الشعوب التي تسلم حكوماتها بهذه المبادىء.

١٦ ـ عدم الالتحاق بالكتل العسكرية. (٢٢)

وقد خاض شعب غينيا نضالاً وطنياً قبل بدء الكفاح المسلح، ففي عام ١٩٥٦م قام عمال النقل النهري باضراب كبير، وفي عام ١٩٥٩م أضرب عمال الرصيف في ميناء بيساو مطالبين بزيادة الاجور، ولكن الهدف الاساسي للاضراب كان سياسياً وطنياً. وهو مقاومة الاحتلال الاجنبي. ولكن الشرطة ردت على الاضراب باطلاق النار وقتلت خمسين منهم (٢٣).

اما الحزب الافريقي لاستقلال غينيا وجزر الرأس الأخضر

The I ndependence of Potuges Gujnea and Cape Vaele Islauei Cpaigc

فبعد ان وطد مركزه وزادت شعبيته ، بدأ بالعمل السياسي المنظم، واستهل عمله بالوسائل السلمية ، فقدم مذكرة إلى الحكومة البرتغالية في ١٩٦٠/٩/٢٥م طالبها بما يأتي :

١ ـ الاعتراف بحق شعب غينيا وجزر الرأس الأخضر بالاستقلال والسيادة.

٢ ـ سحب القوات العسكرية والشرطة من البلاد .

٣ ـ الافراج عن المسجونين السياسيين .

٤ ـ منح الافريقيين حقوقاً متساوية ، بما في ذلك الحريات الديمقراطية(٢٤).

ولكن الحكومة البرتغالية ردت على ذلك بحملات قمعية عنيفة.

وفي ١٩٦١/١٠/١٣م قدم الحزب مذكورة اخرى على شكل رسالة مفتوحة إلى الحكومة البرتغالية موقعة من قبل اميلكار كابرال مؤكداً على رغبة شعب غينيا بالاستقلال والعيش بسلام والتعاون مع كل الشعوب بما في ذلك شعب البرتغال ، وأشارت المذكورة إلى اعادة تأكيدها على ضرورة انسحاب البرتغال من غينيا وان تحذو البرتغال حذو الدول التي انسحبت من المستعمرات الافريقية . واختتمت المذكرة بما يأتي :

١ ـ التطبيق الفوري لما ورد في المذكورة السابقة .

٢ ـ الموافقة الفورية على ماجاء بالقرارات العالمية وخاصة هيئة الامم فيما يخص الاستقلال الذاتي للشعوب .

٣ ـ التعاون بين شعب البرتغال وشعب غينيا وجزر الرأس الأخضر .

ولما لم تجب الحكومة البرتغالية على هذه المذكورة ، ارسل الحزب مذكرة تحريرية جاء فيها : « ان الاصرار على رفض مناقشة المذكرات وتجاهل مصالح شعبنا وشعب البرتغال لايمكن ان يوقف حزبنا عن اكمال

رسالته التاريخية ، وان تحقيق هدفنا الوطني يدعونا إلى تطوير اسلوب صراعنا من اجل التحرر الوطني» واعلن الحزب صراحة بانه سيسلك سبيل العنف بالرد على العنف البرتغالي وانهاء السيطرة البرتغالية عن غينيا البرتغالية وجزر الرأس الأخضر (٢٥) .

وبعد ان وجد الحزب ان المذكرات لم تجد نفعا، بدأ التحضير للكفاح المسلح ، وشكل سراً جيش التحرير الشعبي، بعد ان عقد قادة الحزب اجتماعا في ضواحي بيساو وفي هذا الاجتماع اختير روفائيل باربوسا (من جزر الرأس الاخضر) رئيساً للحزب وتولى كابرال منصب السكرتير العام، وعندما القي القبض على باربوسا في عام ١٩٦٢م شغل كابرال إلى جانب السكرتارية العامة منصب رئيس الحزب بالنيابة (٢٦) .

وفي عام ١٩٦٣م اعلن الحزب بدء الكفاح المسلح .

لقد تميز جيش التحرير الشعبي لغينيا باربعة مظاهر من خلال حربة الطويلة وهي:

الاول: وجود المقاتلين الطلائع في الحركة الوطنية الذين انتظموا تحت زعامة كابرال. وقد كان هؤلاء بشكل رئيسي من المدنيين (من البرجوازية الصغيرة)، ومنذ بداية عملهم اخذوا يبحثون عن قاعدة فتكونت لهم قاعدة غالبيتها من الفلاحين.

الثاني: الاندفاع الثوري الشديد وهو كرد فعل للكبت البرتغالي ، نتج عنه انتماء الفلاحين باعداد كبيرة إلى الجيش الشعبي، بعد ان ادرك الفلاحون ضرورة الثورة التي عدوها ثورتهم .

الثالث: الزيادة الكبيرة والسريعة في اعداد الجيش الذي تحول إلى جيش نظامي بعد عام ١٩٦٤م مع بقاء قوات شعبية محاربة في القرى .

الرابع: الهجمات السريعة والمكثفة على المعسكرات البرتغالية وعلى المدن الرئيسية التي يسكنها البرتغاليون (٢٧) .

حاول الحزب ان يضمن تعاون المستوطنين البيض الذين يسكنون القطر مع كفاحه او بقاءهم على الحياد ، ولذلك اعلن منذ بداية كفاحه بانه لايهاجم الا قوى الاستعمار وانه يدافع عن سكان غنيا بصرف النظر عن الاصل، وعندما اخذ البرتغاليون باجلاء بعض المدنيين كرر الحزب اعلانه عن عدم مهاجمة المستوطنين بقوله: «ان عملنا المباشر يهدف فقط القوى القمعية وهي الجيش والبوليس ... ووكلاء الاستعمار المسلحين على الدوام باسلحة افضل منا والذين ارتكبوا جرائم بشعة ضد شعبنا الاعزل .....»

واستطرد بيان الحزب يقول : «ان محاربتنا لا ولن يهاجموا المدنيين الاوربين او غيرهم الا اولئك الذين يعارضون كفاحنا » (٢٨) .

مع بداية كفاح الشعب الغيني المسلح ابتدأت عملية قمع شديدة قام بها البرتغاليون ، ولم يقتصر القمع على المحاربين فقط بل تعدى ذلك إلى كل من يتعاون معهم او يوجههم سياسيا ، او يبث الوعي الوطني بينهم، وقد تعرض كثير منهم من جراء ذلك إلى السجن او النفي كما دمرت كثير من القرى التي تعاونت مع الحركة الوطنية.

لقد ضربت الحكومة البرتغالية جدارا من الصمت حول مايجري في غينيا ومنعت تسرب اخبار الثورة إلى العالم.

تمت احدى العمليات العسكرية التي قام بها ثوار غينيا في١٩٦٣/١/٧م حيث قام عشرة من المحاربين بمهاجمة احد المعسكرات البرتغالية، واستطاعوا قتل سبعة من افراد الجيش البرتغالي، واعطبوا ثلاث آليات كما غنموا ثماني قطع من الاسلحة وكمية من العتاد، في حين فقد المحاربون واحدا.

وفي ١٩٦٣/١/٢٥م جرى اصطدام اخر في احدى المناطق في الجنوب الشرقي، وعلى اثرها فقد البرتغالييون ٢٠ قتيلا وعددا غير معروف من الجرحى.

وفي ١٩٦٣/٢/٩م هاجم الثوار باخرة برتغالية وقد ادى ذلك إلى جرح عدد من البرتغاليين.

وفي ١٩٦٣/٣/١٠ اعلن الثوار عن مقتل ثمانية جنود برتغاليين في الجنوب الغربي من غينيا (٢٩).

بعد هذه المعارك التي خاضها مقاتلو غينيا، اخذت الحكومة البرتغالية تعزز قواتها في غينيا، فقد ادلى وزير الدفاع البرتغالي في ١٩٦٣/٧/١٧م بتصريح قال فيه: «انه قد شحنت قوات جديدة إلى المستعمرة وعدد افرادها ٢٠٠٠ مجند».

وعلى الرغم من ذلك ومع قلة عدد افراد الثورة الغينية، الا انها واصلت نضالها.

من اكبر المعارك التي خاضها جيش التحرير الغيني، هي معركة جزيرة كومو (Como) في مطلع عام ١٩٦٤م، وقد حصلت حين قرر البرتغاليون القضاء على افراد الجيش الغيني في هذه الجزيرة بالقتل او الاسر، بعد ان سيطر عليها جيش التحرير لمدة عام وركز قوات كبيرة فيها. فقام الجيش البرتغالي بمهاجمتها وتصدى لهم جيش التحرير ودامت المعارك بين الطرفين لمدة شهرين ونصف، لم يستطع المستعمرون احراز النصر على الرغم من انهم حطموا كافة القرى داخلها واتلفوا المحاصيل وقطعان الماشية. ولكن البرتغاليين تكبدوا خسائر فادحة، واستولى الوطنيون على كميات كبيرة من الاسلحة والذخيرة والمعدات الحربية، وفي النهاية انسحب البرتغاليون من الجزيرة (٣٠).

وفي ١٩٦٤/٣/١٩م قامت اثنتان من المجموعات العسكرية التابعة للحزب بمهاجمة الثكنات العسكرية في كابيدو Cadebu وسقط من جراء ذلك حوالي ستين من افراد القوات البرتغالية بين قتيل وجريح.

وعلى اثر هذه الهجمات قامت السلطة البرتغالية بحملة قمع شديدة ضد السكان الذين اعتبرتهم قد تعاونوا مع المحاربين ومما قامت به السلطة في هذا الصدد هو مهاجمة اربعة من زوارقها لسكان عند مصب نهر كاسيني (Cacin) وقتلوا اربعة من المدنيين، ولكن ثوار غينيا تصدوا

للمهاجمين واصابوا حوالي اربعين منهم واغرقوا أحد الزوارق (٣١).

كان المحاربون ينطلقون من مختلف القواعد بقيادة ارفان ماني Arfsan mame وكثيراً ماكانوا يظهرون فجأة امام احد المنشآت البرتغالية. فيحطمون الابنية او المخابىء تحت الارض.

ازاء هذا النشاط المتزايد للحركة الوطنية، واصلت الحكومة البرتغالية زيادة قواتها العسكرية العاملة داخل غينيا - بيساو، ففي حين كان عدد افراد الجيش البرتغالي في غينيا عام ١٩٦١م حوالي ١٠٠٠ رجل أصبح في عام ١٩٦٧م لايقل عن ٣٠٠٠٠ خمسة اسداسهم من البرتغاليين.

في عام ١٩٦٤م جاء إلى غينيا حاكم جديد هو الجنرال شولتز Shult الذي جمع في يده السلطات العسكرية والمدنية، وقد نقل من انكولا حيث كانت الحرب مشتعلة بين الوطنيين الانكوليين والاستعمار البرتغالي ايضاً.

ان الهجمات السريعة والخاطفة الكثيرة التي قام بها مسلحو غينيا ضد القوات البرتغالية اوقعت الخوف والرعب لدى هذه القوات، كما ولدت الضجر في نفوسهم وقد تولدت لدى عدد من افراد هذه القوات مشاعر مناهضة للحرب التي كانت تشنها البرتغال ضد شعب غينيا الذي يكافح للحصول على استقلاله وحريته، ومنهم من كان يشعر بعدم اهمية غينيا الاقتصادية مقارنة مع الخسائر التي كانت تلحق بالسلطة البرتغالية في غينيا، لذلك ظهرت بوادر تمرد عسكرية في القوات البرتغالية العاملة في غينيا. من ذلك محاولة تمرد عسكرية حدثت في نيسان ١٩٦٥م في صفوف القوات الجوية في غينيا. ولكن المحاولة اجهضت وسجن اكثر من مائة جندي بضمنهم ضابط حكم عليه بالسجن ٢٨ سنة.

وفي البرتغال نفسها حدثت حالات كثيرة من الرفض للخدمة في الحرب الاستعمارية، حيث دعي اكثر من ٧٠٠ شاب للخدمة في القوات العسكرية وأمروا بالتوجه إلى غينيا غير ان معظمهم قد امتنعوا عن تنفيذ

الاوامر — اما بالاختفاء داخل القطر او هرباً إلى الخارج وبصورة خاصة إلى فرنسا .

كان المقاتلون الغينيون يتلقون توعية ثقافية وسياسية خلال المعارك، كما يتلقون بين آن وآخر توجيهات من الحزب ، من ذلك التوجيهات التي قدمها الحزب الى المقاتلين عام ١٩٦٥م والتي جاء فيها : «... تذكروا دائماً ان الشعب لايقاتل من اجل افكار ، من اجل مايجول في الاذهان ، الشعب يقاتل من اجل نيل مكاسب مادية من اجل حياة افضل ، من اجل ان يرى حياته تتقدم الى امام ، ومن اجل ضمان مستقبل اطفاله ...» واستطردت التوجيهات إلى القول : «... اذا نزل عشرة رجال إلى حقل الارز وقاموا بعمل يومي يستطيع ان يقوم به ثمانية رجالٌ فلا حاجة للشعور بالارتياح، الامر نفسه ينطبق على القتال ، عشرة رجال يقاتلون قدر ثمانية رجال... هذا لايكفي ... يمكننا دائماً بذل المزيد من الجهد .. ونحن مطالبون بطرد البرتغاليين» (٣٢) .

وفي عام ١٩٦٦م يلاحظ في العمليات التي قام بها جيش التحرير الغيني عدد من النماذج هي :

١ — الهجوم على الثكنات والمعسكرات ، هذه الهجمات كانت تنفذ بواسطة الاليات ، ومدافع (٧٥ملم) والبازوكا .

٢ — عمليات مسلحة لزيادة عزل مواضع العدو باستعمال الاسلحة الثقيلة الاستراتيجية .

٣ — القيام بتهيئة الكمائن ومهاجمة وحدات معادية لتحرك في مناطق القتال .

٤ — غارات على ثكنات في مناطق لم تتحرر بعد لزعزعة أمن الاعداء والافارقة المتعاونين معهم .

٥ — الدفاع الفعال وتعزيز روح اليقظة في المناطق المحررة للحيلولة دون عودة السيطرة البرتغالية اليها (٣٣) .

قام مقاتلو غينيا في العام (١٩٦٦م) باكثر من مائة هجوم على المراكز الحربية ،وقد نجحوا لغاية كانون الاول ١٩٦٦م في تدمير حوالي خمسة عشر معسكراً اغلبها مهم ، كما دمروا عشرين اخرى في مختلف المناطق ، وقد عزز البرتغاليون قواتهم المسلحة بالطائرات ، ومن ضمنها طائرات الهيلوكوبتر عاكسين بذلك حجم المعركة التي يخوضها معهم شعب غينيا القليل العدد والكبير في شجاعته ومعنويته .

اما في عام ١٩٦٧م فقد ذكر تقرير الحزب انه قد حصل ١٤٢ هجوم رئيسي على المعسكرات منها (٢٢) قام بها الكومندوز ضد القواعد الجوية، ومنشآت الميناء ، والمباني البرتغالية في المدن ، ونصب الثوار ٤٧ كميناً . بالاضافة إلى المعارك الرئيسية ، وقد حطمت الفعاليات ١١ عربة سكرية ومدنية واستولى الثوار على كميات من الاسلحة والعتاد صالحة للاستعمال ، تضم ٨٦ رشاشة و ٣٩٧ بندقية و ٣٦ مدفع (٦٠ملم ،و١٦ (جهاز ارسال)في حالة جيدة) وفقد العدد (١٩٠٥) قتلى وعدداً غير معروف من الجرحى، اما خسائر الحركة الوطنية فهي ٨٦ قتيلا عسكرياً و ١٧٢ مدنياً مع ٥٨٣ جريحاً (٣٤) .

في عام ١٩٦٨ واصل الثوار فعالياتهم . ، من ذلك الهجوم الذي به مجموعة من الكوماندوز على القاعدة الجوية التي تبعد عن الميناء بيساو عشرة كيلو مترات، واستخدم الثوار البازوكا ، وتمكنوا من تدمير برج السيطرة وثلاث حظائر طائرات ونتج عن ذلك تدمير طائرتين واصابة طائرات اخرى باضرار متفاوتة وانسحب المقاتلون بسلام (٣٥) .

التنظيم السياسي داخل الجيش الغيني وبين صفوف الشعب :

لم يقتصر كفاح حركة التحرر في غينيا على النشاط العسكري في مواجهة الاحتلال البرتغالي والعمل على ازالته. بل ان الكفاح تناول العمل السياسي سواء تنظيم علاقات الحركة الوطنية بالعالم الخارجي او التنظيم السياسي الداخلي وتوعية المقاتلين سياسياً.

فبعد مضي فترة من الحرب وبعد ان ازداد عدد المقاتلين بدأ قادة الحركة الوطنية بتشكيل الخلايا السياسية والاجتماعية، وقد عينوا موجهاً سياسياً مع كل مجموعة محاربة تقوم بالتوعية السياسية، يشمل ذلك المفاهيم السياسية العامة، وتوضيح اهداف الثورة. وكان لكل منطقة قائدها السياسي، ويتبع هذا القائد عدد من الموجهين بشكل هرمي يبدأ من اعلى وينتهي إلى المستوى القاعدي متماشياً مع التقسيمات العسكرية التي تتدرج بالصغر حتى ينتهي هذا التشكيل عند الجماعات الصغيرة التي تقاتل في الادغال. وهناك لجنة من خمسة رجال في كل قرية في المنطقة المحررة والموجه السياسي هو السياسي والمنظم والموجه والمدرب وقاضي الفصل في الخلاف وهو المستشار، وفي الميدان يكون الموجه السياسي هو القائد العسكري ايضا. ويكون الموجه السياسي عادة من الرعيل الاول في الثورة، بحيث يكون على فهم وعلم تام بالامور وهو قادر على تعبئة المواطنين اذ يعرف تماما وضعهم النفسي وعاداتهم ولقد لعب الموجه السياسي دوراً اساسياً منذ البداية، اذ ان الموجهين السياسيين هم الذين جعلوا المواطنين يقاتلون البرتغاليين في القرى التي رقع عليها الحصار والتي لم تتحرر، فقاتل المواطنون فيها باسلحتهم البدائية مستعملين النبال والقسي، واقاموا متاريس لاعاقة تقدم جنود العدو. والموجه السياسي على اتصال دائم بالمكتب السياسي (وهو اعلى تشكيل في الحزب) اذ يكون العمود الفقري في الحركة الثورية، وهو ينام على الارض مع الفلاحين، ويتناول نفس الارز الذي يأكله هؤلاء الفلاحون. وهو يعمل مع الجنود في الميدان بل ويقاتل معهم (٣٦)

كانت تصدر الى الموجهين السياسيين تعليمات وتوجيهات الحزب تؤكد على التثقيف السياسي من ذلك التوجيه السياسي الذي صدر من الحزب عام ١٩٦٥ وجاء فيه: « .... يجب تنمية العمل السياسي في صفوف القوات المسلحة، أكانت نظامية ام غير نظامية، أعقدوا الندوات الدورية ... كافحوا النزعات العسكرية وحولوا كل مقاتل الى مناضل حزبي نموذجي ...» كما دعا الحزب الموجهين السياسيين الى بث الدعاية في صفوف جيش

العدو واقامة صلات معهم ، وحثهم ومساعدتهم على الفرار ، والقيام بنشاط سياسي بين الافارقة الذين كانوا يعملون في خدمة العدو (٣٧).

بالاضافة اسر الموجه السياسي فان المناطق والقرى تنتخب لجانا من المدنيين مهمتها الاشراف والتوجيه لتعبئة السكان والوقوف بحزم ضد اي تهاون يحصل وتفويت الفرص على بعض الذين يمكن ان يستخدمهم الاستعمار البرتغالي لاغراضه .

وضعت حركة التحرر في غينيا نصب عينها العمل على تهيئة الشعب الغيني لبنا الدولة المنتظرة المبينية على اسس متينة وعلى شعب متعلم مدرب على الادارة وذي وعي سياسي ووطني ، ولذلك رفعت الحركة الوطنية شعار :

«ابن الثورة وأنـت تقـاتـل»

« luild the nevelut on as you fight »

لذلك قام رجال الثورة بجهود مكثفة من اجل تطوير المجتمع الغيني بين في اثناء الحرب فانغمس المقاتلون مع جماهير الشعب وقاموا بحملة توعية من اجل القضاء على الامية وكذلك التوعية الصحية وبث روح التعاون الجماهيروي محاولة القضاء على التعصب القبلي وبث روح التعاون بين الجماهير ، وعملوا من اجل تطوير الاقتصاد خاصة مايتعلق بغذاء الشعب فشجعوا الفلاح على تكثيف زراعة الرز والفول السوداني ومحاصيل غذائية اخرى ، وقد أكد كابرال وقادة الثورة على ان الفلاح وهو يحمل المحراث يساهم بالمعركة كمن يحمل السلاح .

لقد وضعت الثورة نصب عينها التخطيط لتطوير البلاد في اثناء الحرب لا من اجل ان تربح المعركة مع العدو فقط بل من اجل بناء غينيا جديدة ، واعداد الكوادر لمرحلة مابعد الاستقلال ، ولذلك شكلت لجان داخل الحزب تختص بشؤون الاقتصاد والادارة والعدل والصحة والتعليم ... الخ واهم هذه اللجان في فترة الحرب هي لجنة الاقتصاد والتخطيط

وكان يرأسها السيد فاسكو كابرال وهو احد العناصر الوطنية والحاصل على درجة علمية في الاقتصاد من جامعة برتغالية ، وكانت مهمة اللجنة اعادة تنظيم وضع البلاد والبحث العلمي والتخطيط على ضوء برنامج الحزب في المجال الاقتصادي وخصوصا مجال الانماء والانتاج الاستهلاكي وكان التخطيط في المرحلة الاولى على مستوى القرية فقط . فهو تخطيط اقليمي يتناسب تماما مع ما اعتاد عليه القرويون في اسلوب التعامل ، ثم منعت العملة البرتغالية في القرية واستعيض عنها باتباع اسلوب المقايضة . واقيمت وحدات تجارية في القرى لتنظيم هذه المقايضة والاشراف عليها وتصدير الفائض من المواد ، كما يقوم اعضاء الحزب بتوعية الفلاح على زيادة انتاجه وانتاج انواع جديدة من المحصولات وتحسين الانتاج الحيواني على أسس جديدة وعلمية ، ويقول رئيس لجنة التخطيط فاسكو : « نحن لانعلم المواطنين قيمة العمل فقط ، ولكننا نعلمهم ايضا علمية العمل وكيفية الاستفادة علمياً من الامكانات المتاحة ... » . ونتيجة لذلك سجل ارتفاع كبير في انتاج الرز والخضروات الموسمية وكذلك الفواكه كالبرتقال والموز . بالاضافة الى انتاج الاراضي التي يملكها الافراد فان للحزب ايضا ارض انتاجية يشرف عليها ، وهذه المزارع الانتاجية تستخدم معاهد للتدريب وهي ايضا تعطى انتاجا لاطعام الرجال المقاتلين ، كذلك يركز التخطيط الانتاجي في برنامج الحزب على تصدير الصناعات التقليدية ويشجعها مثل صناعة الجلود والصناعات اليدوية .

وفي المناطق المحررة يحاول الحزب ممارسة الديمقراطية وتعويد الشعب عليها . فقد تكونت لجان حزبية خماسية في كل القرى ، وهذه اللجان جميعا تكونت بالانتخاب . ولابد ان يكون بين الاعضاء الخمسة عضوتان وهي تعمل على رفع مستوى القرية والمنطقة حتى يصل الى مستوى اللجنة المركزية ويحاول الحزب دفع الفلاحين الى هذه اللجان كلما كان ذلك ممكنا ، ويعتبر الحزب هذه اللجان تجربة وتدريبا للكوادر (٨) وفي توجيه للحزب

الى كوادره في المناطق المحررة قال : « ... في المناطق المحررة ... ابذلوا ما في وسعكم لترسيخ حياة الشعب السياسية ... وأنشئوا المدارس وعمموا التعليم في كافة المناطق المحررة ... كافحوا ولكن دون اللجوء للعنف. كافة العادات السيئة وكافة المعتقدات والتقاليد السلبية في صفوف الشعب. افرضوا على كل عضو مسؤول ومتعلم في الحزب على بذل عمل يومي من اجل تحسين تربيته الثقافية ..» (٣٩) .

استطاعت الثورة حتى عام ١٩٧٠م أن تحرر ثلثي البلاد وواصلت حربها البطولية ضد الاحتلال لحرير ماتبقى من البلاد، فازدادت العمليات العسكرية التي كانوا يقومون بها ضد قوات الاحتلال، في حين استخدمت الحكومة البرتغالية مختلف وسائل القمع للقضاء على الحركة الوطنية، من ذلك الغارات الجوية المكثفة على معسكرات الثورة التي كانت تحتمي بالاشجار وكذلك على القرى المؤيدة للثوار، كما زرعوا الالغام في الأماكن والطرق التي يحتمل ان يمر بها الثوار، كما استخدموا قنابل النابالم في ضرب القرى. ومارسوا اسلوب الدعاية، فكانت الطائرات التي تلقي القنابل على المواطنين الامنين في القرى، تلقي ايضا المناشير التي تحرض السكان على الابتعاد عن الثوار وعدم مساعدتهم ، وكانت تبين للسكان ان غينيا ليست مستعمرة بل هي اقليم برتغالي لما وراء البحار ، وانها مستقلة كاستقلال البلد الام نفسه (٤٠).

لم تؤثر اساليب الشدة ولا الدعاية البرتغالية في مسيرة الحركة فللثورة كوادرها المدربة والمهيأة لمقاومة كل وسائل الاستعمار البرتغالي . فهناك خبراء بمعرفة الالغام وابطال مفعولها، وكان هؤلاء الخبراء يسيرون امام المقاتلين في اثناء تنقلاتهم في الاماكن التي يزرع فيها البرتغاليون تلك الالغام، بل استطاع بعض خبراء الثورة استخدام هذه الالغام نفسها لمقاومة العدو بزرعها مرة اخرى في الطرق التي يحتمل ان يمر بها البرتغليون، كما استطاعت الثورة ان تهيء المستشفيات المتنقلة او المستقرة في الغابات، وهيأت الثورة

كوادر طبية من الرجال والنساء للعناية بالجرحى، وارسلت الثورة بعض الاعضاء الشباب للتدريب في الخارج على حرب العصابات وعلى الفنون العسكرية المختلفة واستعانوا بالخبرات الصينية والفيتامينية وكذلك استفادوا من التجربة الجزائرية .

وكان للثورة دعايتها المضادة للدعاية البرتغالية فكوادر الثورة المتخصصة توزع المناشير في القرى توضح فيها للسكان اهداف الثورة ومساوىء الاحتلال وترشدهم الى كيفية التصرف لحماية انفسهم والتعاون مع الثورة، كما كان للثورة برنامج اذاعي يذاع من اذاعة كوناكرى (عاصمة غينيا الشعبية) يبث اخبار المعارك التحررية واهداف الثورة ، ويفند الدعاية البرتغالية .

قسمت الثورة البلاد الى مناطق قتالية ثلاث: الجنوب والشرق والشمال. وكل منطقة لها قيادة خاصة ، ترتبط بقيادة الحزب العليا، وعلى رأسها أميلكار كابرال وهو القائد السياسي والعسكري.

كان للثورة متاعبها ، من ذلك تخلف الفرد الافريقي وجهله، وكان الثوار يعانون من قلة التجهيزات وبالاخص الملابس، يضاف الى ذلك قساوة الطبيعة. وقلة الاسلحة الا أنه من جهة اخرى هناك عوامل ايجابية بجانب الثورة فمقاتلوها سريعو الحركة لانهم يسيرون في أرض مألوفة لديهم يستطيعون مجابهة متاعبها وقساوتها . وكذلك يتحملون صعوبة السير في الغابات . وهو على خلاف ماعليه البرتغاليون الذين يلاقون الامرين في اثناء التحرك بهذه الطبيعة القاسية. كما ان عددا منهم لايرى فائدة من هذه الحرب ومنهم من يراها غير انسانية، يضاف الى ذلك إنعدام ثروات كبيرة مهمة في غينيا عدا الرز والفول السوداني . وهذان المحصولان يسيطر على زراعتهما الثوار في معظم القرى بل اصبحت السلطة البرتغالية في غينيا تستورد الرز من الخارج، يضاف الى ذلك ان الاسلحة التي كانوا يستخدمها البرتغاليون مع انها اكثر مما لدى الثوار، الا ان بعض مالدى الثوار من اسلحة كانت

اكثر تطورا من اسلحة البرتغاليين، من ذلك البنادق التي حصل عليها الثوار من المعسكر الشرقي، كانت تفوق بنادق البرتغاليين المصنوعة في لشبونة (٤١).

واصلت حركة التحرر الغينية كفاحها البطولي ضد الاحتلال البرتغالي للتخلص نهائياً من هذا الاحتلال وتحرير اراضي البلاد كافة، وكثفت عملياتها العسكرية ، وزاد ذلك في ارتباك القوات البرتغالية في غينيا، وكذلك في اضطراب الحالة السياسية داخل البرتغال نفسها. حيث ظهرت هوة بين الفئة الحاكمة في البرتغال وبين القطاعات الجماهيرية (عمال المدن والريف وفئات الطلاب والمثقفين المناهضين للحكم الديكتاتوري).وتعبيرا عن سخط الجماهير البرتغالية حدثت انتفاضات حادة واعمال عنف مسلحة داخل البرتغال نفسها تعبيراً عن المعارضة المتنامية للسلطة الحاكمة، وذلك بعد العام ١٩٧٠ ــ ١٩٧١م، وبعد ان سقط الدكتاتور سالازار عام ١٩٧٢م وجاء خلفه سيلوكاتانو، طبق الاخير نفس سياسة سلفه الاستعمارية في مواصلة الحرب ضد الشعوب الافريقية، واستمر حرمان الشعب البرتغالي من حقوقه الديمقراطية واخذت الاوضاع تسوء في البلاد، منها التضخم المالي المتعاظم، والنقص السكاني بسبب الهجرة والحرب، وتكاليف المعيشة الباهضة، وارتفاع رصيد الديون القومية ، والنقص في الايدي العاملة واصبح الاحتفاظ بالمستعمرات في افريقيا عبئاً كبيراً على البلاد، وقد عبر عن ذلك مارسيلو كاتانو بقوله: «......اننا نحاول..... ان نواجه المشاكل القومية بشجاعة، ولقد نجحنا في الدفاع عن ممتلكاتنا والحفاظ عليها بوجه محاولات التخريب التي تدعمها اكثر فاكثر تلك المنظمة التي تسمى بالامم المتحدة، الا أننا لم نفشل في نضالنا فيما وراء البحار، كما اننا لم نفسح المجال لاولئك الساعين الى نقل الارهاب الى بلدنا.....» وذكر بان البرتغال تعيش في اوقات حرجة، بسبب بعض الظروف في الاقتصاد والسياسة. وقد ظلت البرتغال تعاني من تدهور الاقتصاد ومن تذمر الشعب من الحرب الاستعمارية زيادة الضربات التي توجهها لها حركات التحرر في انكولا موزمبيق بالاضافة الى غينيا بيساو نفسها

وفي الوقت الذي بدأ أفق الانتصار النهائي على الاستعمار يلوح في الافق اغتال المستعمرون البطل اميلكار كابرال في ١٩٧٣/١/٢٠م ظنا من الاستعمار ان هذا قد يوقف سير الحركة التحررية او يعوقها، ولكن الثورات التحررية لاتعتمد عادة على فرد واحد، بل على جماهير الحركة كما اثبتت الثورة الغينية ذلك.

بعد ان شعرت حركة التحرر في غينيا — بيساو بمركزها المتين في البلاد وسيطرتها على معظم الاراضي، اعلنت في ١٩٧٣/٩/٢٤م دولة غينيا المستقلة، وقد اعترفت بها الدول التقدمية في العالم ومنها العراق، في حين استمرت البرتغال في سيطرتها على اجزء من غينيا — بيساو، وعدم اعترافها بالامر الواقع، كما واصلت حربها الاستعمارية ضد الشعب الغيني، بينما واصل الثوار الغينيون حربهم التحررية لتخليص البلاد نهائيا من الحكم البرتغالي وقاموا بعمليات بطولية، وفي منتصف كانون الاول ١٩٧٣م أصدر الحزب الافريقي لاستقلال غينيا وجزر الرأس الأخضر بيانا جاء فيه: «ان ٥٠ جنديا برتغاليا قد قتلوا، كما دمرت ٩ شاحنات عسكرية يوم ١٠ كانون الاول على ايدي وحدات من القوات المسلحة لجمهورية غينيا — بيساو، وعلى الطريق بين قريتي مانسو وماتسايها في شمال البلاد، كما خسر العدو كمية من الاسلحة والعتاد» وجاء في البلاغ ان وحدات غينيا بيساو هاجمت في الثامن من هذا الشهر عددا من الحاميات المعززة وانزلت بالمستعمرين البرتغاليين خسائر جسيمة في الارواح والاليات. وقد اسقط الوطنيون يوم ١٧ تشرين الثاني من العام نفسه فوق جزيرة كومو طائرة استطلاع برتغالية (٤٢).

ومع استمرار تصاعد كفاح الشعب الغيني وازدياد خسائر البرتغاليين في غينيا وفي المستعمرات البرتغالية الاخرى في افريقيا فقد انعكس ذلك على الشعب البرتغالي الذي زاد تذمره من الحكم الدكتاتوري فحدث انقلاب في البرتغال في ١٩٧٤/٤/٢٥ انهى الحكم الدكتاتوري وجاء بحكومة تؤمن الى حد ما بالتحرر حيث اطلقت سراح المعتقلين السياسيين في البرتغال وفي

مستعمراتها واخذ بمفاوضة الحكومة الغينية حيث اعترفت بها وسحبت قواتها منها في عام ١٩٧٥م.

موقف العراق من حركة التحرر في غينيا ـ بيساو :

انطلاقا من موقف حزب البعث العربي الاشتراكي المؤيد لحركات التحرر في العالم ، ومنها بصورة خاصة حركة التحرر الافريقية ، فقد وقف العراق بجانب حركة التحرر الغينية منذ الفترات الاولى من انطلاقها وخاصة بعد ان زادت حدة معاركها مع سلطات الاستعمار البرتغالية ، وتابع الحزب حركة التحرر هذه كما تابع معاركها مؤيدا الشعب الغيني في كفاحه العادل ، كما ايدها في المحافل الدولية .

شارك العراق في اجتماع قمة دول عدم الانحياز الثالث المنعقد في لوساكا في ايلول ١٩٧٠ . القى ممثل العراق وهو نائب رئيس الجمهورية كلمة في المؤتمر دعا فيها الى منح الاستقلال للشعوب المستعمرة ومنها شعب غينيا ـ بيساو ، واعتبر ذلك حقا مشروعا لهذا الشعب الذي يكافح من اجل حريته (٤٣) كما طالب المؤتمرون ومنهم العراق في بيانهم الختامي بوضع حل للمستعمرات البرتغالية وشجبوا الحرب التي تشنها البرتغال مستعينة باسلحة حلف شمال الاطلس ، كما دعوا دول الحلف الى الكف عن مساعدة البرتغال في حربها الاستعمارية ضد حرية الشعوب الافريقية وعدم بيع الاسلحة للبرتغال (٤٤) . كما اتخذت وزارة الاقتصاد العراقية (وزارة التجارة حاليا) قراراً بعدم تنمية العلاقات التجارية والاقتصادية مع البرتغال . واوضحت الوزارة ببيان لها بان القرار قد جاء (بناء على استمرار حكومة البرتغال في عدم احترام قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن ولجنة حقوق الانسان بشأن التخلي عن استعمارها لبعض البلدان الافريقية ، كما رفضت الوزارة المذكورة عام ١٩٧٢م مشاركة البرتغال في الدورة التاسعة لمعرض بغداد الدولي (٤٥) ثم عمد

مجلس قيادة الثورة الى تأميم حصة البرتغال في شركة نفط البصرة في نفس العام ، وذلك نظراً لاستمرار سيطرتها على الشعوب الافريقية ومنها غينيا ـ بيساو وعلى اثر هذا القرار ارسل كابرال الامين العام للحزب الافريقي لاستقلال غينيا ـ بيساو وجزر الرأس الاخضر الى السيد رئيس الجمهورية برقية جاء فيها : « باسم شعب غينيا ـ بيساو اتقدم لكم بالتهنئة الحارة على قراركم هذا ونحن اذ ندرك مدى تأثير هذا الاجراء في عزل الحكومة البرتغالية الاستعمارية على الصعيد الدولي ، نعتبره مساهمة فعالة في نضالنا من اجل انجاز رسالة حزبنا الافريقي ومن اجل تعزيز الاواصر الاخوية بين شعبينا (٤٦). وبالنظر للعلاقات الاخوية بين الشعبين العراقي والغيني والمشاعر المشتركة بينهما فقد احدث اغتيال الزعيم الغيني اميلكار كابرال صدى مؤلما في الاوساط السياسية العراقية فابرق مجلس السلم والتضامن العراقي الى لجنة السلم التابعة للحزب الافريقي لاستقلال غينيا ـ بيساو وجزر الرأس الاخضر في كانون الثاني ١٩٧٣م برقية استنكر فيها جريمة اغتيال الزعيم الافريقي اميكار كابرال الامين العام للحزب المذكور ، وأكد فيها تضامن شعب العراق مع شعب غينيا ـ بيساو في نضاله العادل » (٤٧).

وشارك العراق في المؤتمر الرابع لرؤساء دول وحكومات عدم الانحياز المنعقد في الجزائر في الفترة ٥ ـ ١٥ أيار ١٩٧٣م وقد اصدر المؤتمر بيانا ختاميا شجب فيه بشدة سياسة البرتغال الاستعمارية واستمرار اصرارها على رفض التطبيق العملي لتصريحها القاضي باستقلال الاقطار المستعمرة وأدان المؤتمر اعضاء حلف شمال الأطلس وخص بالذكر الولايات المتحدة والمانيا الاتحادية وفرنسا والمملكة المتحدة واليابان لمواصلة مساعدتها للبرتغال في حربها الاستعمارية ودعاهم لايقاف مثل هذه المساعدة (٤٨).

وبعد اعلان استقلال غينيا بيساو عام ١٩٧٣ بادر العراق الى الاعتراف بها . كما اولى العراق اهتماما متميزاً لهذه الجمهورية الناشئة واعلن الوقوف

بجانبها مادا لها يد الصداقة، يتضح ذلك من التقرير الذي اصدر من مكتب فلسطين والكفاح المسلح في القيادة القومية بعنوان «غينيا بيساو من الثورة الى الجمهورية المستقلة» اشار، في بدايته الى ان حرب تشرين ١٩٧٣م قد حالت دون التعريف بهذه الجمهورية حال اعلانها الاستقلال في ١٩٧٣/٩/٢٦م وجاء في التقرير «ان اهمية هذا الحدث وثوريته تبقى تشغل جزءا كبيرا من اهتمامنا خاصة بعد موقف معظم الدول الافريقية من قضايانا القومية الموقف الذي يشدنا لخلق علاقات وطيدة معها جميعا انطلاقا من علاقة حركة التحرر العربية بحركة التحرر الافريقية عبر حركة التحرر العالمية».

وقد اصدرت وزارة الخارجية العراقية بيانا بمناسبة الاعتراف بجمهورية غينيا بيساو و جاء فيه: «.... لما كانت حركة تحرير غينيا - بيساو وجزر الرأس الاخضر قد تمكنت بعد نضال مرير دام قرابة عشر سنوات من تحرير معظم اجزاء القطر من الاستعمار البرتغالي، وبرهنت على سيطرتها المطلقة على جزء كبير من اراضي وطنها فقد قررت الحكومة العراقية الاعتراف بجمهورية غينيا - بيساو..».

وواصل العراق متابعة التطورات السياسية في غينيا وسعيها لاتمام تحرير القطر، وعندما وعدت البرتغال بمنح الشعوب الخاضعة لها الاستقلال ثم اخذت تتلكأ في ذلك، أثار ذلك استغراب الدول التقدمية ومنها العراق نجد ذلك واضحا في كلمة رئيس الوفد العراقي في اجتماع مكتب التنسيق لدول عدم الانحياز المنعقد في هافان عام ١٩٧٥م حيث اكد في كلمته على موقف العراق المؤيد للشعوب الافريقية الخاضعة للبرتغال، وطالب بالعمل فتهدد عملية نقل السلطة الى اصحابها الشرعين وتعرقل اعلان استقلال اقطارهم » (٥١).

وتلقت غينيا - بيساو وبعد الاستقلال مساعدات مالية من الاقطار المصدرة للنفط ومنها العراق على شكل قروض بشروط تفضيلية والجدول الاتي يبين حجم القروض.

ملايين الدولارات

العام	الالتزامات	مدفوعات
١٩٧٤	٣,٠٤	٣,٠٤
١٩٧٥	٧,٧٣	٣,٥٤
١٩٧٦	١٠,٥٠	٥,٢٩ (٥٢)

واستمرت العلاقات بين العراق وغينيا — بيساو تسير نحو الافضل وتتعاون الدولتان في الهيئات الدولية ومنها حركة عدم الانحياز، وهي تتصاعد على مر من الزمن.

الخاتمـــــة:

لقد ظهر من خلال البحث في حركة التحرر في غينيا — بيساو صلابة الكفاح الذي خاضه شعب غينيا، وشدة ايمانه بقضيته العادلة ومع قلة عدد السكان وامكانياتهم العسكرية المحدودة قياسا الى القوات البرتغالية الاكثر عددا والاكثر عدة، الا ان اصرار الشعب على مواصلة الكفاح المسلح حتى ينال اهدافه وقد جعله ذلك يواصل العمل الوطني، ويقدم التضحيات الكبيرة على مذبح الحرية، وقد احدث كفاحه البطولي صدى كبيراً في العالم، على الرغم من محاولة البرتغال عدم تسرب ابناء الكفاح المسلح لشعب غينيا الى الخارج. الا أن الرأى العام العالمي عرف بطولات هذا الشعب ووقف بجانبه.

ومما يثير الاعجاب بهذا الشعب هو تصعيده للكفاح المسلح على الرغم من قوة عدده. ووقوف الدول الامبريالية وعلى رأسها دول حلف الاطلسي بجانب البرتغال بتقديمها المساعدات له ومنها الاسلحة. الا ان ذلك لم يؤثر في استمرارية النضال المسلح الذي اجبر البرتغال بعد ذلك على التخلي عن حكمها لغينيا وسحب قواتها.

كما كشف البحث عن التعاون بين العراق وحركة التحرر في غينيا - بيساو فقد تابع العراق الكفاح البطولي الذي خاضه ضد هذا الشعب ووقوفه بجانبه في المحافل الدولية بالاضافة الى مساندته معنويا في الاعلام الداخلي، ثم اعتراف العراق بغينيا - بيساو حالما أعلنت حركة التحرر فيها استقلال الجزء المحرر وقبل ان تعترف بذلك البرتغال، واستمرت العلاقات بين العراق وغينيا - بيساو تسير نحو الافضل.



الهوامش

1- U. N. Demographic yearbook 1979 P. 160.
2- Richard Gihson. Abrican liheration movements. london 1972 P. 246.
3- J. D. FAGE: A History of west Abrica camlsidge-1969 P. 70 .
4- I hid P. 160.
5- I-hid OP. 175.
6- James Duffy: portudal in Abrica london 1962 P. 109.

(٧) د. زاهر رياض: استعمار افريقية — القاهرة. ١٩٦٥. الدار القومية للطباعة والنشر ص ٣٣.

8- James Duffy: A Q uestion of slouary oxford 1967 P. 64

(٩) بربارة ليساردس: ثورة الادغال: ترجمة عبد الوهاب الزنتاني — دار العودة بيروت ١٩٧٨ ص ١٥٦.

(١٠) في دوبوشير: تشريح جثة الاستعمار/ ترجمة: ادوار الخرائط — دار الاداب بيروت ط١ ١٩٦٨ ص ٢٤٣.

(١١) بربارة: نفس المصدر: ص ١٧٢.

(١٢) ك. مادهوبانيكار: انكولا تحترق: ترجمة احمد حسن ابراهيم القاهرة — ١٩٦٣ ص ٣٦.

13- ACADEMY of scinces: I nstitutc of Africa 1916-1967. Moscow 1960 P. 318.

(١٤) محمد عبد المولى: حركات التحرر الافريقية: بيروت (د.ت) ص ١٩.

14- Basil Dauidson: The liheration of Guina-london 1969 P. 47.

(١٦) اميلكار كابرال: سلاح النظرية في حركات التحرر الوطني. ترجمة جوزيف شوبري بيروت ١٨٧٣ ص ١٥ — ١٨.

(١٧) كابرال: نفس المصدر ص ٢١

18- Gilson. Op. Cit P. 2501.

(١٩) جاك ووديس: جذور الثورة الافريقية: ترجمة احمد فؤاد بليغ — القاهرة ١٩٧١ ص ٤٧٨.

20- ACADEMY: Op. Cit P. 319. .

(٢١) جاك ووديس: شنفس المصدر ص ٤٧٨.

(٢٢) كابرال: نفس المصدر ص ١١٤ ص ١٢٢.

25– Basil: Op. Cit p. 93-4 .

(٢٤) جاك ووديس: جذور الثورة الافريقية الملحق (وهو من اعداد المترجم احمد فؤاد بليغ ص ٤٢٧) .

(٢٦) جاك وديس: نفس المصدر ، الملحق ص ٤٧٨.

27– Basil: Op. Cit. P. 93 .

28– Ohid. PP. 98-99.

29– Ohip.: P. 103.

30– ACADEMY: Op. Cit P. 321.

31– Basil: Op. Cit. P. 103.

(٣٢) كابرال: نفس المصدر ص ٣٤.. ص ٣٥.

33– Basij. Op. Cit P. 106.

34– Ohid: P. 107.

34– Ohid: P. 107.

35– Ohid: P. 1142.

(٣٦) بربارة: نفس المصدر قص ١٣١.

(٣٧) كابرال: نفس المصدر ص ٣٧.

(٣٨) بربارة نفس المصدر ص ١٥٨.

(٣٩) كابرال: نفس المصدر ص ٣٥.

40– J. D. FAGE: Op. Cit P. 217.

(٤١) بربارة: نفس المصدر ص ١٧٦.

(٤٢) جريدة العراق: ١٩٧٣/١٢/١٧.

(٤٣) وزارة الخارجية: دائرة المنظمات والمؤتمرات الدولية، ملف برقم ٢/٣٢/١٠ ص ٢ من الخطاب .

44– Documents of the Gatherings of non[aligned countries 1961-1978 -Belgrade 1970 P.520.

(٤٥) جريدة الجمهورية: ١٩٧٢/٤/٩.

(٤٦) جريدة الجمهورية: ١٩٧٢/١٢/٢١.

(٤٧) مصطفى سمير: العلاقات العراقية – الافريقية عرض وتحليل – بغداد ١٩٧٦ ص ١١١

48– Documents of the Gatherings: Op. Cit P. 108.

(٤٩) حزب البعث العربي الاشتراكي: القيادة القومية: مكتب الثقافة والاعلام، قسم المعلومات ملف رقم ٤٤٥ المعنون : غينيا بيساو.

(٥٠) جريدة الثورة: ١٩٧٣/١٠/٢.

(٥١) وزارة الخارجية: دائرة المنظمات والمؤتمرات الدولية، ملف بعنوان (خطب وتصريحات روساء الوفود العراقية في مؤتمرات عدم الانحياز ص ٩ من الخطاب.

(٥٢) البنك المركزي العراقي: التقرير الاقتصادي الدولي، عدد خاص، آب ١٩٧٦ ص ٧١.

من تاريخ العـــراق المعاصـــر

طالب النقيـــب وثورة العشـــرين في ضـــوء الوثائق البريطانيـــة

الدكتور فاروق صالح العمر
كلية الآداب / جامعة البصرة

طالب النقيب وثورة العشرين (١)

المقدمـــــة :

لازالت ثورة العشرين تحظى بعناية الباحثين لاهميتها ، في انها فاتحة للتحدى الجديد الذي مارسته الحركة الوطنية في العراق في موقفها المعادى للسيطرة الاجنبية بشتى اشكالها طموحا للاستقرار والاستقلال والتقدم.

لقد اقلقت ثورة العشرين بريطانيا كثيرا حيث انها عرفت مصاعب مثل هذه الحركات في المنطقة العربية كما حدث في مصر سنة ١٩١٩ وكذلك في فلسطين ، وابعاد هذا التحرك المعادي للاحتلال الاجنبي ، ولهذا فان مثل هذه التحركات كانت مصدر قلق لوزارة المستعمرات البريطانية التي كانت مسؤولة بصورة مباشرة عن تسيير ومستقبل المناطق التي تقع تحت نفوذها ، في الوقت الذي بدأت حركة القومية العربية اول مراحل نضوجها ووعيها وبدأت تشتاق الى مرحلة جديدة في الاستقلال والحكم الذاتي والشعور بالعروبة الحقة _ وكانت الحركات التي شملت المنطقة العربية علامات ايجابية للمرحلة الجديدة في حين ان بريطانيا _ التي خرجت منتصرة وكأقوى دولة واكبر امبراطورية في العالم _ كانت تريد الاستمرار في سياستها الاستعمارية الرامية الى اضافة مستعمرات جديدة وبتخطيط جديد يلائم حالة مابعد الحرب (الانتداب والوصاية) ، ولهذا فانها كانت تعتبر اي تحرك في المنطقة هو معاد لها ويعمل مع جهة اجنبية ان كانت موالية لتركيا أو المانيا أو روسيا نتيجة للعقليات السياسية الاستعمارية التي كانت تحرك اجهزتها مع اختلاف وجهات نظرهم الا انهم كانوا يلتقون في التحبيذ لهذه السياسة ماعدا قسم قليل منهم كان يريد تبديل الوسائل لا الاهداف .

وفي الوقت الذي وجدت بريطانيا نفسها في موقف صعب ازاء التحدي الثوري هذا (ثورة العشرين) كانت تتطلع الى تخطيط للعمل على احباطها واجهاضها في :

- العمل على تكثيف قواتها العسكرية وجعل الامدادات مستمرة خاصة وان خط المواصلات المهم ... بصرة / عمارة / كوت / بغداد كـان مفتوحا وكانت فعاليات الثوار بعيدة عنه .
- عودة برسي كوكس الى العراق ثانية بعد ان امضى فترة في ايران وبعد ان اعتبرت بعض الجهات البريطانية (ويلسن) نائب الحاكم السياسي فاشلا في سياسته في العراق . وحاول برسي كوكس بعد عودته ان يستغل شخصيته وعلاقاته الجيدة السابقة مع العشائر والطبقات المتنفذة لكي ينفذ من خلالها الى شق وحدة الصف ... وقد صادفت عودة برسي كوكس ارتباك داخلي في صفوف الثورة وكانت قد بدأت تتراجع عن مواقعها السابقة .
- كانت بريطانيا تشك في استمرارية الثورة ، ومن الممكن ارجاع ذلك الى الانشقاق الذي حدث في انتفاضة النجف سنة ١٩١٨م (٢) وكأحد الاسباب المهمة التي ادت الى فشلها .. ولهذا فان بريطانيا كانت تحاول ايجاد الثغرات في الثورة بشتى اشكالها ان كان على مستوى الشخصيات وكسبها الى جانب بريطانيا او على المستوى الاقتصادي الذي اصاب البلاد والـذي تعطل نتيجة للاهتمامات بالثورة وترك الاهتمامات الاخرى ومنها الزراعية . كما ان الطبقة الجديدة التي انتفعت من الحرب الاولى والتي اصبحت موالاتها للاحتـــلال كبيرا فانه يعز على هذه الطبقة ان تفقد مصالحها نتيجة للوضع المرتبك) ولهذا فانها كانت في حالة من عدم الانسجام مع الثورة والثوار .
- التركيز على عودة طالب النقيب من منفاه في مصر الى العراق ثانية ليكون عونا للسلطات المحتلة في ازمتها مع الثوار فقد عمل (ويلسن) على وجوب عودة طالب النقيب الى بغداد ، وقد نجح في مسعاه وتم رجوع النقيب في شباط ١٩٢٠م (٣) .

موقف طالب النقيب

كانت بداية الاهتمام بهذا الموضوع هو العثور على وثيقة في دار الوثائق البريطانية (P.R.O) وهي عبارة عن مذكرة رفعتها (مس بيل) في ٢٨ تموز ١٩٢٠م توضح فيها المقابلة التي اجرتها مع طالب النقيب بعد عودته إلى بغداد ورأيه في بريطانيا وكذلك في ثورة العشرين ورجالها .. فكانت هذه الوثيقة المرتكز الذي تدور عليه هذه الدراسة .(٤)

ان مس بيل وضحت في مذكرتها مانقله لها طالب النقيب بعد اجتماعه بالقوى الوطنية في بغداد والآراء التي سمعها وكذلك الآراء التي طرحها ويمكن توضيح الوثيقة من خلال النقاط التالية :

- الذين حضروا المقابلة مع طالب النقيب السيد عبد الرزاق الامير الذي كان يرافق السيد طالب النقيب دائماً اثناء وجوده في بغداد وهو من عائلة بصرية . في حين كان يمثل الجانب الآخر السيد يوسف السويدي وياسين الخضيري والذي وضحت الوثيقة انهم من الحزب الوطني (National Party) (٥)
- ذكر السيد يوسف السويدي في بداية حديثه بأن الحركة الوطنية بدأت العمل منذ ستة اشهر، وقد قامت بأعمال مدهشة غير أن هناك خيبة امل عندهم بعدم اسناد المتنفذين في البصرة ورفضهم التعاون معهم ، وهم ــ القول للسويدي ــ ينتظرون من السيد طالب النقيب مساعدتهم في ذلك .
- أضاف السويدي : بأن الحركة الوطنية لم تتصل بطالب النقيب عند وصوله أول الامر إلى بغداد قادماً من القاهرة لأنه كان في ضيافة المندوب السامي البريطاني وكانت الحركة تظن بأنه في الجانب المعادي لهم ، كما انهم اتصلوا به في البصرة،وقد كتبت له الحركة الوطنية وهو في البصرة الا أن السيد طالب النقيب لم يعطهم جواباً محدداً .

- واضاف السويدي بأن الحركة الوطنية تحاول ان تهيء للسيد طالب النقيب القيادة بينهم .
- ويسترسل السويدي : بأن الحركة الوطنية في العراق قد هيأت الاذهان بالرغبة في الامير عبد الله بن الشريف حسين كرئيس للدولة الجديدة الا ان ذلك كان خدعة منهم .
فان الحركة الوطنية في الحقيقة ترغب في السيد طالب النقيب (وقد علقت مس بيل) على هذه الفقرة : « يجب ان نتذكر بأن الذي ذكر ذلك وكتبه هو السيد طالب النقيب نفسه ضمن تقريره» (٦).
- شعرت الحركة الوطنية في العراق بخيبة أمل من السوريين لضعف الاسناد المادي والعسكري ، رغم استلام الحركة ستة عشر الف باون استرليني منها ، ولهذا فان الحركة الوطنية فيما اذا التحق بها السيد طالب النقيب فانها سوف تضع كل امكانياتها تحت تصرفه ... وقد اضاف السويدي : بأن جميع المثقفين والوطنيين ملتحقين بحزبه وانهم يطيعون كلمته ، كما انه تم في هذه الفترة التفاهم بين السنة والشيعة حيث جمعتهم الاهداف الوطنية وخدمة المصلحة العامة .. ويسترسل السويدي « انظر الى الفرات الاوسط فنحن الذين حرضنا العشائر بواسطة نشرياتنا على التمرد والثورة ضد بريطانيا ، فأنت الذي ستأخذ قيادة الحركة العربية ، كما كنت قائدها من قبل» (٧)
- يذكر السيد طالب النقيب في مذكرته انه أجاب يوسف السويدي (أنني عربي ومواطن من العراق) .... وطلب من يوسف السويدي توضيح افكاره :

السويدي : لا اجانب لا انتداب ولا تدخل في الشئون الداخلية .

النقيب : ماهو برامجكم ؟

السويدي : لم نضع برامج لحد الان .

النقيب : اذن فاأنتم لاتزيدون على كونكم خارجين عن القانون أو لصوص : فانتم لاتستطيعون القيام بالثورة بدون خطة ولاتستطيعون هزيمة بريطانيا بدون برامج ... لقد رأيت على طاولة (ويلسن) ثلاثة برقيـات :

واحدة من الجنرال اللنبي يعرض عليه المدفعية واخرى من (بومبي) يعرضون تقديم بعض الفرق العسكرية واخرى من رئيس اركان الجيش في الهند بأن قوات الحدود جاهزة للطلب وسوف تجد ٧٠ ألف رجل يصـل البصرة قبـل ان تعلم بذلك ... / ويضيف / (اين قواتكم ومدفعيتكم ... هل تستطيع العشائر ان تحارب الجيش البريطاني) .

ـ بعد ذلك يضيف طالب النقيب في تقريره الى مس بيل .. بأنه بعد ان وضح لهم ماسبق ذكره (أخذ يوسف السويدي يضرب بيديه على رأسه ووجهه ويصرخ : آه ماذا عملت) (٨)

النقيب مواصلا : ايّ من المتنفذين في بغداد أو المتعلمين معك في الحركة.

السويدي : (لم يجب اولاً واستمر في فزعه) ثم ذكر بعض الاسماء جعفر ابو التمن / فؤاد الدفتري / محمد الصدر / رشدي ابو ليلـة

النقيب : اذا اردتم ان انضم اليكم فان لي اربعة شروط « وكان طالب النقيب قد سجلها مسبقا في دفتره وقرأها على يوسف السويدي» وهـي :

١ ـ ان يرأس الدولة العراقية أحد العراقيين الشرفاء من عائلة جيدة وأصل جيد .

٢ ـ تأليف جمعية من أشخاص حسنى السمعة ومن الرجال الشرفاء.

٣ ـ الدعاية السياسية للحركة (يعني ثورة العشرين) يجب ان تتوقف حالاً .

٤ ـ دعوة اشراف بغداد والذين لم يرتبطوا بحزب يوسف السويدي ليأخذوا مكانهم في الجمعيـة . (٩)

وحذر طالب النقيب أخيراً يوسف السويدي بأنه اذا استمر في اصراره على سياسته الحالية (تأييد الثورة) فأن ذلك سيؤدي الى دمار القطر / حسب رأى طالب النقيب / بكامله فالاسعار مرتفعة في بغداد (وان الناس نتيجة لذلك سيهبون شخصا واحداً ضدكم وستتحمل اللوم كله).

ويشير طالب النقيب بأن موقف السيد ياسين الخضيري الذي كان بصحبة يوسف السويدي هو نفس الموقف المضطرب الذي تخاذل فيه السويدي بعد المحادثة وطرح الاراء وعندما سأله طالب النقيب / لماذا هذا الاضطراب ؟ أجاب ياسين الخضيري / (بأنني خدعت وكنت اعتقد بأن السويدي سوف يتلقى مساعدة عسكرية من سوريا ولكن ذلك كله تبدد وانه سوف يعمل فكرة للرحيل الى الهند).

وفي نهاية التقرير يذكر طالب النقيب إلى مس بيل بأنه بعد هذا الاجتماع توارد عليه الشباب والمثقفين وجماعة الحزب الوطني وقدموا له الطاعة . وعقبت مس بيل على ملاحظة طالب النقيب هذه (ان هذه النظرة الأخيرة مبالغة من السيد طالب النقيب). (١٠)

ان (مس بيل) رغم انها كتبت التقرير اعلاه وابدت ملاحظاتها على بعض من اقوال (طالب النقيب) الا أنها غير مقتنعة بصورة كاملة على كل ماجاء في التقرير من اقوال . غير انها نسبة إلى التوجه البريطاني العام في الداخل كانت تريد الحصول على مايمكنها من معلومات من بين العاملين في المجال السياسي وبصورة خاصة عن المعادين لسلطة الانتداب والمعارضين لها .

ومن المعروف ان (مس بيل) كانت تقيم حفلة شاي اسبوعية مسائية تدعو لها الشباب البغدادي حيث كانت تستفيد من خلال الاحاديث التي

تتداول من قبل هؤلاء وبشكل عضوي ... امام شخصية تستنبط من الكلمات أشياء كثيرة بحدس شخص رجل الاستخبارات. (١١)

من خلال الوثيقة يتضح لنا :

- هناك غرض عميق عند طالب النقيب يحاول اظهاره وافهامه إلى الجهة البريطانية أو رجالاتها في العراق ليفهمهم آرائه وطموحاته وقوة شخصيته وتأثيرها في الوسط الداخلي .
- كان يرمى (طالب النقيب) إلى أن يجرد يوسف السويدي من تزعمه للحركة الوطنية ويضم اليه الذين يؤيدون طموحاته في رئاسة الدولة أو الوزارة . ولهذا نجده اجتمع بجماعة السويدي وكذلك بالسيد محمد الصدر الذي كان يمثل طرفاً من الحركة الوطنية ذات التوجه الديني (١٢)
- ونتيجة للنقاط اعلاه فان طالب النقيب كان يقصد استغلال الطرفين ، الوطنيين في الداخل وكذلك رجالات بريطانيا في العراق لكي يفوز بما يصبو اليه .
- نجد ان النتائج جاءت عكس ماكان يتوقعها طالب النقيب ، فبعد أن فقدت القوى الوطنية فعالياتها في بغداد والتجأت إلى الفرات الأوسط ، خلت الساحة من نشاط لهذه الحركة وبذلك فسح المجال لبريطانيا لبذر الشقاق في الفرات الاوسط هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية : لما ظهرت طموحات طالب النقيب بتشجيع من (فيلبي) (١٣) ومخالفة لاراء وتخطيط بريطانيا نراها تضحى به في اول فرصة حيث اخرج منفياً ثانية في سنة ١٩٢١م .

آراء في طالب النقيب

بعد ان اثار (ارنولد ولسن) الحاكم البريطاني في العراق اهمية عودة طالب النقيب إلى البصرة كتبت تقارير كثيرة عن هذا الموضوع مما يدعو إلى الانتباه عن اهتمام الدوائر البريطانية بشخص (طالب النقيب) .. وكانت هذه التقارير بين مؤيد لفكرة (ولسن) بعودة طالب النقيب وبين معارض لهذا الرأي .

فقد كتب (yong يونغ) إلى (كرزن) تقريراً مفصلاً عن طالب النقيب استقاه من جملة التقارير المرفوعة إلى الخارجية البريطانية من جهات مختلفة ، ومن شخصيات بريطانية مختلفة كان قسم منهم يحبذ العودة وقسم يعارض ذلك ايضاً .

نجد ان (يونغ) كان من رأيه انه لافائدة من طالب النقيب حيث من المتوقع ان يثير لهم مشاكل ليس في داخل العراق فقط وانما حتى في المناطق المجاورة . يقول يونغ :

«ان هذه الاستشارة ليس فيها امل ويمكن ان يوقعنا طالب النقيب في عدة مشاكل وان دعوة طالب النقيب سيضيف لبريطانيا بعض المتاعب والمشاكل خاصة موقف ابن سعود المعارض» (١٤)

وقبل ان يعطي (يونغ) رأيه الاخير هذا كان قد استعرض في تقريره الفترة ١٩١٩ــ١٩٢٠م حينما رفضت السلطة البريطانية عودة طالب النقيب في اول الامر (نهاية ١٩١٩م) ولكنهم وافقوا بعد ذلك بعد تأكيد (ارنولد ولسن) عدة مرات على اهمية عودة (طالب النقيب) لينفذ التخطيط الموضوع له من قبل (ارنولد ولسن) وحتى يستفيد منه في امتصاص حدة المعارضة الداخلية . واضافة إلى مايتمتع به طالب النقيب من شخصية مهابة داخلياً، فانه كان عضواً في مجلس المبعوثان العثماني واصبح والياً عثمانياً على الاحساء ولو لفترة قصيرة ، وانه خبر السياسة خلال الفترة السابقة . ومادامت بريطانيا تفكر بتكوين مجلس وطني داخلي فانها دعت الجماعات التي كانت تمثل العراق في المجلس العثماني للحضور إلى بغداد وعقد اجتماع لها وكانت النتيجة اختيار طالب النقيب رئيساً لهذا المجلس (١٥) .

ان بريطانيا كانت تأمل بأن هذا المجلس سيضع الاسس الاولية لدستور للبلاد . واختيار حكومة لها وبذلك تضع حداً للمشاكل الداخلية . ولكن ذلك لم يتحقق بعد ان قام طالب النقيب بتوسيع الهوة بين الوطنيين

وبريطانيا بأفشاء اسرار الوطنيين الى بريطانيا ، وما تبع ذلك من مشاكل تلاحقت على الوطنيين مما جمد هذه القضايا كلياً . (١٦)

كان طالب النقيب يخطط لنفسه ضمن التخطيط البريطاني العام .. فكان دائماً يوحي بأهمية تقسيم بلاد الرافدين إلى ولايات ، كما كانت في العهد العثماني وكان يسنده في ذلك ويبرز شخصيته امام البريطانيين (شيخ خزعل) امير المحمرة .. ففي مقابلتين مع (مس بيل) و (كلايتون)(١٧) طرحت قضية تقسيم العراق الى ولايات .. الموصل وبغداد ولاية واحدة. والبصرة ولاية لوحدها لان طالب النقيب كان يطمع في ولاية وحكم البصرة . حتى ان (ويلسن) نفسه كان مقتنعاً بأن طموح (طالب النقيب) كان يتراوح بين آمارة بلاد الرافدين أو رئيس وزراء الامارة على اقل تقدير .. كما ان طالب نفسه كان يؤكد عدة مرات امام المسؤولين البريطانين بان الامير فيصل لايصلح للعراق لأنه (اجنبي) ، وانه سيفشل في العراق كما فشل في سوريا سابقاً . وكانت هذه الفكرة تتجاوب مع رأي (ولسن) الذي كان لايرغب في فيصل ولابعائلة الشريف حسين ، ولهذا نرى (ولسن) يشجع (طالب النقيب) في كسب المعتدلين في الداخل والشخصيات المتنفذة حوله. وتأليف حزب سياسي يسنده في افكاره ويكون له عوناً في انتخابه أو تعيينه آميراً للعراق ... رغم عدم الاقتناع الكامل من (ولسن) بشخصية (طالب النقيب) .

ولما رجع (برسي كوكس) كحاكم سياسي للعراق وانتهاء فترة (ارنولد ولسن) بدأ الخط البياني المتصاعد (لطالب النقيب) يهبط تدريجياً.. رغم ان طالب النقيب في اجتماعه مع (برسي كوكس) ابدى رغبته الشديدة لاسناد بريطانيا في العراق وساند شيخ المحمرة طالب النقيب في هذا الاتجاه الذي اكد بدوره ثقته وتأييده لطالب النقيب امام المندوب البريطاني الجديد.

ان كل ذلك لم يستفد منه طالب النقيب/ الذي عين وزيراً للداخلية في الوزارة العراقية الاولى (المؤقتة) /بعد ان كان التخطيط البريطاني قد استقر

في اسناد ملكية العراق إلى شخص الامير فيصل بن الشريف حسين تطبيقا لقرارات مؤتمر القاهرة ١٩٢١.. وبعد ان ابدى طالب النقيب مواقف انفعالية وتهديده السلطة امام مجموعة من المتنفذين ورؤساء العشائر العراقية في حالة عدم ترشيحه للملكية مما ادى ببريطانيا إلى انهائه سياسياً وارساله منفيا خارج العراق ثانية .(١٨)

نتائج التعاون

بعد ان اطلعت سلطة الانتداب البريطاني على بعض اسرار الحركة الوطنية والتي نقلها لها السيد طالب النقيب ضد اشخاص الحركة الرئيسية يوسف السويدي وجماعته (١٩)، فقد قامت هذه السلطة بمحاولة القاء القبض على هؤلاء ،فقامت بتطويق دار يوسف السويدي مما دعى المناصرين للحركة الوطنية في التحصن بالمناطق المجاورة للدار واشغلت سلطة الانتداب بالمقاومة الجزئية ريثما يجد يوسف السويدي منفذاً للهرب ويقول سليمان فيضي «وتبودلت نيران حامية مما الجأت الانكليز إلى القاء القنابل على الدور فانهد بعضها واستشهد عدد من المدافعين البواسل» وفي خضم ذلك استطاع يوسف السويدي من التسلل من داره إلى سطوح الدور المجاورة واستطاع النجاة وانتقل هو وبعض من جماعته إلى الفرات الاوسط والتحقوا بمركز الثورة هناك. واثناء تفتيش منزل السويدي عثرت سلطة الانتداب على بعض اوراقه وبعض الرسائل المتبادلة معه ومن بينها رسالة (عبد المجيد كنة) الموجهة إلى السويدي، وقد تضمنت الرسالة:

«شرحا لخطة اعدها مع فريق من زملائه لاغتيال الضباط الانكليز» وبناء على هذه الرسالة حوكم عبد المجيد كنه محاكمة صورية واعدم شنقاً (٢٠) وبذلك يحمل طالب النقيب تبعة عمله وان اعدام عبد المجيد كنه كان من نتائج تعامله مع بريطانيا خاصة في الفترة التي اقتنع فيها بأن لامجال لظهور شخصيته الا باسناد بريطانيا له .

والخلاصـــة :

ان طالب النقيب الذي كان يمثل الشخصية المرهوبة في ولاية البصرة بالذات ان لم يتعد ذلك إلى بعض المناطق القريبة كما كانت تربطه الصداقة والطموح والجوار مع شيخ الكويت وشيخ المحمرة، فكان طموحه في البداية لايتعدى ان يكون شيخاً للبصرة أسوة بأصدقائه ،غير انه بعد انتهاء الحرب الاولى والتوزيعات التي تمت بعد مؤتمر سان ريمو جعلته اكثر طموحاً إلى ملكية العراق الا ان الامور لم تكن مواتية بجانبه، رغم انه بذل جهداً كبيراً في ذلك الا أن السلطة الجديدة (سلطة الانتداب البريطاني) كانت اقوى منه ولهذا تراه ذاب في خضمها اولاً ثم استجاب لها لما ارادت له ان يكون حليفا، وهذا تأملا منه في أن يتوصل إلى تحقيق بعض استجاباته الخاصة، الا ان كل ذلك تلاشى بعد فترة زمنية قصيرة كانت بريطانيا تراها فترة امتحان له، والحد من طموحاته بعد ان كان قد ساعدها في فترة الاضطرابات الكبرى بالنسبة لها (ثورة العشرين) ،وعندما وجدت انه لايزال يطمح اكثر مما كانت ترى انه يستحقه، انهته سياسياً فابعدته منفياً وكانت هذه آخر لمساته السياسية في حياته إلى ان توفي.

مراجع البحث

(١) اعتمد في اعداد هذا البحث على مصدر اساس اول: هي الوثائق البريطانية التي تم الاطلاع عليها حول هذا الموضوع من دار الوثائق البريطانية (P.R.O) منها ما استعمل في البحث ومنها ما استفدت منه كملاحق مهمة مكملة للموضوع، فالملحق الاول اخترت منه فقط مايخص السيد طالب النقيب، وكان الملحق الثاني كاملا لانه يخص طالب النقيب وعائلته ونفوذها وعلاقاتها السياسية.

واعتمدت بالدرجة الثانية على بعض الكتب المهمة التي مرت عليها فترة زمنية اصبحت بحكم الوثائق منها: كتاب القضية العراقية: للاستاذ (الدكتور بعدئذ) محمد مهدي البصير الذي قام بتأليفه في سنة ١٩٢٤م وهو عبارة عن عرض للحالة السياسية في البلد للفترة مابعد الحرب الاولى حتى تاريخ طبع الكتاب حيث ان المؤلف كان احد العناصر الوطنية. التي مارست النضال خلال تلك الفترة ومن الوطنين المنفيين إلى جزيرة هنجام. كما اعتمدت على كتاب سليمان فيضي المحامي: في غمرة النضال او ذكريات المؤلف، حيث انه كان مرافقاً وصديقاً للسيد طالب النقيب وكان على معرفة جيدة به، وليس من الممكن ان يكتب عن طالب النقيب بدون الرجوع إلى: هذه المذكرات، اضافة إلى الكتب الاخرى التي اشرت اليها فقد كانت مهمة للبحث.

وفي الحقيقة فاني لم اشر إلى ثورة العشرين الا من خلال البحث عن طالب النقيب، لان هدف البحث مقصور على طالب النقيب وليس على ثورة العشرين، وقد كتب من الثورة الشيء الكثير ومع ذلك فهي لازالت ناقصة تحتاج إلى بحوث اخرى.

(٢) حدثت الانتفاضة عندما قامت فئة منظمة تحت اسم (جمعية النهضة الاسلامية) باغتيال حاكم النجف البريطاني وحاميته الصغيرة، مما ادى إلى ان تقوم بريطانيا بتطويق النجف ومحاصرتها لمدة تقارب الاربعين

يوما، وقد اطلق عليها كثير من المؤلفين بالثورة، في حين اني اراها انتفاضه محلية وحول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى:

حسن الاسدي: ثورة النجف، وزارة الاعلام بغداد ١٩٧٥م

جعفر الشيخ باقر محبوبة ماضي النجف وحاضرها، بيروت ١٣٥٣هـ

الثقافة الجديدة: مذكرات المرحوم محمد رضا الشبيبي عن ثورة النجف عدد تموز ١٩٦٩ م

(٣) F. O. 371/5231
E 12756 15Oct. 1920
From H. Yong to Lord Curzon

(٤) F. O. 371 / 5230
E 11753 28 July 1920

(٥) لم يرد ذكر اسم (الحزب الوطني) في المصادر التي عاصرت هذه الفترة ولا ادري هل من الممكن اطلاق اسم (الفريق الوطني) او (الجماعة الوطنيين) بدل الحزب الوطني كما جاء في الوثيقة National Party

(٦) لقد شككت (مس بيل) نفسها في هذه الفقرة من التقرير لانها تعرف ان طالب النقيب كان يهيأ لنفسه مكانة عند بريطانيا ويحاول بصورة غير مباشرة احيانا ايصال طموحاته اليهم.

(٧) ان ثورة العشرين كانت تتمتع بثلاثة قيادات متفاعلة: قيادة فكرية مركزها بغداد وهذه التي يتكلم عنها يوسف السويدي، وقد عملت جهدها في داخل بغداد بشكل مكثف وبتكاتف كل الفئات والطوائف من اجل اثارة الجماهير العراقية ضد سلطة الانتداب (يمكن مراجعة كتاب القضية العراقية للاستاذ محمد مهدي البصير حول هذا الموضوع لانه كان احد العناصر الفعالة في القيادة الفكرية) ص١٤٦ ومابعدها. اما القيادتان الاخريتان فهما القيادة الدينية وقيادة العشائر المتعاونتان فيما بينهما (ويمكن مراجعة كتاب الاستاذ عبد الرزاق الحسني / الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠م . الطبعة الثانية ١٩٦٥ لان فيها كثير من التفاصيل حول هاتين القيادتين.

(٨) في هذه الملاحظة التي أوردها طالب النقيب كانت فيها مبالغة كبيرة منه كما اعتقد ... فقد كان يوسف السويدي زعيما للحركة الداخلية في بغداد، ذات الموقف المعادي لسلطة الانتداب ،وبديهي انه بهذا الموقف يتوقع اسوأ التوقعات ،ليس من المعقول ان يصاب بانهيار في اول لحظات المواجهة ولهذا فاني اعتقد انها اضافة من طالب النقيب لاضفاء الهيبة على شخصيته امام سلطة الانتداب.

(٩) من خلال هذه الشروط التي قدمها طالب النقيب فانه كان يقصد بها افهام الجانبين بانه احق شخص لحكم العراق.

(١٠) كان هذا الموقف المتشكك الثاني الذي ايدته (مس بيل) حول تقرير طالب النقيب مما يدعونا إلى ان نضع علامة استفهام حول ماجاءفي بعض المعلومات التي تضمنها التقرير.

(١١) عباس علي/ زعيم الثورة العراقية/ صفحات من حياة السيد محمد الصدر ص٥٤/ بغداد /١٩٥٠م .

(١٢) في الحقيقة لم اعثر على الوثيقة اذ كانت هناك وثيقة حول اجتماع طالب النقيب مع السيد محمد الصدر الا ان السيد محمد مهدي البصير/ القضية العراقية/ ص١٨٢/ بغداد ١٩٢٤م يذكر ان المقابلة قد جرت بين الثنين (ودارت بينهم عدة مداولات ومحادثات سرية تتعلق بحالة البلاد السياسية الراهنية).

— ويشير كذلك كتاب/ عباس علي/ زعيم الثورة العراقية ص٧٤ عن هذا الاجتماع الذي دار بين محمد الصدر وطالب النقيب، فيقول (وتكلم فيها سماحته (الصدر) بصراحته المعهودة، «وافهم طالب باشا ما يجب ان يعمله في هذا الظرف الذي تجتازه القضية الوطنية ضمن الحدود التي رسمها المندوبون واشار عليه عن (الشرك) الانجليزي المتقدم هو لاجله».

(١٣) كان الموقف العدائي لـ (فيلبي) تجاه الشريف حسين وانجاله يجعله يأخذ بالمبدأ القائل (ان العراق للعراقيين) وهو شعار اطلقه آل النقّيب وتوفيق الخالدي .. راجع كتاب د. عبد الله النفيسي/ دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث/ الكويت ١٩٧٦م/ ص١٨٠.
— وكذلك يمكن مراجعة حول هذا الموضوع كتاب محمد مهدي البصير/ القضية العراقية ص ٣٥٢/٣٥١

(١٤) F.O. 371/5231
E 12756 15 Oct . 1920
Furon H . Yong to L.Curzon

(١٥) يمكن مراجعة التقرير السابق (هامش ١٤) وكذلك حول موضوع انتخاب طالب النقيب يمكن مراجعة سليمان فيض/ في غمرة النضال/ بغداد ١٩٥٢م ص/٢٥٠ .

(١٦) نتيجة لتعامل طالب النقيب مع السلطة المحتلة ادى إلى:
١. القاء القبض على احمد الشيخ داود وابعد إلى جزيرة هنجام.
٢. اعتقال عارف السويدي/ جلال بابان/ سامي خونده/ ابراهيم ناجي ، وابعدوا إلى جزيرة هنجام.
٣. تمكن كل من /السيد محمد الصدر/ جعفر ابو التمن / على البرزكان من الهرب إلى الفرات الاوسط.
٤. هروب السيد يوسف السويدي إلى الفرات الاوسط بعد محاولة القاء القبض عليه.
٥. محاكمة عبد المجيد كنه واعدامه شنقا.

حول هروب الزعماء من بغداد إلى الفرات الاوسط يمكن مراجعة
• تعليق السيد جعفر الخياط، مترجم كتاب/ مس بيل (صفحات من تاريخ العراق القريب) ص٤٣٥/٤٣٧ وكذلك سليمان فيضى /في غمرة النضال ص٢٥٩ .

F. O. 371 / 5231

(١٧)

E 12467 Aug 22 1920

(١٨) سليمان فيضي/ في غمرة النضال ص ٢٦٢ ومابعدها تحت عنوان (السيد طالب يرشح نفسه لعرش العراق).

(١٩) يقول سليمان فيضي/ ان صديقه طالب النقيب قد وشى به إلى مس بيل بعد ان قام سليمان فيضي في زيارة للبصرة بعد رجوع طالب النقيب في المنفى واثناء وجوده مع طالب وبعض وجهاء البصرة في حفلة غذاء سئل (فيضي) عن الحالة في بغداد وكان جوابه عن مظاهر الاحتفالات والمظاهرات والمواقف المعادية لبريطانيا ، وقد نقل هذا الحديث طالب النقيب إلى مس بيل بعد عودته إلى بغداد مما دعى مس بيل إلى طلب سليمان فيضي حيث تأزم الموقف بين الاثنين وهددته مس بيل اذا استمر في عمله هذا.

راجع سليمان فيضي / في غمرة النضال ص٢٤٣/٢٤٤

(٢٠) في يوم ١٨ ايلول ١٩٢٠م نشرت جريدة البلاد (العراقية) بعددها الصادر (١٠٠) نص قرار الادانة على عبد المجيد كنة « حوكم عبد المجيد كنه من اهالي بغداد في محكمة عسكرية في ١٦ ايلول بتهمة ارتكاب جريمة ضد العسكرية بسعيه وراء اثارة الخواطر على جيش الاحتلال ولقد ثبت لدى المحكمة ثبوتا بينا من المكاتيب الموقعة منه التي وجدت في بيت يوسف السويدي بأن عبد المجيد كنه كانت له يد قوية في تأليف عصابة من القتلى ترمى إلى ارهاب وقتل كل من لايجارى المبادىء المتطرفة التي اتخذها حزبه (حزب الدفاع) وقد ثبت عليه الجرم فحكمت عليه المحكمة بالاعدام شنقا فتأيد الحكم وشنق ليلة السبت ٢٥ ايلول ١٩٢٠م.

— وكانت مس بيل قد ذكرت بأنه كان في نية عبد المجيد كنه قتل طالب النقيب. راجع صفحات من تاريخ العراق القريب/ مس بيل/ ص٤٣٦.

ملحق رقم (١)

F. O. 882 13 Mis / 15 / 11

Auturn 1915

Memorandurm (Source not Stated)
"The Arab Novement and its Possible Future "

وقد اخترت من هذه المذكورة الفقرة الثانية والنقاط المهمة التالية :

Para - Tow /

(F) ان حكام وامراء العرب يتألفون من شيوخ/ المحمرة / الكويت/ سيد طالب كامير للبصرة/ ابن سعود/ ابن رشيد/ وشريف مكة/ والامام يحيى / وسيد ادريس/ .. ولم يكن الحكم في هذه المناطق ديمقراطياً .. كل حاكم يطمح ان يكون اتوقراطياً في منطقته .. غير انه فيما يتعلق بالمصلحة العامة للمنطقة بصورة عامة ترجع الامور إلى مجلس يضم هؤلاء جميعاً ، وفي بعض الاحيان يدعى زعيم الاكراد للالتحاق بهذا المجلس.

(G) تمهيداً لسيطرة طالب النقيب على ولاية البصرة فانه عمل على السيطرة على المنطقة مبتدأ بالسيطرة على جنوب القرنة محاولاً الوصول إلى قبائل العمارة من خلال نفوذ شيخ خزعل ومن خلال التدخل في شؤون مقاطعات رؤساء عشائر العمارة ، وكذلك حاول الوصول إلى المنتفك وذلك بمساندة فالح السعدون ضد عجمي بن سعدون باشا والذي كان ميالا إلى جمعية الاتحاد والترقي .

(H) ان خطة السيد طالب النقيب في السيطرة على العشائر الكبيرة قد صاحبها الفشل

حاولت جمعية الاتحاد والترقي ضبط طالب النقيب وتحديده :

أولاً : عندما حاولت الدولة العثمانية منح الامتيازات للعرب والذي كان اسلوباً مؤقتاً وقد انهته وسحبته الحكومة التركية في اول فرصة .

ثانياً : تحريض عجمي السعدون ضده .

ثالثاً : مؤامرة اغتياله واعتقاله والتي فشلت وعادت بالوخيمة على الضابط التركي الذي ارسل لهذا الغرض .

رابعاً : محاولة منحه السلطة أو تعيينه والياً على البصرة وانهائه في اول فرصة.

ملحق رقم (٢)

F. O. 882/25 A.B. 17

Aug. 30/1916

Mesopotamia :

"History of Sayyid Talib and His Family "

تقرير كتبه H.D. في البصرة بتاريخ ١٩ تموز ١٩١٦م في خمسة صفحات كبيرة واهم مأجاء فيه مايلي :

ان عائلة نقيب البصرة تدعى بانها سليلة عائلة رسول الله/ بدأ بالسيد احمد الرفاعي الذي يقع قبره في وسط الجزيرة بين البوديري والحي .

كثير من المقاطعات كانت تسجل باسم النقيب احمد الرفاعي بين وقت وآخر وترجع هذه الاراضي إلى ملك الوقف وبذلك يكون النقيب المتولي عليها حسب القوانين الدينية ويصرف من محصول هذه الاراضي على القضايا الدينية .

ويبدو انه منذ سنة ١٨٩٠م فان السيد رجب النقيب وبتأثير اخيه السيد احمد قد وضع اليد على مختلف الاراضي الوقفية وسجلها في دائرة الطابو بأعتبارها ممتلكات خاصة له ولعائلته (ويقول التقرير) ان السيد احمد قد كون له ثروة كبيرة من تهريب الاسلحة والرشوة وطرق اخرى مختلفة.

وصادف في تلك الفترة ان كان في البصرة والي جيد وعادل (حمدي باشا) حاول منع الفرهود والسلب فاستعمل السيد رجب النقيب نفوذه في القسطنطنية وبغداد وأدى إلى طرد. حمدي باشا .

وعندما عاد (حمدى باشا) ثانية إلى البصرة سنة ١٨٩٩م تصادم من جديد مع السيد رجب النقيب وقد عمل هذا الاخير مع الشيخ مبارك امير الكويت

والذي يشاركه في التصادم مع (حمدي باشا) والذي تجمعها المصالح المشتركة في العمل سويا ضد الوالي العائد. وقرر ارسال ولده (طالب النقيب) إلى القسطنطينية ليوضح ان كل المشاكل مع شيخ الكويت يرجع سببها إلى (حمدي باشا) وتعتبر هذه اول مرة يتدخل فيها (طالب النقيب) بالسياسة واستطاع بتأثيره عزل (حمدي باشا) ثانية عن ولاية البصرة وتعيين (محسن باشا) واليا مكانه وكان هذا عسكريا وصديقا لامير الكويت ونقيب البصرة ونتيجة لهذا النجاح واسناد الوالي الجديد (محسن باشا)والشيخ مبارك اصبح (طالب النقيب) من الشخصيات القوية في البصرة.

وكانت خطوة (طالب النقيب) الثانية سنة ١٩٠٠ ان يحصل على اسناد الشيخ خزعل امير المحمرة وذلك بقيامه باغتيال (عبدالله افندي الراوندوزي) الكردي الاصل والذي كان عدوا تقليديا للشيخ خزعل .. حيث كانت بساتين التمور في المحمرة مسجلة باسم الشيخ (مزعل) الاخ الأكبر للشيخ خزعل وكانت ميول (مزعل) تركية وعندما اغتيل (الشيخ مزعل) عادت الاراضي للشيخ خزعل حيث ان عبدالله الراوندوزي كان قد اشتكى للسلطات العثمانية بأن الشيخ خزعل صاحب ميول فارسية ولهذا فان قيام طالب النقيب بتدبير اغتياله في البصرة من قبل رجلين من اعوانه كان قد كسب الشيخ خزعل إلى جانبه بعد ان عادت اراضيه اليه وهكذا حصل طالب النقيب على معونات كبيرة من الشيخ خزعل وبصورة مستمرة وكذلك من امير الكويت من عائدات اراضيه في البصرة.

ونتيجة لجهود شيخ خزعل وامير الكويت ووالي البصرة فقد حصل طالب النقيب في سنة ١٩٠٢م على تعيينه متصرفاً للاحساء ،غير انه لم يبق هناك سوى فترة قليلة رجع من بعدها إلى البصرة.

ان السيد طالب مع عمه السيد احمد قهر فرضا السيطرة على البصرة بالضغط والتهديد وسرقة اموال الناس وعليه ونتيجة للوضعية التي اصبحت

عليها البصرة وأهلها بسيطرة طالب النقيب بصورة تامة .. تم عزل (محسن باشا) وعين مكانه (مخلص باشا) وكان هذا رجلا قوياً وحاصر بيت طالب النقيب وعمه والقى القبض عليهما وعلى حراسهما العبيد . وقد مات عمه احمد في نهاية ١٩٠٤م من الهم والحزن .

وفي ١٩٠٥م وفي عهد الوالي (فكري باشا) ارسل طالب النقيب إلى القسطنطنية حيث اصبح عضواً في مجلس (سراج دوله) وهناك عمل طالب النقيب صداقة قوية ومتينة مع الامير عز الدين الذي اغتيل بعد ذلك . وعندما تأسست جمعية الاتحاد والترقي في سنة ١٩٠٩م رجع السيد طالب إلى البصرة لمحاولة ان يكون رئيساً للتنظيم في البصرة الا ان الاتراك لم يكونوا يطمئنوا له ولهذا ارسلوه نائباً عن البصرة في مجلس المبعوثان العثماني في اسطنبول وهناك كون له صداقات مع (صادق بك) وبالتعاون معه وضعا هو وطالب النقيب فكرة (الحرية والائتلاف) وهي حركة معتدلة .. ثم رجع طالب النقيب إلى البصرة لمعارضة حزب الاتحاد والترقي .

كان طالب النقيب على خلاف كبير مع والي البصرة (سليمان نظيف باشا) ممثل حزب الاتحاد والترقي والذي كان الغرض من ارساله إلى البصرة اضعاف نفوذ طالب النقيب لكن طالب عمل جهده ودعايته لازالة الوالي ولكن (طلعت باشا) لم يعر لدعاية طالب النقيب في اول الامر الا ان طالب النقيب جمع تواقيع سكان البصرة نساء ورجالا ضد (سليمان نظيف) مما اضطر (طلعت باشا) إلى طرده من منصبه .

ومن اصدقاء السيد طالب النقيب الرئيسيين في تلك الفترة (عارف بك مرديني) واحمد الصانع وعبد اللطيف المنديل والشيخ ابراهيم شيخ الزبير اما خصم طالب النقيب الرئيس فهو (سعدون باشا) في المنتفك الذي عمل (طالب النقيب) ضده خاصة بعد ان حرض الوالي عليه ١٩١١م ولهذا فان (عجمي السعدون) بدأت عداوته لطالب النقيب منذ تلك الفترة .

وعندما جاء (كامل باشا) كصدر اعظم ١٩١٢م نصح (طالب النقيب) لتطوير اتصاله بالانكيز ونتيجة لهذه النصيحة فقد زار (طالب النقيب) مصر في بداية سنة ١٩١٢م وعمل صداقات مع الخديوي واللورد كشنر وعند عودته من مصر ذهب إلى (سملا) مع رسائل من (كرو) القنصل البريطاني في البصرة وقابل هناك لورد هاريج.

وبعد عودته من (سملا) سنة ١٩١٢م اطمئن طالب النقيب إلى مساندة شيخي المحمرة والكويت وحسب اعتقاده بريطانيا ايضا، وكان يأمل حسب تفكيره في اول الامر ان يحكم ولاية البصرة بنفسه ويصبح بذلك شيخا او اميراً لعرب البصرة، ويبدو بذلك انه تخلى عن فكرته السابقة في حكومة ديمقراطية وبمجلس عربي محلي ودعوته الى اتحاد بين مشايخ العرب على ان يكون كل منهم يحكم في منطقة وتجمعهم مع بعضهم مطالب العرب العامة وتحت رعاية السلطان العثماني، وكان من المؤمل ان يكون الاتحاد مكونا من شريف مكة/ الامام يحيى/ الادريسي/ ابن رشيد/ ابن سعود/ شيخ المحمرة/ شيخ الكويت/ والسيد طالب النقيب كامير لولاية البصرة/ والذي لم يتوضح هو كيف تمثل القبائل الكبيرة في ولاية بغداد اما بالنسبة للاكراد فقد سمح لهم بالاشتراك في هذا التآلف.

وعلى هذا فان طالب النقيب من الضروري ان تكون خطوته التالية هي في اظهار شهرته في ولاية البصرة وعليه فقد عمل صداقات مع شيوخ عشائر العمارة من خلال شيخ المحمرة كما حاول الاتصال بعشائر المنتفك عن طريق الشيخ عبدالله الفالح / الذي كان خصما لسعدون باشا وولده عجمي/ للاتصال برؤساء عشائر المنتفك وقد ساعد السيد طالب النقيب في هذا المضمار احمد باشا الصانع .واخيرا اقنع السيد طالب والي البصرة لمساندة عبدالله الفالح.

بعد ان ضمن السيد طالب النقيب ولاء عرب ولاية البصرة فقد بدأ في عمله بأن قدم في ابرل ١٩١٣م احتجاجا عاما ضد قانون الولايات الجديد

وهدد باستعمال القوة ضد الوالي.. غير ان عمله هذا توقف فجأة بعد وصول عجمي السعدون مع قوته خارج البصرة حيث كان عجمي هذا مواليا لوالي البصرة وجمعية الاتحاد والترقي ومعارضا للسيد طالب النقيب.

وكان يبدو على والي البصرة (علاء الدين بك) والقائد العسكري (فريد بك) التظاهر بأنهم استلموا تعليمات سرية من اسطنبول لمساندة عجمي السعدون واغتيال او تأثير طالب النقيب. وبدأت المناوشات اولا بين جماعة عبدالله الفالح وجماعة عجمي السعدون وعلى اثرها دخل عجمي السعدون البصرة على مرأى من الوالي والقائد العسكري.

اما موقف السيد طالب فقد استطاع اعوانه في ٩حزيران ١٩١٢م من اغتيال القائد العسكري (فريدبك) اثناء نزوله من زورق في نهر العشار وجرح متصرف المنتفك الذي كان معه. وقد خاف هذا العمل الحكومة التركية فعزلت والي البصرة وعينت مكانه (عزت بك) في آب ١٩١٣م وفي اثر ذلك اعلن برامج اصلاحي والذي اعطى بعض الامتيازات للعرب غير ان ذلك لم يبدو كافيا لارضاء الجمعية العربية التي استطاعت الانتشار في منطقة الفرات الاوسط داعية للنهوض بوجه الخيانة التركية ومن اجل تحقيق استقلال العراق.

ان انور باك الذي جاء إلى السلطة في اسطنبول امر القائد العسكري بالقاء القبض على السيد طالب النقيب غير ان القائد ابدى عدم مقدرته. وعليه ارسل طالب النقيب انذارا آخر إلى اسطنبول في كانون اول ١٩١٣موفي اثر ذلك اتصل (انور بك) بطالب النقيب واخبره بأن والي بغداد ووالي البصرة سيأخذون مشورته في جميع الامور التي تهم البلاد.

وفي كانون الثاني ١٩١٤ماصدر السيد طالب منشورا اوضح فيه زوال كل الاختلافات بينه وبين الحكومة العثمانية ودعا من خلال المنشور إلى الوحدة العثمانية.

واخيرا في مايس ١٩١٤م كان يبدو على السيد طالب النقيب انه يريد ان يصل إلى قمة طموحه، فقد ارسل وزير الداخلية من اسطنبول بخيّر طالب النقيب لقبول احدى المناصب اما سفيراً او واليا او عضوا في البرلمان وفي تموز من نفس العام ابلو (طلعت بك) السفارة البريطانية في اسطنبول بان السيد طالب سيعين واليا على البصرة.

وفي نفس الفترة كان لدى (داود باشا) ولي بغداد تعليمات سريه للقبض على طالب النقيب وحاول اقناع (صبحي بك) بأن يقوم بالمهمة لكنه فشل وعليه فقد تقدم (داود باشا)نحو البصرة في تشرين اول ١٩١٤م بنفسه في القبض على طالب النقيب مع قوة لابأس بها غير انه وصلها بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى ولما حصل طالب النقيب على هذه المعلومات انسحب إلى الكويت على اساس التفاوض مع ابن سعود لجعله في موقف معاد لبريطانيا وكان السيد طالب في الكويت عندما احتلت بريطانيا البصرة.

قدم السيد طالب مطالب متطرفة مقابل تعاونه مع بريطانيا وعندما رفضت بريطانيا ذلك ارسلت بعدها طالب النقيب منفيا إلى الهند.

وقد حاول شيخ الكويت وشيخ المحمرة في عودة طالب النقيب الا انه لما استقرت الامور واصبحت مقاطعاتهم في البصرة في حالة أمان وبذلك لم يكونوا بحاجة له مستقبلا.

١٩ تموز ١٩١٦م البصرة

العلم الطبيعي عند جيوردانو برونو



د . قيس هادى أحمد

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

العلم الطبيعي عند جيوردانوبرونو

د. قيس هادي احمد
كلية الآداب – جامعة بغداد

مقـــدمـــة

حدثت تطورات حاسمة في معظم أقطار أوربا ابان القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وظهرت متغيرات جديدة جعلت من المستحيل الأستمرار في التمسك بأنماط الفكر المدرس ، حيث اكتشف الأنسان شيئا فشيئا ان العقل في إطار التفكير اللاهوتي وتحت ظل هيمنة الكنيسة يبقى سجين التصورات الكهنوتية الزائفة.

ظهرت في ألمانيا حركة الأصلاح الديني وعمت بعد ذلك جميع ارجاء أوربا ، وكان من نتيجتها ثورة الناس على الكنيسة وسلطتها والمطالبة بحرية للفرد واستقلالا كاملا في اتصاله بالله مباشرة من غير واسطة، وكانت حركة أحياء الآداب القديمة في ايطاليا ثورة على رجال الدين المسيحي الذين كانوا يحولون بين الناس وبين الاتصال مباشرة بمؤلفات اليونان والرومان، كما وسعت الأكتشافات العلمية من مدارك الناس وآفاق تفكيرهم مما جعلهم يتمردون على التصورات الفيزيائية التي كان يقدمها المدرسيون لهم عن الكون.(١)

لقد كان هنالك صراع مرير بين الدين المسيحي الذي يأمر بالخضوع لله والتصديق بكل ماجاء في الكتاب المقدس وبين العلم الطبيعي الذي يرفض التسليم بشيء مالم يوزن بميزان التجربة ويخضع لقواعد الملاحظة. وقد استمر هذا الصراع طويلاً ، حتى جاء فلاسفة عصر النهضة وعلى رأسهم جيوردانوبرونو ليحاولوا حسم الصراع لصالح العلم الطبيعي ، وذلك عن طريق الفصل بين مجال الدين المسيحي ومجال العلم الطبيعي. فاذا كان للدين مجاله الخاص وسلطته المطلقة في علم الغيبيات واليوم الآخر. كما وردت في نصوص الكتاب المقدس. فان للعلم الطبيعي مجاله الخاص. وسلطته

(١) د. محمد عبد الرحمن بيصار: تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص ١٤ – ١٥

المطلقة في دراسة ظواهر الطبيعة والقوانين الكونية كما تبدو في الجانب المحسوس من هذا الوجود.

بعد محاولة جيوردانو برونو أصبح من غير الممكن ان تبقى الكنيسة مسيطرة على تفكير الناس ، أو ان تظل صاحبة الكلمة العليا في تقرير ما يصح وما لا يصح من المعارف الأنسانية بعد القرن السادس عشر . وهو القرن الذي انتهى باستشهاد فيلسوفنا جيوردانو برونو فقد تأكد لدى الفلاسفة والعلماء انه لابد من التحرر الكامل من سلطة الكنيسة لكي يواجهوا الطبيعة مباشرة ، تلك المواجهة التي وجدوا — عن طريق التجربة — انها الكفيلة بتزويدهم بمعرفة علمية واقعية صحيحة يمكن الوثوق بها .

لقد ساعدت محاولة جيوردانوبرونو على بدء حياة جديدة للفلسفة وللعلم الطبيعي ، حيث صار الكون بأسره موضوعا للبحث المباشر ، دون حاجة إلى أية نظرية لاهوتية مسبقة ، وذلك بالأعتماد فقط على المنهج العلمي المبني على الملاحظة والتجربة ، باعتباره المنهج الوحيد القادر على تزويدنا بمعرفة حقيقية واقعية عن انفسنا وعن العالم المحيط بنا. (١)

ولنحاول الآن التعرف على قيمة الدور الذي لعبه جيوردانو برونو في تاريخ الفلسفة والعلم عن طريق التركيز على العلم الطبيعي الذي كان يشكل الجانب الأكبر من فلسفة هذا الفيلسوف الكبير .

حيـــاة جيوردانو برونو ومؤلفاته:

ولد جيوردانوبرونو (GIORDANO BRUNO) في نولا ، وهي مدينة تقع بالقرب من نابولي في جنوب ايطاليا سنة ١٥٤٨م، وقد التحق برونو باحد الأديرة الدينية قبل أن يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وهنالك درس الفلسفة القديمة وفلسفة العصور الوسطى فضلا عن نظرية كوبرنيكوس في الفلك . فما بلغ عامه الثامن عشر حتى اخذ يبدي علائم

(١) د. قيس هادي أحمد: نظرية العلم عند فرانسيس بيكن ص ١٩ — ٢١

النفور من تعاليم الكنيسة ، وبدأ يصطدم بأصحاب السلطة لأول مرة ؛ ولبثت هذه الثورة تتأجج في نفسه وتضطرم حتى كان عامه الثامن والعشرون (١٥٧٦م) . وعندئذ اعلن شكه وتساءل جهارا عن مدى صحة المبادىء الرئيسية للكاثوليكية ، فرماه رجال الكنيسة بالزندقة وهددوه بتهمة المروق عن الدين مما اضطره إلى ترك الرهبنة والهرب من ديره . ولا بد ان هربه قد تم فجاة . اذ وجد برونو نفسه دون مأوى أو مورد للرزق ، فأمضى سنتين متجولا من مدينة ايطالية إلى اخرى وهو يعيش على مورد غير ثابت عن طريق التعليم والتأليف . (١)

ترك جيوردانو ايطاليا رغبة في أن يلتمس حظه في الخارج ، بدلا من الأقامة في وطنه على الخوف والقلق، فقصد فرنسا أول الأمر ، الا ان فرنسا كانت اكثر حماسة دينية من ان تحتفظ به. فارتحل إلى جنيف عام ١٥٧٩م وانتسب إلى جامعتها، ولم يكن الأنتساب اليها مباحا لغير البروتستانتية اذا كانت المدينة بروتستانتية ، فأفهموه انه يستطيع الأقامة في جنيف والعمل في جامعتها بشرط أن يعتنق البروتستانتية. الا أنه رفض ذلك وعاد إلى فرنسا حيث لبث عامين استاذا للفلسفة في جامعة تولوز، ولقي اقبالا شديداً من خلال تدريسه علم الفلك وفلسفة ارسطو ، ولكن بطريقة اثارت عليه حفيظة زملائه من الأساتذة والعلماء ورجال الدين ، فرحل إلى باريس عام ١٥٨١م وعلم بها ، فصادف من الأقبال مثل ما صادف في تولوز، ومن باريس ذهب إلى انجلترا عام ١٥٨٣م، حيث عاش فيها سنتين كانتا أهنأ فترة في حياته واوفرها انتاجا. (٢)

غير ان اراءه الفلسفية والفلكية التي كان يطرحها من خلال محاضراته التي كان يلقيها بجامعة أوكسفورد أثارت مناقشات عنيفة . فاضطر الى

(١) The Encyclopedia Of Philosophy Vol. I. Article: Bruno, Giordano.

(٢) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ٣٢ – ٣٣

وقف دروسه والعودة إلى باريس سنة ١٥٨٥م ، ولكنه لم يستطيع هذه المرة ان يقيم بين اهلها لما عرف عنه من هجوم عنيف على ارسطو ودفاع جرىء عن نظرية كوبرنيكوس وعن حرية الفكر ، فارتحل إلى المانيا عام ١٥٨٦ م، وانفق في ربوعها خمسة اعوام يحاول عبثا ان يعيش استاذاً في احدى جامعاتها . (١)

واخيرا في ساعة من ساعات اليأس ، ذهب إلى البندقية عام ١٥٩١م بدعوة من نبيل شاب عمل على خيانته، وشاءت خسة ذلك النبيل ان يشي بالفيلسوف ، فأمرت السلطات بأعتقاله سنة ١٥٩٢م وحوكم امام محكمة محلية في مدينة البندقية أولا ، واستمرت محاكمته فترة طويلة ، كان يبدى خلالها شيئا من الأستعداد للتخلي عن بعض آرائه التي تخص العقيدة المسيحية الا انه أصر على الأستمرار في التمسك بآرائه العلمية. ونمى خبر هذه المحاكمة إلى ديوان التفتيش بروما ، فطلب تسليمه من حكومة البندقية ، فبعثت به سنة ١٥٩٤ م. حيث ظل سجينا في روما اكثر من ستة اعوام، وكان من عادة مجالس التفتيش مطاولة بعض المتهمين علّهم يتراجعون عن آرائهم ، الا أن برونو لم يتراجع عن آرائه قط . وعندما اعلن القضاء الحكم النهائي بأعدامه حرقا . قال لهم انه (سمع الحكم بخوف اقل مما شعروا به وهم ينطقونه). (٢)

وبعد اسبوع من صدور الحكم في يوم ١٦٠٠/٢/١٧م بأحد الميادين الكبرى في مدينة روما تم تنفيذ حكم الأعدام بجيوردانوبرونو حرقاً وتذرية ما تبقى من رماد جسده في الرياح . وقد كان رابط الجأش شجاعا مصراً على علمانيته إلى آخر لحظة من لحظات حياته. حتى انه عندما رفع اليه احد الرهبان الصليب ليقبله ساعة اعدامه اشاح بوجهه عنه .

---

(١) The Encyclopedia Of Philosophy Vol. I. Article: Eruno, Gordano.

(٢) أ.و. بن: تاريخ الفلسفة الحديثة – ت عبد المجيد عبد الرحيم ص ٢٧.

وبعد مضي ثلاثة قرون ، انعقد الرأي عند جمهرة من المفكرين على ان يكفروا عن هذه الجريمة بأقامتهم تمثالاً لبرونو في مدينة نولا (مكان ولادته) واخر في كامبودى فيورى بروما ، وهو المكان الذي شهد اعدامه(١).

أما مؤلفات برونو فقد جاءت كثيرة رغم شدة قلقة وكثرة ترحاله ، فقد نشر اثناء وجوده في انجلترا خمسة مقالات باللغة الأيطالية، دافع في الأولى عن نظرية كوبرنيكوس ، وحلل في الثانية اسباب الأنتقادات العنيفة التي وجهت اليه من قبل زملائه في اوكسفورد ودافع عن نفسه امام هذه الهجمات ، وبين خطأ وعدم جدوى الأصلاحات البروتستانتية، وفي الثالثة قدم ايضاحا لتصوره الخاص عن لانهائية الكون والعوالم اللامحدودة في عددها ، وفي الرابعة قدم تصورا لدين عالمي ولأخلاق كونية، وفي الخامسة وجه برونو انتقادات حاسمة للقبلانية اليهودية، وهي الفلسفة الدينية السرية عند احبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط، مبينة على تفسير الكتاب المقدس تفسيرا صوفيا.

ونشر برونو فيما بعد كتاب (فن الذاكرة) ، وهو من اكثر كتبه أهمية اذ انه يسجل مرحلة الانتقال عند برونو من مواصلة التقليد الفكري الخاص بعصر النهضة الى محاولة وضع الأسس لفلسفة ولنهضة علمية جديدة. وفي سنة ١٥٩١ م نشر برونو كتابيه الرئيسيين (المونادوا العدد والشكل) و (الكون اللامتناهي والعوالم اللامحدودة) ، حيث تبلور فيها مذهب برونو الجديد في الفلسفة والعلم. (٢)

هذه هي أهم مؤلفات جيوردانو، وهناك مؤلفات كثيرة اخرى، اظهرت كلها ان فيلسوفنا كان يعد العدة ليكون الرائد الأول لفلسفة واخلاق جديدة ولمعلم كون ودين جديد.

---

(١) د. توفيق الطويل: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ص ١٥٨.

(٢) The Encyclopedia Of Philosophy Vol. I. Article: Bruno, Giordano.

التصور الجديد للكون

كان برونو يعتمد نظرية كوبرنيكوس في محاضراته التي كان يلقيها بجامعة اوكسفورد، ولم يكن يعتبر هذه النظرية مجرد فرض رياضي كما كان يفعل باقي استاذه الجامعة. بل كان يعتبرها تمثل حقيقة فيزيائية، ولم يكن يعتبر كوبر نيكوس مجرد عالم رياضي، بل كان يعتبره عالما فيزيائيا واسع الأطلاع بعلم الكون. الا ان برونو لم يكن موافقاً كوبرنيكوس في كل تصوراته أو منطلقاته ، فبالرغم من انه وافق كوبرنيكوس عل نظرية مركزية الشمس، الا أنه لامه على اعتماده فقط على الأدلة الرياضية في البرهان على صحق هذه النظرية، مما جعل كوبر نيكوس حسب رأى برونو لايعرف المغزى الحقيقي وراء كشفه. كما ان برونو لم يقبل الصورة التي قدمها كوبر نيكوس عن محدودية الكون، فالكون عند برونو لانهائي . (١)

ان لانهائية الكون عند جيوردانو برونو تلزم من وجود الكون نفسه، فنحن نلاحظ ان الافق ينتقل بأنتقالنا في المكان. فالادراك الحسي لايدل على مركز مطلق للكون او على حدود مطلقة له، كما اعتقد القدماء، بل بالعكس يدل على امكان اعتبار رأى مكان توجد فيه بالفعل او بالخيال مركزا للكون وعلى امكان مد وتوسيع حدود الكون الى ما لانهاية . ويتفق مع شهادة الحس هذه مالخيالنا وعقلنا من قدرة اضافة العدد الى العدد والمقدار الى المقدار الى مالانهاية. كما يتفق معها شعورنا بعدم الرضا كلما بلغنا غاية توخيناها. فمن غير المعقول عند برونو ان لايكون موجود بحيث يطابق مقدرة خيالنا وعقلنا وارادتنا الى مجاوزة كل حد.

ويلزم مما تقدم نسبية المكان والحركة والزمان. اما نسبية المكان فتتضح من كون الأفق يستدير دائماً حول النقطة التي توجد فيها، فيصبح المكان نسبيا، ويختلف شكل الكون في نظرنا بأختلاف النقطة التي تمثله منها، فيبدو

---

(١) Ibid:

من القمر غيره من الارض ويبدو من الزهرة أو من الشمس غيره كذلك، وقد تصبح نقطة بعينها مرة مركزا ومرة اخرى قطبا او تكون بداية ونهاية في آن واحد. لذا كانت الفاظ (فوق وتحت ويمين ويسار) لاتدل في الحقيقة على شيء مطلق.

وأما نسبية الحركة ، فيتضح من أنه مادام لايوجد في الكون نقطة ثابتة كما تقدم، فالحركة الواحدة بعينها تتخذ شكلا خاصا حسبما نشاهدها من الارض، او من الشمس أو من أي مكان آخر في الكون، وأي نقطة افترض نفسي موجودا فيها تبدو دائما غير متحركة ، في حين انها متحركة بالنسبة الى نقطة اخرى ، اذن فلا يمكن ... الحصول على تمييز مطلق بين ماهو ساكن وما هو متحرك. ويمضي برونو في التدليل على نظريته النسبية فيرى ان نسبية الحركة تستلزم نسبية الزمان، ذلك انه لما كان الزمان مقياس الحركة، وكانت الحركة تبدو مختلفة بأختلاف الكواكب التي ننظر منها اليها، كان في الكون أزمنة بقدر مافيه من اجرام سماوية. والنتيجة التي يستخلصها برونز من كل هذا هي: ان الكون لامتناه، يشتمل على نظام شمسية لاتحصى شبيهة بنظامنا الشمسي، وقد تكون مأهولة بالسكان. اي ان النجوم التي يضمها الكون هي عبارة عن شموس تحيط بها سيارات لها اقمار، وقد توجد الحياه في اي مكان من هذا الكون اللامتناهي. وهكذا تجاوز برونو كوبرنيكوس الذي كان يتابع القدماء في تصور الكون محدودا. (١) .

برونو ومذهب وحدة الوجود :

كان برونو اول من وضع الأسس لمذهب وحدة الوجود بصورته الحديثة ، وقد كانت فلسفة سبينوزا وليبنتز متأثرة الى حد كبير بفلسفة برونو حول وحدة الوجود، وسنستعرض بأختصار رأى برونو في هذه المسالة لنلم بالاثر الذي تركه برونو على فلاسفة وحدة الوجود من بعده:

---

(١) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٥.

رأى برونو ان الله والكون هما اسمان لشيء واحد أو دقيقة واحدة تمثل الوجود كله بكل تفاصيله. فكما ان الكون لانهائي فان في كل جزء من اجزاؤه قوة تسيره وتسيطر عليه، وكما ان الكون وحدة متصلة لاتنفصل فيه ارض عن سماء، على خلاف ماذهب الظن بالناس طيلة القرون الوسطى فان نفس القوة الحالة بالكون تعمل في كل اجزائه ، بدون استثناء، فالقوة نفسها التي تعمل في هذا الجزء من الكون هي نفسها التي تشرف على اجزاء بعيدة جدا عنه . (١)

اذن فهذا الكون اللانهائي المتحد تشرف علية قوة لانهائية واحدة لاتختلف في مكان عنها في مكان آخر، ومجموع هذا الكون بكل مافيه هو الله فالله هو مصدر كل شيء وسبب كل شيء. الله هو الكون وهو في الوقت نفسه منشئه ومكونه، وكل شيء في الوجود انسانا وغير انسان مرآة صافية مجلوة تنعكس فيها صور العالم بعنصريه (عنصر العقل وعنصر المادة) وكل ذرة بالغة مابلغت من الصغر والدقة تمثل الله وتعلن عن وجوده بظهوره فيها، وهي مادية وروحية في آن واحد لأنها صورة من الله واذن فهي خالدة تستعتصي على الفناء، فالله حقيقة هذا الوجود وموجده في الوقت نفسه، او بعبارة اخرى هو كل الممثل في الأجزاء او الأجزاء الكامنة في الكل.

وينكر برونو اشد الانكار ان يكون جزء واحد في الوجود بغير روح وحياة واحساس، فالكون كله كائن حي تغلغل الروح الكونية في كل جزء منه، فلا شك عند برونو ان هناك ينبوعا فياضا تتدفق منه الانواع المختلفة من الموجودات، كما تنبعث الأشعة من الشمس ، واليه تعود كلها مرة ثانية. وكل شيء في الوجود يتبع في سيره ومسالكه قانونه الخاص به، وهو في الوقت نفسه يسير وفق قانون عام ينتظم العالم بأسره، كما يدور الكوكب

Thomas Kiernan: Whos Who In The History of Philosophy: (١) P. 258.

حول محوره وحول الشمس في آن واحد. (١)

ولا يمكن ان يراد بالطبيعة ان ما يشتمل عليه الوجود من انسجام، لهذا قرر برونو ان عملية فهم هذا الوجود انما تتم بمعرفة (الأنسجام) بين مختلف اجزائه وعناصره، وهذا يحدد غاية الفلسفة عند برونو اذ هي عندئذٍ لاتكون سوى ادراك هذا الكمال في الوجود، وما قد يبدو فيه من عدم انسجام، فان هذا لايرجع الى الكون، وانما يعجز الفيلسوف عن السمو بنفسه والرقي بها الى ادراك الكل الجامع للكمال، وينبغي ان لاتكون عبادة الفيلسوف او ديانته الا في تسريح الطرف في جمال الطبيعة الخلاب، فالعبادة الحقيقية عند برونو انما هي في تأمل هذا الكون الذي نراه.

اليس هذا ماجاء سبينوزا ولينتز ليزيداه شرحا وتوضيحا وقد كان برونو أول من استخدم اصطلاح (المو ناد) فأخذه منه لينتز. (٢)

أهمية برونو وتأثيره:

في القرن السابع عشر كانت هنالك مؤامرة لطمس معالم شخصية جيوردانوبرونو وفلسفته، فكان يحاط دائما بالصمت، وان تبدد هذا الصمت قليلا، فلكي يصور برونو على اساس انه كان صديقا حميما للشيطان يكلمه بكل مودة، وقد أورد لينتز نفسه هذه الراواية. وفي القرن الثامن عشر أخذ المؤرخون يصورون برونو على اساس انه من مدعي الألوهية، وانه كان ساحرا شيطانيا. اما في القرن التاسع عشر فقد أعيد لبرونو اعتباره فأظهر كما لو كان الشهيد للعلم الحديث وكواحد من أكبر المقاومين لسلطة الكنيسة الأيطالية المتعسفة. وقد تغيرت النظرة الفجة إلى برونو في الدراسات الفلسفية الحديثة بحيث ظهر كرائد للنظرة الحديثة إلى الطبيعة وإلى الانسان الذي يريد السيطرة على مقدراته. و بالرغم من ان برونو لم يكن في خط

---

(١) The Encyclopedia Of Pnilosophy Vol I. Article: Bruno, Giordano.

(٢) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ٣٦.

المفكرين الذين ساهموا في تقدم الرياضيات ، الا أن تصوره الرائع للكون المحكوم بقوانين طبيعية صارمة أثر تأثيرا كبيرا في الفلاسفة والعلماء الذين جاءوا من بعده ، فأخذنا نجده عند غاليلو واسحق نيوتن .

لقد اثر برونو في الفكر الأوربي الحديث تأثيرا واضحا ، بحيث اننا نستطيع ان نضعه بين المفكرين المحدثين والمعاصرين وليس القدماء (١).

كان من تأثير الآراء الجريئة التي استشهد برونو من اجلها ان انتهت مرحلة في عرف مؤرخي الفكر الفلسفي . فقد أخذت حالة الأضطراب والتردد بين القديم والحديث– بعد القرن السادس عشر– بالتلاشي لصالح ماهو حديث ، وتضاءل نفوذ الكنيسة الرومانية . وبدأ الشك الهدام يتحول إلى يقين تجريبي في ميدان العلم. فكان هذا ايذانا بمطلع العصر الحديث (٢) .

لقد تأيدت معظم الآراء العلمية التي قدمها برونو. فقد أيدت تجارب وملاحظات غاليلو رأي برونو في ان القمر كالأرض من حيث ظهور الجبال والوديان على سطحه . ورد نوره إلى انعكاس اشعة الشمس على اديمه. كما كشف المحدثون من علماء الفلك عن صحة النظرية السديمية التي نادى بها برونو من قبل. ودللوا على ان هذه النظرية تعلل جانبا كبيراً من حقائق الكون . وترقي تركيب (التلسكوب) فأثبت ان البقع السديمية التي تبدو في الفضاء الخارجي هي– كما رأى برونو من قبل – عبارة عن نجيمات تبدو متقاربة الأبعاد نظراً لبعدها السحيق عن الكرة الارضية (٣) :

كان برونو من أشهر مفكري عصر النهضة. وقد يكون أحد أسباب شهرته المأساة التي احاطت بحياته وموته. الا ان السبب الرئيسي كان لما قدمه من عطاء سخي كفيلسوف وعالم. لقد كان تصوره للكون ذا طابع

(١) The Encyclopedia Of Philosophy: Vol. I. Article: Bruno, Gioadano.

(٢) د. توفيق الطويل: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ص ١٧١ – ١٧٢.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٠٢، ٣٤٥.

حديث بشكل يلفت النظر، بحيث يمكن اعتبار برونو الرائد الأول لعلم الكون الحديث. وقد احتلت مؤلفاته الفلسفية والعلمية ركنا بارزاً من اركان فكر عصر النهضة ، ليس فقط لأسلوبها وطريقة طرحها ، بل ايضا لأهمية المسائل التي اضطلعت بدراستها، بحيث تجعل من جيوردانوبرونو عملاقاً يقف بين معاصريه ، بل بين الذين جاءوا من بعده من امثال فرانسيس بيكن وغاليلو وديكارت. (١)



(١) Paul Oskar Kristeller: Eight Philosophers Of The Italian Renaissence: P. 127.

المراجع العربيـــة :

(١) أحمد (د. قيس هادي) : نظرية العلم عند فرانسيس بيكن : رسالة ماجستير — جامعة القاهرة — ١٩٧٥م .

(٢) الطويل (د. توفيق): قصة النزاع بين الدين والفلسفة . الطبعة الثانية — مكتبة مصر — دار مصر للطباعة — القاهرة ١٩٥٨م .

(٣) بن (أ. و) : تاريخ الفلسفة الحديثة . ترجمة عبدالمجيد عبد الرحيم، مكتبة الآنجلو المصرية — القاهرة ، ١٩٥٨ .

(٤) بيصار (د. محمد عبدالرحمن): تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة مكتبة الآنجلو المصرية — القاهرة ، ١٩٧٢م .

(٥) كرم (يوسف) : تاريخ الفلسفة الحديثة : دار المعارف بمصر — بدون تاريخ .

المراجع الأجنبية :

(٦) KIERNAN (THOMAS): WHOS' WHO IN THE HISTORY OF PHILOSOPHY: VISION PRESS LIMITED LONDON 1966.

(٧) KRISTELLER (PAULOSKAR): EIGHT PHILOSOPHERS OF THE ITALIAN RENAISSANCE: STANFORD VNIVERSITY PRESS.
CALIFORNIA 1966.

دوائر المعارف :

(٨) THE ENCYCLOPEDIA OF PHILOSOPHY: VOLVME ONE THE MACMILLAN COMPANY & THE PREE PRESS, NEW YORK 1967.



مشكلة الطاقة والعلاقة بين الدول المصدرة والمستهلكة »

بحث مقدم من

الاستاذ الدكتور محمد ازهر سعيد السماك

(*) أنجز هذا البحث في تشرين الثاني ١٩٨٠ والقي في جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا / كلية الدفاع الوطني في العام ذاته .

مشكلة الطاقة والعلاقة بين الدول المصدرة والمستهلكة

هدف البحث ومنهجـــه :

يهدف هذا البحث الى دراسة مشكلة الطاقة في العالم والعلاقة بين الدول المصدرة للنفط والمستهلكة له.وذلك من خلال التحليل المقارن لابعاد **مشكلة** الطاقة حالياً ومستقبلياً مع طبيعة العلاقات المتبادلة بين مجموعتي الدول المنتجة (المصدرة) والمستهلكة في محاولة لطرح بعض الخيارات المتاحة للعلاقات المنشودة بين الدول المصدرة والمستهلكة للنفط .

وقد اعتمد في كتابة هذا البحث على خبرتنا التخصصية المتواضعة في مجال النفط. بالاضافة الى ماقدمته المصادر العربية والاجنبية المتاحة من حقائق وبيانات وافكار، خاصة منشورات منظمات اوبك، وأوابك، والتعاون الاقتصادي والتنمية (O.E.C.D.) .

والحقيقة أن ليس هناك موضوعاً نال من عناية المتخصصين والمعنيين بالدراسات الاقتصادية والفنية على حد سواء كالذي ناله النفط مؤخراً. ذلك يرتبط بعدة امور منها: الخواص الذاتية المتميزة لهذه المادة كونها طاقة ومادة خام اساسية للعديد من فروع الصناعات الكيمياوية والبتروكيمياوية. بالاضافة الى طبيعة توزيعه المكاني إنتاجاً واحتياطياً . ناهيك عن سمات أخرى عديدة. فلا غرابة اذن ان نركز في هذا البحث على دراسة مشكلة الطاقة والتركيب النوعي لمصادرها عالمياً ، وتحديد الوزن النسبي للنفط بين هيكل مصادر الطاقة الحالية والمنتظرة اولاً . في محاولة لتحديد الاطر العامة لعلاقات التعاون بين المنتجين (المصدرين) والمستهلكين (المستوردين) ثانياً.

ولعل الوفاء يقتضيني أن اسجل شكري خالصاً لجامعة البكر للدراسات العسكرية العليا لاتاحتها الفرصة لالقاء هذا البحث على منتسبي كلية الدفاع الوطني عام ١٩٨٠ وفقنا الله لخدمة امتنا ومن الله سواء السبيل .

— أولاً —

مشكلة الطاقة والتركيب النوعي والهيكل الاقليمي لمصادرها عالمياً وآفاقها:

بدأ الحديث عما يعرف بـ «ازمة الطاقة او مشكلة الطاقة» قبل منتصف سبعينات هذا القرن. اي اعقاب التصحيح الاول لاسعار النفط الخام في تشرين الاول عام ١٩٧٣، وتأسيس وكالة الطاقة الدولية في شباط عام ١٩٧٤ وفعلا بدأت الدول الصناعية المتقدمة متمثلة في الولايات المتحدة الامريكية واليابان واوربا الغربية بشحن الرأى العام العالمي بعامة والرأى العام في بلدانها بخاصة بأحتمال دنو شبح نقص امدادات الطاقة (النفط بشكل خاص)، والارتفاع المفاجيء على حد تعبيرها لأسعار النفط الخام. وما الى ذلك من محاولات اعلامية متعددة ومتكررة للالقاء بلائمة الازمات الاقتصادية العالمية المعاصرة على عاتق دول الانتاج النفطي . منظمة الاوبك على وجه التحديد.

ان المتتبع لتطورات السوق النفطية العالمية يلاحظ ان هناك توازناً بين حجم المعروض من هذه السلعة وحجم الطلب الفعلي، وان دل ذلك على شيء انما يدل على مدى التزام البلدان المنتجة المصدرة للنفط تجاه الحضارة العالمية المعاصرة الذي يعد النفط شريانها الحيوي. غير ان التنبؤات المستقبلية — وبخاصة ماتحاول رسم ابعاده وكالة الطاقة الدولية ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية — قد لاتكون كذلك. بل يحتمل ان تظهر شحة واضحة ومؤثرة في امدادات الطاقة بحلول عام ١٩٩٠. وذهبت — دول تلك المنظمتين — تضع الخطط الكفيلة بأبعاد شبح المشكلة المحتملة . وجاء ذلك صراحة في الاهداف الستراتيجية للمنظمتين المشار اليهما . وفعلا أخذت وكالة الطاقة الدولية على عاتقها مهمة تهيئة مخزون نفطي احتياطي يكفي الاعضاء لمدة ثلاثة اشهر كحد أدنى يمكنها طبقاً لاهدافها من الحيلولة دون ممارسة الضغوط المتوخاة من منظمة الاوبك فيما يتعلق بمسألتي الامداد بالطاقة وتصحيح الاسعار، بالاضافة الى اجراءآت اخرى متعددة. (١)

بيد ان واقع الحال قد لايظهر تأكيداً لمخاوف الدول المستهلكة للنفط

التي امتدت بعيداً حتى عن اجراءات دوائرها الاقتصادية والسياسية لتنذر الدول المنتجة المصدرة للنفط بالتدخل العسكري ان لزم الامر كما ورد ذلك على لسان وزير الدفاع الامريكي الاسبق: شليسنجر . بل بالعكس فان الاثار السلبية التي خلقها النفط في اقتصاديات الدول المنتجة محلياً ودولياً ظاهرة تستحق العناية والاهتمام. وعليه ينبغي الا نفكر من زاوية المشكلات التي تحققها (ازمة الطاقة) داخل الدول الصناعية المتقدمة، بل يقتضي التفكير ايضا من زاوية ماتخلفه من مشكلات للبلدان المصدرة للنفط . فهذه البلدان تعاني في الحقيقة من وطأة قيود متشابكة اقتصادية واجتماعية وسياسية محلية ودولية الى حد أن الفرص التي تتيحها الموارد النفطية تتحول الى عوامل سلبية بالنسبة لأمانيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولعل تزايد الأهمية النسبية للنفط وتطوره بين مصادر الطاقة المستهلكة في العالم يؤكد أهمية هذا المورد ومكانته . اذ أن زيادة استهلاك النفط تفوق الزيادة في استهلاك مصادر الطاقة الأخرى مما يجعل هيكل استهلاك الطاقة في العالم يعاني من تغيرات أساسية منذ مطلع القرن الحالي. فالنفط (٢) لم يكن يساهم باكثر من ١٦٪ من اجمالي استهلاك الطاقة عالمياً عام ١٩٢٩. بينما حظي الفحم الحجري بنحو ٧٩٪ من اجماليها . بيد أن الأهمية النسبية للنفط تضاعفت نحو ثلاث مرات خلال العقود الخمسة التالية تقريبا في حين هبطت الأهمية النسبية للفحم الحجري الى أقل من نصف ماكانت عليه تقريبا . ومن المؤمل أن تزداد أهمية النفط لاحقاً بالرغم من وجود العديد من معوقات استهلاكه ولو أضفنا الغاز الطبيعي إلى النفط لاصبحت الأهمية النسبية للاثنين معا نحو ٦٢٪ من اجمالي استهلاك مصادر الطاقة عالميا أما الطاقة الكهربائية فلا تساهم سوى بنحو ٦,٤٪ من اجمالي مصادر الطاقة. بينما لاتحظى الطاقة النووية سوى بنسبة ضئيلة جدا من اجمالي مصادر الطاقة لاتتجاوز ٢,٨٪ فقط مقابل ٠,٢٪ عام ١٩٦٥ . تلك هي صورة استهلاك مصادر الطاقة عالمياً .

والان لو استثنينا الدول الأشتراكية لأتضح لنا ان النفط يشكل نصف اجمالي استهلاك مصادر الطاقة عالميا (٥٠,٦٪) ويساهم الغاز بنحو خمس اجماليها (١٨,٩٪) بينما تهبط الأهمية النسبية للفحم الحجري إلى زهاء ٢١,٥٪ فقط . وهذا يشير إلى أهمية النفط والغاز في هيكل استهلاك الطاقة في العالم بعامة والدول الصناعية المتقدمة بخاصة.

من ذلك ينبغي أن ندرك الأبعاد الحقيقية للتهويل المصادر البديلة للطاقة ولنتفهم بعمق ما المقصود من التهوين من النفط والغاز حتى يمكن أن نعتمد الأساليب العلمية الصحيحة في انتاج النفط الخام والغاز الطبيعي من خلال منظمة الاوبك .

والان ماهي الأهمية النسبية للتركيب الأقليمي لهيكل استهلاك الطاقة عالميا ؟

١ ـ تعد الدول الصناعية الغربية المستهلك الأول لاجمالي مصادر الطاقة. اذ تراوحت اهميتها النسبية بين ٦٠٪ و٥٦,٨٪ عامي ٦٥ و١٩٧٨ على الترتيب .

وتقف الولايات المتحدة الأمريكية على رأس هذه المجموعة بالنسبة لاستهلاك الطاقة. اذ تنفرد وحدها بنحو نصف اجمالي استهلاك الطاقة في هذه المجموعة وزهاء ثلث اجمالي استهلاك الطاقة عالميا. تليها أهمية اوربا الغربية فاليابان. من هنا تدرك سبب تزايد اهتمامات منظمة OECD ووكالة الطاقة الدولية بالنسبة لموضوع الطاقة.

اما مجموعة الدول الأشتراكية فلاتستهلك جميعا سوى أقل من ثلث اجمالي مصادر الطاقة عالميا. ويقف الاتحاد السوفيتي في المرتبة الأولى وهو يستأثر بنحو سدس أستهلاك الطاقة عالميا، أي زهاء نصف ماتستهلكه الولايات المتحدة تقريبا. أما ماتستهلكه الصين فلا يزيد عن استهلاك اليابان الا قليلا رغم ان الأولى تعول نحو ثمانية أمثال الثانية مما يعكس بجلاء

التقدم الأقتصادي الذي تشهده الثانية بالمقارنة بالأولى لاسيما اذا اعتبرنا أن معدل مايستهلكه الفرد من منتجات الطاقة أحد مؤشرات التقدم ألتي يؤخذ بها عالميا .

٢ — ولا تنحصر أهمية الدول الغربية الصناعية في استهلاك مصادر الطاقة عالميا فيما تقدم بل تتعداها إلى التركيب النوعي لتلك المصادر . مما يفسر لنا حقيقة الصراع السياسي والاقتصادي الدائر في العالم . فهذه المجموعة تستهلك نحو نصف اجمالي النفط الخام عالميا . ويشكل النفط زهاء ٤٤٪ من اجمالي استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة وزهاء ٥٦٪ بالنسبة لدول اوربا الغربية ونحو ٧٠٪ بالنسبة لليابان . من هنا يجب ان نتبين أهمية النفط لديمومة التقدم في هذه الاجزاء من العالم .اذ يعد النفط مسؤولاً عن اكثر من نصف ماتستهلكه من مصادر الطاقة جملة . بينما لايشكل النفط سوى ثلث مصادر الطاقة المستهلكة في الدول الأشتراكية . ولعل هذه الصورة تفسر ابعاد السياسة الغربية في ارجاء الدول النفطية المختلفة.

٣ — والصورة ذاتها تنعكس على واقع توزيع استهلاك الغاز الطبيعي في العالم . فدول اوربا الغربية اكثر الدول بالنسبة لمساهمة الغاز في اجمالي استهلاك الطاقة فيها . والملاحظ هنا الأهتمام المتزايد لاوربا في الغاز الطبيعي ومدى الأعتماد عليه كمصدر للطاقة. فقد ارتفعت نسبة مساهمة الغاز هنا من ٢،٣٪ عام ١٩٦٥ إلى حوالي ١٤٪ عام ١٩٧٨ .

٤ — ويعد الفحم الحجري مصدر الطاقة الرئيسي في الدول الأشتراكية وان كان آخذ في التناقص. اذ يساهم بنحو اكثر من نصف اجمالي استهلاك مصادر فيها أي نحو ٦٥،٩٪ و٥٢،٨٪ عامي ٦٥، ١٩٧٨ على التوالي . وتحظى الصين في المرتبة الأولى في هذا الصدد . اذ يساهم الفحم الحجري بنحو ٨٣٪ من استهلاك مصادر الطاقة فيها .

اما مجموعة الدول الصناعية الغربية بما فيها الولايات المتحدة فلا يشكل الفحم الحجري سوى خمس اجمالي استهلاك مصادر الطاقة فيها.

٥ ــ هذا ولا تشكل مصادر الطاقة الأخرى : الكهرمائية والنووية سوى نسب محدودة بين مصادر الطاقة المستهلكة في دول العالم . تبلغ نحو ٧٫١٪ في مجموع الدول الغربية الصناعية بما فيه الولايات المتحدة وتهبط إلى النصف في مجموعة الدول الأشتراكية (٣٪) بالنسبة للطاقة الكهرمائية . اما الطاقة النووية فلا تسهم سوى بنسبة ٢٫٣٪ من اجمالي استهلاك الطاقة في الدول الصناعية الغربية ينخفض إلى ٠٫٣٪ فقط في مجموعة الدول الأشتراكية .

حاصل ماتقدم يعكس لنا عدة حقائق منها : ان النفط هو المصدر الأول للطاقة في العالم . ويحظى بأهمية متميزة في هيكل استهلاك الطاقة في مجموعة الدول الصناعية الغربية بما فيه الولايات المتحدة (دول منظمة OECD)تفوق غيرها في جملة العالم .فهو يستأثر بنحو اكثر من نصف اجمالي الاهمية النسبية . أما النسبة الباقية فهي لصالح الغاز الطبيعي والفحم الحجري تقريبا . من هنا ينبغي أن ندرك جوهر الصراع الدائرة في العالم. صراع بين من يملك ومن لايملك . صراع من اجل السيطرة على مورد رئيسي من موارد الثروة له أبعاد استراتيجية لما خطورتها وقت السلم والحرب بسواء.

والآن لنتساءل ماهو الأتجاه العام لتطور استهلاك الطاقة عالميا ؟

للاجابة عن هذا السؤال لابد من الاستعانة بالجدولين ١و٢ ومن ذلك يتضح : (٢)

١ ــ ان التغيرات في نسب نمو استهلاك الطاقة عالمياً في السنوات الخمس الاخيرة يعود اساساً الى التغيرات في الدول الصناعية الغربية التي تستهلك نحو ثلاثة أخماس اجمالي الطاقة في العالم. فقد انخفضت حصة الدول الصناعية الغربية من استهلاك الطاقة العالمي نتيجة لانخفاض فيمعدل نموها .الاقتصادي بالدرجة الاولى. بالاضافة الى جهودها في مجال الحفاظ على الطاقة والاقتصاد في استخداماتها . وهذا يعني ان مجالات الهدر في استعمالات الطاقة كان

كبيرا ايام اسعارها المتدنية قبل عام ١٩٧٣. بالاضافة الى القدرات التكنولوجية الكبيرة لهذه المجموعة في تحسين المعدات المستخدمة للطاقة والتأثير في أنماط الاستهلاك. ان انخفاض نمو استهلاك الطاقة عموما في هذه الدول قد انعكس بشكل اساسي على نمو استهلاك النفط . اما بالنسبة للمصادر الاخرى فقد زاد نمو استهلاكها او توقف انخفاضه عدا الطاقة النووية التي نمت بنسب عالية ثم مالبثت ان بدأت الانخفاض نتيجة لاعتبارات خاصة تتعلق بطبيعة الاستخدام وامكانية تطوير هذا المصدر.

٢ — لم يطرأ تغيير في نسب نمو استهلاك الطاقة في الدول الاشتراكية في السنوات الخمس (٩٧٨/٧٣) مقارنة بالفترة السابقة (٩٧٣/٦٨) .كما يلاحظ ان هناك تباطؤا في معدلات نمو استهلاك النفط وزيادة في نمو استهلاك الفحم والغاز .

٣ — أما الدول النامية فقد انخفض استهلاكها للطاقة نتيجة لانخفاض نمو استهلاك النفط والغاز وتزايد قليل من نمو استهلاك الفحم.

٤ — انخفضت معدلات نمو استهلاك الطاقة في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.فقد بلغت خلال الفترة (٩٧٣/٦٨) نحو٤,٦٪ هبطت الى زهاء ٠,٨٪ فقط خلال السنوات ١٩٧٨/٧٣ وبذلك لم يزد استهلاك الطاقة في عام ١٩٧٨ عنه في عام ١٩٧٣ سوى ٥٪ ونحو ٨٪ عام ٩٧٩ وبذلك يتوقع وفر في استهلاك الطاقة بما يعادل ١٨ مليون برميل يوميا مقارنة بمالو استمرت نسب نمو استهلاك الطاقة ذاتها في الفترة التي سادت قبل عام ١٩٧٣. ان خمس هذا الوفر في استهلاك الطاقة يرجع الى تقنين الاستهلاك وترشيده والباقي يعزى الى انخفاض معدلات نمو الناتج القومي الاجمالي.

اضف الى ماتقدم ان نسبة نمو الطاقة مقارنة بنسبة النمو الاقتصادي قد انخفضت في الفترة ١٩٧٨/٧٣ الى حوالي ٠,٤٤ بينما كانت هذه النسبة احادية في الفترة التي سبقت عام ١٩٧٣. اي أنه كان لكل نسبة نمو اقتصادي نسبة مماثلة في النمو في استهلاك الطاقة . ان الانخفاض في هذه العلاقة لايعتبر

جدول رقم (١)
نمو استهلاك مصادر الطاقة (متوسط التغير المئوي السنوي)

المصدر والفترة	نفط		فحم		غاز		طاقة نووية		طاقة مائية		اجمالي الطاقة	
المنطقة	١٩٧٣	٧٨	٧٣	٧٨	٧٣	٧٨	٧٣	٧٨	٧٣	٧٩	٧٣	٧٨
	١٩٦٨	٧٣	٦٨	٧٣	٦٨	٧٣	٦٨	٧٣	٦٨	٧٣	٦٨	٨٣
دول منظمة التعاون												
الاقتصادي والتنمية	٧,٣	٠,٤	-٩,٩	١,٠	٤,٩	١,٠	٢٨,٦	٢٤,٩	٧٨,٩	٢,٦	٤,١	٠,٨
الولايات المتحدة	٥,٢	١,٦	٠,٩	١,٢	١,٨	٢,٥٠	٤٥,٩	٢١,٢	٤,٩	١,٠	٣,٤	٠,٩
اوربا الغربية	٨,٢	-٠,٩	٥,٢	١,٧٠	٢٧,١	٦,٦	١٣,٠	١٨,١	١,١	٣,٥	٥,٥	٠,٦
اليابان	٢٢,٥	-٠,٥	١,٧	-٢,٣	١٩,٢	٢٦,٣	٥٠,٣	٤,٣	١,٦	٠,١	١٠,٠	٠,٥
دول الكتلة الاشتراكية	٩,٥	٥,٩	٢,٨	٣,٤	٦,٤	٨,٩	٣٩,٠	٣٠,٣	٤٤٦,١	٥,١٤	٥,١	٥,١
بقية العالم (دول نامية)	٧,٥	٤,٩	٤,٢	٤,٦	١١,٠	٦,٠	—	١,١	١٠,١	٨,٤	٧,٢	٥,٢
العالم	٧,٦	٢,٠	٠,٩	٢,٠	٥,٦	٢,٨	١٩,٨	٢٥,٣	٣,٩	٣,٩	٥,١	٥,١

(١) تشمل الاتحاد السوفيتي واوربا الشرقية والصين الشعبية

المصدر: BP. Statistical Review of the World Oil Industry, 1978.

جدول رقم (٢)
التوزيع النسبي لاستهلاك الطاقة في العالم

المصدر والسنة	نفط		فحم		غاز		طاقة نووية		طاقة مائية		اجمالي الطاقة	
المنطقة	١٩٧٣	١٩٧٨	٧٣	٧٨	٧٣	٧٨	٧٣	٧٨	٧٣	٧٨	٧٣	٧٨
دول منظمة التعاون												
الاقتصاد والتنمية	٧٠,٣	٦٤,٩	٤٣,١	٣٨,٨	٦٩,٧	٦٠,٩	٨٩,٩	٨٨,٤	٧٠,٧	٦٦,٩	٦٢,٩	٥٧,٨
الولايات المتحدة	٢٩,٧	٢٩,١	٢٠,٦	١٩,٦	٥٢,٩	٤٠,٧	٤٤,١	٤٩,٥	٢٢,٧	١٩,٦	٣١,٢	٢٨,٥
اوربا الغربية	٢٦,٦	٢٣,١	١٣,٣	١٠,٩	١٢,٠	١٤,٤	٣٢,٦	٢٥,١	٢٧,٥	٢٧,١	٢٠,٤	١٨,٥
اليابان	٩,٦	٨,٦	٣,٧	٣,٠	٠,٥	١,٤	٤,٧	٨,٢	٥,٣	٤,٣	٦,٠	٥,٥
دول الكتلة	١٥,٩	١٩,٣	٥١,٦	٥٤,٤	٢٣,٣	٣١,٢	٨,١	٩,٩	١٤,٣	١٤,٧	٢٦,٩	٣٠,٤
الأشتراكية												
بقية العالم	١٣,٨	١٥,٨	٥,٣	٦,٨	٧,٠	٧,٩	٢,٠	١,٧	١٥,٠	١٨,٤	١٠,٢	١١,٨
العالم	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر : بدلالة جدول رقم (١)

مؤشرا دقيقاً للمستقبل حيث يتوقع ان تصبح مرونة الطاقة في دول وكالة الطاقة الدولية ٠,٨ في الفترة ١٩٨٥/٧٧ اذ ان نسبة الـ٠,٤ هي غير عادية وسببها الخلل الاقتصادي ، في فترةالسنوات الخمس المنتهية بعدعام ١٩٧٨. (٤)

اما بالنسبة لنمو استهلاك النفط فقد انخفض باكثر من انخفاض نمو الطاقة . اذ يقدر نموه بحوالي ٠,٤٪ سنويا في الفترة ٩٧٨/٧٣ مقابل ٣,٧٪ سنويا للفترة ١٩٧٣/٦٨. وقد نجم هذا الانخفاض مع تباين في معدلات النمو داخل الدول الصناعية. اذا نخفض الاستهلاك في اوربا الغربية واليابان في عام ١٩٧٨ عنه في عام ١٩٧٣ ونما في الولايات المتحدة بمعدل ١,٦٪ سنويا . وهو آخذ في النمو كما تشير التقارير الخاصة من مكتب الميزانية التابع للكونكرس CBO (سبو) (٥) في هذا المجال . لذلك فان سبو يشير صراحة الى ان اقامة حوار رسمي بين الدول المنتجة للنفط والمستهلكة . امر لامناص عنه ، بل انه شرط ضروري لاقامة الاستقرار في السوق النفطية العالمية (٦) هذا ماسوف نتعرض له لاحقاً من هذا البحث .

وقد تثير الروح القومية فينا السؤال الاتي :

ماهو التصور العام لأوضاع الطاقة في الأقطار العربية بالتالي ان الاجابة عليه تنحصر موجزا بما يلي (٧) : —

١ — ان الاقطار العربية ليست غنية في مجال الطاقة بالقدر الذي يخيل للرأى العام الدولي وحتى العربي. فالاقطار العربية لاتساهم سوى بحوالي ٩٪ من مصادر الطاقة الحالية المؤكدة في العالم. في حين تشارك الولايات المتحدة الامريكية بنحو ٢٥٪ والاتحاد السوفيتي ٢٢ ٪ من هذه الاحتياطيات .

٢ — هناك سبعة اقطار عربية تملك ٩٧٪ من مجمل الاحتياطيات العربية للنفط. وخمسة أقطار تملك الـ ٣٪ المتبقية. بينما هناك عشرة اقطار اخرى يزيد تعدادها عن الـ٥٠ مليون نسمة، أى زهاء ثلث سكان الوطن العربي لاتمتلك احتياطيات نفطية او غازية مؤكدة.

٣ — ان كون الاقطار العربية لاتستهلك سوى ٦٪ مما ينتج من النفط بينما

تساهم بمايعادل نحو ٦٠٪ من تجارة النفط العالمية يكشف عن ضآلة استهلاك الاقطار العربية للطاقة اكثر منه وفرة في مصادر الطاقة لديها. فلو ان الفرد العربي يستهلك من الطاقة بما يعادل الفرد الايطالي لاستهلكت الاقطار العربية نصف ماتنتجه حاليا، ولأستهلكت كل ماتقدر على انتاجه خلال عشر سنوات تقريبا. فصادرات الاقطار العربية الكبيرة واستهلاكها الضئيل يوضح تخلف اقتصادياتها.

٤ـ ان اجهزة الاعلام الغربية بوجه خاص حاولت تعظيم الثروة العربية النفطية. في الوقت الذي نجد أن نصيب المواطن العربي من الناتج القومي المحلي يعادل تقريبا نصيب المواطن التركي (في تركيا) وهي دولة نامية لايتحدث أحد عن غناها. ان الاقطار العربية المصدرة الرئيسة للنفط تعتمد على النفط بشكل اساسي في اقتصادها ان قيمة صادراتها النفطية تشكل ٩٠٪ من الناتج المحلي فيها.

٥ ـ ان مصادر الطاقة المستقبلية تعتمد اساسا على رؤوس اموال كبيرة وتكنولوجيات متقدمة. والاقطار العربية لاتملك مصادر طاقة هامة غير نفطية ولاتمتلك تكنولوجيا لتطوير المصادر الاخرى. وهنا تبرز أهمية النفط القصوى للاقطار العربية كمصدر للطاقة في المستقبل وكمصدر دخل لتطوير اقتصادياتها غير النفطية.

وعلى الرغم من مرارة ملامح الصورة العربية لاستهلاك الطاقة ومستقبلها فان الدول المستهلكة مافتئت تضع الستراتيجيات الخاصة بها في مجال سياسات الطاقة. ففي تشرين الاول عام ١٩٧٧ (٨) تم الاتفاق بين الدول الاعضاء في وكالة الطاقة الدولية، اي بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية باستثناء فرنسا، على وضع استراتيجية مشتركة لسياسة الطاقة متمثلة بما يلي: ـ
أ ـ حصر مستوردات النفط بحدود ٢٦ مليون برميل يوميا في عام ١٩٨٥.
ب ـ وجوب مساهمة كافة الاعضاء في أهداف المجموعة (١٩عضوا).
جـ ـ المصادقة على المبادىء الاثني عشر لسياسة الطاقة كي يتم الاسترشاد بها

حين اتخاذ التدابير المتعلقة بسياسة الطاقة الوطنية . وهذه المبادىء تهدف المحافظة على الطاقة الا انها مع ذلك محاطة بسرية واضحة من قبل الوكالة.(٩)

ان من بين أهداف وكالة الطاقة الدولية هو تكوين مخزون نفطي استراتيجي يكفي الاعضاء لمدة ٩٠ يوما كما رأينا.والعمل على تخفيف الاعتماد على النفط المستورد بحيث يصل إلى ٢٦ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٥. ورفع حجم النشاط الاستكشافي والتنقيب عن النفط في مناطق اخرى كبحر الشمال والاسكا وكندا وغيرها وترشيد الاستهلاك والاسراع في تطوير البدائل الاخرى للطاقة والتعاون التام مع شركات النفط الكبرى والمستقلة في لجان استشارية خاصة لمجابهة احتمالات الطوارىء واقتسام الامدادات النفطية طبقا لنظام الامدادات في الشركات المتعددة الجنسيات. بالاضافة إلى تعاون الوكالة مع منظمة التعاون والتنمية والسوق الاوربية المشتركة إلى حد اقتسام الاحتياطي النقدي فيما بينهم للحفاظ على موازين مدفوعاتهم .ناهيك عن أن وكالة الطاقة الدولية تسعى وباستمرار الى تشجيع المنتجين لانفاق اموالهم في قضايا الدفاع والاستثمارات الطويلة المدى والاستهلاك الترفي وغير ذلك.

ولعل من المفيد أن نذكر أن أي تخفيض في درجة الاعتماد على النفط المستورد ومعظمه من دول اوبيك تقرره سياسات الطاقة الرامية إلى الاستبدال والاقتصاد في الطاقة، كما يقرره تباطؤ عملية النمو الاقتصادي. ولكن حجم الانخفاض في الطلب على نفط اوبك وأوابك لاتحدده تحليلات سياسة الطاقة وحدها أو التكهنات حول أسعار النفط وحدها . ولذلك فان الطلب على الطاقة وبالتالي على النفط متروك أمره لنماذج التقدير التي قد تعطي نتائجا غير واضحة لانها تتأثر إلى حد كبير بتغير فرضيات النمو الاقتصادي على الطاقة والاستبدال مابين انواع الوقود.

وقد أورد الاستاذ الوتاري (١٠) أحد هذه التكهنات الذي وضعه ولتر ليفي ومفاده ان الطلب على نفط اوبك سيكون بحدود ٣٧ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٥. (١١) وان كانت هناك تقديرات اخرى تصل بهذا الرقم

إلى نحو ٤٨ مليون برميل يوميا. ومثل هذا الرقم يتخطى طاقة الانتاج في دول الاوبك والتي هي بحدود ٣٩ مليون برميل يوميا . ويستنتج ليفي في ضوء التطورات في الاحتياطي النفطي الحالي والمنتظر أنه مهما كان معدل نمو الطلب في المستقبل فمن المؤكد ان نسبة الانتاج العالمي إلى الاحتياطي ستهبط، وان مرحلة الانتقال من الاقتصاد القائم على النفط إلى الاقتصاد القائم على مصادر اخرى من الطاقة لن تزيد عن ٢٥ سنة. واذا أخذ المرء بهذه النظرة كاحتمال بارز فقد يبدو له اننا قد تأخرنا بالفعل. ذلك أن وكالة الطاقة الدولية تتصور نمطا عالميا لعام ٢٠٠٠ يقوم النفط فيه بسد نسبة ٤٦٪ من الاحتياطيات والغاز ١٢,٥٪ والفحم ٢١٪ والطاقة النووية ١٣,٥٪ والباقي مصادر الطاقة الجديدة.

ان سياسات الطاقة التي تقوم اساساً على نظام من تخفيض الطلب على الطاقة لن تكون كافية لتحقيق الانتقال والتحول دونما توقف او ارتباك نظرا للعوائق التي تعيق التوسع في انتاج الفحم والطاقة النووية . فهذه السياسات لن تفضي الا إلى اعتماد نسبي اكبر على ماتبقى من احتياطي النفط في حين تظل نسبة مساهمة النفط بحدود ٤٦٪ في حين لايكون لبدائل النفط من اثر واضح قبل عام ٢٠٠٠. من هنا تتضح اهمية النفط لاقتصاديات الدول المستهلكة.

ثانيــــا

الاتجاه العام لمسار العلاقات القائمة بين المنتجين (المصدرين) والمستهلكين (المستوردين) ومستقبلها: —

— ١ —

تثير البلدان المستهلكة للنفط باستمرار مخاوفها من مواقف البلدان المنتجة للنفط دون وجه حق محدد. يدفعها نحو ذلك القوة التساومية لمجموعة هذه البلدان كونها منتجة لاهم مصادر الطاقة في العالم اولا. ولأنها تحتل مركزا مرموقاً بين اشقائها مجموعة العالم النامي ثانياً. والذي تمثل بعلاقات

التعاون التام بينهما كما ورد ذلك صراحة في موتمر داكار (١٢) عام ١٩٧٥ واجتماع منظمة أدول ال٧٧ وضمن اجتماعات هيئة الامم المتحدة وغيرها. ولعل من المفيد ان نشير إلى موقف الاوبك الحازم في مؤتمر الجوار بين الدول النامية والدول الصناعية والمتلخص برفض مسالة فصل الطاقة عن المواد الاولية الاخرى والوقوف بوجه سياسة الاستفراد التي حاولت الدول الصناعية المستهلكة تطبيقها. (١٣)

فلا غرابة اذن ان تحاول دول منظمة التعاون والتنمية ووكالة الطاقة الدولية القاء اللائمة بشأن الازمات الاقتصادية العالمية المعاصرة على عاتق الدول المصدرة للنفط (اوبك). وفيما يلي بعضا من تلك المخاوف: —

(أ) التخوف من اثار تراكم الفوائض المالية النفطية على اقتصاديات البلدان المستوردة للنفط:

من استقرار بسيط للبيانات التي امكن الحصول عليها والمتمثلة في جدول رقم (٣) بمكن ملاحظة تراجع واضح لحجم الفائض السنوي في الحساب الجاري لدول الاوبك بحيث هبط إلى نحو ١٠ مليارات دولار عام ١٩٧٨. بينما حققت اليابان مثلا فائضا في حسابها الجاري عن عام ١٩٧٨ بلغ نحو ١٧ مليار دولار كما حققت المانيا الغربية وسويسرا معا فائضا بلغ نحو ١٣ مليار دولار علما بان الفائض المتحقق في الدول المتقدمة الثلاث ناجم عن نشاط اقتصادي متجدد في حين ان الفائض في حالة دول الاوبك يتحقق بنضوب مورد طبيعي غير متجدد وهو المصدر الاساسي لدخلها القومي كما يتضح تزايد واردات الاوبك خلال السنوات ٧٥ — ١٩٧٩ بمعدلات تفوق زيادة الايرادات. وثمة مسألة اخرى تضاف وهي ان القيمة الحقيقية للايرادات النفطية للاوبك عام ١٩٧٨ قد تآكلت نتيجة لموجة التضخم التي تصاحب الاسواق العالمية وتخفيض قيمة العملات النفطية (الدولار) وارتفاع الاسعار. ذلك بما لايقل عن ٤٠٪ بالنسبة لعام ١٩٧٤ (١٤). وعليه فان الايرادات النفطية لدول اوبك عام ١٩٧٨ لم تتجاوز

جدول رقم (٣)

الفائض السنوي في الحساب الجاري لدول الاوبك واوجه استثماره (١٩٧٤ ـ ١٩٧٩ الوحدة = مليار دولار)

	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩
ايرادات نفطية	ــــ	٩٥	١٢٠	١٣٣	١٢٥	١٥٠
صادرات سلعية	ــــ	٥,٣	٧,٤	٩	١٠	١٢
ايرادات خدمات	ــــ	٦,٢	٧,٢	٨	٩	١٠
عائد استثمارات إجمالي	ــــ	٥,٥	٧,٠	٩,٤	١١,٨	١٣
جملة المدفوعات		١١٦,٠	١٤١,٦	١٥٩,٤	١٥٥,٨	١٨٥
واردات سلعية		٥٥,٤	٦٨,٢	٨٢	٩٣,٧	١١١
واردات اخرى		٢٣,٢	٣٠,٥	٣٨	٤٢,٥	٤٨
جملة الدفوعات		٧٨,٦	٩٨,٧	١٢٠	١٣٧,٢	١٥٩

تتمة جدول رقم (٣)

تحويلات رسمية وخاصة		٦,٧	٧,٥	٩,١	٩,٠	٩
فائض الحساب الجاري	٦٤,٦	٣٠,٧	٣٥,٤	٣٠,٣	١٠,٦	١٧
اوجه استثمار الفائض :						
الولايات المتحدة	١١,٦	١٠,٠	١٢,٠	٩,٢		
المملكة المتحدة	٢١,٠	٤,٣	٤,٥	٤,١		
دول اخرى ودوائع مصرفية			٦,٥	٧.٥		
تسهيلات ثنائية واستثمارات	٢٠,٩	١٧,٤				
متنوعة			١٣,٢	١٢.٤		
منظمات دولية	٣.٥	٤,٠	٢,٠	١,٢		
جملة الاستثمارات	٥٧,٠	٣٥,٧	٣٧,٢	٣٣٥		

في حقيقتها ٧٥مليار دولار وهو مايقل عن مستواها عام ١٩٧٤ والذي بلغ نحو ٩٧ مليار دولار. بالاضافة إلى تراجع حجم الفائض السنوي لدول الاوبيك. فقد اخذ هذا الفائض يتركز في ايدي عدد قليل من الدول. وهي على وجه التحديد المملكة العربية السعودية والكويت واتحاد الامارات اذ يقدر نصيب الاقطار الثلاثة بنحو ٧٠٪ من اجمالي فوائض الاوبك المحققة خلال الفترة ٧٤ ــ ١٩٧٨ . (١٥) وتتجه هذه الفوائض في غالبيتها الى الاستثمارات القصيرة الاجل عالية السيولة كالودائع المصرفية والاوراق المالية في الدول الصناعية الغربية. الامر الذي يجعل من هذه الفوائض ظاهرة نقدية مالية وأتاح الفرصة للنظام المالي العالمي (العربي) لكي يسيطر عليها ويعيد تدويرها بما يخدم مصالحه (١٦) .

«وفي مجال التخوف عن تحركات الفوائض النفطية والتي قد تأخذ شكل تحول مفاجيء من عملة دولية الى عملة اخرى ، فان تجارب الفترة ٧٤ ــ ١٩٧٩ قد برهنت على ان مثل هذه الحركات قد صارت احتمالا مستبعداً من ناحية اثبتت دول الفائض أنها تتمتع بقدر كبير من المسؤولية وحسن التقدير . كما ان نقص عددها مع مضي الوقت جعل علاقة كل منها مع أية مضيفة في حكم الروابط الثنائية التي تتشابك فيها الاستثمارات المالية مع غيرها من المصالح الاقتصادية المتبادلة . ومن ناحية اخرى فان هذه الموجودات المالية قد اصبحت أسيرة في الجانب الاكثر منها للنظام المالي الغربي وقد استطاع هذا النظام أن يقيم ويطور في انظمته الداخلية بما يمكنه من الاحتياط لهذه الاحتمالات . ونذكر على سبيل المثال (شبكة المقايضة SWap Network) والتي في ظلها يتم تبادل الائتمان القصير الاجل بين أهم المصارف المركزية لحماية الاسعار من التقلبات المفاجئة وقد بلغ حجم العمليات التي تدخلت بها المصارف المركزية الرئيسة للحفاظ على أسعار الصرف خلال نصف عام من / تشرين الثاني ١٩٧٨ الى نيسان ١٩٧٩ نحو ٧١ مليار دولار وهو مبلغ ليس بالقليل اذا قورن بحجم الفوائض النفطية (١٧) .

(ب) التخوف من آثار مشكلة السيولة الدولية اثر تصحيح أسعار النفط الخام :

أن النظام المالي العالمي قد يتمكن بصعوبة من مواجهة السيولة الدولية التي ترتبت على تصحيح أسعار النفط .الا ان منظمةOECD تعتقد أن فترة التحول التي يعيشها العالم الان لاتزال تحمل – بالاضافة الى مخاطر انقطاع الامدادات النفطية – احتمال وقوع أزمات عالمية تسببها قفزات كبيرة في اسعار النفط وتحذر هذه المنظمة من تراجع النمو الاقتصادي او حدوث ركود إقتصادي عالمي مما قد يؤدي الى عجز المؤسسات المالية الدولية او عدم رغبتها في تدوير فوائض الاوبك على نحو ما تم خلال السنوات الماضية . وتقسم الدول المستوردة للنفط الى ثلاث مجموعات رئيسة وذلك بحسب قدرتها على مواجهة الازمة .حيث تأتي في المقدمة مجموعة الدول الصناعية الكبرى والتي تستطيع أن تلعب دوراً قياسياً في الاسواق المالية وتتمثل في مجموعة الدول العشرة . (*) . ثم تليها باقي الدول الغربية المتقدمة خارج العشرة . وأخيراً مجموعة الدول النامية غير النفطية . وتعتقد دوائر OECD ان وقع الازمة المالية والتي ترتبطها باسعار النفط سيكون حادا بالنسبة للمجموعة الثالثة وهي الدول ذات الاقتصاديات الضعيفة والتي تتصاعد مديونيتها الدولية بحدة واطراد .وتنتهي تلك الدوائر – فيما يشبه بالتحريض ضد دول الاوبك – الى عدد من المقترحات منها :–

(١) – توجيه فوائض الاوبك الى استثمارات طويلة الاجل في الدول النامية غير النفطية . مع التأكيد على تطوير مصادر بديلة للطاقة واعادة تشكيل الطلب على الطاقة فيها يما يقلل استيرادها من النفط .

(٢) معاونة الدول النامية الضعيفة اقتصادياً (– ٣٠٠ دولار متوسط دخل الفرد سنوياً)على مواجهة المشاكل المتزايدة لاستيراد النفط بأنشاء صندوق خاص .

(٣) انشاء نظام للتسهيلات التحويلية المتعددة الاطراف تقدم بمقتضاه الاموال التي تحتاجها الدول النامية في شكل سندات او قروض مصرفية وذلك بضمانه مشتركة من دول الاوبك ودول O.E.C.D .

(٤) اعادة تشكيل النظام النقدي والمالي العالمي بما يجعله اكثر قدرة على مواجهة الازمة المالية المحتملة في حالة وقوعها .

والآن وبعد أن حددنا اهم المخاوف للدول المستهلكة لابد من استعراض بعض اوجه العلاقات المتبادلة بين البلدان المستهلكة والمصدرة للنفط .

— ٢ —

العلاقات المتبادلة بين الاقطار المستهلكة والمصدرة للنفط : —

(أ) من المفيد ان نركز على سبع دول صناعية كبرى ضمن منظمة OECD ال ٢٤. وهذه الدول تمثل في وضعها نحو ٨٥٪ من صادرات المجموعة الصناعية الى الاوبك ونحو ٨١,٢٪ من صادرات الاوبك من الزيت الخام الى المجموعة الصناعية . ومن ملاحظة جدول (٤) يتبين أن أعتماد الميزان التجاري لكل دولة من الدول السبع على الاوبك كمجموعة (سواء في الصادرات أم الواردات) لم يبلغ مرتبة حرجة . وعلى العكس فان اعتماد الاوبك على هذه الدول كمجموعة سواء في تصريف صادراتها النفطية او في تغطية احتياجاتها من السلع والخدمات المستوردة تتجاوز مستوى ال ٧٠٪ واذا كانت مجموعة الدول السبع قد حققت في ميزان مدفوعاتها خلال الفترة ٧٤ — ١٩٧٧ عجزاً بلغت جملته نحو ٤١ مليار دولار . فان الجانب الكبير من فوائض الاوبك والتي بلغت نحو ١٦٠ مليار حتى نهاية عام ١٩٧٧ قد اتجه الى هذه المجموعة من الدول وعمل على سد فجوة العجز التي لم تكن راجعة بكاملها الى الواردات النفطية . وتشكل اربع دول من مجموعة السبعة حجر الزاوية في هذا المجال . وهذه الدول هي الولايات المتحدة واليابان والمانيا الغربية وبريطانيا وهي تموّن مجتمعة نحو ٦٥٪ من صادرات OECD الى الاوبك. وتمتص نحو ٦١٪ من واردات OECD من نفط الاوبك كما ان هذه الدول تعد المضيف الرئيسي لفوائض الاوبك. وتعتبر — عدا اليابان — مستفيدا من ارتفاع أسعار النفط من فوائض الاوبك. جدول (٥).

جدول رقم (٤)

التوزيع العالمي لفوائض (اوعجز) الحساب الجاري (٧٠ ـ ١٩٧٧)الوحدة = مليار دولار

الدول	عدد الدول	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧
الدول المصدرة للنفط	١٤	٠,١	٢,٢	٢,٣	٥,٥	٦٤,٦	٣٠,٦	٣٥,١	٢٨,١
دول صناعية كبرى	٧	٦.٥	٨,٣	٠,١	١,٠	٢٣,٣	٥,٨	١٠,٠	١٣,٤
دول صناعة متقدمة كبرى	٢٠	٤,٦	٣,١	٤,٠	٤,٢	١٦,٣	١٧,٢	١١,٨	٢١,٨
دول نامية غير نفطية	٧١	٧,٠	٩,٤	٦,٩	٦,٢	٢١,٠	٢٩,٨	١٨,٤	١٤,٧
دول شيوعية	١٠	٣,٠	٣,٠	٣,١	٤,٠	٥,١	١١,٥	١٠,٧	٩,٢
دول اخرى وفروق احصائية	—	٨,٠	٥,٠	٣,٨	١,٥	١,١	٢٢,١	٢٢,٨	٣١,٠

أمابالنسبة للولايات المتحدة والتي يبلغ نصيبها نحو ٣٠٪ من واردات O.E.C.D من نفط الاوبك وتصدر نحو ٢١٪ من صادارت OECD إلى الاوبك. كما تمثل مدفوعات للنفط نحو ٢١٪ من اجمالي قيمة وارداتها. فان هناك اكثر من دراسة تؤكد ان الولايات المتحدة تستفيد استفادة صافية من ارتفاع اسعار النفط (١٨). وأنها قد تمكنت من تمويل احتياجاتها المتزايدة من النفط المستورد دون صعوبة، فقد تزايدت الواردات الامريكية من النفط من ٤,٧م/ب/ى عام ١٩٧٢ إلى ٦,٢ عام ١٩٧٣ حيث بقيت تقريبا عند هذا المستوى في كل من عامي ٧٤و١٩٧٥، ثم أخذت في الارتفاع مرة أخرى حيث بلغت ٧,٣م/ ب/ى عام ١٩٧٦ و٨,٧م/ب/ى أي في كل من عامي ٧٧, ١٩٧٨. وقد اقترنت بهذه الزيادة في الكمية وماشهدته هذه الفترة من تصحيح للاسعار وزيادة كبيرة في مدفوعات الولايات المتحدة مقابل وارداتها النفطية بحيث قفزت من ٤,٣ مليار دولار عام ١٩٧٢ إلى نحو ٤٢ مليار في كل من عامي ٧٧و١٩٧٨.

وفي دراسة لوزارة التجارة الامريكية (١٩) قدرت واردات الولايات المتحدة من الاوبك خلال الفترة ٧٤ ــ ١٩٧٧ بنحو ١٠٦ مليارات دولار كما قدرت صادراتها اليها بنحو ٧٠ مليار دولار أي بعجز نحو ٢٦ مليار دولار. غير ان صافي التحويلات الرأسمالية من دول الاوبك إلى الولاليات المتحدة والتي بلغت خلال الفترة المذكورة نحو ٣٨ مليار دولار تكفلت بتغطية هذا العجز بل وزادت عليه.

(ب) معونات دول الاوبك للدول النامية : ــ

دأبت منظمة اوبك بتقديم اعانات وتسهيلات ائتمانية كبيرة إلى الدول النامية عبر قنوات متعددة كأجهزة المصارف الدولية الخاصة وأجهزة المنظمات والمؤسسات الدولية. ومن المعلوم أن مشاكل موازين المدفوعات في الدول النامية ترتبط في الجانب الاكبر منها بعلاقاتها الاقتصادية والمالية مع مجموعة الدول الصناعية المتقدمة. وبعد تصحيح اسعار النفط الخام عام ١٩٧٣ حاولت

الدول الصناعية الكبرى ان تثير الدول النامية المستوردة للنفط ضد اوبك موجبة بأن الاسعار الجديدة هي السبب الرئيسي في موازين مدفوعاتها متناسية أن مفاد ذلك مرتبط تماما باثار الركود الشديد الذي كانت الاقتصاديات الغربية قد دخلت فيه قبل تصحيح أسعار النفط الخام. بيد ان الدول النامية أدركت تماما فيما بعد أن نجاح اوبك هو انتصار لها ايضا وايقنت أن تضامنها مع الاوبك هو السبيل لنجاحها في مواجهة الدول الصناعية المتقدمة. وقد تجد هذا التضامن من اثناء انعقاد الدورة السابعة الخاصة للامم المتحدة التي انتهت بوضع توصيات تؤكد ضرورة النظام الاقتصادي الدولي الجديد وكذلك ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية. وكذلك خلال مؤتمر داكار شباط عام ١٩٧٥ (مؤتمر المواد الاولية) حيث أعلنت تلك الدول عن تأييدها للدول الاوبك في السيطرة على مواردها النفطية ودعت الدول النامية الاخرى إلى الاقتداء بدول اوبك في هذا المجال.

ومن ملاحظة جدول (٦) يتبين أن حجم المساعدات التي تقدمها دول اوبك للدول النامية مقارنة بما تقدمه الدول الصناعية المتقدمة OECD فقد بلغت نسبة ما تقدمه دول الاوبك الى الدول النامية نحو ٢,٢٨٪ من الناتج القومي الاجمالي لهذه الدول كمتوسط سنوي للفترة ١٩٧٧/٧٤ . في حين لا تتجاوز نسبة ماتقدمه منظمة الـ O.E.C.D. الـ ٠,٣٣٪ فقط من ناتجها القومي كمتوسط سنوي للفترة ذاتها .وبتعبير آخر فان مساهمة الاوبك تبلغ نحو ربع اجمالي المعونات الاجمالية التي تتلقاها الدول النامية . ناهيك عن انه ليس لدول الاوبك شروط خاصة في مجال تحديد أوجه انفاق المساعدات كتلك التي تشترطها دول الـ OECD مثلا أن ينفق جانب من المعونات في شراء النفط .بالاضافة الى ان بعض مساعدات اوبك تقدم نسبة منها تتراوح بين ٤٣٪ ــ ٦٦٪ كمنح للدول النامية . (٢٠)

ولعل من الموضوعية ان تثبت أن حجم المساعدات التي تقدمها دول الاوبك (٢١) لاتتسم بالثبات بل تتباين بين دولة وأخرى وطبقاً لطبيعة

جدول رقم (٥)

أهم مؤشرات العلاقة بين الاوبك وبين الدول الصناعية السبع الكبرى عام ١٩٧٧

الدولة	صادرات الى الاوبك			واردات نفطية من الاوبك	
	قيمة مليار دولار	٪ من صادرات الدولة	٪ من صادرات OECD للاوبك	مليون طن من الزيت الخام	مدفوعات واردات النفط ٪ من اجمالي واردات الدولة
الولايات المتحدة	١٤,٢	١٠,٨	٢١,١	٣٧٤,٣	٢١,٠
اليابان	١٢,٠	١٤,٩	١٧,٩	٢٣٦,٥	٣٠٢,٠
المانيا الغربية	١٠,٨	٩,١	١٦,٠	١٠٢,٠	٠,٠
فرنسا	٥,٦	٨,٨	٨,٨	١١٧,٥	١٦,٠
المملكة المتحدة	٧,٠	١٢,١	١٠,٤	٧٠,٧	١٠,٠
ايطاليا	٥,٨	١٣,٠	٨,٧	١٠٦,١	٢٠,٠
كندا	١,٢	٢,٨	١,٨	٣٣,٨	٧,٢
الدول جملة السبع	٥٦,٦		٨٤,٧	١٠٤٠,٩	
اجماليات OECD	٠١٧,١		١٠٠,٠	١٢٨١,٦	

عن: مركز دراسات الوحدة العربية / المصدر السابق

ميزان مدفوعاتها السنوية وعموماً فانه يمكن القول أن أكبر الدول انتاجاً اكثرها مساهمة في تقديم المساعدات وهذا يصدق على المملكة العربية السعودية بشكل رئيسي . واجمالا للقول يمكن أن نقرر ان مجموعة الاقطار العربية

مسؤولة عن نحو ٨٩٪ من حجم المساعدات المالية المقدمة للدول النامية خلال الفترة ١٩٧٧/٧٤. علماً بأن الدول النامية العربية غير النفطية لايصيبها سوى اقل من ربع حجم تلك المساعدات . من هنا تبرز النظرة الانسانية العربية تجاه شعوب العالم النامي . على انه ينبغي أن نتذكر أن ما يصيب الفرد العربي كناتج قومي لايتجاوز خمس ما يصيب نظيره في دول OECD على اعتبار ان متوسط نصيب الفرد العربي يبلغ نحو ٩٠٠ دولار مقابل ٥٠٠٠ دولار للفرد في منظمة OECD مع علمنا بأن دخل الفرد العربي ناجم اساساً عن مصدر ثروة قابل للنضب والاحلال والابدال .

(ح) التضخم وتقلبات العملات : —

تحاول الدول الصناعية القاء مغبة التضخم النقدي المتسارع عالمياً على دول اوبك اثر التصحيح الاول لاسعار النفط عام ١٩٧٣ مع علم الجميع يقينا بأن التضخم النقدي العالمي كان قائماً منذ نهاية اربعينات هذا القرن واستمر في النمو حتى بلغ الرقم القياسي لنموه عام ١٩٧٠ نحو ١٥٦ باعتبار سنة ١٩٥٠ كسنة اساس (=١٠٠) . اما متوسط عائد الدول المصدرة للنفط في كل برميل فقد هبط كرقم قياسي من ١٠٠ عام ١٩٥٨ الى ٨٨ عام ١٩٦٣ ثم اخذ في الارتفاع خلال الستينات حتى بلغ ١٠٠ مرة اخرى عام ١٩٧٠ (٢٢) .

وبالأستعانة بالجدولين (٧و٨) يتضح أن معدلات نمو التضخم تراوحت بين ٥ — ٨٪ بالنسبة لأسعار المواد الأستهلاكية وأسعار الجملة. وخلال الفترة ١٩٧٨/٧٤ يلاحظ أن أسعار المواد الأستهلاكية داخل مجموعة OECD لم ترتفع بأكثر من ٦٥٪ في حين قفزت أسعار واردات أوبك عام ١٩٧٨ إلى نحو ثلاثة أمثال ما كانت عليه ١٩٧٣. ان حقيقة التضخم النقدي ترتبط بسياسات الدول الصناعية الضريبية والنقدية والانفاق الحكومي والعسكري وبرامج الفضاء والبطالة وغيرها . هذا بالاضافة إلى التضخم النقدي هنالك تخفيض قيمة الدولار المستمرة التي سببت جميعا تاكلا كبيرا في القوة الشرائية

جدول رقم (٦)

المساعدات المقدمة للدول النامية من كل من مجموعة الدول الصناعية OECD ودول الاوبك

(الوحدة = مليون دولار و٪من GNP)

الدولة	١٩٧٤ قيمة	٪	١٩٧٥ قيمة	٪	١٩٧٦ قيمة	٪	١٩٧٧ قيمة	٪
الولايات المتحدة	٣٤٣٧	٪.٢٤	٤٠٠٧	٪.٢٦	٤٣٣٤	٪.٢٥	٤١٢٣	٪.٢٢
فرنسا	١٦١٦	٪.٥٩	٢٠٩٣	٪.٦٢	٢١٤٦	٪.٦٢	٢٣٩٤	٪.٦٣
المانيا الغربية	١٤٣٣	٪.٣٧	١٦٨٩	٪.٤٠	١٣٨٤	٪.٣١	١٣٨٦	٪.٢٧
اليابان	١١٢٦	٪.٢٥	١١٤٨	٪.٢٢	١١٠٥	٪.٢٠	١٤٢١	٪.٢١
كندا	٧١٣	٪.٤٨	٨٨٠	٪.٥٥	٨٨٧	٪.٤٦	٩٩٢	٪.٥١
المملكة المتحدة	٧١٧	٪.٣٧	٨١٤	٪.٣٧	٨٣٥	٪.٣٨	٩١٤	٪.٣٨
هولندا	٤٣٦	٪.٦٣	٦٠٤	٪.٧٥	٧٢٠	٪.٨٢	٩٠٠	٪.٨٥
باقي المجموعة	١٨٢٤		٢٣٠٣		٢٢٥٥		٢٦٢٩	
اجمالي DAC	١١٣٠٢	٪.٣٣	١٣٥٨٨	٪.٣٥	١٣٦٦٦	٪.٣٣	١٤٧٥٩	٪.٣١
السعودية	١٠٢٩	٤,٥٦	١٩٩٧	٦,٠١	٢٤٠٧	٥,٨٤	٢٣٧٣	٤,٨٢
الامارات	٥١١	٦,٦٦	١٠٤٦	١١,٧١	١٠٦٠	١٠,٩٤	١٢٦٢	١٠,٩٧
الكويت	٦٢٢	٥,٧	٩٧٥	٦,٥٢	٦١٤	٤,٣٤	١٤٤٢	١٠,١٨
قطر	١٨٥	٩,٢٦	٣٣٩	١٥,٦٢	١٩٥	٧,٩٥	١١٨	٪.٧١
العراق	٤٢٣	٣,٩٩	٢١٨	١,٦٦	٢٣٢	١,٤٦	٥٣	١,٢٨
ليبيا	١٤٧	١,٢٣	٢٦١	٢,٢٣	٩٤	٪.,٦١	١٠٩	٠,٦٣
الجزائر	٤٧	٠,٣٩	٤١	٪.٣٠	٥٤	٪.٣٣	٤٧	٠,٢٤
جملة الاقطار العربية	٢٩٦٤		٤٨٧٧		٤٦٥٦		٥٤٠٤	

أيران	٤٠٨	٠,٨٨	٥٩٣	١,١٠	٧٥٣	١,١٣	٢٠٢	٠,٢٤
فنزويلا	٥٦	٠,٢٣	٣١	٠,١٢	٩٦	٠,٣١	٧٢	٠,٢٠
نجيريا	١٥	٠,٠٧	١٤	٠,٠٥	٨٣	٠,٢٧	٦٤	٠,١٦
جملة الأوبك	**٣٤٤٦**	**٢,٠١**	**٥٥١٦**	**٢,٧١**	**٥٥٨٧**	**٢,٢٩**	**٥٧٤١**	**٢,١٠**

DAC = لجنة مساعدات التنمية – تتألف من ١٧ دولة غربية هي الولايات المتحدة والمانيا الغربية – اليابان – فرنسا – كندا – المملكة المتحدة – هولندا – النرويج – الدانمارك – ايطاليا – بلجيكا فنلندا – السويد – سويسرا – استراليا ونيوزيلاند.

عن مركز دراسات الوحدة العربية/ المصدر السابق.

لدول الأوبك. فقد هبط التضخم بالقوة الشرائية لدولارات الأوبك في نهاية عام ١٩٧٨ إلى زهاء ٧٠٪ عما كانت عليه عام ١٩٧٤. وأن انخفاض قيمة الدولار في مواجهة العملات الرئيسة الأخرى قدر بنحو ١٢٪ خلال الفترة ١٩٧٨/٧٤ وبذلك يصبح الأثر التآكلي المزدوج او اجمالي الأنخفاض في القوة الشرائية للموجودات المالية ٤٢٪ (٢٣)

ولعل هناك حقيقة تكاد تحظى باجماع الاراء وهي ان محاولة الأوبك الاحتفاظ بالقيمة الحقيقية لأسعار النفط عن طريق زيادتها بمقدار مايطرأ على هذه القيمة من تآكل (في حدود ١٠٪ سنويا مثلا) لايمكن أن يضيف إلى أسعار النفط المستهلك النهائي أكثر من ٢٪ واذا كانت قيمة الأحتياطيات المباشرة من النفط لاتتجاوز ٢٪ من قيمة السلع التامة الصنع في الدول الصناعية فإن زيادة أسعار نفط الأوبك بمقدار ١٠٪ لايمكن أن يضيف إلى معدل التضخم السنوي اكثر من ٠,١٪ وهي زيادة لاتكاد تذكر بالمقارنة مع ماهو حاصل فعلا ولاسباب تقع خارج ارادة اوبك (٢٤)

ولعل من المفيد أن نشير إلى أن أسعار واردات الأوبك من الدول الصناعية ارتفعت خلال الفترة ١٩٧٨/٧٤ بنحو ٥١,٥٪ على حين لم ترتفع

جدول رقم (٧)
المعدل السنوي للتضخم في الدول الصناعيــة الكبرى ١٩٦٠ ـ ١٩٧٣
(الوحدة = نسبة مئوية)

الدولة	اسعار الاستهلاك		اسعار الجملة		٪ من GNP	
	٦٠ ـ ٧٠	٧٠ ـ ٧٣	٦٠ ـ ٧٠	٧٠ ـ ٧٣	٦٠ ـ ٧٠	٧٠ ـ ٧٣
الولايات المتحدة	٢,٧	٤,٦	١,٥	٧,١	٢,٧	٤,٤
اليابان	٥,٨	٧,٦	١,٣	٥,٢	٤,٩	٦,٧
المانيا الغربية	٢,٦	٥,٩	١,٠	٤,٨	٣,٥	٦,٣
فرنسا	٤,٠	٦,٢	٢,٦	٨,٠	٤,٣	٦,٢
المملكة المتحدة	٤,٠	٨,٦	٣,١	٧,٢	٤,١	٧,٦
ايطاليا	٣,٩	٧,١	٢,٦	٥,٨	٤,٤	٧,٧

جدول رقم (٨)

انخفاض القيمة الحقيقية لسعر الزيت الخام بالنسبة لأهم الدول المستوردة

(الوحدة = دولار للبرميل من الزيت القياسي)

السنة	السعر (فوب)	القيمة الحقيقية للسعر الرسمي				
		اميركا	اليابان	المانيا	فرنسا	ايطاليا
١٩٧٤	١١,٤٥	١١,٤٥	١١,٤٥	١١,٤٥	١١,٤٥	٧,٤٥
١٩٧٥	١١,٩٠	١٠,٦٣	١١,٩٠	١٠,٦٣	١٠,٠٠	٩٠,٢٩
١٩٧٦	١١,٩٠	١٠,١٧	١٢,٠٢	١٠,٦٣	١٠,١٧	١٠,٤٤
١٩٧٧	١٢,٤٢	١٠,٢٦	١١,٤٠	١٠,١٠	٩,٩٤	٩,٥٥
١٩٧٨	١٢,٧٠	٩,٢٦	٩,٢٧	٨,٩٤	٨,٩٣	٨,١٤

أسعار النفط خلال الفترة ذاتها بأكثر من ١٦،٦ ٪ جدول رقم (٩). وبذلك يكون معدل التبادل الدولي قد انخفض من ١٠٠ إلى ٧٧ في غير صالح الدول المصدرة للنفط . وبعبارة أخرى فأنه كان يلزم أن نزيد اسعار النفط بنحو ٢٠٪ فوق مستواه الذي بلغته فعلا عام ١٩٧٨ كي يبقى معدل التبادل الدولي ثابتا (١٦،٦× ١،٢٠ = ١٥١،٦) وهو مايعادل الرقم القياسي الذي بلغته أسعار واردت الأوبك. أي أنه كان يجب أن يبلغ السعر الرسمي للنفط ١٦،٥١ دولارا عام ١٩٧٨ وليس ١٢،٧٩ دولارا (٢٥).

جدول رقم (٩)

تطور معدل التبادل الدولي لدول الأوبك خلال السبعينات
(الوحدة = رقم قياسي باعتبار ١٩٧٤ سنة الأساس)

السنـــة	السعر الرسمي للزيت القياسي	اسعار واردات الأوبك	معدل التبادل الـدولي
٧٠ — ١٩٧٣	٢٠،٨	٧٠،٣	٢٩،٥
١٩٧٤	١٠٠،٠	١٠٠،٠	١٠٠،٠
١٩٧٥	٩٨،٤	١١٢،٨	٨٧،٢
١٩٧٦	١٠٥،٧	١١٤،٦	٩٢،٢
١٩٧٧	١١٣،٩	١٢٥،٢	٩١،٠
١٩٧٨	١١٦،٦	١٤٤،٠	
الربع الأخير			
١٩٧٨	١١٦،٦	١٥١،٥	٧٧،٠

عن مركز دراسات الوحدة العربية / المصدر السابق

— ٣ —

نحو أستراتيجية جديدة للتعاون بين المنتجين: —

لعل من الموضوعية بمكان ان نثبت ان منظمة الاقطار المصدرة للنفط (اوبك) قد عملت بدأب منذ تأسيسها من اجل تحقيق أهدافها المرسومة بتعاون تام على الرغم مما تحاول زرعه منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ووكالة الطاقة الدولية من بذور الخلافات بين أعضاء الاوبك من جهة وبين الاوبك ودول العالم النامي من جهة اخرى . وعلى الرغم من كل ماكتب عن هذا التعاون فأننا نرى أن هناك مسؤوليات هامة تواجه دول الاوبك في سياق التعاون المثمر بينها بشكل خاص. وفيما يلي نطرح بعض الخيارات المتاحة في هذا المجال :

(أ) في مجال سياسات الانتاج : نذكر مرة أخرى بضرورة وضع استراتيجية موحدة ضمن اطار منظمة الأوبك تكفل بموجبها تحقيق موازنة تامة بين العرض والطلب على النفط لئلا تتضرر دولة او أكثر نتيجة موقف سياسي تقتضيه المصلحة الوطنية العليا. ويمكن ان يكون نظام الحصص هو الأسلوب الذي يعتمد في توزيع مسؤولية ضمان امدادات الطاقة او أي اسلوب آخر كنظام الالتزام المرن او غيره.

(ب) في مجال سياسات الاسعار: تؤكد ضرورة مواصلة النضال من أجل بلوغ اسس عادلة لتسعير النفط الخام المصدر. اي ضرورة تحقيق السعر المجزيء أو السعر الاقتصادي للنفط. وعليه نرى ان الحق يقتضي بأن يسعر النفط على اساس كلف البدائل وليس وفق معيار كلف الانتاج المعروفة . بالاضافة الى أسس أخرى سبق لنا تحديدها في أكثر من مرة (٢٦).

هذا بالاضافة الى ضرورة الاهتمام بمسائل جوهرية ولطالما عقدت لقاءات خاصة بشأنها وهي صيغ الدفع المنشودة الوحدة الحسابية او المقايضة التجارية . وهنا تؤكد ضرورة الالتفات الى مسألة هامة وهي الموجودات

المالية لدول الأوبك في مصارف الدول الصناعية الكبرى خاصة ماينتمي منها للدولار الامريكي لئلا يلحق بها الضرر آخذين بعين الاعتبار مايطرحه بعض اقتصادي الولايات المتحدة مثلا من أن الثروة ذات اعتماد متبادل (٢٧) ولعل المقصود هنا ان ضمان الحصول على الاموال المودعة لديها من قبل دول الاوبك ليس أمرا مضموناً في الظروف الراهنة. وهذا يشير الى ان الولايات المتحدة قد تعمد الى وضع ثقل آخر على الدول المصدرة للنفط مما قد يؤثر على حريتها في صنع قراراتها الحاسمة.

والمقايضة التجارية أسلوب أخر هادف لضمان القيمة الحقيقية لاسعار النفط في توريد التكنولوجيا المطلوبة لتنمية دول منظمة الاوبك . ولعلنا قد طرحنا مثل هذا الموضوع سابقاً في ندوة البترول العربي والآفاق المستقبلية لمشكلة الطاقة (٢٨) .

(ح) في مجال سياسات التنمية :ـ

هنا تبرز مسألتين هما ضرورة تكوين احتياطي نقدي مشترك تساهم به الدول الأعضاء في الاوبك طبقا لاحجامها . سكانيا ونفطيا للحيلولة دون ممارسة أي ضغوط متوقعة من الدول المستهلكة في الحالات الخاصة المحتملة. كما ان تكوين احتياطي مشترك للمواد الغذائية والمواد الستراتيجية الأخرى لمواجهة الطلب الفعلي في المديات القصيرة والبعيدة امر غاية في الأهمية. لاسيما والدول المستهلكة (الصناعية الكبرى) تلمح باعتماد الامن الغذائي لتعزيز قوتها التفاوضية مع الدول المصدرة للنفط. وفي ذلك مايشكل خطرا فعليا في هذا الأتجاه .

ولعل من نافلة القول أن نشير إلى أن الأحتياطي المشترك الذي ندعو اليه لايمثل بعداً استراتيجيا نهائيا بل هو تكتيك مرحلي على أن تكون مشروعات التنمية الزراعية المشتركة هي الهدف الأسمى لتحقيق قوة تساومية كبيرة للدول المصدرة للنفط . وهنا لابد من الأشارة إلى الصندوق الدولي للتنمية الزراعية FAD الذي يرجع الفضل في قيامه إلى مساهمات دول الأوبك

الكبيرة في رأسماله . وتتلخص اهدافه في معالجة الأمور المتردية في بعض القطاعات الأقتصادية ، وبدأ عمله رسميا منذ تشرين الثاني ١٩٧٧. (٢٩)

(د) في مجال سياسات اخرى : كسياسات البحث والاستكشاف والنقل والتسويق والتصنيع (البتروكيمياويات) وتطوير البدائل وغيرها : —

لقد نالت مثل هذه الموضوعات العناية الكبيرة في مناقشات المختصين والمسؤولين في الدول المصدرة ولعلنا هنا نؤكد مرة اخرى ضرورة اعتماد مبدأ المشروعات المشتركة في مجالات التصنيع لاسيما ضمن قطاع الصناعات البتروكيمياوية فيما يمكنها من ممارسة اقتصاديات الحجم الواسع الذي تتسم به هذه الصناعات . (٣٠)

— ٤ —

خيارات جديدة للتعاون بين البلدان المستهلكة والبلدان المنتجة (المصدرة) للنفط : —

اتضح فيما تقدم حقيقة هامة وهي ضرورة اعادة النظر في صيغ التكامل بين مجموعتي الأقطار المستهلكة والمصدرة للنفط . بحيث تكفل اتاحة فرص في سلوكية الأقطار المستهلكة للنفط خاصة مايرتبط منها بمحاولة زرع الخلاف بين اعضاء الأوبك وبقية الأقطار النامية وبين اعضاء الأوبك انفسهم . ومما لاشك فيه أن تبادل النفط الان بالموجودات المالية او معدات تكنولوجيا هو تجارة خاسرة بالنسبة للبلدان المصدرة للنفط وهو ماسيلحق اضرارا فادحة بمستقبل الأجيال اللاحقة نتيجة لأسباب عديدة كشفت عنها الدراسة كالتضخم النقدي وتخفيض أقيام العملات ورفع اسعار المواد المصنعة وما إلى ذلك .

ان اساس الحوار المثمر بين مستهلكي النفط ومصدريه هو كيفية التوصل الى اسس عادلة لارساء قواعد نظام اقتصادي دولي جديد من خلال اتباع استراتيجية موحدة حول كيفية استخدام المصادر النفطية والمالية في عملية المفاوضات الهادفة لتحقيق النظام الاقتصادي الدولي المنشود. مع الاخذ بعين الاعتبار عدم السماح ببحث موضوع الطاقة في المؤتمرات الاقتصادية

الدولية بمعزل عن بقية المشاكل الاقتصادية التي تواجه الدول النامية بل بالعكس اعتماد القوة التفاوضية النفطية للدول المنتجة كأساس في الحوار مع الدول المستهلكة من اجل بلوغ الهدف العادل.

زد على ذلك ضرورة توجيه اعلام الدول المنتجة نحو الهدف المحدد بحيث يتمكن من حمل شعوب الدول المستهلكة على اقناع حكوماتها بعدالة قضية الاقطار المنتجة من اجل تحقيق علاقات عادلة ومتكافئة بما يكفل تطور الاقتصاد العالمي بأسره، خاصة وان بوادر التفهم قد بدت تظهر فهذا هارنشورن في كتابه الجديد (٣١) يشير صراحة الى ان هنالك قضيتين اساسيتين تواجه العلاقة بين الأوبك ومنظمة OECD وهما: قضية نقل التنمية ومجمل العلاقات بين الاوبك ومنظمة التعاون والتنمية هذه . (٣٢)

واذا كان ماتقدم يمثل الاطار العام للاهداف المنشودة في العلاقات المتوازنة والمتوازية بين الدول المنتجة والدول المستهلكة ، فان النقاط الفرعية الاتية تمثل المسارات المحددة لتلك العلاقات وهي: —

(أ) كيفية الوصول الى التكنولوجيا والمعرفة المتقدمة الموجودة والجديدة التي تحتاج اليها الدول المنتجة للاستكشاف وتحسين الاستخراج وتنمية اقتصادياتها بما يكفل زرع حوافز نموها واتصالها وتطويعها محليا بالصورة التي تدعم جديا القدرات الهندسية والفنية للاقطار المنتجة. وهنا ينبغي ان نؤكد الى ان النظرة الصائبة لموضوع التكنولوجيا يجب ان تكون في اطار محدد وان التكنولوجيا عملية دينامية تشمل بث تغيرات في الحوافز والدوافع الاساسية للتطور التكنولوجي في كلا الدول النامية والدول الصناعية بحيث تسهم في التحول نحو العلاقات الاقتصادية الدولية الجديدة. (٣٣)

(ب) زيادة اشتراك الدول الصناعية المستهلكة للنفط في نشاط الاستكشافات في اقطار الاوبك.

(ج) مشاركة الاقطار المنتجة في نشاطات ابحاث التنمية المشتركة.

(د) حرية الوصول الى اسواق الدول المستهلكة بالنسبة للمنتجات المكررة والبتروكيمياويات.

(هـ) العمل على تحقيق استخدام أمثل للغاز الطبيعي المنتج في الأقطار المنتجة.
(و) رفع الاجراءات الاقتصادية المفروضة من قبل بعض الدول المستهلكة على اقطار اوبك. (٣٤)
(ز) رفع الحواجز التجارية عن الصادرات غير النفطية من الاقطار المصدرة للنفط مقابل تأكيد تأمين امدادات أسواق البلدان المستهلكة بالطاقة. (٣٥)



ثبت الهوامش والمصادر

(١) للوقوف على اهداف وكالة الطاقة الدولية انظر :
علي احمد عتيقة: بعض الخيارات المتاحة للعلاقة الجديدة بين المنتجين والمستهلكين للنفط/ من ابحاث ندوة اساسيات صناعة النفط والغاز/ ج٣/ ص ٣٣٠ — ٣٣٢.

(٢) استمدت البيانات عن :
BP. Statistical Review of World Oil Industry, Var ious issues.

(٣) عن
منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول. تقرير الامين العام السنوي السادس/ الكويت ١٩٧٩/ ص ٢٦ — ٣٤.

(٤) عن نفس المصدر/ ص ٢٨.
اخذها عن:
IBA, OECD: Energy Conseravation in the International Energy Agency, 1979, P. II.

(٥) منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول. نشرة منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول/ السنة السادسة/ العددان ٨ و٩ آب وأيلول ١٩٨٠/ ص ٣١ — ٣٤.

(٦) نفس المصدر/ ص ٣٣.

(٧) عن: منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول/ النشرة الشهرية/ عدد ١/ السنة السادسة/ كانون الثاني ١٩٨٠/ ص ٢٨.

(٨) للتفاصيل عن سياسات الطاقة الدولية انظر :
د. عبد العزيز الوتاري، تقويم سياسات الطاقة الدولية وأثرها على الاقطار العربية/ من ابحاث مجلة المستقبل العربي/ مركز دراسات الوحدة العربية/ العدد ٧/ مايس ١٩٧٩/ بيروت ص ٤٨ — ٧٦.

(٩) نفس المصدر/ ص ٥٩.

(١٠) عن نفس المصدر/ ص ٧٤ — ٧٥.

(١١) بلغت متطلبات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية نحو ٢٧ مليون برميل يوميا بموجب بيانات عام ١٩٧٨ وما قدمته اوبك بحدود ٢٥م/ ب/ ي.
عن منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول/ التقرير السنوي السادس / ١٩٧٩ / ص ٣٦ بدلالة جدول رقم (٥).

(١٢) هناك عدة مؤتمرات منها المؤتمر الذي عقدته منظمة الدول الامريكية بالمكسيك في شباط

١٩٧٤. ومؤتمر البترول الافريقي في طرابلس (شباط ١٩٧٤) . واجتماع الامم المتحدة للتعاون بين الدول النامية في مجال النفط في جنيف (تشرين الثاني ١٩٧٥) وكذلك اجتماعات دول الـ ٧٧ (التي بلغ عددها الان ١٠٦) التي عرفت باجتماعات الدورة السابعة الخاصة للامم المتحدة في ايلول ١٩٧٥ وغيرها.

انظر:

د. حسين عبد الله: تطور مواقف الدول الصناعية وتحليل آثارها المحتملة على المنتجين / من ابحاث ندوة اساسيات صناعة النفط والغاز/ الجزء الثاني/ الكويت ١٩٧٧/ ص ١٥٧ ١٥٨.

(١٣) للتفاصيل انظر:

ناظم محمد علي احمد: دول الاوبك ومسؤولية مواجهة تحديدت الدول الصناعية/ مجلة النفط والتنمية/ عدد نيسان ١٩٧٨/ ص ٧٧ – ٩٨.

(١٤) عن مركز دراسات الوحدة العربية/ مجلة المستقبل العربي/ عدد نيسان/ ١٩٨٠/ص ٥٩.

(١٥) نفس المكان:

(١٦) نفس المكان:

(١٧) عن نفس المصدر/ ص ٦٠ – ٦١.

(*) تكونت المجموعة في اول تشرين الاول ١٩٦٣م وتضم الولايات المتحدة وفرنسا والمانيا الغربية واليابان وكندا والمملكة المتحدة وهولندا وبلجيكا وايطاليا والسويد. وتعد هذه الدول ايضا اهم الدول الغربية المساهمة في تقديم مساعدات التنمية الدولية.

(١٨) نفس المصدر : أخذها عن:

Thomas R. Stauffer: Oil and the U.S. Balance of payments, Middle East Economic Survey, V. 22. (19 Feb. 1979) No. 18. Supplement.

(١٩) نفس المصدر/ ص ٦٧.

عن

Edward Symonds: Vanishing Tricks by the OPEC Surplus, Petroleum EconomistVol : XLV. (August 1978) No. 8. P. 327.

(٢٠) د. محمد صادق المهدي: النفط والعلاقات الاقتصادية والدولية/ دراسات مختارة في الصناعة النفطية/ الكويت ١٩٧٩/ ص ٤٠١.

(٢١) لمعرفة التفاصيل عن المعونات المالية العربية انظر:

د. ابراهيم شحاتة مستقبل المعونات العربية/ مجلة المستقبل العربي/ العدد ١٦ حزيران ١٩٨٠/ ص ٦٧ – ٨٤.

(٢٢) الحكومة الجزائرية : مذكرة المواد الاساسية والبترول/ التي قدمت لمؤتمر قمة الاوبك/ اذار ١٩٧٥/ ص ٨٧.

(٢٣) د. حسين عبد الله: الابعاد المالية لاسعار النفط العربي/ مجلة المستقبل العربي/ نيسان ١٩٨٠/ ص ٧٥

عن

Askari and Salehizo dah, Reflections on OFFS Oil Pricing Policies OPES Review.

(٢٤) عن نفس المصدر .

(٢٥) واذا احتسبنا الارقام القياسية لسعر برميل النفط الخام (نفط الاشارة) بعد حساب معدل التضخم التراكمي والتغير في اسعار صرف العملات واعتمدنا عام ١٩٧٤ كأساس يساوي (١٠٠) فان اسعار النفط الخام عام ١٩٧٩ بلغت بالنسبة لكل من الولايات المتحدة واليابان والمانيا الغربية وفرنسا والمملكة المتحدة وايطاليا نحو ١١٩,٥ و ٩١,٥ و ٩٩,٧و ٩٧,٨ و ٩٣,٠و ١٠٩,٦ على الترتيب. من هنا تتأكد الحقيقة ذاتها وهي التأكل البارز في قيمة النفط الخام المصدر بسبب التضخم.

انظر :

منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول/ تقرير الامين العام السنوي السادس/ ١٩٧٩ بدلالة جدول رقم ٢٢ .

(٢٦) للتفاصيل انظر :

د. محمد ازهر السماك. هيكل السياسة النفطية العربية وأبعادها / مجلة النفط والتنمية/ بغداد كانون الثاني ١٩٨٠.

(٢٧) منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول / مجلة النفط والتعاون العربي/ المجلد السادس/ العدد الثاني/ ١٩٨٠/ ص ١٧٥.

عن

Hartshorn, J. E. : Objectives of the Petroleum Exporting Countries Cyprus Middle East Petroleum and Economic Publicctions 1978.

(٢٨) د. محمد ازهر السماك: نحو سياسة انتاجية نفطية عربية افضل / من ابحاث ندوة البترول العربي والآفاق المستقبلية لمشكلة الطاقة/ القاهرة ١٩٧٧.

(٢٩) انظر :

د. محمد صادق المهدي : المصدر السابق/ ص ٣٨٧.

لتفاصيل عن الصناعات البتروكيمياوية انظر:

د. محمد ازهر السماك نحو استراتيجية هادفة لتحقيق التكامل الصناعي البتروكيماوي العربي مجلة مركز البحوث الاقتصادية والادارية/ جامعة بغداد/ العدد الثالث حزيران ١٩٧٩.

(٣١) لمعرفة بعض ابعاد النظام الاقتصادي الدولي الجديد

انظر:

د. سمير امين: النظام الاقتصادي الجديد للعالم/ مجلة النفط والتنمية/ شباط ١٩٧٩ ص ١٠ – ١٨.

ومنظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية: الصناعة عام ٢٠٠٠م افاق جديدة/ انظر الفصل الاول الخاص بنحو نظام اقتصادي دولي جديد/ ١٩٨٠/ ص ١ – ١٢.

(٣٢) Hartshorn, J. E., : OP. Cit.

ومنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول/ مجلة النفط والتعاون العربي/ المصدر السابق/ ١٧ –١٧٣.

(٣٣) المعهد الفرنسي للبترول ومنظمة اوابيك (أوبابب):

مجالات التعاون بين فرنسا والعالم العربي/ غير مؤرخ/ ص ١٢٩.

(٣٤) منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول/ العدد٥ / السنة٦/ أيار ١٩٨٠/ ص ٢٤.

(٣٥) نفس المكان.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة في دراسة تأسيس منطقي
لعلم الفقه عند (ابن رشد)

محمد جلوب فرحان



مقدمة في دراسة تأسيس منطقي
لعلم الفقه عند (ابن رشد)

محمد جلوب فرحان

تقديم :

١ ـ تنشد هذه الدراسة ابراز جانب مهم من جوانب التراث العربي الفلسفي وهذه الدراسة تنظر الى التراث باعتباره (وعاءاً) فكرياً يعبر عن سياق تاريخي مرت به الامة العربية .وباعتبار ان اى جانب من جوانبه يمثل منظور المفكر العربي (عقل الامة) الشامل .المنظور الذي يعكس حال الواقع المتشابك في ابعاده المختلفة ،والذي يؤشر في الوقت نفسه ، صورة الحل على هيئة مقولات وصيغ فكرية .

وتسلم هذه الدراسة في بحثها هذا بحقيقتين اثنتين :

الاولى: ان هذا الواقع الذي شخصت ابعاده في منظور المفكر ،تغلفه خصوصية طابعة له ومميزة .لان هذا المنظور ليس هو بصيغة طرحت في الفراغ ، بل هو تنظير مشروط بحياة الفيلسوف وهذه الحياة سواء كانت على مستوى الواقع المادي، او على مستوى واقع الفكر ، هي نتاج لتراكمات عديدة منها :ضغط الوضع الاقتصادي الشريحة الاجتماعية التي ينتمي اليها تأثره بالقوى السياسية الفاعلة سلباً وايجاباً . الموروث الفكري والعلمي والطريق التي اختارها في التفاعل معه . تحديات حركة الواقع وما تفرزه من قوى تستهدف تعطيل (او تسريع) حركته وتقدمه . (١)

الثانية : ان التراث العربي ، وهذا ما تميز به رفض الانغلاق والتمحوز حول الذات ، وتدليلاً على هذا نجد ان العقل العربي انفتح على التراث الانساني ، مقلباً اركانه واقفاً على العلل التي ادت الى ان يتشكل بهذه الصور . هذه الحقيقة تجعلنا نقرر سمة نجدها تتحرك في احشاء التراث العربي ،هذه السمة هي (التواصل) الفكري والحضاري ولما كان حديثنا يتركز حول (ابن رشد) ،(١) لذلك نرى ان الحقبة التاريخية التي نشأ فيها لاتمثل فوقعة منغلقة على ذاتها ،منعزلة عن حركة التاريخ العربي والانساني العامة .بل هي حلقة من سلسلة حلقاته المفتوحة .تعبر هذه الحقيقة عن (ما صدق) يشير الى ان العقل في التراث العربي ادرك بحرص عميق الابتعاد عن كل الاختناقات ، ورفض كل محاولة (تغريب) لهويته ؛ عن طريق طبع مساراته بسمتي الاصالة والانفتاح (٣) .

وان محاولة (ابن رشد) موضوع هذه الدراسة لاتخرج عن حدود هاتين الحقيقتين . اذ انها تأثرت بالمناهج السابقة عليها والمعاصرة لها . وهذا امر طبيعي نسلم به مادمنا نسلم بفكرة التواصل الحضاري باعتباره ان رؤية (ابن رشد) لعلم المنطق . وادراكه لابعاده العلمية ولطرائقه . محاولة تضاف الى جملة المحاولات التي اسهم في طرحها العقل العربي والانساني في الصرح الحضاري .هذا من ناحية وانها من ناحية اخرى تتميز بكونها (نظرة خاصة) مربوطة زمانياً ومكانياً .من حيث انها تمثل نتاج عقلية (ابن رشد) وثمرة الظروف الطبيعية والتاريخية والسياسية (الايجابية والسلبية) التي افرزت وبلورت هذه العقلية المميزة . ونتيجة التعقيد والتطور الذي حدث في ابنية العلوم المختلفة . نقول ، ان هذا الاختيار للمنهج المنطقي في معالجة المشكلات (المشكلات التي اثارها الواقع والمشكلات التي اثارتها العلوم) والقضايا الفلسفية كان من اختيار عقلية فيلسوف قرطبة :

علم المنطق : لمحة تأريخية :

٢ ـ مارس الانسان التفكير باعتباره حواراً داخلياً بين الذات (عقل الانسان) والموضوع (العالم الخارجي) منذ فترة تاريخية تصعد الى النقطة التي تتحدد كمنطلق لوجود الانسان العربي .وعن طريق ممارسة التفكير توصل الى وضع بدايات اولى لاساليب وطرق بحث ،منها عملية استفاد منها في حياته اليومية. ومنها عقلية (فكرية) تمكن بواسطتها صياغة تفسير لظاهرة او حركة شيء على صعيد الطبيعة او المجتمع .

ومن هذه الاساليب التي توصل الى وضع بدايات اولى لها بعض الصور الاستنتاجية البسيطة التي تخلو من الدقة وتفتقر الى الاستدلالية وترتبط بشكل قوي بالواقع وظواهره الحسية مما تقلل من اهميته وتضعف من دوره . وتعمقت هذه الاساليب ، ونضجت صور منطقية جديدة اخذت ابعادها الحقيقية في معارف جديدة سبر اغوارها العقل العربي بعد انفتاحه على طروحات العقل الفلسفي الانساني .

والحديث عن هذا الجانب ، سنرجأ الكلام عنه الى مفردة لاحقة من مفردات بحثنا وهي (البناء المنطقي لعلم الفقه) لانه مرتبط به ومتعلق فيه.

نقول، ممهدين لوضع هذه اللمحة التاريخية لعلم المنطق ، بان العقل العربي في العصر الوسيط فتح نوافذ عديدة وباتجاهات مختلفة ، عن طريق هذه النوافذ جسد نوعاً من التفاعل بين طروحات العقل الانساني ، تلك الطروحات التي انفتح عليها ، وبين ظروف العصر الذي امتد فيه ،ونوعية المشكلات والحاجات والحلول ودرجة العمق التي يفترض ان تتوفر في الجهاز الفكري المعبر عنها ..فكان من بين الموضوعات التي انشغل بها ووقف عندها طويلا ،مقلباً اركانها ،موضوعة مهمة من موضوعات الفكر الانساني ، مثلت عصباً اساسياً في تشكيل انماطـه العلمية المتنوعة هـذه الموضوعة هي (علم المنطق Logic) .

تبلور علم المنطق موضوعاً ومنهجاً تحت سقف الفاسفة اليونانية ، فظهرت ملامح لتحديد في فاسفة (هيرقليطس) (٥٤٤ ـ ٤٨٤ق.م). (٤) وفي طروحات المدرسة الايلية بركنيها (بارمنيدس) (٥١٥ ـ ؟ق.م). (٥) و (زينون الايلي) (٤٩٠ ـ ٤٣٠ ق . م) (٦) . وظهرت كذلك تحديدات لبعض جوانبة في تعريفات (سقراط) (٤٦٩ ـ ٣٩٩ق.م) (٧) وفي اضافات (افلاطون) (٤٢٧ ـ ١٤٧ق.م) (٨) .

مهدت هذه البدايات لارسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م) وضع المنطق في موقعه الصحيح علماً له موضوعه الخاص به، وله طريقته التي تتجاوب مع طبيعة هذا الموضوع. (٩) فقد افرد (ارسطو) له ولاول مرة جملة من المؤلفات، دارت موضوعاتها بشكل محدد حول المنطق ، موضوعا ومنهجاً مشكلات وتطبيقات. وكان هذا المنطق الذي صاغ اسسه (ارسطو) منطق حدود. (١٠) جاءت (الرواقية) بعد ذلك لتوجه الدراسات المنطقية نحو نوع جديد من المنطق هو منطق القضايا. (١١) ظهرت في فترة لاحقة محاولة متأثرة بالاسس المنطقية التي وضعها (ارسطو) كشفت فيها عن تطبيقات منطقية على علم الهندسة، تمثلت بالجهد العلمي الذي بذله (اقليدس) (٢٠٠ ق‌م(في كتابه (الاصول)، فقد صاغ اسس الهندسة بوحي اثر (ارسطو) .(١٢)

العرب وعلم المنطق :

٣ ـ كان لانتقال الفكر المنطقي (والرياضي المتأثر بالمنطق) إلى دائرة الثقافة العربية اثر فعال على مختلف الحقول العلمية والفكرية. (١٣) واسهم كذلك في تنضيج خط الفكر الاستنتاجي العربي، الذي وضعت ركائزه الاولى قبل الاسلام. ثم تعمقت بدوافعه. نقول كان لانتقال الفكر المنطقي اثر فعال على دائرة الثقافة العربية، حتى اصبح المنطق عموداً اساسياً من اعمدة الفكر العربي.

ونجد من القاء نظرة متفحصة على تاريخ الفكر العربي، انه ضم محاولات عديدة، استلهمت الموضوعات التي عالجها هذا العلم، والطرائق التي استخدمها في هذه المعالجة، ونعثر ضمن هذه المحاولات على ثلاثة مواقف، الاول: احتوى جملة من الجهود التي تمثل امتداد واستمرار المناقشة الموضوعات المنطقية التي سبق ان عالجها العقل الانساني. الثاني: تشمل مجموعة من الاسهامات. التي حددت عملها العلمي في مناقشات موضوعات جديدة لم يسبق أن عولجت بهذه الصورة التي انتهى اليها، ومن الزاوية الفكرية الجديدة التي انطلقت منها في معالجتها لهذه الموضوعات: الثالث: ضم جملة جهود استفادت من طرائق المنطق في معالجة قضايا فلسفية. فظهر اثر المنطق واضحا في هذه الابنية الفلسفية. وللاستدلال التاريخي والعلمي على هذه المواقف. نشير إلى ان (الكندى) (١٨٥هـ ــ ٢٥٦هـ) الرائد في الفلسفة العربية قد استوعب ملامح الفكر المنطقي الارسطي (نظرية الحدود) والرياضي الاقليدي ويشهد على ذلك استخداماته لهذا الفكر في بنائه الفلسفي (الموسوعي). (١٤) وانفرد (الفارابي) (٢٥٩ ــ ٣٣٩هـ) بالتعليل المنطقي للغة، ويشهد على ذلك كتابه (الحروف). (١٥) وكتابه (الالفاظ المستعملة في المنطق). (١٦) والفصل الذي اودعه كتابه (احصاء العلوم). (١٧) واجاد (ابن سينا) (٣٧٠هـ ــ ٤٢٨هـ) في تحليلاته لنظرية التعريف والبرهان، وادراكه العميق لسمات الفكر المنطقي (١٨) .

اما الامام (الغزالي) (٤٥٠ ــ ٥٠٥هـ) فبالاضافة الى انه يتلقى مع ما يفرزه (ارسطو) و(الكندي) و (الفارابي) و (ابن سينا) بخصوص النظرية المنطقية . (١٩) انفرد في البناء البديهي . ذلك البناء الذي افترق فيه عن (ارسطو) وتغطي فيه الحدود الصيغة لتطبيقات (اقليدس) المنطقية على علم الهندسة :

وان محاولتنا تنظر الى التراث الفلسفي العربي (بشكل عام) من زاوية علمية بحتة من اجل تحقيق كشف عن اثر المنطق في الانسان الفلسفية والعلمية التي أبدها العقل العربي ،باعتبار ان اى فلسفة (من هذه الفلسفات) تمثل منظور

الفيلسوف الشامل في اتجاهاته المتنوعة ذلك المنظور الذي اتكأ في بنائه على علوم مختلفة ، سبق ان اقترب منها الفيلسوف قليلاً او كثيراً ، فظل ثقلها شاخصاً في بناء فلسفته .

ونرى من خلال التحليل والكشف عن البناء الداخلي لاية نظرية فلسفية ضمها التراث، ان اسس هذه النظرية قد صيغت باثر منطقي . وهذا يشير الى ان هذا الاثر بارز في كل نظرية ، او جملة فلسفية من جهة ان بناء الفيلسوف لهذه النظرية ، وصياغة تلك الجملة قد اعتمد على اسس ومفاهيم وقواعد منطقية ، ويبرز هذا الاثر بشكل واضح في كتابات (ابن باجة) (المتوفي ٥٥) الفلسفية فهو اول من استهل طور التأليف الفلسفي في الاندلس . (٢١) وفي كتاب (حي بن يقظان) لابن طفيل ،(المتوفي ٥٧١هـ) .(٢٢)

(ابن رشد) وتطبيقاته المنطقية الجديدة :

٤ — توزعت الدراسات التي اهتمت بموضوع علم المنطق والطرائف التي يستخدمها توزعت في مذاهب مختلفة ، فمنها اول ما ربط المنطق بعلم النفس من خلال تقريرها، ان هذا العلم يبحث عن (القوانين التي تعصم الفكر من الخطأ) .(٢٣) باعتبار أن علم النفس يتخذ من الفكر موضوعاً لدراسته . وبما ان علم المنطق في ضوء هذا المنظور يبحث عن القواعد والقوانين التي تعصم الفكر من الوقوع في الخطأ ، فهو الآخر يهتم بالظاهرة الفكرية . وما دام حاله هذا فهو ينطوي بعمله هذا تحت خيمة علم النفس .

سادت محاولات اخرى في البحث المنطقي . نرى انها ادركت بشكل عميق ، الموضوع الذي انكب علم المنطق على دراسته وان هذه المحاولات حصرت موضوع بحثها بالظاهرة اللغوية . وهذا يعني ان (اللغة) في الموضوع الذي دارت بحوث المنطق حوله .ولا تعني هذه الدراسات باللغة ، لغة الحياة اليومية التي نستخدمها في الحديث فقط ، بل تعني باللغة بحدودها الواسعة وتتدرج تحت هذا الفهم جميع العلوم من : رياضيات وفيزياء وفقه .فهي

لغات مـن حيث انها تتألف مـن مجموعـة مـن المفاهيم . وهذه المفاهيم تمثل الف باء اللغة في هذا الحقل العلمي او ذاك وهـذه المفاهيم هـي الركائز الاولية (اللبنات الاساسية) بالاعتماد عليها يشيد هذا العلم او ذاك بناءه .ومن مهمة علم المنطق اخضاع عملية انتقاء هذه المفاهيم الاولية بجملة شروط بحيث نرى ان التمايز بين العلوم في الدقة والوضوح يعود الى اخذ هذه والتزامها بشروط المنطق . في حين وجدنا ان علوماً اخرى ظلت بعيدة عن الدقة والوضوح بسبب ابتعادها عن المنطق وعدم اعتماد على قواعده والالتزام بشروطه في صياغة ابنيتها . (١٤)

وان الجهاز اللغوي من ناحية يتألف من ابنية اعقد من المفاهيم الاولية، وهذه الابنية نصطلح على تسميتها في المنطق بـ (القضايا). (٢٥) وهي في تحديدات اللغة (الجمل) وفي مفاهيم العلم (القوانين) . (٢٦) والقضايا (او الجمل والقوانين) هي صيغ تتألف من مفهومين او اكثر. وان بناء هذه الصيغ يخضع لضوابط وشروط يضعها علم المنطق. وفي هذا الجانب كذلك تميزت حقول المعرفة او العلوم وافترقت، فتميزت بعض العلوم ومنها اللغوية (في تراكيبها) والرياضيات .. بكونها اكثر متانة. نتيجة هذا الالتزام بشروط المنطق في حين ظلت ابنية علوم اخرى ابعد عن المتانة بسبب عدم التزامها بضوابط المنطق وقوانينه.

بعد هذا الايضاح الفكري للاتجاهات المنطقية، نتسأل : إلى اي حد اقترب (ابن رشد) من هذا التحديد لمهمة المنطق؟ وهل انشغل بتشريح اللغة ودراستها من زاوية المنطق؟ وما هي الاشتراطات المنطقية التي وضعها في بحثه للغة؟ نقول ممهدين للاجابة عن هذه التساؤلات، ان شغل الفلاسفة الشاغل، عبر التاريخ الطويل. انحصر في تحديد مواقف لهم اتجاه المشكلات التي واجهتهم، وكتاباتهم تشير إلى ذلك، اذ لا نجدها تقف عند حدود حقل فلسفي معين (البحث الميتافيزيقي والاخلاقي) بل امتدت إلى مختلف حقول المعرفة ومن خلال النظر إلى الخط الفلسفي العام ومنذ بداية تبلوره

وحتى الفترة التي تؤشر لها، نجد ان اهتمام الفلاسفة اتجه نحو المعرفة والمنطق (اي وضع شروط لصياغة اي نظرية فلسفية، الجهاز الحسي او التجريبي باعتباره القناة التي يطل منها الفيلسوف على العالم ، وقواعد وشروط المنطق بكونها ضوابط تساعد في تشكيل صيغة نظرية متينة) وكان لابن رشد حظ كبير في هذه الدراسات. (٢٧) وما دام بحثنا يحصر دائرة دراسته حول المنطق واتجاهاته عند هذا الفيلسوف، نرى ان عمله هذا لم يكن خارج حدود الخط الفلسفي العام بل ظلت جهوده، في تقديرنا تمثل حلقة من حلقاته المتواصلة.

تصارع في دائرة تفكير (ابن رشد) نوعان من المشكلات، عامة سبق ان عالجها العقل الفلسفي الانساني بحدود امكانياته المتوفرة. (٢٨) وخاصة وقد ولدت مع ولادة الاسلام، فتناولها العقل الفلسفي العربي بالدراسة فطرح حلولا متنوعة لبعض جوانبها، فاصاب في جوانب، وانكفأ (ولم يجانب الصواب) في نواحي أخرى على حد تصور فيلسوفنا . (٢٩)

لقد نشأت مع الاسلام علوم جديدة طرحت حلولاً من وجهة نظر الرؤية الدينية البحتة، اضيفت اليها في فترة لاحقة لمسات مذهبية. عكست في بدايتها موقفاً انسانياً بمختلف منازعه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . (٣٠) وظهرت — بعد ذلك — محاولات نشدت تعميق وبلورة منهج جديد لهذه الرؤية . وكانت مناقشات الفلاسفة العرب اغلبها قد سارت في هذا الاتجاه . (٣١) وجسدت هذه المناقشات حوارا بين :الواقع العربي وما يحمله من مشكلات . الرؤية التي جاء به الاسلام وبين التراث الفلسفي اليوناني (وصيغه الاخرى) ، الذي انفتح عليه الفلاسفة . و(ابن رشد) واحد من هؤلاء حصر جهوده في هذا الموال ، وكان همه ترسيخ اسس (منهج برهاني) تستند عليه الرؤية التي جاء بها الاسلام ، وقد عبر عن هذا الموقف بقوله : «واذا كانت هذه الشريعة حقاً وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة

الحق ، فانا ، معشر المسلمين . نعلم ، على القطع ، انه لايؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فان الحق لايضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له».

وعلى هذا الاساس فان عمله توجه نحو تحقيق بناء من نوع جديد ، هو البناء البرهاني (اى اعادة تأسيس الجهاز اللغوي لعلم الفقه وفق اشتراطات منطقية: من حيث المفاهيم (الالفاظ) والقضايا (الجمل) وكان ينشد من هذا تعميق هذه الرؤية عن طريق عرض حقائقها بشكل دقيق وواضح بعيد عن اللبس والغموض من اجل استبعاد التشويه والبلبلة السائدة في دائرة الفكر العربي . وادراكاً من (ابن رشد) لطبيعة عمله ، ابتد أبتنقية المفاهيم الفقهية (الالفاظ) عن طريق اخضاعها لشروط المنطق ، باعتبارها المكونات البسيطة التي يعتمد عليها علم الفقه في تشييد ابنيته الاخرى ، واعياً لحقيقة مهمة تخص هذا البناء ، وهي اذا كانت هذه المكونات (المفاهيم) دقيقة وواضحة اصبحت مكونات البناء متينة وبعيدة عن التنافس . ولتحقيق ذلك مال (ابن رشد) نحو التأويل . وهدف من كل هذا قطع الطريق امام المحاولات التبسيطية التي تضعف روح الحقيقة تلك المحاولات التي تنطلق من ظاهر الحقائق ، الظاهر الذي يثير ازدواجاً في المعنى ، ان لم نقل تعدد المعاني للفظ الواحد ، الذي يعتبر الوفاء الذي صيغت بواسطته الحقيقة ، ومن هنا تأتي اهمية التأويل فهو (امر يراه ابن رشد ضرورياً لاهل النظر اكثر من ضرورته للفقهاء ، لانهم اقدر عليه واحق باستخدامه ، ولان دواعيهم اليه لاتقاس بها دواعي الفقهاء في هذا المقام .. كما يسراه السبب الى نفي مايبدو من تعارض وتنافس بين ظواهر بعض النصوص وبين الحقائق اليقينية التي تجيء ثمرة للبرهان عند اهل النظر والمشتغلين بصناعة الحكمة .وهو يقطع بصلاحية التأويل في كل المواطن والمواقف التي يبدو فيها مثل هذا التعارض بين ظواهر النصوص ومعطيات البرهان » . (٣٢)

٥ — لقد اثار (ابن رشد) تساؤلا كبيراً ،على النظر في الفلسفة وعلوم المنطق

مباح بالشرع ؟١٠٠م محظور ؟؟ ١٠٠م مأمور به ،واما على جهة الندب ، واما على جهة الوجوب ؟؟(٣٤) وجاءت اجابته لتبدد جميع الشكوك التي اثيرت حول امكانية الفلسفة والمنطق في المشاركة مع الرؤية الدينية في ايجاد حلول للمتغيرات التي طرأت على الواقع (وما اثارته من مشكلات على مستوى الفكر) . وكان ينشد من هذه المشاركة تعميق التنظير لهذا الواقع . وادرك بان هذا لايتم الا عن طريق ايجاد منهج علمي جديد . (٢٥) يتفحص بعمق حركات الواقع واتجاهاته . ولايتحقق هذا الا عن طريق تعميق في طرف آخر (النظرية) التي هي صياغة فكرية من قبل عقل متطور التصق بقاع الواقع ،٠ فجاءت هذه النظرية باركانها المتنوعة تطرح تشكيلاً جديداً (نفيا) للواقع . ويشهد على هذا ان (ابن رشد) لم يحاجج نظرية بنظرية ، او ان شئت فقل لم يمتحن تصورا عقليا بتصور اخر : « ان كان فعل الفلسفة ليس شيئا اكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع ، اعني من جهة ماهي مصنوعات فان الموجودات انما تدل على الصانع بمعرفة صنعتها ، وانه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتم كانت المعرفة بالصانع اتم (١٦).

وادرك بان محاججة تصور بتصور آخر ، عمل لايحقق اي تقدم وانما قد يؤدي الى رجحان كفة الخط المحافظ الذي يستهدف ايقاف حركة الواقع وتمديد الزمن ،ولذلك اتجه الى مناقشة اية نظرية من خلال مقابلتها بالواقع ، ومايكشفه من حال (مشكلات واهداف) يلزم الفكر بان يشكل النظرية بهذا الشكل الذي يتجاوب وهذا الحال ، وعبر (ابن رشد) عن هذا الموقف باشاراته « فأما ان الشرع دعا الى الموجودات بالعقل . وتطلب معرفتها به ، فذلك بين في غير ما آية من كتاب الله تبارك وتعالى ، مثل قوله تعالى (فاعتبروا يا اولي الابصار) ، وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي ، او العقل والشرعي معا » (٣٧) .

ومن هنا وضع (ابن رشد) يده على الهدف المركزي الذي تنشده الامة ، وهذا الهدف في تصور ، ينحصر في تعميق الرؤية العلمية لتكوّن نظرية حياة جديدة . ولذلك كان جلّ عمله قد تركز حول تثبيت المنهج وترسيخ أسسه (والمنهج الجديد هو القياس العقلي او البرهان) لان هذا المنهج هو الذي يرسم معالم الطريق الى الحل المنشود (نظرية الحياة) ورأى ان ترجمة هذه النظرية الى واقع جديد يمثل صورة حياة مصغرة للامة. كلما امتدت هذه الصورة امتدت الامة معها وكبرت (٣٨).

وهدف من ابتداء بحثه بالموجودات (وليس بالتصورات) تحقيق رجحان لكفة الفلسفة وعلم المنطق (كمنهج) في الكشف عن المسار الجديد للنظرية المعبرة عن التشكيل الجديد للواقع باعتبار المنطق هو المنهج الذي يعمق اركان البناء النظري للواقع : « يجب على العارف ان يستنبط من الامر بالنظر في الوجودات وجوب معرفة القياس العقلي ، وانواعه ، بل هو احرى بذلك لانه اذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى :(فاعتبروا ياأولي الابصار) ، وجوب معرفة القياس الفقهي ، فكم بالحرى والاولى ، ان يستنبط من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس العقلي ؟!» (٣٩).

وتمكن بشكل مقنع ورصين ، اثبات الدعوى التي اقامها ، وهي دفاعه عن القياس المنطقي (كمنهج) والحاجه على تطبيقه على الرؤية الدينية وتأكيده على رجحان كفته . وكشف في هذا الاثبات عن الروح الاستدلالية التي يتميز بها البناء المنطقي في الانتقال من حقائق مثبتة في بداية البناء الى حقائق اخرى تلتزم عنها : « وليس لقائل ان يقول : ان هذا النوع من النظر في القياس العقلي بدعة ، اذ لم يكن في الصدر الاول: فان النظر ايضاً في القياس الفقهي وانواعه وهو شيء استنبط بعد الصدر الاول . وليس يرى انه بدعة . فكذلك يجب ان نعتقد في النظر في القياس العقلي» (٤٠) :

لقد فتح تساوءل (ابن رشد) السابق باباً عريضا للنقاش ، افرزت مواقف عديدة ، (٤١) وكان يستهدف من كل هذا تحقيق غايته الوحيدة وهي الأخذ بالمنطق سبيلا للحوار العقلي ، ومنهجا لتشكيل الصياغات النظرية لمختلف اتجاهات المعرفة بشكل عام ، والرؤية الفقهية بشكل خاص : «واذا تقرر أن الشرع قد اوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها. وكان الاعتبار ليس شيئا اكثر من : استنباط المجهول من المعلوم ، واستخراجه منه ، وهذا هو القياس » (٤٢) .

اتجه بعد ذلك نحو وضع تأسيس منطقي لعلم الفقه ، هذا الحقل الذي نشأ وتطور بدافع الدين الاسلاميّ . ان ابعاد هذا المشروع المنطقي الذي استهدف (ابن رشد) تحقيقه ، انصبت حول اعادة تشكيل بناء علم الفقة وفق اشتراطات منطقية ، تحقق نسقاً برهانياً له ، وقد نشر موقفه هذا في النصين الاتيين :

آ — «ان نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي . وبين ان هذا النحو من النظر الذي دعا اليه الشرع وحث عليه ، هو اتم انواع النظر باتم انواع القياس ، وهو المسمى برهاناً » (٤٣)

ب — «وكان من الافضل ، او الامر الضروري ، لمن اراد ان يعلم الله تبارك تعالى ، وسائر الموجودات بالبرهان ، ان يتقدم اولاً فيعرف انواعها وشروطها ... وكان لايمكن ذلك دون ان يتقدم فيعرف قبل ذلك ماهو القياس المطلق وكم انواعه ، وما منها قياس ومافيها ليس بقياس وذلك لايمكن ايضا الا ويتقدم فيعرف قبل ذلك اجزاء القياس التي منها تركبت، اعني المقدمات وانواعها» (٤٤) .

البناء المنطقي لعلم الفقه :

٦ — نبدأ تشكيل هذا البناء بطرح جملة تساؤلات نتوخى عن طريقها رسم الابعاد الحقيقية للموضوع : هل (ابن رشد) اول من حقق في دائرة

الفكر العربي هذا المشروع المنطقي لعلم الفقه ؟ ام سبقته محاولات اخرى واذا كان هناك محاولات فما حدود مساهماتها ؟ والى اي حد استطاعت ان تحقق نجاحاً في هذا المجال ؟ واين نضع محاولة (ابن رشد) بين هذه المحاولات ؟ ولتحديد الاجابة عن هذه التساؤلات نسترشد بآراء الاستاذ (د . علي سامي النشار) التي اودعها كتابه (مناهج البحث عند مفكري الاسلام) (٤٥). والتي استهدفت رسم خط تاريخي لنشوء منطق اسلامي يختلف عن المنطق الفلسفي ، ونستأنس كذلك ، في تحديد الاجابة ، ببعض الاراء التي التقطناها واعتمدناها من مؤرخي الفلسفة والفكر العربيين.

يذهب (النشار) الى ان المنطق الاسلامي يمكن تلمس ابعاده في كتابات الاصوليين، من فقهاء ومتكلمين ، اذ انهم قد انتهوا الى تطوير منطق جديد يختلف عن المنطق الفلسفي المستعار «اذ من المؤكد انه لم توجد ادنى صلة في العصور الاولى، اى الى عصر الغزالي ، بحيث لانجد احدا من الاصوليين المتقدمين حاول رده الى المنطق اليوناني . لكن نرى هذه المحاوعة لدى المتأخرين من الأصوليين» (٤٦)

نحاول ان نقف هنا ونطرح ايضاحا فكريا يمهد لنا وضع حل للاشكالية السائدة في الموضوع ، وسط هذا الصراع بين :

آ — من يذهب الى نكران والغاء الاثر (اى الاثر الفكري الاجنبي) من اجل دعم الاستقلالية للفكر العربي .

ب — ومن يقرر وجود الاثر من البدايات الجنينية (التي يفترضها تاريخياً في نهايات العصر الاموي وبدايات العصر العباسي) للفكر العربي، فيضحي على هذا الاساس بكل استقلالية تميز هذا الفكر واداته العقلية .

وستهتدى وسط هذا الصراع بهذا الايضاح في سيرنا التحليلي والعرضي لهذه الاشكالية على طول الدراسة وعرضها، يميز هذا الايضاح بين موقفين اثنين :

الأول: ان العقل العربي توصل الى نوع من الاستدلال (الاستنتاج) في فترة متقدمة تاريخيا، وقبل انفتاحه على تراث العقل الانساني، نتيجة لطبيعة الظروف المحيطة به، بسبب متطلبات حياته، ونشدانه وضع تفسير لكثير من الظواهر التي واجهته. وهنا نتفق مع (ابن تيمية) في رأيه الذي ذهب اليه في استقلال الصور المنطقية التي اهتدى اليها العقل العربي. (٤٧)

غير اننا نختلف معه (وفي آن واحد في تأكيده ان المسلمين توصلوا بانفسهم الى هذه الصور المنطقية، وبالغائه دور العرب قبل الاسلام . في الحقيقة ان هذه الصور تعمقت واتخذت بعداً اكثر دقة على يد المسلمين، نتيجة ورود احكام في الكتاب الشريف تقترب من تشكيل بعض الصور المنطقية (الاستدلالية) .

الثاني: ان الصور المنطقية التي توصل اليها العقل العربي اخذت اتجاها علميا جديدا بعد ان كانت سائدة في الحديث والاستعمال اليومي الاعتيادي فانتقلت بفضل انفتاح العقل العربي على تراث العقل الانساني، ومنه منطق ارسطو (والرواقيين) من دائرة الاستعمال اليومي الى دائرة العلم والمعرفة.

وهذا الموقف يجعلنا نختلف مع الاصوليين المتأخرين في ردهم طرق البحث الاصولية الى المنطق اليوناني، (٤٨) على الرغم من تقديرنا لمحاولتهم التي استهدفت القضاء على اي اعتراض يوجه الى حركة من المنطق بعلوم المسلمين. ونتفق معهم الى ان متقدمي الاصوليين والمتكلمين لجأوا الى مايشبه المنطق او ما يمكن مقارنته بالصور المنطقية .

والاستدلال التاريخي والفكري على موقفي الايضاح نذهب الى ان العقل العربي توصل الى نوع من الاستدلال (الاستنتاج)، ويدعم وجهة النظر هذه مايزخر به تاريخنا العربي من امثلة عديدة، موغلة في الماضي الذي سبق ظهور الاسلام، وهذه الامثلة تشير الى ان العرب قد مارسوا نوعا من الاستدلال، وقصة الاخوة الاربعة الذين سئلوا هل وجدوا بعيرا كان قد ضاع، مثال جيد في هذا المجال، والقصة هي: ان اعرابيا فقد

بعيرا فراح يبحث عنه ووجد اخوة اربعة هم: مضر وربيعة واياد وانمار، فسألهم: هل وجدوا البعير؟ «فقال مضر هو اعور فقال: نعم، وقال ربيعة هو ازور، قال: نعم، وقال اياد هو ابتر، قال: نعم وقال انمار هو شرود قال: نعم . وهذه والله صفات بعيري فدلوني عليه، فقالوا والله ما رأيناه، قال: قد وصفتموه بصفته، فكيف لم تروه؟ فقال مضر رأيته يرعى جانبا فعرفت بانه اعور، وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة فعرفت انه ازور، وقال اياد رأيت بعره مجتمعاً، فعرفت انه ابتر، وقال انمار: رأيته يرعى المكان الكثيف ثم يجوز الى غيره، فعرفت انه شرود.»(٤٩)

في الحقيقة هذا الاستدلال والاصح هذا الاستنتاج اعتمد على المشاهدة والحس، وهذه السمة ستظل مسيطرة على استنتاجات الفقهاء والاصوليين الى الفترة التي اخذ العقل العربي بالمنطق منهجاً (اي بعد انفتاحه على التراث الانساني)، فابتعد عن الحس، واتجه الى تحقيق بناء نظري خالص للفقه يلتزم بشروط المنطق البحت.

كانت هذه المرحلة تمثل الحلقة الاولى من حلقات اتجاه الفكر العربي نحو المنطقية، جاءت بعد ذلك حلقة تالية عمقت هذا الاتجاه، وهذه الحلقة تمثلت بظهور الاسلام، اذ من المسلّم به تاريخيا، ان الاسلام طرح جملة احكام عامة (تعميمات كلية) في مجالات الحياة المختلفة، منها احكام تلزم الانسان والمجتمع بانماط سلوكية معينة، وواجبات دينية تتوزع في ناحيتين: محرمات ومباحات وتقرير فرائض وما يرتبط بها من طقوس (شعائر) . وعليها يتقرر سلوك الفرد (ومسار المجتمع) اذا كان مقبولاً ام مرفوضاً ، وعليها تتحدد صور العقاب (والثواب) التي تنتظره. وتعين العقوبة يقتضي صياغة الحكم الذي اورده الاسلام في مقدمة، ولنضرب على ذلك مثالاً نستشهد به على ان الاستدلال (الاستنتاج) مورس في هذا المجال بشكل اعمق من الصور السابقة التي مارسها العقل العربي، وكان هذا بتحريك الاسلام وما طرحه من احكام، للاستشهاد نقول: ان الحكم الذي

اورده الاسلام صيغ في مقدمة مثل:

آ ـ كل من يزني يرجم.

جاءت بعد ذلك خطوة اخرى ، وهي صياغة المسألة المراد اصدار حكم عليها على شكل مقدمة ثانية، وتكون على هذه الصورة :

ب ـ هذا الرجل زنى.

وهذا التشكيل يؤدي بالضرورة الى تحديد الحكم على هذه المسألة، وهو النتيجة المشتقة:

جـ ـ هذا الرجل يرجم.

ان تحليلنا لهذا النوع من المقياس، من وجهة نظر منطقية ، يشير الى ان مكونات القياس تتألف من ثلاث قضايا، مقدمتان ونتيجة تتبعهما . ومن شروط القياس ، يجب ان تكون المقدمتان كليتين، كلتاهما موجبة ، او الاولى كلية موجبة والثانية جزئية سالبة «والكلية: ماتقال على الكل او لاتقال على واحد من الكل(٢)والجزئية ماتقال على البعض او لاتقال على واحد من البعض) .

ونحن نرى في تشكيل القياس السابق ان المقدمة الثانية ليست هي بجزئية، بل هي قضية مشخصة (فردية شخصية) . الشيء الاخر ، ان من لوازم القياس ان تكون هناك روابط منطقية بين المقدمتين، وهي رابطة العطف (ويعبر عنها بحرف العطف (الواو)، وفي القياس السابق لاتوجد رابطة العطف المنطقية . وهذه السمة مفقودة في كل الانماط التي صاغها الاصوليون في الفترة السابقة. وأمر ثالث : ان تكون هناك رابطة منطقية بين المقدمتين والنتيجة المشتقة ومن دون هذه الرابطة لايتم اى اشتقاق، وتتحول القضايا بغياب هذه الرابطة، التي يتألف منها القياس الى مصفوفات لا تشد بعضها الى بعض اى علاقة. وهذه الرابطة هي الالزام (والتي نعبر عنها (اذا.. فان)، في حين لاترى في تشكيل القضايا الفقهية اي وجود لرابطة

الالزام، اضافة الى ان القياس السابق اعتمد الحس والمشاهدة في صياغة المقدمة الثانية، بينما نجد ان القياس المنطقي لايمت باية علاقة الى عالم الحس والمشاهدة وان مهمته الوحيدة هي البحث عن العلاقات المنطقية، من خلال تحليله للتراكيب الداخلية للقضايا، وان النوع الاول من القياس (القياس الفقهي) الذي اعتمد الحس، ظل سائدا الى الفترة التي اخذ بها العقل العربي بالمنطق منهجاً.

٧ – يجمع مؤرخو (علم الاصول) على ان اول محاولة لوضع مباحث الاصول لعلم الفقه انما نجدها عند (الشافعي) (١٥٠ – ٢٠٤هـ) (٥٠) ويذهب الاستاذ (مصطفى عبد الرزاق) الى ان المذاهب الفقهية قبل (الشافعي) اتجهت الى جمع المسائل وترتيبها وردها الى ادلتها التفصيلية خصوصاً عندما تكون دلائلها نصوصا. اما اهل الحديث فلكثرة اعتمادهم على النص كانوا اكثر تعرضا لذكر الدلائل من اهل الرأي.

بعد هذا اتى الشافعي بمذهبه الجديد، وكان قد درس المذهبين وتبين مافيهما من نقص، فعمل على ان يتلافى هذا النقص وقد قدم لنا فعلاً هذا النظام البديع الاستنباطي في مؤلفة (الرسالة)، وتمكن من نقص بعض التعريفات لعدم اتساقها مع مكونات النظام الاخرى والتزامها بطريقة الاستنباط.

ويتساءل الاستاذ (النشار): هل كانت هذه المناهج الاصولية السابقة، هي كل مادخل في منهج (الشافعي) وأثر عليه؟ او هل يمكن تلمس عوامل اخرى غير اسلامية كالمنطق الارسطي؟ بعد هذا التساؤل قرر عدة آراء:

اولاً: ان المنطق كان قد نقل الى العالم الاسلامي قبل عصر (الشافعي) بكثير ومن المحتمل ان يكون قد اطلع عليه وخاصة انه درس من ناحية علم الكلام كما يعترف هو بنفسه.

ثانياً: معرفة (الشافعي) للغة اليونانية كما ذكر (ابن النديم) (٥٢).

ثالثاً : اذا لجأنا الى النصوص نفسها تثبت لنا ان (الشافعي) يشارك (ارسطو) في اعتبار القياس الاصولي ــ وهو التمثيل عند (ارسطو) ــ ظنيا (٥٣).

بعد تثبيت هذه الآراء اتجه (النشار) الى الرد عليها ، غير ان ردوده جاءت سطحية وغير موثقة (احتمالية : ذات وجهين) وبذلك لم تتمكن من من هز هذه الاراء المدعمة بأسانيد تاريخية والمقرر قسم منها على اسان (الشافعي) نفسه (٥٤).

ومن الضروري الاشارة هنا الى ملاحظة مهمة تخص (الشافعي) بشكل خاص ، والاصوليين الذين تأثروا في كتاباتهم بالمنطق بشكل عام وهي ان المنطق الذي اعتمدوه (او على الاصح تأثروا به) كان مزيجا من المنطق الارسطي والمنطق الرواقي ، وكما هو معروف ان المنطق الروقي منطق حسي وهذا جانب مهم اختلفت فيه محاولة الاصوليين في التأثر بالمنطق في تصنيف الاحكام الفقهية (٥٥). عن المحاولات اللاحقة التي دعت الى مزج المنطق بالفقه (وهو منطق ارسطو . ومنه نظرية القياس وهذه النظرية هي بناء فكري خالص لاعلاقة لها بالحس والمحسوسات).

وعلى هذا الاساس نقرر ان هنالك أثرا منطقيا (عربياً خالصاً او فلسفيا مستعار) في المحاولات السابقة بصورة واضحة او خفية (وكانت هنالك مواقف ايجابية وسلبية احتضنتها تلك المحاولات) ، اما بوادر مزج المنطق بالفقه ، بشكل واضح فقد بدأت بمحاولة (ابن حزم) (٣٨٤ ــ ٤٥٦هـ) خصص (ابن حزم) فصلا من فصول كتابه المرسوم بـ (الاحكام في اصول الاحكام) وعنوانه (الالفاظ الدائرة بين اهل النظر) واشترط فيه تحديد الالفاظ الاصولية ، ووجد ان سبب وقوع الخطأ وضياع الحقائق يعودان الى تشابك المعاني ودلالة الاسماء على غير مسمياتها . اتجه بعد ذلك الى تحديد كل لفظ من تلك الالفاظ . ودراسة الحد والرسم والعلم والبرهان (٥٦). ويذكر في مقدمة كتابه (التقريب لحد المنطق والمدخل فيه) بان غايته تحديد الحقائق الشرعية والكلامية وكان قد مال الى الحدود المنطقية في تثبيت هذا التحديد (٥٧).

وجاءت بعد ذلك شخصية اخرى لعبت دوراً موجهاً في هذا المجال، هذه الشخصية هي (امام الحرمين) (المتوفى ٤٧٨هـ)، الذي عرف بمخالفته للاصوليين في كثير من القضايا المطروحة، وكذلك في مخالفته لهم في محاولة مزج المنطق الارسطي بالاصول و (ابن تيمية) يشير الى هذا المعنى بقوله: «وان كان امام الحرمين خالف المنطق الاسططاليسي في نقاط. الا أنه تأثر به الى حدٍ ما بل قد نجد عنده اول محاولة لمزج منطق ارسطو باصول الفقه.. (٥٨). وبهذا السلوك مهد (امام الحرمين) لتلميذه (الغزالي) الطريق لتعميق هذا الجانب.

يعتبر الغزالي(المازج الحقيقي للمنطق الارسطي بعلوم المسلمين، فقد وضع عدة مؤلفات منطقية. (٥٩) اضافة الى المقدمة المنطقية .التي وضعها في كتابه (المستصفى) والذي اعتبر فيها منطق (ارسطو) شرطا من شروط الاجتهاد وفرص كفاية على المسلمين. (٦٠)

واذا كان المتكلمون قد هاجموا المنطق الارسطي وخرجوا في ابحاثهم عن قواعده، واخذوا بمنهج مخالف، كان (الغزالي) يهاجم هذا المنهج الذي يخرج عن منطق (ارسطو)، ووجه نقدا الى المتكلمين لانهم لم يهتموا بالبديهيات المنطقية، وبذلك صرح :

آ ــ «فقد يظن بالاوليات انها ليست اولية فيشكك فيها ولا يتشكك في الاوليات الا بزوال الذهن عن الفطرة السليمة المخالطة بعض المتكلمين المتعصبين للمذاهب الفاسدة». (٦١)

ب ــ «ان اكثر اقيسة الجدليين من المتكلمين والفقهاء في مجادلاتهم وتصانيفهم مؤلفة من مقدمات مشهورة فيما بينهم سلموها لمجرد الشهرة.. ولذا نرى اقيستهم تنتج نتائج متناقضة فيتحيرون فيها وتتخبط عقولهم في تنقيحها.» (٦٢)

٨ ــ واخيراً نحاول ان نضع الصورة النهائية للموقف الذي نتخذه اتجاه

هذه المسألة، ونرى ان الانسان العربي عن طريق ممارسة التفكير في مشكلات العالم (الطبيعة والمجتمع).. اهتدى الى طرق بحث استعان بها في حياته العملية. وطرق بحث اخرى تاصل بها لصياغة تفسير ظاهرة او بناء موقف اتجاه مشكلة ما اثيرت على مستوى الفكر، ومن هذه الطرق ، طريقة الاستنتاج (وصور منطقية اخرى). وكان هذا الاستخدام للاستنتاج ، في صورته الاولى عفوياً. استدعته الحاجة ومتطلبات الحياة ، وتوسيع المعرفة . لكن هذا الاستخدام تعمق بمعني الزمن نتيجة نمو عقل الانسان العربي، فتحول الى سلوك علمي وممارسة فكرية واعية متحددة الابعاد. وقد اسهم الاسلام بدور فاعل في تعميق هذا الاتجاه نحو المنطق، لما احتواه من احكام (هي مقدمات عامة) تشتق منها احكام اخرى تتحدد كقواعد سلوك وضوابط اجتماعية. وبذلك رسم الطريق الصحيح للفكر العربي في تعميق منهج جديد يتمكن من صياغة نظرية حياة جديرة بطموحات الامة وتوجهاتها.

اتخذ هذا المنهج بعده الحقيقي ، بعد تعرف العقل العربي على المباحث المنطقية التي توصل اليها العقل الانساني .ويعني هذا ان ارضية الفكر العربي، لم تكن خالية من محاولات ساهمت في رسم البدايات الاولى لمنهج عربي، بل احتوت على جملة جهود متواضعه استخدمت الاستنتاج وبعض الطرق المنطقية غير الناضجة (المكتملة) والتي تخلو من الدقة والوضوح ، وعدم التزامها بالشروط الاخرى التي يفترضها المنطق . وبدخول هذه المباحث الى الساحة الفكرية العربية تعمق هذا الخط المتجه نحو المنطقية .

وبرز استقطاب بين المفكرين العرب بسبب ، ان بعضا منهم اختاروا الانغلاق ورفضوا الانفتاح في حين ألح قسم آخر على التفاعل الفكري والحوار بين ماظنه التراث اليوناني وبشكل خاص المباحث المنطقية وبين طروحات العقل العربي ، من اجل تعميق رؤياها والوصول الى نتائج اكثر نضوجا وقسم ثالث من المفكرين ظل قابعا عند حدود النقل الحرفي،

نقل طروحات العقل اليوناني ، دون ان يهتم او يشغل دائرة تفكيره بمعالجة للمشكلات التي ظهرت على سطح الواقع العربي .

وتاريخ الفكر العربي بشكل عام والفقة بشكل خاص يسجل لنا أن البدايات الاولى لظهور بوادر للأثر المنطقي (العربي الخالص او المنطق الفلسفي) في الفكر العربي بشكل واضح يمكن تلمسها في اسهامة (الشافعي) وبعد ذلك في محاولات الاصوليين . من فقهاء ومتكلمين جاءوا بعده. هذه المحاولات . حتى اذا سلمنا بانها اخذت بالمنطق ، فأنها اخذت بطريق التمثيل (وهذا نظام تكون مقدماته جزئية ، وهو بناء منطقي ناقص من وجهة نظر البناء الذي يفترض فيه ان يوصلنا الى اليقين . ويحفظنا من عثرات التناقض) وطريق الاستقراء الذي يعتمد على الحس (ونحن نعرف ان البناء المنطقي التام يبدأ من بديهيات مسلم بها . وليست لها علاقة بالمحسوسات وهذا شرط لم تتوفر في ابنية الفقهاء والمتكلمين) . الشيء الآخر : ان الفقهاء والمتكلمين مالوا الى المنطق الرواقي الذي يعرف عنه بانه منطق حسي ؟

اما محاولات (ابن حزم) و (امام الحرمين) و (الغزالي) فكانت تمثل البدايات الاولى لمزج المنطق بعلوم المسلمين، لتحقيق نوع من العمق والدقة في البناء النظري لهذه العلوم، واستبعاد البلبلة والتشويه. وبذلك رسمت محاولاتهم الطريق الواضحة امام (ابن ارشد) .

تميز مشروع (ابن ارشد) باتخاذ الفقه موضوعا للدراسة من وجهة نظر علم المنطق، واعادة تشكيل ابنيته علما نظريا، ليست له علاقة بالعالم الخارجي والمحسوسات . حاله حال الرياضيات. وهنا نحدد اللقاء بين محاولة (ابن ارشد) والمحاولات السابقة (اعني محاولات: ابن حزم وامام الحرمين والغزالي) فمحاولة (ابن ارشد) هي اسهامة تضاف الى الاسهامات السابقة، وهي في تقديرنا خطوة متقدمة على تلك الاسهامات. وهنا تحدد نقطة تقاطع وافتراق رسمتها هذه المحاولة، لانها أختلفت في معالجتها للموضوع، وذلك قد تم من خلال زاوية مختلفة وجديدة. وواضح لنا ان هناك فرقاً بين :

آ ــ محاولة اعادة تشكيل علم من العلوم وفق اشتراطات المنطق وضوابطه وتحقيق بناء منطقي له.
ب ــ استعارة علم من العلوم لطريقة منطقية معينة واستخدامها في بحثه، ومحاولة التعديل فيها لتتجاوب مع موضوع هذا العلم.

ونرى ان هناك فرقاً كبيرا بين الحالة الاولى والثانية. وعلى هذا الاساس افترقت محاولة (ابن رشد) عن المحاولات السابقة عليه.

٩ ــ نحاول في هذه الفقرة مناقشة أبعاد المشروع المنطقي الذي استهدف (ابن رشد) تطبيقه على علم الفقه ، وكان ينشد من هذا التطبيق نقل رؤيته إلى معرفة تتميز بالدقة والوضوح والشمولية . وهذا يتحقق في تصور (ابن رشد) عن طريق الأخذ بالمنطق منهجاً والالتزام بالاشتراطات التي يضعها: «فاذا تقرر انه يجب ، بالشرع ، النظر في القياس العقلي ، وانواعه ، كما يجب النظر في القياس الفقهي ، فبين انه ان كان لم يتقدم احد ممن قبلنا بفحص عن القياس العقلي وانواعه ، فانه يجب علينا ان نبتدىء بالفحص عنه ،.. فاذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلات التي بها نقدر على الاعتبار في الموجودات ، ودلالة الصنعة فيها ــ فان من لا يعرف الصنعة لايعرف المصنوع ، ومن لايعرف المصنوع لايعرف الصانع ــ فقد يجب ان نشرع في الفحص عن الموجودات ، على الترتيب والنحو الذي استفدناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية »(٦٣) نقول ان مشروع (ابن رشد) المنطقي استهدف تحقيق الخطوات الآتية :

اولا : تنقية المفاهيم التي تشكل الف باء الجهاز اللغوي للرؤية الفقهية ، وتحقق هذا عنده عن طريق التمييز بين :

١ ــ اللغة الظاهرية وماتحويه من مفاهيم . عبرت عن هذه الرؤية ، فاثارت جملة مشكلات نتيجة ما تحمله من معنى ظاهري . فالتصق بسبب ذلك غموض ولبس بالمفاهيم فابتعدت عن الدقة والوضوح « نعلم على القطع انه لايؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ماورد به الشرع ، فان الحق

لايضاد الحق بل يوافقه ويشهد له ... وان كانت الشريعة نطقت به ، فلا يخلو ظاهر النطق ان يكون موفقا لما ادى اليه البرهان فيه او مخالفا. فان كان موافقا فلا قول هنالك وان كان مخالفا طلب هنالك تأويله» (٦٤).

٢ ـ لغة فنية جديدة (عن طريق التأويل للالفاظ) من خلال ايجاد مفاهيم جديدة تعمق هذه الرؤية ، وتمنحها سعة ، نتيجة الروح الجديدة لمعانيها وهذه اللغة تختلف عن الاولى ، من حيث ان مفاهيمها تحمل معنى عميقا مما يجعلها اقرب الى الدقة والوضوح ، وهذه اللغة بتشكيلاتها الجديدة، وماتشير اليه من معان جديدة تظل في تحديد (ابن رشد) لغة للعلماء (ومعنى التأويل هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية، من غير انه يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز ... واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثرمن الاحكام الشرعية،فكم بالحرى ان يفعل ذلك صاحب علم البرهان ؟؟ فان الفقيه انما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني)(٦٥). ويكمل حدود هذا الموقف في نص آخر : « ان ها هنا تاويلات لايجب ان يفصح بها الا لمن هو من اهل التأويل وهم الراسخون في العلم .. لانه اذا لم يكن اهل العلم يعلمون التأويل ، لم يكن عندهم مزية تصديق توجب لهم من الايمان به ما لايوجد عند غير اهل العلم .. وهذا انما يحمل على الايمان الذي يكون من قبل البرهان ، وهذا لايكون الا مع العلم بالتأويل .. لان الله عز وجل قد اخبر أن لها تأويلا هو الحقيقة والبرهان لايكون الا على الحقيقة » (٦٦) .

ثانياً : التمييز بين مكونات البناء النظري لعلم الفقه . بين ابنية بسيطة هي المفاهيم وبين ابنية مركبة هي القضايا باعتبار ان القضية هي صيغة تدخل المفاهيم في تشكيلها ، وقد عبر (ابن رشد) عن الابنية الاولى بالتصورات. وعن الثانية بالتصديقات : من حيث ان التصور اما ان يشير الى شيء او يعين شخصا . وبذلك لايمكن ان يتصف التصور بالصدق او الكذب، في حين يتصف التصديق (القضية) بكونه اما ان يكون صادقا اذا انطبق على الواقعة التي يعبر عنها . وبعكسه يكون كاذبا : « ... كان مقصود الشرع

تعليم العلم الحق . والعمل الحق . وكان التعليم صنفين تصورا ، وتصديقا كما بين ذلك اهل العلم بالكلام . وكانت طرق التصديق الموجودة للناس ثلاثة : البرهانية ... والجدلية ... والخطابية ... وطرق التصور اثنتين اما الشيء نفسه ... واما مثاله» (٦٧) .

ثالثاً : بناء نظام برهاني لهذا الحقل من المعرفة ، من اجل تحقيق الدقة في المفاهيم ، والمتانة في القضايا عن طريق استبعاد اي تناقص يثار ، مستهدفا من كل هذا تحقيق تعميق للروءية الفقهية . وهذا النظام يتألف من المكونات الآتيـة :

١ ــ المقدمات : وهي اوائل واضحة بذاتها (من حيث انها تتألف من مفاهيم دقيقة) يفترض صدقها اولاً . لان البرهان يعتمد عليها في اشتقاق قضايا جديدة : « فكم بالحرى ان يشترط ذلك في الحاكم على الموجودات يعني ان يعرف الاوائل العقلية ووجه الاستنباط منها » (٦٨) .

٢ ــ الاواخر : وهي قضايا تعتمد في بيان صدقها على الاوائل (المقدمات) وهنا لابد من الاستعانة بالاستدلال باعتباره السبيل الذي يحقق هذا الصدق للاواخر ، اذ بالاستدلال يتكشف ان صدق الاوائل يؤدي بالضرورة الى صدق الأواخر (المبرهنات) . وقد اقترب (ابن رشد) بالخصائص التي ارادها للبناء لعلم الفقة من سمات البناء الرياضي ومايتسم به من رمزية وصراحة تؤدي الى الدقة . واستدلالية تقضي الى تحقيق الصدق والمتانة. وقد عبر (ابن رشد) عن هذا الموقف في النصين الآتين :

آ ــ «وبين ايضا ان هذا الغرض انما يتم لنا في الموجودات بتداول الفحص عنها واحدا بعد واحد . وان يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم على مثال ماعرض في علوم التعاليم » (٦٩) .

ب ــ « واما الذي احوج في هذا الى التمثيل بصناعة التعاليم . فهذه صناعة اصول الفقه» (٧٠) .

رابعاً : التمييز بين ثلاثة انماط من الاحكام ، والتي تعبر عن ثلاثة مواقف سائدة في الروءية الفقهية . وتركيزه على الاحكام البرهانية ، واستبعاده للاحكام الباقية . فقد فرق بين :

١ ــ الاحكام الخطبية : « الناس على ثلاثة اصناف : صنف ليس هو من اهل التأويل اصلا وهم الخطبيون الذين هم الجمهور الغالب ، وذلك انه ليس يوجد احد سليم العقل » (٧١).

٢ ــ الاحكام الجدلية : « وصنف هو من اهل التأويل الجدلي وهؤلاء هم الجدليون بالطبع فقط ، او بالطبع والعادة » (٧٢).

٣ ــ الاحكام البرهانية : « وصنف هو من اهل التأويل اليقيني وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة اعني الصناعة الحكمة » (٧٣).

الخاتمة :

١٠ ــ وفي الختام ، فان هذه الدراسة تنظر بتقدير عال لجهود الفلاسفة العرب بشكل عام، ولابن رشد بصورة خاصة ، لما بذله الفلاسفة من جهد، وما تحملوه من عناء واساءة ، نتيجة استصدار هذا الفيلسوف او ذاك ، موقفاً فكرياً جديداً يحمل بعد تغيير في اتجاهين : في بنية المجتمع ، وفي مكونات العقل . وكذلك نتيجة النضال الجاد والمسؤول من قبل هذا الفيلسوف او ذاك ، لترجمة موقفه الفكري إلى حياة ، او اعادة تشكيل الحياة من جديد وفق رؤية هذا الموقف . والتاريخ العربي بشكل عام ، وتاريخ الفلسفة بشكل خاص ، يشيران إلى هذا الجانب . من خلال حديثهما المسهب عن (محن) الفلاسفة . و(ابن رشد) موضوع دراستنا غني عن التعريف بمحنته (٧٤).

هوامش البحث:

(١) انظر مقالتنا: الكندي رائد الفلسفة العربية، مجلة الجامعة/ تصدرها جامعة الموصل، العدد (٩،١٠) تموز ١٩٧٩، ص ٦٣، وانظر كذلك مقالتنا. ابن خلدون البناء الفلسفي للتاريخ، جريدة الحدباء الموصلية/ العدد (١٥) كانون الاوع سنة ١٩٧٩ ص ٣ .

(٢) هو ابن الوليد محمد بن احمد بن احمد بن رشيد، ولد سنة (٥٢٠هـ) في مدينة قرطبة استفاد في الفلسفة من (ابن باجة) و(ابن طفيل)، توفى سنة (٥٩٥هـ) في مراكش وحمل الى الاندلس . من مؤلفاته:

أ- تهافت التهافت، تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر ١٩٦٥م.

ب- تلخيص الخطابة، تحقيق د. محمد سليم سالم، القاهرة ١٩٦٧م.

جـ- مناهج الادلة في عقائد الملة، تحقيق د. محمود قاسم، القاهرة ١٩٥٥م.

د- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق محمد عمارة دار المعارف بمصر.

هـ- ضميمة في العلم الالهي، تحقيق محمد عمارة (نشر ضمن كتاب فصل المقال).

(٣) انظر د. الياس فرح: تطور الايديولوجية العربية الثورية طه بيروت ١٩٧٥، ص ٣٨ وانظر بحثنا، البعد الحضاري لمحو الامية، مجلة اداب الرافدين العدد (١٠) سنة ١٩٧٩م ص ٦٢٣.

(٤) انظر فيليب ويلرايت، هيراقليطس، ترجمة عبده الراجحي، نشر ضمن محتويات كتاب هيراقليطس فيلسوف التغير. (شارك فيه د. علي سامي النشار وعبده الراجحي وآخرون) ط١، دار، المعارف بمصر ١٩٦٩، ص ٢٥ وانظر شروح النصوص التي وردت فيها لقطة اللوغوس (القانوني واللغوي) ص ٢٧ - ٣٢

(٥) انظر في تحديد قانون (الذاتية وعدم التناقض) عنده:

Read .C., Logic deductive and Indutive,London,1898,p.61.

(٦) انظر في تحديده للبرهان المنطقي غير المباشر:

Lee.H.D., Zeuo of Flea., Cambridge, 1936, P. 8

(٧) انظر :

Aristotle., Metaphysica., (In the Wxorks of Aristotle) oxford, 1955, vol. vl., 987 p 1-4.

(٨) نعني بهذه الاضافات : نظرية التعريف وطريقة الديالكتيك : انظر لتحديد ذلك :

Plato., Republic (In the dialogues of plato) Trans. by B. Jowett, New ,York 1937, 510 B.

(٩) انظر .

A-. Aristotle., Analytica priora., vol. I,24a10-11.

B- Aristotle ., Analytica posteriora., I, 73a20-24.

(١٠) انظر د. ياسين خليل ، نظرية ارسطو المنطقية ، بغداد ١٩٦٤ ، ص٦٢ وهو المنطق الذي يحلل القضية إلى موضوع ومحمول وعلاقة منطقية .

(١١) انظر :

Bochenski. I.M . Ancient Formal logic,Amsterdam, 1957, p. 57 .

واضع اركان هذه المدرسة (زيلون الاكتيومي) ٣٣٣-٢٦٢ ق. م ومنطق القضايا يسلم بان كيان القضية غير قابل للتقسيم ، وان الاستنتاج لايعتمد على العلاقات المنطقية بين حدود القضية ، وانما يعتمد على العلاقات المنطقية بين القضايا .

(١٢) انظر :

أ- د. ياسين خليل ، منطق البحث العلمي ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ص٢٤٠م-٢٤١م

ب- انظر بحثنا ، الأثر المنطقي لارسطو على هندسة اقليدس ، مجلة اداب الرافدين/ العدد (٩) سنة ١٩٧٨ ، ص١٢٨-١٣٦ .

(١٣) ولابد من الاشارة بان هناك نوعاً من الاستنتاج (وهو صورة من صور المنطق) قد تطور عند العرب في الفترة السابقة على دخول المنطق ، ونعمق هذا الاستنتاج بدخول المنطق إلى دائرة الفكر العربي ، وهذا ماستكلم عليه في البناء المنطقي لعلم الفقه ، لانه مرتبط به اشد ارتباط .

(١٤) انظر ، احمد فؤاد الاهواني : الكندي فيلسوف العرب ، اعلام العرب (٢٦) ص ١٢٦-١٣٧ .

(١٥) الفارابي ، كتاب الحروف ، حققه وقدم له وعلق عليه محسن مهدي ، بيروت ١٩٧٠ ص ص٧٥-٢٢٠م .

(١٦) الفارابي ، كتاب الالفاظ المستعملة في المنطق ، حققه وقدم له وعلق عليه محسن مهدي بيروت ، ص ص٤١-١١١

(١٧) الفارابي ، احصاء العلوم ، حققه وقدم له وعلق عليه د. عثمان امين ط٣ ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ص٦٧-٩١

(١٨) ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ، القسم الاول تحقيق د. سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر ، ص ص١٣١-١٣٢

(١٩) انظر بحثنا ، الطريقة البديهية عند الغزالي ، مجلة اداب الرافدين العدد (١١) سنة ١٩٧٩ ، ص٧٩

(٢٠) المصدر السابق ، ص٧٧ ، ٩٥
وكذلك وصف (الغزالي) نظام البديهيات في علم الفقه ، انظر البناء المنطقي لعلم الفقه ، الفقرة (٧) من هذا البحث .

(٢١) انظر رسائل ابن باجة الالهية ، حققها وقدم لها ماجد فخري ، بيروت ١٩٦٨ المقدمة، ص١٣

(٢٢) انظر ، ابو بكر بن طفيل ، حي بن يقظان ، قدم له وعلق عليه د. البير نصرى نادر ، ط٢ ، بيروت ص٢٦ ، وانظر تفكيره المنطقي في المناقشات ، ص٣٩ ، ويستخدم برهان منطقي رياضي ، ص٥٧

(٢٣) انظر التفصيل عن هذا الموضوع ، والردود عليه :
أ- مناقشات د. ياسين خليل للتعريفات المطروحة والرد عليها : نظرية ارسطو المنطقية ، ص ص١٣-١٤
ب- يان لوكاشيفتس : نظرية القياس الارسطية ، المقدمة التي كتبها د. ليفسكي، ترجمة عبد الحميد صبرة ، الاسكندرية ١٩٦١ ، ص ص١٥-١٨

(٢٤) انظر لتحديد هذا الموقف المنطقي وربط عمله باللغة

A. Carnap. R., The Logical syntax Language., London, 1954, P.50.

ب- جون كيمني ، الفيلسوف والعلم ، ترجمة د. امين الشريف ، بيروت ١٩٦٥، ص ٢٤-٢٨

جـ- د. ياسين خليل ، منطق اللغة ، بغداد ١٩٦٢، ص ص٦-٩، ١١-١٢

(٢٥) انظر :

Ckuach. A., Introduction to Mathematical Logic., 1959, vol. I, P. 49.

(٢٦) انظر :

Bridgman. P. W., The Logic of Modren physics., New York, 1949, P. 60.

وانظر كذلك مقالنا ، ملاحظات حول الفكر العربي القديم تعريفاً ، مجلة الجامعة العدد (٢) تشرين الثاني ١٩٧٨ ، ص٢٢-٢٣ .

(٢٧) انظر :

أ— محمد عمارة : المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ، مصر ١٩٧١ ، ص

ب— د. طيب تيزيتي ، مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط ، ط٢ دمشق ، ص ص٣٦٢-٣٦٣، ٣٦٤-٣٦٥

(٢٨) انظر :

أ— ابن رشد : تافهت التهافت ، القسم الثاني ، تحقيق د. سليمان دنيا ص٧٦٧ ومابعدها .

ب— محمد عمارة ، المصدر السابق ، الصفحات ١٧، ٣٠

(٢٩) انظر :

أ— ابن رشد : فصل المقال ، الصفحات ، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٣، -٣٨ .

ب— محمد عمارة ، المصدر السابق ، الصفحات ١٦، ٢٩ .

(٣٠) انظر د. الياس فرح : مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية ، منشورات، وزارة الثقافة والفلون العراقية ١٨٧٩، ص ص٨٣-٨٤ .

(٣١) انظر :

أ— د. حسام الدين الألوسي ، حوار بين الفلاسفة والمتكلمين ، بغداد ١٩٦٧ ، ص٨ .

ب— د. علي سامي النشار ، مناهج البحث عند مفكري الاسلام ، ط٣ ، ١٨٦٦ ، ص١١٦ .

(٣٢) ابن رشد ، فصل المقال ، ص٣١-٣٢ .

(٣٣) المصدر السابق ، من المقدمة التي كتبها محمد عمارة ص ص٨-٩ .

(٣٤) انظر :

أ— ابن رشد ، فصل المقال ، تحقيق محمد عمارة ، ص٢٢ .

ب— المقدمة التي كتبها د. البير نصري نادر لكتاب فصل المقال نفسه ، الذي قام بتحقيقه، ط٢ بيروت ، ص١٧ ، ٢٤ .

(٣٥) انظر ابن رشد ، فصل المقال ، المقدمة التي كتبها محمد عمارة ، ص٨ .

(٣٦) المصدر السابق ، ص٢٢ .

(٣٧) المصدر السابق .

(٣٨) انظر د. الياس فرح ، المصدر السابق ، ص٦١ .
فقد شكلنا هذا الموقف بتأثير رأيه .

(٣٩) ابن رشد ، المصدر السابق ، ص٢٤-٢٥ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص٢٥

(٤١) سبب هذا الموقف له محنة ، منها نفيه إلى مدينة (اليسانة) وكانت منفى لمن لاتطمئن الدولة إلى عقائدهم وافكارهم ، واحرقت كتبه ، وسائر كتب الفلسفة .

(٤٢) المصدر السابق ، ص٢٣ .

(٤٣) المصدر السابق

(٤٤) المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٤٥) هذا الكتاب يمثل رسالة (ماجستير) قدمها المؤلف سنة ١٩٤٢ وقد اعيد طبعه عدة مرات، واعتمدنا هنا على الطبعة الثالثة نشرة دار المعارف ١٩٦٦ .

ولي على هذا الكتاب عدة ملاحظات ، منها مايخص الموقف الذي شيد عليه بناء هذا الكتاب، وهذا الموقف يدور حول رفض الاثر اليوناني ، ومنه منطق (ارسطو) على دائرة الفكر العربي في العصر الوسيط (والاشارة إلى ان الاخذ به يعد عيباً في دائرة الفكر) .

ونرى ان هناك معادلة ارتسمت ابعادها في ذهن المؤلف توزعت في طرفين : التأثير اليوناني = عيباً فكرياً

وعلى هذا الاساس انتهى المؤلف ضمنياً حيناً ، وتصريحاً أكثر الاحيان إلى ان وجود المنطق الارسطي كنهج سائد في دائرة الفكر العربي يساوي عيباً في هذا الفكر ، وان استبعاد هذا العيب يستدعي الكفاح في الخندق ذاته ، في محاولة رفض هذا التأثير (حتى وان كان عن طريق المكابرة) لتحقيق نوع من التبديد لذلك العيب الفكري الذي تصوره .

ونحن نرى خلاف ذلك ، لاننا نذهب إلى ان العيب الفكري يتقرر في حالة جهل العقل، في اية فترة تاريخية كانت ، لما هو مطروح من اسهامات في الفترة السابقة (والمعاصرة له) . والعقل العربي ، كما هو مقرر فعلا ، نزع عنه رداء التقوقع ، وانفتح على النتاجات التي صنعها العقل الانساني ، وبذلك حقق نوعاً من الحوار بين ماانتهى اليه العقل الانساني من نتائج وماظهرت من مشكلات على سطح الواقع العربي هذا من جهة ، ومن جهة اخرى نرى ان ماتقتضيه ضرورة البحث العلمي من هذا العقل او ذاك ، وفي اية فترة تاريخية زرع فيها ، ان يقف على ماهو منجز من مناهج وماانتهت اليه من اضافات ، حتى يستطيع في ضوء هذا التعرف الفكري ان يرسم الحدود الجديدة للطريق التي يسلكها في معالجة الموضوعات التي استجدت في محيط الحياة واتجاهاتها والمعرفة وامتداداتها ، وعند هذا الحد نرى ان هناك نقطة تقاطع فكري قد تحددت في المجرى الذي ، حفره العقل العربي في الساحة المعرفية ، اشرت السمات الجديدة للمرحلة وللطروحات الفكرية لهذا العقل الذي امتد فيها .. وقد حدث على يد العقل العربي الكثير من التعديل والتطوير للمناهج وطرق البحث ، ووجهت في اتجاهات تختلف من جهة المناطق التي تحركت فيها على يد العقل الانساني ، وكان الهدف الرئيس من هذا التطوير والتعديل والتوجيه الجديد خلق نوع

من الملاءمة بين هذه المناهج والموضوعات الجديدة لتحقيق تجاوب بين الطريقة والموضوع المعالج، وبهذا المسلك الجديد توفرت اجواء متاحة للعقل العربي للمعالجة الصحيحة للمشكلات واقعياً ومعرفياً .

وتأسيساً على موقفنا هذا نذهب إلى ان الأنفتاح على الفكر الانساني حالة صحية وليست هي ثلمة في تفكير العقل العربي المنفتح- كما تصور ذلك الاستاذ (النشار) واعتبر العقول العربية المنفتحة على التراث الانساني غريبة ، بل وان طبيعة مناقشاتها استمرار لطروحات العقل الانساني وانتهى إلى انها ليست هي من نتاج الامة .

ونشعر بوطأة موقف ثقيل جداً ، لايمكن قبوله ، بأي حال من الاحوال وهذا الموقف يكمن في تقرير المؤلف ، بأن العقل الذي اخذ بالمنطق اليوناني في معالجة الموضوعات التي اثارها الواقع العربي ، عقل يوناني ونجده يتأسف على (الغزالي) في مزجه للمنطق بالاصول الدينية والفقهية، وتعتبر هذه المحاولة هي العثرة الوحيدة التي وقع فيها الامام (الغزالي) .
مثال نسوقه لدعم وجهة نظرنا والامثلة كثيرة يعج بها الكتاب .

(٤٦) د. علي سامي النشار ، مناهج البحث عند مفكري الاسلام ، ص١١٦ والحق يقال بان، (النشار) اعتمد في صياغة هذا النص على :
أ- ابن تيمية ، موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، القاهرة سنة ١٣٢١هـ/ ج١ ، ص٣ .
ب- ابن خلدون ، المقدمة ، القاهرة ، ص٣٢٦-٣٢٧ .

(٤٧) انظر ، ابن تيمية ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٢ .

(٤٨) انظر ، امام الحرمين ، البرهان (مخطوط) ج١ نقلا عن النشار ، المصدر السابق ص٧٧

(٤٩) الآلوسي ، بلوغ الارب ج٣ ص٢٦٤ وكذلك د. كريم متي ، المنطق بغداد ١٩٧٠ ص٦ .

(٥٠) انظر د. علي سامي النشار ، المصدر السابق ، ص٦٥

(٥١) مصطفى عبد الرزاق ، تمهيد للفلسفة الاسلامية ، القاهرة ١٩٤٤ ، ص٢٣٠.

(٥٢) ابن النديم ، مفتاح دار السعادة ، ج٢ ، ص٢٣٢ وانظر كذلك النشار ، المصدر السابق ص٧٠ .

(٥٣) انظر النشار ، المصدر السابق ، ص٧٠-٧١ .
التمثيل = وهو الانتقال من جزئي إلى جزئي - كما هو معروف - وقد استمد الشراح الاسلاميون ايضاً فكرة التمثيل من (ارسطو) ، ويحثوه في ايجاز شديد كما بحثه . غير ان المتأخرين من المناطقة بحثوه تحت تأثير الدراسات الاصولية بشكل يخالف البحث الارسطاليس كلية. المصدر السابق ، ص٥٩-٦٠ .

(٥٤) المصدر السابق ، ص٧١-٧٢ .

(٥٥) في الحقيقة ان التطور في علم اصول الفقه- حدث تحت تأثير حركة فكرية جديدة ، هي بدء المتكلمين في التصنيف فيه . وعلى هذا الاساس يمكننا تقسيم علماء الاصول إلى قسمين: الاصوليين الفقهاء والاصوليين المتكلمين . اما الاولون فقد امتزجت في كتاباتهم الاصول بالفقه وكثر تفريع المسائل الجزئية وذكر الامثلة والشواهد ، وبنيت المسائل الكلية العامة على النكت الفقهية ، ويمثل هذا القسم فقهاء الحنفية .

اما القسم الثاني فهم المتكلمون - اشاعرة كانوا او معتزلة - وهنا نرى محاولة عقلية بحثه على تجريد القواعد العامة من المسائل الفقهية ، وتستلد في هذا إلى الاستدلال العقلي والبرهنة النظرية . واستخدموا طرق البحث الكلامية التي عرفت قبل الشافعي في المدرسة الاصولية الكلامية وخاصة طريقة القياس .. ولم توضع هذه الطريق على الخط الارسطاليس بل على خط الجدليين من نظار المسلمين . وهذا واضح عند الاشاعرة الذين احترزوا من الاخذ عن منطق ارسطو وهذا بين عند (الباقلاني) .

انظر :

أ- ابن خلدون ، المقدمة ، ص٣١٩ .

ب- الغزالي ، المستصفى ، القاهرة ١٣٢٢ هـ ، حـ١ ، ص١ .

حـ- النشار ، المصدر السابق ، ص ٧٥-٧٦ .

(٥٦) ابن حزم ، الاحكام في اصول الاحكام ، القاهرة ١٩٤٥ ، ١ ، ص٢٥ ومابعدها

(٥٧) ابن حزم ، التقريب لحد المنطق والمدخل فيه ، نشر وتقديم د. احسان عباس ط٤ ، ص٨-١٣ ويتابع (ارسطو) في كثير من مباحثه ولكنه لاينظر إلى المنطق على انه قانون، معصوم يخلو من الخطأ .

(٥٨) ابن تيمية ، السبعينية ، طبع القاهرة ، ص١٠٧ وانظر كذلك النشار ، المصدر السابق ص٧٦-٧٧ .

(٥٩) انظر الدراسة التي وضعناها ، اعتماداً على المؤلفات المنطقية التي كتبها الغزالي، وهي (الطريقة البديهية عند الغزالي) ص٧١-١١٠

(٦٠) الغزالي ، المستصفى ، حـ١ ، ص ص١٠-١٧

(٦١) الغزالي ، معيار العلم ، تحقيق د. سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ص١٦٠

(٦٢) الغزالي ، المصدر السابق

(٦٣) ابن رشد ، فصل المقال ، ص ص٢٥-٢٦

(٦٤) المصدر السابق ، ص ص٣١-٣٢

(٦٥) المصدر السابق ، ص ص٣٢-٣٣ ، وانظر ، محمد عمارة : المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ص١٨ ، وكذلك محمد عمارة ، مسلمون ثوار ، بيروت ١٩٧٤ ، الفصل الثالث المعنون بـ (ابو الوليد بن رشد) فقد التفت إلى تحديد مكونات الجهاز اللغوي بأشارة سريعة ، ص٧٨

(٦٦) ابن رشد ، المصدر السابق ، ص ص٣٧-٣٨

(٦٧) المصدر السابق ، ص٥٥

(٦٨) المصدر السابق ، ص٤٥

(٦٩) المصدر السابق ص٢٧ ويعني بعلوم التعاليم = الرياضيات

(٧٠) المصدر السابق

(٧١) المصدر السابق ، ص٥٨ وانظر محمد عمارة ، مسلمون ثوار ، ص٧٨ وانظر كذلك المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ، ص١٨

(٧٢) ابن رشد ، المصدر السابق ، ص٥٨ وكذلك محمد عمارة ، مسلمون ثوار ، ص٧٩ وكذلك المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ص١٨

(٧٣) ابن رشد ، المصدر السابق ، ص٥٨ ، وكذلك محمد عمارة : مسلمون ثوار ، ص١٨ وكذلك المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ، ص١٩

(٧٤) وفي ختام بحثي اود ان اشير إلى ان محاولة (ابن رشد) المنطقية هذه ، لم يتناولها احد بالدراسة ، وعلى هذا الاساس يظل هذا البحث اشبه بدراسة أولية بكر في هذا المجال . وللتدليل على رأينا هذا أحيل القارئ والباحث إلى مايأتي :-

أ- اورد الاستاذ صبيح صادق ، في مجلة المورد ، المجلد السابع ، العدد (٢) سنة ١٩٧٨ ص ٢٧٧-٢٨٦ ، اورد (٨٠) مؤلفاً في بحثه الموسوم بـ (ماكتب عن ابن رشد في المراجع العربية الحديثة)

وتناولت هذه المؤلفات مختلف جوانب فلسفة (ابن رشد) ، ولم يذكر ان تناول واحد منها محاولته المنطقية .

ب- ندوة (ابن رشد) ومدرسته في الغرب الاسلامي ، عقدت في جامعة محمد الخامس/ كلية الاداب والعلوم الانسانية (٢١-٢٣ ابريل) سنة ١٩٧٨ ونشرت بحوثها في سنة ١٩٧٩ بكتاب حمل عنوان (اعمال ندوة ابن رشد) طرح في الندوة (١٣) بحثاً لم يتناول واحد منها منطق (ابن رشد) .

اللغات الاوربية



BIBLIOGRAPHIE SOMMAIRE

Bally Ch., linguistique generale et linguistique francaise, Berne 1944

Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique generale, laussanne, 1916

Maurice Grammont, Traite de phonetique, Paris 1950

Oscar Block et Van warthburg, Dictionnaire etymoligique de la langue Francaise, Paris 1932

OED, The Oxford English Dictionary, Oxford 1933



(rugissement du lion). Langlais aun assez grana nombre de mots commencant par (J) qui designent des sons vocaux dun certain genre: llell "crier", yap "glapir" yow (designant le cri prolonge dun chien ou chat). En francais linitiale (J) ne se trouve que dans

30 mots etrangers.

L'etude des onomatopees doit etre methodique. Il ne suffit pas de donner une description plus ou moins generale de la valeur symbolique, mais iL faut considerer les phonemes du point de vue de leur productivite dans la formation de most nouveaux. On s'est borne ici a etudier 5principalement quelques phonemes initiaux, en limitant le domaine de l'9tude aux onomatopees. On a vu que certains phonem6s initiaux ont apparemment tune valeur generale dans ce sens que dans plusieurs langues on se sert du meme phoneme pour la meme idee. Il y en a d'autres qui se trouvent dans certaines langues seu lement et qui ont recsu leur valeur symbolique grace a un groupement plus ou moins

y10 accidentel de certains mots appartenant au meme champ semantique.

5 par la voyelle (i). des exemples francais cricri, tri– tri, pim, en anglafs nous avons "whinny" (hi-nnir), "ting" (son produit quand on frappe contre un Verre legerement).

3 Un ton bas, un bruit sombre ou Sourd ne pou-rraient Jamais etre traduits par la Voyelle (i) . Les seu-les Voyelles aptes a les traduire sont
10 des voyelles dites sombres (u) ou (ɔ). On ne pourr-ait pas Substituer un (i) a la place du (u) dans "glou glou' ou "roucouler" .

On Voit, selon ce qui precede, que pour timbre et la hauteur des tons aussi ily a motivation dulsi-gnelpar le signifie dans ce sens que plus un Son (= le signifie) est clair plus la voyelle (le signifiant) est
315 anterieuae, plus le Son qui frappe notre oreille est Sombre plus il est traduit par une voyelle grave, lalse-rie des possibilites darticulation l6t de laperture de la bouche etant parallele a la serie de timbres possibles. lla ete deja dit quil n'est guere admissible] d interpreter tout onoma topeelcomme si elle existat dans le vide. Ily a des phonemes qui ne s' expliquent que dans
30 le cadre d'une certiane langue . Lancie nfrancais a forme plusieurs mots avec iinitiale (dz) que le francais moderne a perdue: Japper, Jaser, Jangler. Le phoneme (z) est peut–etre doriging expressive, symbolisant lemportement, lelan, la Joie Le phonem (z) aforme beaucoup de mots en arabe, comme Zaqzaqa "زقزق" (gazouiller), ziaq "زعاق"
25 "chanter" (en par lant du coq), zaib "زعيب" (en par
3 lant du bourdonnement des abeilles), "zar" "زئير"

"tum-tum" (en parlant son produit par le tambour).

En arabe nous avons taiktaik تكتك (dit du son produit par le brisement de quelque chose), تكتك (en parlanJ du son produit par le montre).

15 Ainsi que le montrent les exemples cites, le pho-
3 neme initial (t) a un caracterede necessite occasionne par son signifie, d'est-a-dire l'idee de coup sec qui finit brusquement, abruptement.

Soulignons aussi que ni eh francais, ni en anglais, les phonemes (t) et (d) n'introduisent de bruits vocaux.

20 La vibration legere de sonslexterieurs est associee avec la vibration du passage nasal qui a lieu quand nous prononcons)m), (n), (J) ou les voyelles nasalisees en Francais, Vibration causee par l'ouverture dulos voy-Francais, vibration cahsee par l'ouverture du passag6 nasal de facon que l'air sort par le nez. Donc les phonemes de nasalisation sont los traductions naturelles de sons caracterises par une vibration legere et nous les trouvons partout. Il ya pourtant un elemenl darbitraire dans ce sens que dans les langues ou les trois phonemes (m), (n), (J), existent tous les trois sont possibles en principe. les mots anglais bang et slam designent a peu pres la meme chose, a savoir le bruit fait quand on ferme une porte en la claquant. on dit "pim" en
30 francais pour designer le bruit du marteau qui frappe lenclume, on dit "ping" en anglais quand on parle du bruit dune bruit dune balle ou dun mosquito.Mais on ne pourrait pas Substituer un l, S, vetc. a une nasale.

Le timbre . des bruits que nous entendons a un rapport bien regle avec les Voyelles du langage. Un son tres aigu, un ton h autsont necessairement traduits

20 (p) ou (b) (quand l'explosion est moins brusque). Que le meme phoneme introduise des mots designant des sons de petits animaux, surtout d'oiseaux, ou le (p) est imitatif du mouvement d*h* bec, respectivement de la bouche ne diminue en rien la valeur 'explosive'. L'idee d'un bruit explosif brusque exige comme signifiant l'initiale (p). Des exemples sont francais "pif paf" .

25 (en parlant d'un coup de feu), peter, petiller, pouffer (eclater de rire), anglais pop (bruit du bouchon qui saute, etc.), pom-pom (espece de mitrailleuse), francais bouffer,
3 bondir, anglais bang (claquer une porte), bump (cogner), etc. On ne pourrait remplacer (p), (b) par aucun autre phoneme. Ceci s'explique facilement quand on considere que l'ouverture brusque des levres et la sortie

30 brusque de l'air sont l'image physiologique 'a plus proche d'une explosion.

Pour indiquer l'idee d'un frappement sec contre quelque chose on se sert generalemeot d'un (t). L'origine de l'initiale (t) est peut-etre imitative d'apres le mouvement de la pointe de la langue qui frappe contre des dents ou les alveoles. La finale est (K) quand l'idee du choc
5 entre le frappant et le frappe est celle d'une collision seche qui finit brusquement, abrupteme nt. Le caractere general de la combinaison phonematique (t.k) apparait clairement dans l(existance un peu partout du radical, dans les variantes tak, tik, tok, tuk. En anglais il y a les variantes "tick" avec le (i) qui symbolise la petitesse du coup, "tuck" (dit d'un tambour),

10 3 tick-tack, les formes nasalisees "tink" ou "tinkle" (dit du son de petites clochettes), "tang" (frapper une cloche)

conditions. Le premier groupe de phonemes est caracterise par le fait qu'une certaine idee phonique demande comme signifiant un certain phoneme, tandis que dans

25 le second groupe les phonemes sont arbitraires jusqu'a un certain degre. Cette difference comporte une difference par rapport a la motivation du signe.

Les mots exprimant des sons vocaux commencent le plus souvent avec (K) ou (g), mais en general seul lement les sons qui sont imagines provenant des regions

5 posterieures de la bouche ou du gosier. L'occlusion faite par le dos de la langue contre la region velopalatale est general ement associee avecdes sons vocaux a attaque dure de facon que dans les diverses langues les initiales sont toujors ou (K) ou (g). La plupart des noms des animaux dont les voix sont caracterisees par une attaque violente des sons commencent par

10 un (K) ou un (g) (arabe "Kaikab" قيقب) 'coucou', anglais "cuckoo", francais "coucou"; anglais "crow", francais "corbeau"; francais "coq", anglais "cock"; francais "canard"; arabe karawan (كروان), francais "courbi", anglais "curlew". Comparez aussi tous les mots designant le chant ou le cri violents, comme francais "coasser", anglais "crocking"; francais"cocorico", arabe kikei(كيلكي ليكي)

15 anglais "cock-a-doodle-doo", allemand kiberibi.

La violence des sons est donc instinctivement rapprochee de la sensation que notre oreille eprouve quand nous prononcons des (g) ou (k) velaires.

L'idee L'explosion a pour traduccion phonique le phoneme initial .

Cet essai tend a faire une methode de comparaison portant sur un certain nombre de mots etudies dans des langues de familles differentes. Le probleme est celui des onomatopees, c'est-a'-dire en general des mots bases sur le principe de symbolique imitative.

3.* En effet les approches faites jusqu' a present dans L'explication des onomatopees souffrent toutes d'un manque de methode. Les onnmatopees ont toujours ete inter pretees du point de vue de la phonetique generale.le defaut de methode est la. Il va de soi que la phonetique generale aide a expliquer beaucoup de choses, mais il n'en est pas moins vrai qu'il faut
10 considererune onomatopee dans le systemede la langue a laquelle elle appartient. Ceci est surtout vrai pour les elements initiaux des ionomatopees.

M. Grammont dans son traite de phonetique souligne que "le comporte une sonorite et une mollesse qui ne conviennent pas si l'attaque de la voyelle est brusque". Les equivalents du mot "coucou" devraient
15 commencer par (K). Nous pensons que cette explication ne pourrait etre acceptable que pour un certain nombre des langues, puisque, en fait, les dictionnaires etymoligiques qu'on a feuilletes ont bien montre qu'il ya des langues ayant l'occlusive sourde (g) comme initiale: l'arabe qaiqab (قيقب) ecossais gowk, bvarais quebu etc.

20 A vrai dire nous distinguons deux categories de phonemes: 1) les phonemes qui ont une valeur linguistique generale, et 2) les phonemes qui ont une valeur seulement dans une certaine langue et dans certaines

"LA VALEUR DE CERTAINS PHONEMES INITIAUX DANS LA FORMATION DES MOTS ONOMATOPEIQUES "

Dr. Abed-Ali Abdul-Ridha

BIBLIOGRAPHY

Bate, Walter Jackson. *John Keats*. Cambridge, Mas.: Harvard University Press, 1963.

D' Avenzo, Mario L. *Keats's metaphors for the poetic imagination*. Durham N. C.: Duke University Press, 1967.

Forman, M. B. ed. *The Letters of John Keats*. 2 Vols. London: Oxford University Press, 1952.

Garrod, H. W. ed. *The Poetical Works of John Keats*. London: Oxford University Press, 1966.

Lowell, Amy. *John Keats*. Vol. II. Hamden, Conn.: Achron Books, 1969.

Murry, John Middleton. *Studies in Keats*. London: Oxford University Press, 1930.

Pettet, E. C. *The Poetry of John Keats*. London: Cambridge University Press, 1957.

Priestley, J. B. & Spear Josephine. *Adventures in English Literature*. New York: Harcourt, Brace & World, Inc. ,1963.

Stillinger, Jack, ed. *Twentieth Century Interpretations of Keats' s Odes*. Englewood Cliffs, N. J. Princeton Hall, Inc. 1968.

Trilling, Lionell. "The Poet as a Hero: Keats in His Letters." *Critics on Keats*, ed. Judith O' Neill. Ceoral Gables, Florida: University OF Miami Press, 1968.

NOTES

1 J. B. Priestley 3 Josephine Spear, *Adventures in English Literature* (New York: Harcourt, Brace 3 World, inc., 1963), P. 461.

2 This, of course, before he met Fanny Brawne.

3 Amy Lowell, *John Keats,* II (New York: Archon Books 1969), p. 144.

4 Ibid., p. 119.

5 *Ibid.,* k. 181.

6 Lionel Trilling, "The Poet as a Hero: Keats in His Letters," in *Critics on Keats,* ed., Judith O'Neill (Coral Gables, Florida: University of Miami Press, 1968), p. 22. The two above quotations are related to the same source.

8 Cf. Coleridge' s "Kubla Khan."

Lowell, pp. 279–280, his letter to Fanny Brawne.

9 Cf. "Ode on a Grecian Urn " II, 7–10. See also "A letter to George and Ceorgiana, Lowell, 236.

10 Cf. "Ode to a Nightingale" VI, 6. "to cease upon the midnight."

11 Though there are several large vases among the fine Creek collection at the British Museum, no one of these could have served as an exact model for Keats' poem. Priestley 3 Spear, p. 455.

12 John Middleton Murry, *Studies in Keats* (London: Oxford University Press, 1930), k. 71.

13 *Ibid.,* p. 72.

14 *Ibid.*

25 Lowell, pp. 248–9.

16 Aileen Ward, "Keats and Tradition" in *Critics on Keats,* ed., Judith O' Neill (Coral Gables, Florida: University of Miami Press, 1968), k. 16.

17 *Ibid.*

Keats gives the counterpart for his wishes, which obviously will be the inevitable one, in case he fails to fulfill any of them, "—or else swoon to decth."

Finally, to wish for something will certainly indicate you either lack it or you are afraid to lose it; and nothing is more vital to Keats than life especially when he begins to perceive the ghost of death striding with sure steps towards him. He fs now in the epitome of his youth yet with his health conti-inues deteriorating day after day like Autumn' s decaying lea-ves, In his last days he writes; "If I should die, I have left no immortal work behind me— nothing to make my friends proud of my memory; *but I hav loved the principle of beaüty in all th-ings,* and if I had had time I would have made myself remembe-red." Actually he has, as no merely sensuous poet could be, especially through his love to the principle of beauty in all things. 16 His earnest hope that he will "be among the English poets after [his] death— has been fulfilled; as Matthew Arnold confirmed it, sixty years later, 'He is —he is with Shakespe-are.''' 17

of reality, in "the near meadows, over the still stream,/ Up the hill –side; and now' tis buried deep/ In the next valley–glades." Kects returns to his sullenness, "Fled is that music" and begins to question himself about that journey with the nightingale whether it was a vision or a reverie.

Nothing remains to him except to implore for life– immortality. In September 1820, Keats with his friend Joseph Severn sail to Italy.

leaving the coast, he starts staring at the sky watching the evening star in her splendor. The– evening star arouses in him both the grief for what he has lost and expects to lose, and the desperate yearning for immortality to fulfil his dreamt in the realm of poetry and life. Such entreat ents and appeals are emotionally shown in his last sonnet "Bright star, would I were steadfast as thou art" in which he wishes to be "steladfast" as the evening star. This, of course, takes us back to his" Ode on a Grecian Urn" where the notion of immovability and sratic condition is what he aspires for. Moreover, being in the peak of his youth he tries hard to cling to life, though in some occasion he desperately accepts the idea of death, "and for many a time /I have been half in love with easeful Death." (Nightingale, 51–52) However, he shows his reluctance to be alone" like nature' s patient. sleepless Eremite, (Bright star, 4) "yet he wants to be " steadfast "and" unchangeable,/ Pillowed upon [his] fair love' s ripening breast, / To feel forever its soft fall and swell." (Bright star, 9–11) Such wish for an extended life is clearly shown in the reiteration of some terms that reflect indefiniteness, such as "forever" (11, 12) as accompanied with "feel" and "awake" which both indicate alertness and the enjoyment of wonderful feeling; the reiteration of "still" (9,13); and finally "And live ever—" (14) but, as usual,

ard" are connected with the brain, which seem to be resulted from the effect of his worries and not wine, because he seems reluctant to be "charioted by Bacchus and his pards." Yet he is already with the night ngale enjoying the tender night, the full moom with her starry Fays around her, though he cannot fully enjoy such scenes except occasionally when the breeze makes openings among the branches to let the moonlight seep through and enlighten the "verdurous glooms and the winding mossy ways" of the forest.

Just like the Urn which Keats views as immortal, the nightingale is so too. Keats employs apoetic device tract–metonymy to justify the symbolic assertion. Such metonymy is portayed as the voice of the nightingale which can be identified as the symbol of all nightingales to justify his assertion about the bird' s immortality. The voice which was heard by "emperor and clown" could possibly find "a path / Through the sad heart of Ruth, when, sick for home" the same voice "that oft–times hath/ Charm' d magic casements, opening on the foam/ Of perilous seas, in faery lands forlorn." The onomatopoeic word "forlorn" is strongly and emphatically used as a turning point in the course of his visionary trip. It be comes "like a bell / To toll [him] back" from the nightingale to his sole self, from the world of immortality to the world of reality, leaving the "plaintive anthem" of the nightingale fade away

> Up the hill –side; and now 'tis buried deep
> In the next valley –glades:
> Was it a vision, or a waking dream?
> Fled is that music: —Do I wake or sleep?

The poet returns to himself, regaining his actnal perception, the bird is suddenly deprived of her symbolism as the poet locates her, not in imaginary world any more, but in the world

period of time. Such desire was shown in most of his later póems particulaaly "Ode to a Nightingale," though the time was spring and "Keats felt a tranquil and continual joy in (the nightingale's) song."

in the opening of the poem, the poet listens to the nightingale as she sings"of summer in full–throated ease," and shares her happiness by "being too happy in (her) happiness." However, his worries are so intense that he starts the first stanza with "My heart aches, and a drowsy numbness pains/ My senses as though of hemlock I had drunk." Being in such state of painful pressure, he wants to get out of such situation, to escape from reality to a world where neither pain nor worries exist, similar to Coleridge's dome of pleasure.

Such escape is first shown in his keen desire for wine to affect his sensory system that would be linked with imagination to drown his sorrows and be conveyed to a happy and sometimes to a heavenly state: "O, for a (cool) draught of vintage" that tastes "of Flora and the country green." Then his desire for wine enhances to have "a beaker full of worm South,/ ... the blushful Hippocrene, / .../ That I might dr nk, and leave the sworld unseen,/And with thee fade away into the forest dim" (ii, 15–20). It is noticeable that the amount of wine desired by the poet has increased from "a draught" to "a beaker" to fade away with the nightingale into the dim forest seeking relief and immortality; but unfortunctely, the poet has no such "peerless elexir" to immortalize him like the nightingale, nor can the imagination "viewless wings of poesy" change him into one. However, the failure of the first approach of wine prompts him to pursue the other choice, "the viewless wings df poesy" to join the immortal world and share, though temporarily, her private world. "Dull", "perplexes and ret-

Keats seems to be like and isolated spectator whose urgent needs are sensuously projected, depicted, and immortally prolonged. Though the Urn does not seem to allow the poet to take part in the life it reflects, it cannot prevent him from having analogous speculations of these immortal moments through empathizing himself with any of the pleasurable scenes engraved on the urn, because they surely give him tremendous relief.

However, the never–changing state of the pipers, lover, and unconsumated love prompted the poet to temporarily detach himself and pity the urn, describing its shape as a "silent form" that teases us "out of thought / As doth eternity: Cold Pastoral!" (V,4–5).

Apparently Keats deals with symbols—animate and inanimate. If the urn reflects immortality in its static engravings, the nightingale is viewed as a symbol of immortality in a living atmosphere. It seems that the world of the nightingcle is another visionary refuge of immortality; but how Keats happens to be inspired by the nightingale to write such a charming ode. Brown in a letter to lord Houghton wrote that "in the Spring of 1819, a nightingale had built her nest near my house. Keats felt a tranquil and continual joy in her song;and one morning he took his chair from the breakfast table to the grass–plot under a plum–tree, where he sat for two or three hours. When he came into the house, I perceived he had some scraps of paper in his hand, and these he was quietly thrusting behind some books."15

In this stage, Keatsworrie's began undoubtedly to affect him seriously. The pressure had grown so immensely that he could not disguise it any more, and so he sincerely reflected his desire to escape from reality even though for a temporaay

silence of the town. The sad and the religious reflect the other phase of Keats's nature which is deep and inside. I feel that Kaets indirectly identifies himself with the heifer which is young and will suerly die, and which struggles to free its self by "lowing at the skies," except for the idea of sacrifice. later, he considers the urn as puzzling as eternity, confirming its immortality:

Thou shalt remain, in midst of other woe
Than ours, a friend to man, to whom thou say'st
'Beauty is truth, truth beauty, '—that is all
Ye know on earth, and all you need to know.

The last two linet, of course became one of the controversial subjects in literature. Several poets and scholars have given their views in a quite incongruant way; however, the well-known ones are not in favor of such conclusion. Sir Arthur Ouiller-Couch finds the last two line worse than mediocre I. A. Rfchards calls these lines "Pseudo statement" while T. S. Eliot considers them "as a serious blemish on a beautiful poem." 12 John Middleton Murry goes along with Mr. Eliot and cthers to devaluate the last lines and think that they" disturb the subtle harmony of the poem." 13 However, Robert Bridges states that "the last stanza... with its concluding lines are very fine" and their forcible directness makes a sort of recovery from the effect of poverty educed by the moootonous and unprogressive amplification of the poem. 14 Nevertheless, I simply look at it from the aesthetic point of view as long as we have a piece of art, the urn with its charming engravings as "beauty," and its literal sustenance through these generations as "unravished bride of quietness" which has been safely guarded by "silence and slow time" became a "truth" both of which contribute to the sense of aestheticism as related to art and immortality.

togetherness of gods and mortals, there is the immutability of these figures which has sustained through all the ups and downs of these generations. Nevertheless, all the unanswered questions are gradually explained in the second and the third stanzas. Motivated by his unsatisfied needs, keats injected life into these static figures:

> ... therefore, ye soft pipes, play on;
> Not to the sensual ear, but, more endeared,
> Pipe to the spirit ditties of no tone:
> Fair youth, beneath the trees, thou canst not leave
> Thy song, nor ever can those trees be bare;
> Bold Lover, never, never canst thou kiss,
> Though winning near the goal—yet, do not grieve;
> She cannot fade, though thou hast not thy bliss,
> Foreverwilt thou love, and she be fair!

Evergreen is lively emphasized in the scene "nor ever can those trees be bare" and in the third stanza (1–2) "Ah, happy, happy boughs! that cannot shed / Your leaves, nor ever bid the spring adieu. "The expessions "nor ever, never, never" and "Forever" contribute vitally to the genuine feeling towards life and immortality. Moreover, stanza three contains "nor ever" once, and "for ever" five times with addition of "still to be enjoy' d."

The romantic aspect seems to be the core of the first three stanzas where life and immortaliy are given in a very happy tone, starting from the "unravished bride" to the "human passion ... that leaves a haart high-sorrowful and cloy' d."

Stanza four is the side of the urn where another phase of immortality is shown: the religious and the sad phase of it. Religious because of its "green altar ... mysterious priest, "and the would be sacrificed "heifer lowing at the skies" in this "pious morn," and sad because of the desolateness and

describes whct he imagines. To him imagination appears to be the only outlet to release his tension, free him from worries and anxieties, and let him enjoy a temporary relielf. He believes that human imagination can temporarily rise above "the weariness, the fever, and the fret." (To a Nightingale, III, 3). "Ode to Psyche" is just one example, the second is "Ode on a Grecian Urn " which deals with the human and the mutable as viewed in terms of the immortal and the essential. keatt lived these two worlds, the mortal where the "human passion ... leaves a heart high–sorrowful and cloy' d, "and the immortal and essential where "Real are the dreams of gops, and smoothly pass/ Their pleasures in a long immortal dream. " (Lamia I, 127–8).

The pictures engraved on the urn are a composite of the poet's imagination [11]. I believe these engravings reflect the poet's both sides of his nature, the happy one, in the first three stanzcs, where he reflects his psychological and biological needs, and the sad one, in the fourth stanza, where he reflects the religious and sad aspect of life in painful images of sacrifice and desertion. Literally, the urn has existed in this physical world, from the ancient Greece till Keats's time, in which all things are mutable. However its long endurance has made the "unravished bride" and the "foster child" be related to "quietness,/ ... silence and slow time." As a pre–step, Keats tries to bring men (mortals) and gods (immortals) together "In Tempe or the dales of Arcady" (I,7) Tempe is the terrestrial paradise of the gods, particularly Apollo, whereas Arcady is the region which man favors as "heavenly earth. " Both names carry the mortal and the immortal. However, immortality is dramatically shown in the various postures of the pictures which are engraved on the urn. In addition to the

space of his imagination where breeding thoughts would grow with "pleasant pain" instead of wind–murmuring pines. Linking himself to Psyche as her priest, keats wanted to share the gift of immortality with Psyche, which way granted to her by Jupiter, though the oxymoron "pleasant pain" could very much hint at the discomfort which the poet felt, and which popped up unnoticeably. But the emphatic answer, "Yes I will be thy priest ..."reflects an accession of strength, and the whole stanza, consisting of a long single coherent sentence, develops its power quietly at first, then finally with exultation ct its climax. He tried to keep "some untrodden region" of his mind as a proper resort to Psyche to unfold her powers there which are totally benign and friendly. The remoteness peaceful seclusion of the resort is described in a succession of pictoricl details moving from the dark mountains and forests to the bottom of the valley with its drowsy brooks where the" rosy sanctuary" of psyche is dressed.

> With the wreath' d trellis of a working brain,
> With buds, and bells, and stars without a name,
> With all the gardener Fancy e' er could feign'
> Who breeding flowers, will never breed the same.

"all soft delight", "That shadowy thought", "A bright torch" and "an opened casement at night" to welcome warm Love in, are all to be there in the rosy sanctuary. Thought here is seen as foliage, and their green shade will protect the soul, though the green thought itself is shadowy. Psyche is keen to welcome Love through the casement, which is the natural medicine of the soul against death.

Keats's poetry is mostly of imagination, and a great deal of it, the odes in particular, expresses his vision of what kind of life he would aspire to. In his approach to any subject, he

referred to this ode, "The following poem—the last I have written is the first and the only one with which I have taken even moderate pains. I have for the most part dash'd of (f) my lines in a hurry. This I have done leisurely — I think it reads the more richly for it will I hope encourage me to write other thing (s) in even a more peaceable and healthy spirit. "To Psyche" was possibly the last of his poems in which he reflected a merry attitude.

The ode starts with a direct address to the goddess to listen to his verses which were "wrung/ By sweet enforcement and dear rememberance," and in which he would sing her secrets. After that he conveys us to a visionary world — where he with surprise saw amorous creatures sitting side by side in a green spot, sheltered by leaves and flowers, and a hardly seen stream ran by.

In the second stanza the amorous scene continues but with their lips a part without being seperated"Their lips touch'd not, but had not bade adieu." 9 However, in stanze III, the poet's admiration of Psyche's charm was shown in the term "Fairer" though she was shown without temple, choir, or shrine. The fourth stanza appears to be an extension to the third, "O" brightest ... Holy the air, the water, and the fire," Her "lucent fans" flying among the Olympian mountains. Keats was carried by his emotions to ask Psyche "to be (her) choir, and make a moan/ Upon the midnight hours."10 Both "moan" and "upon the midnight" expreesed Keats's uncomfortable candition though he was linked to Psyche's choir.

In stanza five, Keats came as usual to the climax when he started the stanza with an emphatfic answer, "Yes, I will be thy priest," and would build a temple in on unoccupied

again. The reiteration of sore throat began to worryhim more than ever, especiclly with his consumptive background. In a letter to his sister he said, "I wave been taking care of myself— I have been obliged to so, and I am In hopes that by this care I shall get rid of a sore throct whch has haunted me lat ntervals nearly a twelvemonth." 5 In this state, he began to ponder on life and visualize it as "the vale of soul-making," relying heavily on the intellect to utilize life as lproperly as possible; it is "a kind of continuous magical confrontation, requiring to be met with right answer." Such answer, he believed, is "to be derived from intuition, courage, and accumulction of experience." His stachment to reality became stronger and more complex. He ttarted to perceive "evil very clearly and put it at the very lcenter of his mental life." 6 He saw into the sea the "eternal fierce destruction" of the strugle for existence. He saw youth grow pale and spectre-thin and die. He also saw life treading down another life. He developed a pessimistic attitude that llife could be nothing but tragic. Evil and pain, to him, always win at the end.
So, he became completely aware of his condition and deeply opinionated of his morbidity. Such feelings made him conscious of the fact that he shouldllook for life, an ideal one, n a world where neither worries nor troubles exist, dramatically pushed by his love to Fanny Brawne. In a letter to her, dated July 1819, he discussed the idea of himself, "which was not flattering, and we see how the very longing of his love, only so distinctly certain of fulfilment, brought him up sharply against the idea of death." 8

Aspirction for immortality lcould be traced primarily in his "Ode to Psyche" which apparently seems a happy one. In a letter to George and Georgiana Keats, April 30, 1819, he

,ols of a high romance, / And think thct (he) may never live to trace their shadows" in his own writing. However, Keats, like any body else, dreamed of the figure and the beauty of his idealised woman that he would meet very soon aod team his life with. g Yet he was afraid that he would never be able to "relish in the fairy power / Of unreflecting love !" Consequently, he would be left alone "on the shore/ Of the wild world" until "Love and Fame to nothingness sink."

Most probably, his serious fears about himself resulted from being a product of such morbid family, which actually enhanced hfs readiness to develop the disease. So during hfs tour in Scotland with Charles Brown they settled temporarily in Isle of Mull in July 1818, and there he caught a nasty cold which, later in September, developed into sore throct. Thouhe was considerably relieved from soreness, it showed again in December for which he became conscious of his unhealthy condition.

William Sharp in his biography of Joceph Severne says, "During the Autumn of 1818 Severne saw little of Keats. When they did meet henotced that his friend was distraught and without that look of falcon–like alertness which was so characteristic of him... It certainly seemed as though the poet were losing strength and energy, for he ceased to make much interest in the intellectual matters, and declared himself unable to take long walks or indulge in anynecessary exercise." 3 After nursing his brother Tom who later died of tuberculosis, Keats contracted the disease. He was distractedly shocked by the death of his brother, which left him peculiarly alone. 4

Keats then moved to Wentworth Place tolive with his friend Brown where he unfortunately developed sore throat

To deal with Keat's aspiration for immortality, it is logi-sal to trcce some of the main events in his life which had a trem endous effect on his life and career as distinctly expressed in his poetry.

Keats lost his parents at the age of fifteen, lived with his grand – mother Mrs. Jennings at Edmonton, To fulfil his fath er's wish, he went to madical school, Passed his examinations in July 1816 to become a sur– geon . But Poetry rather surgre was his destined profession. As early as 1812, he started wri-ting poetry (*Im tation of spencer*) and Later he produced a number of promising poems, among them his sonnet "O Solit-ude"

Reading Spencer's Faerie Queene and Chapman's trans-lation of Homer with his friend Charles Cowden Clarke, he was completely swept py the poetic "realms of gold " through whic he believed he would free his ta–lents, his feelings and and his soaring imagination . Keats was tremendously influe-nced by Homer to the extent that he shouted with delight "as some passage of special energy struck hfs imagination. "I Such ecstasy and admiration was expressed in his sonnet "on First Looking into Chapman's Homer" in which he resemb-led himself to some "watcher of the skies/ when a new planet swims into his ken. "

Influenced by his parent's loss, and the hovering threat of the fatal disease, the tuberculosis, his poetry began to take a sober. tone This shift started as early as 1813 when he composed his sonnet "when I Have Fears" in which he expressed his fears that he might die untimel that his pen would not "glean hs "teaming brain" and ple books "like rich garners" to hold the "full–ripenad gra n." It seemed that he would not be able even to translate his inspiration from the "huge cloudy symb-

KEATS' ASPIRATION FOR IMMORTALITY AS EXPRESSED IN SOME OF HIS LATER POEMS

Sabeeha Fadhil
Habib
College ef Arts
University of Baghdad
Assistant Instructor

12 Demiurge is the Platonic deity who fashions the world of matter. See *Timaeus* 28^{a-d}.

13 Mckeon. p. 155.

14 534^{e}

15 See Craig La Driere, "The Problem of Plato 's *Ion*," *Journal of Aesthetics and Art Criticism*, 10 (1951), 26–34.

16 In *Phaedrus* (245^{a}) Plato praises inspiration. Socrates affirms that the Muses' madness is the cause of numerous blessings: "the man who approaches the threshold of poetry without the Muses' madness, convinced that by his skill he will make a good enough poet, is imperfect in himself, and the poetry of the sensible man will be set at nought by that of those who are mad." Socrates distinguishes four kinds of madness (*Phaedrus* 244^{a-b}, 265^{b}): a) prophetic madness (from Apollo); b) mystic madness (from Dionysus); c) poetic madness (from the Muses); d) madness of love (from Eros and Aphrodite). Erotic madness is considered the highest. It is none other than the love of beauty and of truth, the passion that makes philosophers and thinkers, and which leads to the contemplation of the universals.

16 Grube, pp. 204–205.

18 A. $9^{990b-991b}$. The translation of the *Metaphysics* I am using is that of W.D. Ross, *The Works of Aristotle*, VIII (1908; rpt. Oxford: The Clarendon Press, 1960).

19 8^{1050a}.

20 William Wimsatt, Jr., and Cleanth Brooks, *Literary Criticism: A Short History* (1957; rpt. New York: Alfred A. Knope, 1967), p.23.

21 *The Poetics*, 51a36, in *Literary Criticism: Plato to Dryden*, trans. Allan Gilbert (Detroit: Wayne State University Press, 1962), pp. 81–82.

Notes

The idea of the universal and the particular was known before Plato. "To the Greeks before Plato, devoid of a mystical sense of an invisible order of realities, the plain and obvious fact was that the artist did not produce the obgects of real life, but their appearances only, and it was therefore inevitable that the impression produced on their minds was rather that of imitative representation than of creation, interpretation, or the like." See J.W.H. Atkins, *Literary Criticism in Antiquity* (Cambridge: Cambridge University Press, 1934), I, p.52. It was Plato, however, who developed such ideas into comprehensive epistemological system.

2 See *Phaedrus* 248[e], *Politics* 288[e], *Sophist* 234[a], *Cratylus* 492[a], *Laws* 668[a].

3 See 157[a–d], 175[c], 176[e]. References to Plato' s dialogues are from *The Dialogues of Plato*, trans. B. Jowett, 4th ed. (Oxford: The Clarendon Press, 1953).

4 G.M.A. Grube, *Plato 's Thought* (1935; rpt. Boston: Beacon Press, 1958), p.47.

5 *The Republic of Plato*, Trans. F.M. Cornford (1941; rpt. Oxford: The Clarendon Press, 1961), pp. 222-223.

6 99[d]

7 See The *Republic*, vii, 516[a–b], and *Sophist* 239[d]– 516[a–b].

8 *The Encyclopedia of Philosophy*, vol. 6, 1976 ed.

9 *The Republic*, op. cit. , iii, pp. 318-320.

10 *Critias* 107[b–c].

11 Richard McKeon, "Literary Criticism and the Concept of Imitation in Antiquity, " *Critics and Criticism*, ed .R.S. Crane et al. (Chicago: The University of Chicago Press, 1968), p. 152.

is contained in particulars, whether in the real world or in art. The difference between the particular and the universal in real life and in art is that in the real world each particular has its own universal, but in art different particulars are combined to reveal a single universal truth. Besides, the real world of art is an illusion of the real world. The universal truth of art is justified by the laws of the probable; it belongs to a world that might happen.

Aristotle is implicitly refuting the arguments of Plato. He finds poetry a poor outcast, charged with inferiority. By stating the difference between poetry and history, Aristotle rehabilitates the art of poetry. Plato stresses the abstract as the only universal reality; Aristotle stresses the universality that can be deduced from the concrete particulars. To Plato, the poet imitates shadows and mere reflection. Aristotle's notion of mimesis is different. The reality the poet presents is not the Platonic Ideas, but rather the action of people in real life. The poet's mimesis is not a mere copy but an impro-lare life The poet's mimesis is not a mere copy but an improvemrnt upon the real world The dichotomy between the abstract and the concrete; a universality separate from particulars and a universality inseparable from them; the poet as an imitator of shadows and the poet as an imitator of a real world transformed into art is the basic difference between the Platonic and Aristotelian ideas on poetry.

be put in verse and yet it would be nonetheless history whether with meter or without meter), but they differ in that the historian writes of what has happened and the poet of what might happen. Hence poetry is more philosophical and more serious than history, for poetry deals with things in a universal way, but history with each thing for itself. To deal with them universally is to say that according to probability or necessity it happens that a certain sort of man does or says certain things, and poetry aims at this, when it gives names to the characters. But to deal with an individual for himself is to tell what Alcibiades did or experienced. This univeral quality of poetry has already been manifested in comedy, for having composed the plot according to probabilities, comic writers give the characters any names that occur to them and do not, like the iambic poets, write about specific persons. In tragedy they cling to the historical names. The reason is that the possible is credible; if a thing has happened, we do not believe that it is possible, but what has happened is clearly possible, for it would not happen if it were impossible.12

The poet creates a formal perfection and a self-sufficient world. From contemplating a coherent artistic whole our insight is sharpened and a truth, tied to the laws of probability and necessity, is revealed. This poetic world has its own compelling kind of inevitability. The historian, who tells of what has happened, writes of different and unrelated particulars; poetry assimilates and harmonizes the opposites. The poet transforms the particulars he selects from the real world of men into poetic structures. For Aristotle, then, the universal

if we form the habit of imagining behind the universal fo Aristotle, rather than a geometric figure like a triangle, some living animal, say a horse."[20]

The poet thus does not represent mere appearances, but he captures the hidden reality in the objects represented. The elements of the real world are "translated" into a poem. Hence a new world and a new construction are created, The new world of art depends for its material on the real world of man, but it is quite different from its source. The particulars the poet selects undergo a process of organization and combination. The poet does not simply imitate, he rather arranges and "builds" new structures. In other words, different elements are brought together with intensity to reveal a universal. As a result, the new world of the poet is better than the real world as we know it. The particulars that constitute the world of art are selective and, further, they undergo a process of arrangement and organization. The poet does not rest contented with the specific reality of each object. He combines those specific realities to reveal a single universal one. This probable universal reality is deduced and distilled from specific cases. Thus by assembling elements, the poet achieves harmony and creates a world unknown before to the reader; a world in which disagreeables fit and collaborate to produce one single literary effect. The reader, on the other hand, has never witnessed such a combination in his world of contradictory elements. This is what differentiates poetry from history according to Aristotle:

> It is not the business of the poet to tell what has happened, but what might happen and what is possible according to probability or necessity.
>
> The historian and the poet do not differ by writing in verse or prose (for the history of Herodotus could

Knowledge to him resides in the investigation of the forms which exist within the natural phenomena. Further, the matter and form are unified, and all natural objects are composite of form and matter. Matter gives the substance to things; form their outline. Matter is identified by Aristotle with potentiality and form with actuality. Every object in the universe moves from potentiality to actuality which is its fulfillment, completion, and perfection. Aristotle clearly states that "matter exists in a potential state, just because it may come to its form ; and when it exists actually, then it is in its form.[19]" Everything is directed in a particular direction from within, by an internal force, towards its ultimate manifestation. Both the particular and the universal exist in the world of man. The platonic dualism–realm of becoming versus eternal form–gives way to an Aristotelian monistic outlook unifying form and matter.

Nevertheless, the relation between form and matter should not be understood as static. we always observe, Aristotle maintains, how matter passes into form and form into matter. Let us take the seed of wheat as an example. The seed is the matter of which wheat is the form. when we eat the wheat, it becomes matter for our body, which in turn becomes a form. The universal is in the particular as one of its causes.The difference between Plato and Aristotle in their view of universals is indeed derived from the fact that whereas Plato was "mathematical, transcendental, and rigorously abstract, Aristotle (whose father, Nicomachus– if a biographical note be relevent– was court physician to Amyntas II of Macedonia– and who was himself a naturalist and collector specimen for King Hermias of Atarneus and Assos in Syria) was biographical, natural, empirical, and concrete. We shall not go far wrong

imitator, an inspired mad man thrice removed from reality, who lacks the skill of perceiving the impurity and inferiority of his world. But, we are still unconvinced of how the abstract universal can be represented without the manipulation of the concrete particular. The answer comes from an earth-bound philosopher, Aristotle, who holds that the abstract truth of the universal is deduced from the treatment of the material particulars.

Any defence of poetry should, therefore, begin with refuting Plato's concept of reality and knowledge. This task is brilliantly achieved by Aristotle whose notion of the universal and the particular is only a part of a larger answer to Plato. He explicitly states in his *Metaphysics* that

> Of the ways in which we (Aristotle here speaks as a Platonist) prove that the Forms exist, none is convincing; for from some no influence necessarily follows, and from some arise Forms even of things of which we think there are no Forms. . . . And in general the arguments for the Forms destroy the things for whose existence we are more zealous than for the existence of the Ideas, for it follows that not the dyad (the indefinite) but number is first, i.e. that the relative is prior to the absolute,– besides all the other points on which certain people by following out the opinions held about the Ideas have come into conflict with the principles of the theory. . . . Again, it would seem impossible that the substance should exist apart; how, therefore, could the Ideas, being the substances of things exist apart[19]?

Both philosophers agree that the world of sense is in a state of flux. However, Aristotle, unlike Plato, does not believe that we should transcend the world of sense to the Ideas.

he recites Homea. It is is possible, therefore, that Plato wrote Ion with hfs tongue in his cheek[15]. But, the way the argument conducted suggests that Plcto is again emphasizing the difference between the poet and the philosopher. There is no quarrel between the two, Socrates implies, as long as the poet lays no claim to the knowledge of the "universals[16]."

Nevertheless, despit3 his insistence on the inferiority of art to philosophy, Plato is very much sensible to the beauty of artistic production. He is a supreme artist himself and his *Dialogues* attest to a profound artistic mastery. Moreover, his thoery of imitation does establish a connection [6]between the artist and life. Although Plato reduces poetry to a mere imitation of the physical phenomena, he recognizes a connection between everyday life and the artist. There are also questions that we, as readers, are likely to ask: Does not the poet, for example, suggest the universal by his treatment of the particular? Since the particular is an imperfect copy of the universal, does not the poet leave the impression of how beautiful and true the general is, simply by showing his inability to represent it? Besides, if images or representations constitute no satisfactory substitute for the absolute reality, are not they, at least, a necessary step in our approach to reality? As Grube aptly puts it, " few would admit that the artist is incapable of expressing the abstract directly .... The artist must, if confusedly, represent or (to use Plato's language) imitate, the universal forms as well as the particulars[17]." Plato would answer that these questions and opinions are justification of ignorance. Knowledge of the good springs from the ideal and the universal form. The poet should employ his reason, philosopher-like, to present the ideal universal. If the poet suggests the universal, he is most likely to distort it because his starting point, the particular, is imperfect. Further, the poet is a passive

of a bed is, that is to say, thrice removed from reality (the essential form of a bed). Poetry is like a picture in words, a mirror-image or a representation of the objects of life. All verbal discourse is a mere representation. [10] Since the poet knows only appearances, he cannot be taken as a reliable teacher of whatever suject he deals with. Furthermore, the poet imitates what he sees, but he does not know how to make out what he sees (he can describe a bed but not make one). He imitates reality without necessarily understanding it. Hence poetry–as well as other kinds of artistic representations–is a production of ignorance. The whole notion of imitation in the works of Plato centers on a relation between something which is and something made like it: the likeness might be good or bad, real or apparent. The process of imitation could thus be summed as: a)imitation of ideas or universals as philosophers and the demi ur ge imdnlge im and the imitati on od appean anjes sueh as ces, such as poets do. Poets are compelled to embody in their works copies of the good and prohibitad from setting forth copies of evil. The critic in turn, must know " first, what the copy is; second, how correctly it has been presented; third' how well it has been executed in words, melodies, and rhythm,,

The poet is also attacked in the dialogue of *Ion*. Socrates insists throughout this dialogue that poets and elocutionists are "inspired mad men" who lie entirely in the power of the Muses and speak what they put in their mouths:

> For the poet is a light and winged and holy thing,
> and there is no invention in him until he has been
> inspired and is out of his senses, and the mind is
> no longer in him: when he has not attained this state,
> he is powerless and unable to utter his oracles[14].

There is indeed an ironic touch in the way Socrates makes Ion, the elocutionist, admit that he is out of his senses when

So it appears.

Shall we call him, then, the author of the true nature of Bed, or something of that sort ?

Certainly he deserves the name, since all his works constitute the real nature of things.

And we may call the carpenter the manufacturer of a bed ?

Yes.

Can we say the same of the painter ?

Certainly not.

Then what is he with reference to a bed?

I think it would be fairest to describe him as the artist who represents the things which the other two make.

Very well, said I; so the work of the artist is, at the third, removed from the essential nature of the thing?

Exactly.

The tragic poet, too, is an artist who represents things; so this will apply to him: he and all other artists are, as it were, third in succession from the throne of truth. ?

Clearly, Plato's objections to poetry are epistemological. If the ultimate reality resides in universals, of which particulars are mere copies, then he who imitates these particulars is imitating an imitation. Plato takes the painter as a representative example. A picture of a bed is a representation of an object the bed made by a carpenter which, as a part of the world of particulars, is not a wholly real thing. However, the carpenter's bed is nearer to reality than the picture. The painter's picture

Not in the view of people accustomed to thinking on these lines.

We must not be surprized, then, if even an acuual bed is a somewhat shadowy thing as compared with reality.

True.

Now shall we make use of this example to throw light on our question as to the true nature of this artist who represents things? We have here three sorts of bed: one which exists in the nature of things and which I imagine, we could only describe as a product of divine workmanship; another made by the carpenter; and a third by painter. So the three kinds of bed belong respectively to the domains of these three : painter, carpenter and god.

Yes.

Now the god made only one ideal or essential Bed, whether by choice or because he was under some necessity not to make more than one; at any rate two or more were not created, nor could they possibly come into being.

Why not ?

Because, if he made even so many as two, then once more a single ideal Bed would make its appearance, whose character those two would share; and that one, the two, would be the essential Bed. Knowing this, the god, wishing to be the real maker of a real Bed, not a particular manufacturer of one particular bed , created one which is essentially unique.

The artist draws his material from the world of particulars; the imperfect, the many, and the sensory. Since reality, according to Plato, is of a general nature, art is simply an imitation of mere shadows. Plato's notion of the process of imitation (mimesis) is explicitly expressed in The *Republic*. In a dialogue between Socrates and Glaucon an analogy between the poet and an illusionist painter of a bed is drawn to illustrate the notion that poets are ignorant of the true universals:

> There is no difficulty; in fact there are several ways in which the thing can be done quite quickly. The quickest perhaps would be to take a mirror and turn it round in all directions. In á very short time you could produce sun and stars and earth and yourself and all other animals and plants and lifeless objects which we mentioned just now.
>
> Yes, in appearance, but not the actual things, itis quite so; you are helping out my argument. My notion is that a painter is a craftsman of that kind. You may say that the things he produces are not real; but there is a sense in which he too does produce a bed.
>
> Yes, the appearance of one.
>
> And what of the carpenter? Were you not saying gnat now that he only makes apart cular. bed what we call the form or essen tial nature of bed
>
> Yes, I was.
>
> If so, what he makes is not the reality, but only something that resembles it. It would not be right to call the work of a carpenter or of any other handicraftsman a perfectly real thing, would it ?

to have the most exact conception of the essence of each thing which he considers?

Certainly.

And he attains to the purest knowledge of them who goes each with the intellect alone, not introducing or intruding in the act of thought sight or any other sense together with reason, but with the intellect in its own purity; he who has got rid, as far as he can, of eyes and ears and, so to speak, of the whole body, these being in his opinion distracting elements which when they associate with the soul hinder her from acquiring truth and knowledge— who, if not he, is likely to attain the kərf getloponwue being?

What you say has a wonderful truth in it, Socrates, repeated Simmias [6].

All things are divided by Plato into the visible and the intelligible. Reflection in mirrors, in caves, and in water is a recurring and constant device by which Plato distinguisshes the universal from the particular [7]. Our eyes would be blinded if we looked at the sun directly instead of at its copy or image in wayer or in something else of that sort. The universal,therefore, does not depend for its existence on the material objects. But to understand particulars we must know the universals, and, to know reality we must dispose of the copies. If we, say, destroy all the tables in this world, there will remain the idea of a table which is not a subject to decay or change. Plato's philosophical discourse is directed towards a transcendental reality grasped by the human intelligence only. Certainly, Plato's conception of the universals is "diametrically opposed to anything that can be called materialistic [8]."

"This pattern consists of the Forms of things in the world, as well it may since there is, strictly speaking, a Form of every universal term, every genus, species, element or ethical value, perhaps even of all manufactured as well as natural objects· "[4] Our comprehension of the universals is intellectual and certainties aboit them are attainable by argument. On the other hand, our knowledge of and opinions about the particulars of the "world of shadows" are sensory, and, thus, no ratiocinative comprehension is possible. This reasoning is made clear by the famous allegory of the bave in *The Republic*. In that allegory men are depicted as sitting on abench in a cave with their backs to a huge fire beyond. They see only shadows and reflections of that fire inside the cave. Such is our experience, in the world of particulars, of what we think to be reality and universal truths.[5] In *Phaedo* Socrates is discussing with Simmias the "deceptive nature" of the world of sense. He then proceeds:

> Well, but there is another thing, Simmias: Is there or is there not an absolute justice?
>
> Assuredly there is.
>
> And an absolute beauty and absolute good?
>
> Of course.
>
> But did you ever behold any of them with your eyes?
>
> Certainly not.
>
> Or did you ever reach them with any bodily sense?– and I speak not of these alone, but of absolute greatness, and health, and strength, and, in short, of the reality or true nature of everything. Is the truth of them ever perceived through the bodily organs? Or rather, is not the nearest approach to the knowledge of their several natures made by him who so orders his intellectual vision as

The terms "universal" and "particular" are not prominent in the vocabulary of criticism today. Yet as late as the eighteenth century, the two terms were the differentia of the arts, or at least some of them. The criteria of artistic greatness was, to a great extent, based on whether a certain work is of a universal or a particular appeal. However, terms were first used by Plato and Aristotle to denote specific philosophical and literary concepts. This paper discusses the literary significance of the Platonic and Aristotelian concepts of the particular and universal as they relate to the nature and function of literature.

Plato could be taken as the first philosopher-critic to trigger the issue in a detailed philosophical system. His views on art and its value and function are firmly tied to his general epistemological theory. The distinction between the universal and the particular forms is the backbone of the Platonic theory of knowledge. This theory is first adumbrated in the *Symposium*. It is fully stated and discussed in the *Phaedo*, and is expounded in *The Republic*. There are also brief discussions of universals and particulars in Plato's other dialogues.

The universals are presented as the only supreme reality after which the world of matter is made. Truth, reality, and essential values are not to be sought for in the particulars of the world of matter which are mere reflections or copies of the universal realities. Whereas the particulars are [illegible], changeable, and many, the universals are permanent, real, and one. In *Theaetetus* the existence of the universals is made as the only alternative to the theory of flux. The denial of those universals, "the things in themselves," is a "denial of moral values."[3] In *Timaeus* the universals constitute the pattern or model after which the whole universe is fashioned.

THE PLATONIC AND ARISTOTELIAN CONCEPTS OF THE UNIVERSAI AND AND THE PARTICUIAR WITH REGARD TO LITERATURE

Dr, Eid Abdallah Dahiyat, Dept Of English
Univrsity Of Jordan



BIBLIOGRAPHY

A– PRIMARY SOURCES :

Faulkner, William .*Absalom, Absalom*. London: Penguin Books, 1975.

B– SECONDARY SOURCES :

– Adams, Richard P. *Faulkner: Myth and Motion* Princeton and New Jersey: Princeton University Press, 1968.

– Brooks, Cleanth . *William Faulknar: Toward Yoknapatawpha and Beyond*. New Haven: Yale University Press, 1978.

– Passett, John. *William Faulkner: The Critical Heritage*. London and Boston: Poutledge and kegan Paul, 1975 .

– Swiggart, Peter. *The Art of Faulkner's Novels Austin* : University of Texas Press, 1962.

– Volpe, Edward L. *A Reader 's Guide to William Faulkner*. New York : Octagon Books, 1974 .

– Warren, Robert, Penn (ed.). *Faulkner: A Collestion of Critical* Essays. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice– Hall . ' 1966.

۹۰۸

from the point of view of an outsider. So the story is told as history is. The novel is not merely a presentation of Sutpen's life, rather it uncovers the history of the South. Shereve asks Quentin : '(Tell about the South, what 's it like there ...." (P.143) , and Quentin tells him Sutpen 's story as representative of the Southern society. Thus, there can be no doubt that Sutpen's racial attitudes are part of , and essential in, his culture, and these attitudes destroy the Southern culture as well .

NOTES

1 William Faulkner , *Absalom Absalom* (London : Penguin Books, 1975) ' P. 107. All subsequent references to *Absalom, Absalom* are to this edition and will be cited parenthetcally in the paper.

2- For further details about this point see Jean pouillon, Time and Destiny in Faulkner" in *Faulkner : A Collection of critical Essays,* (ed) R. P. Warren (Englewood Cliffs, N. J. : prentice - Hall, Inc. , 1966) , PP. 79-85 .

3- Richard p. Adams, *Faulkner: Myth and Motion* (Princeton and New Jersey : Princeton University press, 1978) ,P.191

4- Cleanth Brooks, *William Faulkner: Toward yoknapatawpha and Beyond* (New Haven and london: Yale University Press, 1978) ' P. 290.

5- Peter Swiggart, *The Art of Faulkner 's Novels* (Austin : University of Texas Press, 1962) , P. 156.

6- Edward L. Volpe, *A Reader's Guide to William Faulkner* (New York : Octagon Books, 1974) , P. 202 .

economic rank, or nationality or tribe, or family".6 Sutpen is a tragic figure and his tragic flaw is that he is naive, and his naivety is that of achild; it is the naivety which makes him believe that "the ingredients of morality were like the ingredients of pie or cake and once you had measured them and balanced them and put them into the oven it was all finished and nothing but pie or cake could come out" (P.216).

His Problem is that he is innocent and that he misdirects his innocence. When he is asked about his design he says" where did I make the mistake in it ?"(P.217). Faulkner makes it clear that such naive disregard of the accepted values is dangerous in a shfiting society. Sutpen bl ndly nsists on establishing a sort of compromise between his environment and his private detyriorcted static morality. So he suffers the struggle bitween his wishes and his conditions . Though he achieved most of his design but he spends all his life suffering the frustration of establishing a dynasty. In fact, while he starts building this dynasty, he puts, the first seed of his destruction. His trage dylies in wasting his virtues, and in violating every human instinct including love, This costs him his sons and his life.

In this novel, then, Faulkner dramatizes the theme of rejection of moral codes, and the denial of human equality, giving Sutpen's tragedy a wider meaning . Though Faulkner treats an ndividual's problem, he gives it historical and social significance. *Absalom, Absalom* provides us with a series of scenes in which charaters, attitudes, obsessions of the narrators are shown clearly . Quentin's grandfather's version (though he is Sutpen 's friend) reveals that he is of no concern with the story, Rosa's shows her hatred, Quentin's gives the impression that he is a protector of the honor of the South. The reader realizes that Quentin and Henry are but one. Shereve 's guesses and interpretations make us understand the story

she does not serve him, and it does not mean, in any way, that he denies her human dignity. Faulkner's message in *Absalom, Absalom* is to condemn the South's unforgivable crime, in addition to racial prejudice, of refusing to give the negroes "the faintest hint of recognition"4.

By killing Bon, Henry deprived his sister of her love. Judith, "a widow without ever having been a bride" (p.12), is capable of love. She suffers the loss of this love, and she tries to compensate for it by taking care of Bon's wife and child after his death.

The tragedy brought upon the famiy stems from the father's flaw of dealing with people as if they were objects or animals. He seduces Milly Wash, the grandduaghter of his friend, John Wash, and when she gives birth to a girl, he repudiates her and her child because he wants a boy to inherit him: "Well, Milly, too bad you're not like penelope. Then Ilcould give you a decent stall in the stable..., "(P.152). By so doing, he drives JohnWash to kill him, Milly and the child.

Therefore, the germ of Sutpen's destruction is, what Peter Swiggart calls, the "moral bankruptcy"5. He chooses his wives as he chooses his horses with the same care and shrewdness wiht which he chooses the other livestock–horses and mules and cattle–which he bought later on" (P.50)."

Sutpen'slack of human feelings makes him fail to recognize the human existence of the people he is living among. This is also quite discernible in keeping the French architect captured till the completion of his mansion (P.180). He is unable to feel or understand the feelings of others. His ambition and hope to fulfil his design are destroyed by his racial discrimination, and by pushing Henry to kill his brother. His crime, as Edward L.Volpe points out, is "the denial of equal human status of men of different color, or religion, or social and

him Judith. Sutpen rejects such aproposal and derives Henry to kill his brother. Here the title of the book takes its significance Henry and Charles are like Absalom and Ammon love each other but doomed to kill each other. Absalom was the lost son of king David and the most loveable of all his sons. King David established a great dynasty which happened to bring Messiah. Sutpen, like King David, wants an inheritor for his dynasty but unlike King David, who has many sons, he has only one choice, only one suitable son,whom he drives to be a murdere.

The novel is based on central irony. Sutpen, whose only motive for his design has been what he experienced as a child, is now the one at whose door his son Charles Bon stands begging recognition. One can see that Sutpen is even more severe than the plantation's owner because he denies the blood relationship with his son, which is, in R.P. Adams' words, "the essence of time, life and history"3.

Though Henry has what his father lacks i. e. love, he is torn between his father's will and his love for his friend Bon. He lives the rest of his life suffering the consequences of his brutal action as a" murderer and fratricide" (P.12). From the meditations made by Quentin and Shereve to arrive to at the real motive of Henry's crime (P.79). one can find that Quentin is more involved here than in any other place in the novel. Quentin narrates the story from the point of view of a southerner, as if it is his case, he is defending Henry. As a southerner, he becomes "Henry", the one responsible for the family. They conclude that Henry kills his brother not to prevent incest, but to prevent miscegenation (P.74): the same flaw of the father is inherited by the son. Henry finds out that Bon has an octoroon mistress and a child. Henry looks on Bon's mistress as "a bought woman. A whore" (P.95). However, to make a holy contract with an octoroon does not mean that

only on the principle of how far they could support, and how much they could add to, his design. Ellen's family is respectable tne father is a steward in the Methodist church, one who judges everything in accordance with morals. They offer Sutpen what he lacks: "respectability" (p.11) Sutpen, in return, destroys the family. He corrupts Ellen in so many ways. Miss Rosa Coldfield his sister-in-law, describes him as "not a being an entity, he was a commonwealth. He was a barracks fille dwith stubborn back-looking ghosts" (p.9).His amusement is drinking, gambling and wctching his negroes fignting. His only relcxction is to strip to the waist and fight bloodily with his wild negroes to prove that he is the strongest and the best. This happens usually in the sight of his wife and his two childern.

Rosa's demonizing and fearful picture of Sutpen: "the evil's source and head which had outlasted all its victims" (p. 14), is out of her fear that she may share him his life. For after Ellen's death he proposed to marry her. But Rosa, the romantfc fool,is frustrated by his suggestion that" they bread together for test and sample and if it was a boy they would marry" (p. 146) . She hates him mainly because she thinks that brought the curse upon her family and destroyed their social eminent stctus and respectability.She lives the rest of her life rigid with hatred. As a result the reader discounts her as a narrator of one the versions of the story.

At the peak of Sutpen's success his tragedy begins. His childern become the instrument of his tragedy. The central episode in the novel is the murder of Charles Bon by his half brother, Henry. The two brothers meet at the university. Charles vicits the Coldfields and fall in love with Judith. Not knowing that Charles is Sutpen's son. Ellen proposes to marry

of course, a wife" (p. 217). He came to Mississipi, exploited the Indians by cheating them of hundred square miles to build his mansion, Sutpe's Hundered, furnished it apparently out of nothing, had twenty negro servants, married Ellen Cold–field and fathered two childern, Henry and Judith. Here, it is worthy of mentioning that Faulkner is not against Sutpen's resolution to be rich and famous, to build an impressive plant-ation, a dynasty and, to sum up, to make the" undying mark". Rather, he disapproves of the idea that Sutpen's success in possessing " what this man has" may put him in the same situ-ation as that of the plantation's owner, and may make him a man with no human feelings.

The reader's sympathy for the boy at the planter's door is undermined by his surprise to see Sutpen putting aside his dealing with othrs in accordance with logic. Ultimately he becomes blind to the emotions of others, particularly, of his family members.

Obsessed by the new desgin he has been formulating, he rejects other's ambition to affirm their identity. He repudiates his first part-negro octoroon wife, Eulalia Bon and his infant Charles Bon (named after his mother's family), just because, as he tells Quentin's grandfather (who is less involved in the story), "she was not and could never be, though no fault of her own, adjunctive or incremental to the design" (P.198). Her only fault (he himself admits that it is not her own) is that she has negro blood. To repudiate a wife and an infant on such immoral grounds is in itself a denial of their humanity. He puts his wife aside as "the eleventh or twelfth century kings did" (P. 198).

Sutpen's plan to, marry Ellen Coldfield, his second wife, has not been unpurposefully calculated, for he deals with people

> with a people living on it all divided and fixed and neat because of what they happened to own and where a certain few men not only has the power of life and death and barter and sale over others , but they had living human men to perform the endless repetitive personal offices, such as pouring the very whisky from the jug and putting the glass into a man's hand or putting off his boots from him to go to bed (p. 182)

The reader can find that such moral codes are extremely alien to Sutpen. When he goes to convey his father's message to the plantation's owner, Sutpen is prevented, "even before he could state his errand" (P.192), fom entering the house. The negro tells him to go around the back door. Sutpen, the boy, is seriously degraded by this incident that he begins to think that he has been denied his existence. Indeed, he is shocked by this experience because he expects to be received as a human being: "he did expect to be listened to because he had come, been sent, on some business" (p. 193). But contrary to his expectation, the only answer he recives is the words that deny him his humanity. Being touched with compassion for Sutpen, the reader could feel that this experience is an outrageous and serious violation of the moral design Sutpen respected in his childhood.

Contemplaing to revenge himself upon the planter Sutpen thinks of murder "But I can kill him— No. That wouldn't do no good— "(P. 195), and he finds his resolutions " to combat them he has got to have what they have that made them do what the man did" (p. 196).

Hence, Sutpen conceived his grand design. He told Quentins's grandlcther, "I had a design. To accomplish it I should require money, a house, a plantation, slaves, a family-incidently

ments in the story differ according to their own reflections and prejudices. The reader is presented with several versions of the story as told by Quentin as told to him by Miss Rosa or his fatner who has neard it from his grandfather. In the first part of the novel we are provided with the major events of the story,while in the secondpart of the novel we are given interpretations of these facts.Quentin told his friend Shereve the stroy of Sutpen and their conversation is interrupted from time to time by some : disclosures, guesses, deductions and hypothesis Much of the information especially the eotives of the characters come out of imagination of these two young men Quentin and Shereve. The major characters are pictured through the memories of the nerrátors . This defines the creative process Faulkner follows in writing his novel and his ability to make use of few facts to come with such an imaginative construction These versions shed light on the story from different angels and the reader has to make his own interpretation, he has to find a compromise between the different points of view of the narrators and to give his own final judgement.

However, Sutpen is the son of a villager in the mountains of West Virginia where man is judged by the principle of what he 'is' not by what he' has' and where Land

> belonged to anybody and everybody and so the man who would go to the trouble and work to fence off a piece of it and say "That is mine" was crazy , and as for objects ... only that crazy man would go to the trouble to take or even want more than he could eat or swap for powder or whisky (p.182)

Faulkner is undoubtedly successful in portraying vividly the contrast between the morality of this primitive society and that of Tidewater to which Sutpen's family moved when he was ten, it is a place

The prevalent and most distinguished thematic trait that captures the Faulkner reader's attention is that the novelist's vision is concentrated on the exploration of serious social phenomena. The message emphatically disclosed by his novels is man's endeavour to assert himself as a significant being. Man has to accomplish some sort of an achievement to be remembered for, and has to make "the undying mark on the blank face of the oblivion"[1]. This theme of the individual's attempt to achieve something outstanding is related to Faulkner's interest in, and his conception of, the past, the past of the South in particular. The past, for him, represents reality. It is not the past of the individual but the past of the whole community . So what is referred te as the' present south' is what its past has made it [2].

Faulkner's *Absalom, Absalom,* provides, in almost, complicated manner, a sound volume of the history of the south. This novel demonstrates, quite effectively, Faulkner's persistent campaign, a rather severe one, on the indignation and the social barriers which typify the southern past. Faulkner's main concern here is man's struggle to find a sort of compromise between his ambition and his environment. This struggle, Faulkner believes, will bring with it the seeds of destruction if it is not based on moral values. In depicting the life story of Thomas Sutpen, the spokesman of the aristocratic society of the south, Faulkner wants to assert that the decline of this society is attributed to the fact that it is not built "on the rock of stern morality but on the shifting sand, of opportunism and moral brigandage". (P.214).

The novel is perplexing and confusing to the uninitiated reader. Faulkner never gives us a logically ordered sequence of incidents, rather he provides his reader with the story of Thomas Sutpen refracted by several narrators whose involve-

DEHUMANIZATION IN FAULKNER'S *ABSALOM, ABSALOM*

BY
Aneed Thanwan Rustam
Dept. Of Languages
College Of Education
Unv. Of Mosul


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

BIBLIOGRAPHY

A. Primary Sources;

1. Norton, T. and Sackville· T., *Gorbodus*, Mcilwraith, Oxford 1966.
2. Seneca, L. T. *Four Tragediec and Octavia* (b. F. Watling's English translation of Seneca's *Oedipus, Phaedra, Thyestes, The Trojan women* and *octavia*, London, 1966).

B. Secondary Sources;

1. Cunliffe, J. W, *The Influence of Seneca on Elizabethan Tragedy* Hamden, 1965.
2. Cunningham, J. b. *Elizabethen and Early Stuart Drama*, Lo ndon, 1970.
3. Eliot, T. S. *Selected Essays*, London, 1966. I
4. Farnham, W., *The Medieval Heritage of Elizabethan Tragedy* Oxford, 1063.
5. Lucas, T.L. , *Seneca and Elizabethan Tragedy*, New york, 1966.
6. Watling, Es. F., "Introduction" in his English translation of Seneca's *Four Tragedies and Octavia*, Penguin, 1966.

The practice of references to Greek mythology began with Seneca. The classical references, or rather the infernal allusions are perhaps the sphere in which Norton and sackveille best showed themsejves disciples of Seneca, These allusions are of course a part of the Senecan apparatus. Acheron, charon and the rest were indeed dear to Seneca. This is not a mere pedantry or showing off. It was a tradition to marshal them in any tragic composition. The model was only seneca. so in seneca there is mention of "siris,"Procrustes" , "Gretan bull" "Daelaus". (phaedra, IV. p. 145). "Tityos", "Grim Acheron" (Thyestes, I, p. 45). "Tartarus" (Thyestes, V, p. 91). "Hector" (*The Trojan women*, I, p. 151)."Hecuba" "Priam" (*The Trojan women,*)

The classical references are profuse in *Gorboduc*. We can easilly note the reference to "Thantalus· "Medea" , "Athamas "Althea" (*Gorboduc*, III· p. 105). "The Furies (*Gorboduc*, IV, ii, k. 115). "Jove" (*Xorboduc*, IV· ii· p. 115). Apollo" (*Xorboduc* I, ii, anp "Apollo's son, who parched the earth. (*Gorboduc*, I, ii· k. 96). "Ilion" (Troy). (*Gorboduc*, II, ii, p. 96). "Phrygian fields (*Gorboduc*, III, i, p. 98).

Gorboduc does not mark any great progress over Seneca's tragedies. It is true that *Gorboduc* was once acted; but today it can hardly be even called an armchair tragedy, for there is hardly a student who cares to peruse it carefully, unless he is engaged in a relevant research. It is evident that Seneca's contribution to the language of *Gorboduc* is gigantic and many-branched. The linguistic parallels between Seneca's plays and *Gerboduc* immediately draw our attention.

The bombast in *Gorboduc* is perceptibly less than that in the Senecan tragedies. There are of course the rhetoric, and the very long speeches. But *Gorboduc* is on an equal footing with Seneca's plays in the impossibility of being staged today; though all can become "broadcasted" (1)

By traitorous fraud of young untemper's wits,
.... of his inflamed head (*Gorboduc*, III, i, 32–36).

Seneca was a moral philosopher. Since there is very little action, the speech had to be embellished in every possible way, including the use of adages, which are expected to spa- sparkle with wit and to be cherisheed by the serious reader looking for the lesson. Seneca's tragedies abound in wise-sayings which permeate the speeches like gems in address. Very often, the speeches are spangled with such fine pearls as are cheriched by the lovers of stylistic grace and relished by the sensitive literary taste. The following are some examples from Seneca's plays:

Through loyalty lies the traitors way to mischief (*Oedipus*, III, P. 236).
Or,
It is not worldly wealth that makes a king,
....
A king is he who has no ill to fear. (*Thyestes*, II, P. 61).

Gorboduc is sparkled here and there with adages, which characterise the Senecan plays. Here they are intended to teach the queen a political lesson. It is noted that adages are used on a small scale, probably because the authors consciously had no direct lesson to teach other than the political one. This is an example:

And happy he, that can in time beware
By other's harms, and turn it to his good.
But woe to him that, fearing not to offend
Doth serve his lust, and will no see the end.
(*Gorboduc*, IV, 25 29).

the Renaissance world of new marvellous geographical discoveries. In *Oedipus* we note the following reference to geognraphy:

The first .... called Illisos. (*Oedipus*, II pp. 219–220).

Humber ....

.... rule (*Gorboduc*, I, ii, p. 85).

Seneca is gifted with an admirable narrative power. His tragedies are never meant to be acted. They sound like debates' The events are never acted, but are reported by amessenger. Cunliffe remarks that "narrative plays agreat part in Seneca's tragedies; but much of it is mere padding." (1) Seneca could not have finished the ten tragedies without an outstanding narrative power. it is the narrative power that enabled the Master of the Weird Sisters to describe the cauldron's contents, and enabled Lennox to describe the state of affairs in Scotland under Macbeth's atrocities. So in Oedipus the putting out of the king's eyes with his own hand is only reported by the messenger :

Fury was in his voice, his face
Blazed with afire of passion, and ......

....

A terrifying rear, he thrust his fingers
Into his eyes, and those wild ords stared out
And seemed to rush to meet the hands they know..
(*Oedipus*. V, PP. 247–248).

In *Govboduc* the narrative power of the authors, Norton and Sackville, is remarkable:

My lord Ferrex, your eldest son, misled

---

(1) J. W. Cunliffe: P. 20.

The dreadful, furies daughters of the night,
With serpents girt, carrying the whip of ire,
With hair of stinging snakes, and shining bright
With flames and blood, and with a brand of fire.

(*Gorboduc*, IV, p. 115)

Invocations are rhetorical style in which the dramatist invokes certain powers to come to his aid. They are quickll ebbed in Elizabethan drama and their Presence in *Gorboduc* certifies to the affinity with Seneca and his farstretching tyranny over the English tragedians at the time of the Renaissance. Invocations take a christian turn of mind in *Gorboduc*. Thus we note the religious turn of mind for the authors were Orthodox christians. The invocations in Seneca are addressed to one of the gods. But in *Gorboduc* they are in most cases addressed to superiors, and frequently take the form of a plea, or the form of a supplication. These are two examples from Seneca's tragedies:

and may the gods, ... deserves (*Thyestes*, III, p. 68)

We pray to every god
.... exile (*Oedipus*, II, p. 218).

Numerous examples of similar invocation can be seen in the text of *Gorboduc*:

Long may they rule, I do beseech the gods.
(*Gorboduc*, I, P. 82).
And long I pray the gods to grant it sd.
(*Gorboduc*, I, ii, k. 78),

Geographical references had to be common in the expading Roman Empire. They had to be even more common in

Seneca's rant is clearly conspicuous in *Gorboduc*. Sometimes it is the linguistic form of a content of an imprecation, a furious andfboastlul speech as in this furious speech of videna where she seeks to revenge herself upon her younger son who murdered the elder:

> If after blood so eager were thy thirst,
> And murderous mind had so possessed thee,
> If such hard heart of rock and stony flint
> Lived in thy breast, that nothing olse could like
> Thy cruel tyrant's thought but death and blood.
> (*Gorboduc*, IV, i, 11. 39–40)

Seneca is in the habit of using all the possible synonyms of one word in close proximity, or quoting a string of mythological examples for one idea. This is evident in the reflections on Fate in *Oedipus*. Note how the central idea is repeated in different words:

> Fate guides us; let fat have her way.
> No anxious thought of ours can change
> The pattern of the web of destiny.
> ....
> All creatures move on their appointed path
> In their beginning is their end (*Oedipus*, IV, p. 248).

A conspicuous illustration of the repetition of one central idea occurs in *Gorboduc* where we note the description of the three furies known as Alecto, Megaera and Tisiphone. These are mythical figures heavily exploited by the tragedians. One of their jobs is to infuriate their victimsinto wrath, and to murder, also to hound the murderers and to drive them mad as a part of their punishment for bringing about the untimely death of the innocent:

which were chronic defects inherited from Senecan. The Senecan ejaculations are notably echoed in *Gorboduc* So in the opening of Act II we read:

a. and is it thus? and doth he prepare.....
(*Gorbodnc*, II, p. 94).

b. O cruel wight! should any cause
Prevail to make thee stain
Thy hand with brother's blood?
(*Gorboduc*, IV, ii, P. 11).

c. O silly woman I ?......
(*Gorboduc*, IV, ii, p. 112).

d. O hateful light, O Loathsome life,
O sweet and welcome death!
(*Gorboduc*, IV, ii, p. 112).

Rant, the outstanding feature of Seneca's plays and of *Gorboduc*, is the one responsible for their banishment from the modern stage It is extremely hard to find a single occasion of any of these plays being staged. The modern audience detests to hear rant and expects only a homely conversational dialogue treating a homely topic or a public issue worthy of the intelligent man's interest. In *Thyestes* the ghost of Tantalus speaks:

Who hales me from my miserable rest
Among the dead below, where my starved mouth
Gapes for the food that runs out of its reach?
What god bids Tantalus return again
To this abode he never should have seen?
Is there some punishment in store for me
Worse than to stand dry-mouthed in running water
Worse than the everlasting yawn of hunger?
(*Thyestes*, I, p. 45).

d. .... he that had
Nothing today, tomorrow shall enjoy
Great heaps of gold, and he that flowed in wealth
Lo, he shall be bereft of life and all. (*Gorboduc*,
V, ii, p. 124).

An ejaculation is the instinctive retort to an odious piece of news carried to one by the messenner carrying ill–tidings or on heariny somethiog to arouse pity or sorrow. Ejaculations are met in an arm–chir tragedy: but they are an impediment to quick action on the stage. Brief eiaculat:ons are abundant in Seneca's tragedies and in *Gorboduc*. The following are some examples from the plays of the Roman tragediao:

a. Can so great a crime
Be paid for with so brief a penalty'.
(*Oedipus*, V, p. 247),

Treachery

b. Was this our pact? is this your brotherly love
And reconciliation? is this peace?
(*Thyestes*, V, P. 89),

A Fine specimen is noted in Oedius –it begins with the chorus shouting :

c. But what is this? ....
(*Oedipus*, act 5, k. 246),

d. filial love, doomed love, I am ashamed
To utter what has been foretold of me
(*Oedipus*, Act I, k. 200),

Eiaculation implies, the sudden rhetorical address of somebody, usually a bad person, in terms of reproach or contempt. It goes without sayisg that if the addressee is absert, the figuare of speech involves an apostrophe. Examples of such brief ejaculations must abound in tragedies carrying the appelation "Tragedy of Blood". They are always inseparable from the rhetorical devices prevalent in the rhetorical style and the rant

a. He that uncovers truth
Uncovers it, too often, to his harm (*Oedi-pus*, IV, P. 242),

b. Who has most power to act·
should have most power to endure. (*Th Trojan Women*, II, n. 165),

z. Men must be made to want what they dislike.
(*Thyestes*, n. 54).

d. He who desires to win sincere approval
Will seek it in the heart, not on the tongue

In the same page we come across the following epigram:

To harm a brother, even a guilty brother
Must be a sin (*Thyestes*, II, P. 55)

Epigrame which are a feature of the Senecan style, and which are the thing to expect from a stoic philosopher anp arhetorician are vastly echoed in *Groboduc*. But in *Groboduc* epigrams are intended to teach the queen a political lesson "showing the evils which might ensue in the realm of England if succession to her throne should be left unsettled. (1) so in *Groboduc* we read such epigrame as the following :

a. The sticks, that sunder'd break so soon in twain
In fagot bound attempted were in vain
(*Gorboduc*, I, ii, P. 86).

b. Sorrow doth dark the judgment of the wit.
(*Gorboduc*, II, i, P. 102).

c. But woe to him that fearing not to offend
Doth serve his lust, and will not see the end
(*Gorboduc*, IV, ii, P. 115)

---

(2) *W. Farnham: The Medieval Heritage of Elizabethan Tragedy, P. 352.*

Traitor to kin and kind, to sire and me,
To thine own flesh, and Traitor to thyself (*Gorboduc*, IV, i., p. 105).

Parallelisms are abundant in Seneca's tragedies and in *Gorboduc*. Naturally there must be mental affinities between *Thyestes* where Atreus and *Thyestes* are rivals for the throne, and *Gorboduc*, where Porrex grudges his brother's position and plots to dethrone him,

Length of speeches is a feature of Seneca's tragedies and of *Gorboduc*. In *The Trojan Women* (I, P. 155) the speech of Hecuba amounts to about eighty lines. In *Gorboduc* philander (P.80) delivers as peech of about ninety linet. Numerous exam ples can be found in a casual look at the texts of the two plays. lengthy speeches remind us that Seneca is deep–rooted in Nor-ton and Sackville. They just followed Seneca, though at the value of dramatic grace, for such a length would be unaccep-table in amodern play. Long speeches which blemish the work of Seneca do mark the play of *Gorboduc* on the stage. Such long speeches in tragedy are to be looked for in on prototype other than Seneca. such long deliveries give the authors "opportu-nity for rhetorical expansion".(1)

Seneca's poetry is philosophical rather than dramatic Reflective passages are abundant. The reflections are sparkled with charming epigrams. Most of them bear upon the stoic or rather pessimistic philosophy where there is much to suffer and little to enjoy. Epigrams are easily confounded with adages, but the two kinds of verbal accomplishm ent are easily differe-ntiated if we recollect that an epigram lays the faculty of wit under contribution, whereas the adage is usually self–explain-ing. These are some examples from Seneca's tragedies:

---

(1) J. W. Cunliffe: P. 22.

the language. We first note the rhetoric, We note the Senecan declamtion, bombast, and rant, Since the plays are not acted, they tend "to have less and less action, and the whole burden is thrown upon the language...... Seneca's audience was steeped in rhetoric. ,, (1) Declamatory speeches are omnipresent in seneca, mainly because the author never thought of the question of staging, but meant the plays to be read at leisure.

It is self-evident that very frequent declamations hamper the action on the stage, by making the speech sound more like a homily than a business like talk accompanying action. so in Seneca's *Phaedra* we readi

O woman
First of all womankind in wickedness,
Worse than your mother! as your sin is worse
Thna hers who was the mother of
a monster (*Phaedra*, II. P. 125)

on the other hand, in *Gorboduc* it is easy to nota the various linguistic devices, the force of language, the effusion of passion, the repeated use of apostrophe and the rhetorical questions.(2) The following speech of Videna is obviously a soliloquy which is entirely Senecen and was destined to be a feature of Elizabethan tragedy:

O hateful wretch o heinous traitor both to heaven
and earthi
Thou Porrex, thou this damned deed hast wrought:
Thou Porrex, Thou, shall dearly bye the same,

---

(1) *F. L. Lucas: Seneca and Elizabethan Tragedy, p. 57.*
(2) *See, L.A. Seneca: Four Tragedies and Octavia (English Translation with an introduction by E.F. Watling), P. 34.*

Whenever one thinks of a possible model that was a favourite with Elizabethan tragedians it is the name of Seneca, not that of Aescylus, Sophocles, or Euripides that instantly comes to the mind, though the three Greeks were avowedly greater and better artists than seneca, who was "the most modern of the ancients" (1)

Seneca, of the first century a.d., wrote ten tragedies, of which the best known are: *Thyestes*, *Phaedra*, *The Trojan Women* *Oedipus*, and *Agamemnon*. His tragedies are oratorical. They are replete with rhetoric and declamation. They have been called armchair tragedies lor they are fitter to be read than acted.

The appearance of *Gorboduc* marks the first step from the mere translation of Seneca to the imitation thereof. The English had before been content to translate the latin of Seneca, and the earliest translations were those of *Troades*, *Thyestes* and *Herculrs Furens*, which Jasper Helwood rendered between 1550 and 1561. *Gorboduc* had a legal significance, It was written for the revels of the Inner Temple in (1561-1562). " The gentlemen who wrote *Gorboduc* did so for the law-students of the Inner Temple". (2) The moral which Norton and Sackville intended to point out is essentiall6 niot Senecan for "*Gorboduc* insists on the evils of a divided realm."(3)

In *Gorboduc*, Seneca is fully echoed. His impact ean be traced in (a) the language (b) the form (c) the subject–matter. This paper is concerned only with the echoes in the sphere of

(1) J. W. Cunliffe: *The Influence of Seneca ion Elizabethan Tragedy*, P. 15.

(2) J. E. Cunningham : *Elizabethan and Early Stuart Drama* P.19.

(3) A. K. Mcil wraith (ed.), *Five Elizanethan Tragedies*, World's Classics No. 452, Introduction, p. 20.

SENECAN ECHOES IN THE LANGUAGE OF GORBODUC *

By Jumah Kareem Hameed (Dept. of Languages, Collega Of Education, Univ. of Mosul).



۷۲۲

(*) *The research has been Written under the cup revisian of Joseph Nadir.*



19– Essal on Criticism, II, 289.

20– A Description of the Wordsworth and ColeridgeIMSS in Possesion of Mr. T. Northon Longman, p. 19.

21– Barstow, pp. 139–40.

22– Raysor, p. 12.

23– Preface to the LIrical Ballads of 1800.

24– Barstow, p. 172.

25– Ibid, p. 181.

26– Raysor, p. 26.

27– Ibid, p. 10.

28– Ibid, p. 13.

Notes

29– J. Beattie, Essays on PoetrI and Music, 3rd. ed., (London, 1779), p. 66.

30– Ibid, pp. 193-4, 245.

31– Alan S. IDowner, ed, English Institute Essays, 1952, "Wordsworth and Cojhridg6 onfDiction and Figures,"

ccffl to "TheIThoan",Iadded to the L rical Ballads of 1800.

۹۲۵

NOTES

WORDSWORTHS THEORY OF THE IMAGINATION I

1– T. M. Raysor, Wordsworth and Coleridge Selected Critical Essays, (New York, 1958), p.2

2– LC, II, 830.

– Letters. I, 48 (Lamb Letters).

4– Marjorie Barstow Greenbie, Wordsworth's Theory of Poetic Diction, (London, 1966), p. 120.

5– Monthly Magazine, July, 1796. (2,452).

6– (London, 1823), Lecture iXXXVIII, p. 51.

7– M.H. Abrams, The Mirror and the Lamp :Romantic Theory and Critical Tradition, (New York, 1953), P. 95.

8– (London, 1823) Lecture XXXVIII, pp. 512, 513-14, 518.

9– Raysor, p. 13.

10– James A. W. Heffernan, Wordsworth's Thyor1 of Poetry: The Transforming Imagination, (London,), p. 60.

11– Raysor, p.

12– Ibid, p. 11.

13– BL,I,14 19.

14– Shelley's Letters and Philosophical Criticism, pp 156-8.

15– Raysor, p. 20.

16– Ibid, p. 26.

17– Ibid, p. 16.

18– M. H. Abrams, The Mirror and the Lamp, (New York, 1953), p. III.

is the reason why Wordsworth's Preface is notable. "It made the diction, rather than plot, character, or design, the central and engrossing subject of critical inquiry, and secondly, because it sheared away the rhetorical frame in which this topic had been traditionally treated,." 31

The neo-classical theory of poetry confirms that the language must be appropriate to the matter signified, to the effect intended to be produced, to the character concerned, to the incidental situation and to the momentary state of mind of the speaker who gives it utterance . The last requisite shows the relationship between passion and the use of figurative language. Abrams calls this theory rhetoric theory in theJbasic sense that it conceived of poetry, like rhetoric, to be an act of achieving effects on an audience, and looked upon the various elements of a poem chiefly as so many means toward that end.Abrams is justilied to assume that Beattie's terms and criteria have become sacred in Words worth's Prefa ce.Beattie believes that passion is one of several factors determining the propriety of diction in a given instance. For Wordsworth, it is the only source and sanction of poetry. He wrote in 1800, "Words, a poet's words more paricularly, ought to be weighed in the. ballance of feeling .... for the reader cannot be too often reminded that poetry is passion." 32 By this he means the poet's feeling that is recollected in tranquility and not the words of the character.

just as spontaneous is another prime criterion of his. Wordsworth believes that such a standard was set by his predecessors who wrote from passion excited by real events. They wrote naturally and as men: feeling powerfully as they did; their language was daring and figurative. To him modern poetry became false when poets started to use figures of speech mechnically when they are not related to the feelings and thoughts expressed. The result is of course a language "insensibly produced differing materially from the real language of men in any situation." 26 Only the figures of speech that embody the feelings are natural and integral. He also believes that if the poet's subject be " judciously chosen, it will naturally and upon fit occasion, lead him to passion, the language of which-must necessarily be dignified and variegated, and alive with metaphors and figures, 27 The poet should make a selection to eliminate he vulagrity and meanesss of ordinary life, "Such a language will give pleasure to the reader. Therefore, there is no need to deviate from natural language. Hence, ornaments are unnecessary. They are arbitrary and capricious."

It has previously been pointed out that according to Wordsworth, "the poet writes under one restriction only, namely, the necessity of giving immediate pleasure to a human being", .28 This viewpoint is expressed in his preface of 1800. But at an earlier date Wordsworth attacked James Beattie's essay of 1776 entitled" Poetry and Music as They Affect the Mind"Beattie tells us in his essay," the end of poetry is to please be imitating nature". 29 He adds that, "since poetry imitates nature, the language of poetry must be an imitation of the language of nature, and by natural language," he says, he means speech "Which is suitable to the speaker and to the occasion including the passions which move the speaker at the moment of utterance. "30 This according to M. H. Abrams,

ult of conscious art as the language of Paradise Lost. "24 it is true that to stick to the lower language of men needs an art and a complete awareness of what the artist aims to achieve.

But how far does Wordsworth stick to his concept of the language of poetry as advocated in the Preface to 'The Lyrical Ballads'? It is worthwhile noting in this regard, that the poems added to the 1800 edition are not written in the Longuage op-conversation intwer and middle classes of society. The language, however, is simple and unadorned. This coincides with Miss Barstow's affirmation that, as early as 1800, Wordsworth was already outgrowing the advertisement to 'the Lyrical Ballads' and with it the experimental period of his career. Traces of this are found in his 'Alice Fell', and his defence of the so-called' prosaic language'. She thinks that the original theory continued to interest him until about 1805, the last reprinting of 'The Lyrical Ballads' of 1800, with their preface. Friom 1807-on Wordsworth's works reflect theinfluence ofmany classical and English writers, from whom he derived his phraseology, but it was his theory which tought him how to use the works of these authors. Her final remark on Worhtworth's poetic diction is that, "Through his apparent repudiation of the language of books, he entered into his literary inheritance. " 25

It is obvious that Wordsworth's rejection of the eighteenth-century diction was due to his emphasisofthe natural response to the outside world. Thr poet is an observer, his reaction to what he observes should flow spontaneously, or naturally. So, any natural response should be conveyed in the real language of men, because real is synonymous with natural.

The poet, he thinks, speaks through the mouth of his characters the lan uage of nature. so, natural is his criterion

There is on doubt that Colerdige's failure to understand the language of Wordsworth was because Wordsworth used the language of the lower class with all its peculiarities. By so doing, he thought that he could retain some special realistic features of the speech of the lower and middle class society. The use of such a language was, according to Miss Barstow, never Wordsworth's ideal at any time, but a definition of an experiment that he tried in thirteen out of nineteen poems by him in the first edition of "The Lyrical Ballads"." The Preface, " She says, "is little more than a somewhat unwilling and frankly unadequate attempt to explain this same experiment."23 Wordsworth modified his language later on when he proposed aselection of the real language of men in 1800, softened it in 1802 and emphasized the selective power of the poet.

Only in the advertisement to "The Lyrical Ballads" of 1798 does Wordsworth say that he means to employ the language of conversation in the middle and lower classes of society. Besides, his experiment applies to a part, though a major part of the collection apart from Coleridge's "Ancient Mariner" and other contributions. The poems composing the mino rity are, 'Tintern Abbey','Lines Left Upon a Seat in a yew Tree' The Female Vagrant', " The lines written Near Richmond', and 'The Convict,'. Apart from' the Old Man Travelling', which is written in blank verse, the rest of the poems form ahomogeneous group, clearly reflecting literary influence suggested in the advertisement.

To make the language of the lower and middle classes the medium of poetry Wordsworth had to reject all the devices employed by the eighteenth–century poets to raise poetry above prose. Personifications and periphrasis no longer occur in his ballads. What is most interesting in Miss Barstow's study in this connection is her clever conclusion that, "the language of the Lyrical Ballads is as much the res-

ridge, language means words in themselves, whereas to Wordsworth language means figures of speech or the whole imaginative expression of thought, or, in othe words, the whole body and dress of thought; all that appears to the eye and ear.

Furthermore, she presumes that Wordsworth's use of the term language was at first loose, that he had learned from Hartley that the language of men is vitally metaphorical. So, he affirmed that words are metaphors, because we continuously express an idea in terms of another, and explain images by other associated images. Hence germs of poetic art are found in figurative expressions and illustration.

But why does Wordsworth reject the figurative language of the preceding century and experiment with the language of the lower class? His justification is that the metaphors handed down to us from poet to poet grew little more general or more faded, or probably improper with each transmission. But, because the rustic individual speaks of his own passion and repeated experience, his image is true and more vital.This reasoning justifies Miss Barstow's remark that, it is not fair to accuse Wordsworth of inconsistency of his theory with his practice just because he used the word 'incommunicable, in his poem 'Margaret Lament',

Thus, thou and all thy mates to keep

... ...

An incommunicable sleep.

because Wordsworth's theory has little to do with words in Themselves. She is right to believe that the word could be that of Margaret even thoughs upplied by the poet, because Wordsworth seems to be convinced that his business as a poet is not only " to bring his feelings near to those of the persons whose feelings he describes, nay, for short spaces of time, perhaps, to let himself slip into an entire delusion, and even confound and identify his own feelings with theirs. "22

the art of English poetry. Her detailed and illuminating study ends with some interesting conclusions. One of them is that Wordsworth must have been influenced by Coleridge's theory of the universal language. This theory says that, "There is a permanent body of English words and idioms denoting universal phenomena and experiences which have remained comparatively unchanged since the time of Chaucer. " 20 This she thinks is the universal language of poetry, for it represents the permanent and changeless elements in human life. "If we free the rustic speech from a very few merely local elements and the Lyrical Ballads from a very few archiasms she says, " there remains much the same residuum; and the residuum proves, on examination, to be a body of words common to Chaucer and almost any Englishman of the year 1797."[21] Having examined wordsworth's lyrics Carefully. she found ont that even though Wordsworth had promised to use the language of unlearned men or that of the lower class men,he could not deviate from Keats's glossary to Chaucer. This, no doubt, proves the soundness of the universal language of poetry. It is therefore not surprising that after many centuries one finds some of the most characteristic expressions of an imagination so individual as that of Wordsworth, should be strictly in the vocabulary of Chaucer. Her interesting statistics in this regard say that, of the words in the concordance to the poems of Wordsworth, about sixty percent occur, in some form, in the poetry of Chaucer, sixty eight percent in the poetry of Milton, eighty percent in the poetry of Spenser, and ninety percent in the poetry of Shakespeare. Is not this a proof that Wordsworth's principles of poetic diction coincide with the best traditions of English Literature?

Miss Barstow affirms, however, that Wordsworth's indebtedness to Coleridge does not necessarily mean that they held the same views of the concept of the language. To Cole-

other two first printed from manuscript in Grosart's "The Prose Works of William Wordsworth (1876)" [18]

In this essay Wordsworth attacks Pope's theory, as well as his poetic practice. "True wit," Pope had said, "is Nature to advantage dressed," and true expression consists in giving thoughts their just and appropriate "dress" and ornament. When the poets are unskilled to trace:

"The naked nature ....

And hide with ornaments their want of art"[19] f.alse wit results. But to Wordsworth, all such wit is false and all art– in the meaning of the delibrate adjustment of phrase to sentiment and of rhetoric ornament to phrase serves to pervert what he calls genuine poetry. So, Wordsworth rejects art in the neo classical sense of the term and the concept of lan£uage as the dress of thought and figures as the ornament of lan£uage. For this reason, Wordsworth is justified to say that any one who cares to study poetic diction will see that his principles are in accordance with the best traditions of English literature.

Accepting Wordsworth's declaration, Miss M.Barstow begun her study of Wordsworth's poetic diction. A brief note on this study, as far as I can see, will shed light on Wordsworth's theory of poetic creation in general, part of which is his concept of imagination. Miss Barstow starts with a review of the theories of poetic diction in England before Wordsworth's time. Then she tries to reconstruct the processes of critical thoughts which were responsible for the experiment of the Lyrical Ballads. She also tries to show how these thoughts affected Wordsworth's style, his vocabulary, his syntazx and his rhetorical devices then and afterwards. She has done all this in the belief that Wordsworth's criticism and practice are mutually illustrative, and that both are of supreme value for

In the preface of 1800 and Appendix of 1802 Wordsworth justifies the use of figures of speech when they are naturally suggested by passion instead of being as ornaments. He only condemns mechanical adaptation of figures of speech when they are applied "to feelings and thoughts with which they had no natural connexion whatsoever.,, Because such an adaptation results in the use of language "differing matterially from the real language of men in any given situation." 16.

Neverthless, Wordsworth accepts the figurative language used by the earliest poets, because to him, "they wrote naturally and as men."He believes that natural language is the instinctive and spontaneous overflow of feeling into words and is therefore opposed to the delibrate adaptation of means to an end, or of adherence to specially poetic conventions which characterize art. Hence nature triumphs over art. Nature means the language of nature or the language of mankind opposed to the language of poets, specially the eighteenth-century poets with all it peculiarities.

The language of poetry, according to Wordsworth, shotuld not be coloured by a diction "peculiar to him as an individual poet or belonging simply to poets in general." [17] Since he has already affirmed that the poet is "aman speaking to men", therefore, his language must be the real language of men, or a selection of the real language of men. Setting such a standard of poetic diction according to M.H.Abarms, means that Wordsworth adopts and elaborates the old antithesis between nature and art, and that he declares himself for nature like the aesthetic primitives of the preceeding age. He adds that this declaration is "implied throughout the Preface, and made explicit in his tripartite essay Upon Epitaphs, one part of which was published in "The Friend" in 1810 and the

> any passions whatsoever, which are voluntarily described, the mind will, upon the whole be in a state of enjoyment. if nature be thus cautious to preserve in a state of enjoyment a being so employed, the poet ought to profit by the lesson held forth to him, and ought especially to take care that whatever passions he communicates to his reader, those passions, if his reader's mind be sound and vigorous, should always be accompanied with an overbalance of pleasure. 15

When dose the feeling get so powerful as to flood unrestrained ? wordsworth informs us that its origin is emotion recollected in tranquility. Before composition starts, the tranquilitydisappears and afeeling analogous to the remembered one "is gradually produced and does itself actually exist in the mind." (Pw, II, 400-401) . At such amoment the poet should abandon himself completely to the resurrected passion, but should use modified language. He affirms that the poet should keep his eye on the subject steadily. And that before the composition starts, he should think long and deeply. He should also realize that he is speaking to men and not poets as a class. At the moment of composition it is crucial that the overflow of feeling be spontaneous and free both from the delibrate adaptation of conventional language to feeling, and from the delibrate bending of linguistic means to the achievement of poetic effect.

Wordsworth does not actually reject the conception that poetry is a delibrate art. His sister Dorothy admits in her journal that once the poems of Wordsworth are composed, they may be subjected to long and arduous revision. This reminds me of the efforts of Pope when he sought perfectioni his poems .

Wordsworth's concept of creative sensibility could also be traced in other prose works, i.e. his commentaries on." The Recluse", "The Prelude" and others, but in his Preface of 1800 it has become broader and more mature. He describes the poet as aman who is" endowed with more lively sensibility, more enthusiasm and tenderness." aman who "rejoices more than other men in the spirit of life that is in him"[12] Coleridge, on the other hand, admits that the born poet has sensibility and that together with the depth of emotion they constitute essential components of genius. [13] Shelley, as well, emphsizes the delicate sensibility and vulnerability to the temptation of the born poet.[14]

As amatter of fact, Wordsworth's emphasis on the significance of sensibility overbalances that of natural response. Apoet's creative sensibility could check and balance his spontaneous utterance. This viewpoint is made clear in his later writing, while his Preface of 1800 emphasizes natural response. "poetry", says Wordsworth is

> "the spotaneous overflow of powerful feelings
> it takes its origin from emotion recollected
> in tranquility; the emotion is contemplated
> till, by a sypecies of re– action, the tranquillity
> gradually disappears, and an emotion, kinder–
> ed to that which was before the subject of
> contemplation, is gradually produced, and
> does itself actually exist in the mind· in this mood
> successful composition gernerally begins, and
> in a mood similar to this it is carried on; but
> the emotion, of whatever kind, and in whatever degree, from various causes, is qualified by various pleasures, so that in describing

"Come forth," concludes "The Tables Turned", and "bring with you a heart that watches and receives." (PW, IV,56–57). These poems, together with the fragments of the same period emphasized the idea that the mind must surrender itself wholy if it is to communicate with nature.

Being sensible means to be always alert to every tone and shade in nature, and to have the readiness to receive. It also means that the mind of man is united with nature. This concept preached and practised by Wordsworth has also been affirmed by Coleridge. "A poet's heart and intellect" he says, "should be combined, immediately, and unified, with the great appearances in Nature. "(LC, II, 864). Wordsworth goes further as to suggest that man gains wisdom by his loving surrender to the impluses of nature. Furthermore, man's soverignty over the universe is grounded in his capability of feeling what

(Is) to be felt; in being rapt away

By the divine fact of power and love (Pr. VIII,635–636)

The capacity to respond involves the capacity for creative attribution. In the 1802 addition to the Preface of 1800, Wordsworth describes the poet as" a man pleased with his own passion and volitions, delighted to find them in others, impelled to create them where he does not find them." (PW, II, 393). Heffernan is, therefore, justified to presume that in Wordsworth's view transference of feeling is the essence of imaginative apprehension.

According to aprevious assumption the feelings are conveyed by the poet in thoughts. This means that they are related to each other. For abetter acquatance of the connection between thought and feeling reflection is needed' The Preface of 1800 tells us that the poet's feelings are governed by" habits of meditation," and that long and deep thoughts make good poets.

remained the criterion of poetic value. What adds more significance to feeling is the Wordsworthian assumption that it is linked to the imagination. He believes that both are vital to poetry and that imagination is instigated and energized by feeling. The feelings of a poet, says Wordsworth, "urge him to work upon objects in the spirit of genuine imagination." (PW, II, 420).

The experience of such a feeling presupposes the acquision of sensibility. The poet to Wordsworth is not an ordinary man. He differs in kind, not in degree from other men because he is endowed with an exceptional sensibility. Heffernan claims that Wordsworth's interest in this special capacity antedates even the Preface of 1800, for two poems in" The Lyrical Ballads" of 1798 define the first principle of sensibility: surrender of the mind to nature. In both" Expostulation and Reply" and" The Tables Turned", Wordsworth scorns the inquisitive mind in favor of the receptive heart. Convinved that our bodies feel whether we will or not, he suggests that our minds can likewise be fed in a wise passiveness.[10] Wordsworth believes that the one who acquires this sensibility is elevated above another in proportion as he possesses this capacity. It is, therefore, the poet's responsibility to produce, and enlarge this capacity in the reader especially at the present day, because now there are multitude of causes that try with a combined force to blunt the discriminating power of the mind. Some of these causes are the great national events which are daily taking place, and the increasing accumulation of men in cities and other reasons.[11] The reader may be reminded at this point of Blair's Lecture and what it says about the effects of the advancement of civilization on poetry. For this reason, Wordsworth persuades his scholarly friend to abandon his books for nature–for the "one impulse from a vernal wood" which may generate more wisdom than all the learned sages.

Wordsworth's emphasis of the role of feling in the process of artistic creation is one of great significance. It marks a revolt against the prevailing literary notions of the eighteenth–century. It also means the rejection of form, or the triumph of nature over art. For "all good poetry," Wordsworth says is "the spontaneous overflow of powerful feeling. "M.H.Abrams considers this a turning–point in English literary theory, because never before that date the feelings of the poet was a centre of critical reference. Heffernan on the other hand calls him "the poet of feeling and passion". To him, Wordsworth reinforces his argument of the Preface by stating : Poetry is passion: it is the history or science of feelings. "(PW, II,513). In "The Prelude", he says he was "impelled to write with the sanctity of passion" on "the heart of man", (XII,238–241).

According to Wordsworth, our feelings represent our past experiences. Long and deep thoughts modify these feelings and direct them. The outcome is the utterance of sentiments that would enlighten the understading of the reader and strengthen and purify his affections. If this could be achieved, the motive behind the writing of poetry would be justified. For, "the poet writes under one restriction only, namely, the Jnecessity of giving immediate pleasure to a human being" Wordsworth was dissatisfied with Dryden's poetry, because it seemed to have no poetic truth as it was "neither of the imagination, nor of the passion." (E Y, 541). Even at a later date Wordsworth retained the same attitude. In 1815 he expressed distaste for the "unfeeling language." of Bishop percy's contemporaries. (PW, II,422). In, 1927 he wrote to W.R. Hamilton, "Your verses are animated with true poetic spirit as they are evidently the product of strong feeling" (LY, I, 274). By so doing, he proved that the feeling to him

simple words like the language of "real men" or a "Selection of the language of real men", because only such words could embody and convey natural response on one hand, and because the poet is "a man speaking to men" on the other hand, therefore his language should not deviate from the language of men. Such a language is competent to express emotions, using its own sources of figures of speech and rhythm. But the one who could convey such impassioned utterance is more than a man. A superior kind of man because he is distinguished from other men by his inheritance of an intense sensibility and a susceptibility to passion. Besides, the Prepace stresses the notion advocated by Wordsworth´'s predecessors that the end of poetry is to give pleasure, to subtlize the sensibility, emotions and sympathies of the reader. Moreover, poetry depends for its subject matter on 'incidents and situations from rustic life', i.e. rustic people are to replace the refined upperclass portrayed by the eighteenth – century poets, because being simple, naive and without affectation they express themslvese truly and naturally.

These are in brief the main concepts advocated by Wordsworth in his Preface of 1800 and the Appendix of 1802. The rest of the arguments revolve in one way orthe other

these prominent notions. But how far original are these principles needs to be determind, or how far did Wordsworth stick to them is worthy of investigation. For this reason I intend to focuss mainly on Wordsworth's Preface together with essays and notes that supplemented it and to show at the same time how these concepts are demonstrated in his poetry, and whether or not he sticks in his practice to the concepts he holds throughout his long career as a poet. Beside, it is important to look back in an attempt to show Wordsworth's indebtedness [illegible]

sion makes us see them.' The same passionate impulse would prompt' a certain melody, or modulation of sound, suited to the emotions; "in this way," argues Abarm?, "arose both poetic meter and the art of music."7 We will see soon how Wordsworth expresses similar concepts in his Preface. Moreover, Balir's view on the effect of the advances in civilization on poetry comes close to Wordworth's distinction between the genuine language of feeling and the mechaical simulation of this language, by artful poets who substitute ornament for emotion. " In its ancient original condition, " " Says Blair," Poetry spoke the language of passion and no other; for to passion, it owed its birth... In after agé, when poetry became a regular art, studied for reputation and for gain, authors... endeavoured to imitate passion, rather than to express it; they tried to force their imagination into rapture?, or to supply the defect of native warmth, by those artificial ornaments which might give composition a splendid appearance."8

A clote examination of Wordsworth's Preface of 1800 shows that agood deal of its content has been derived from Blair's Lectuer and Enfield's Essay, beside the influence exerted by Coleridge which could amount to Wordsworth's access to some notes written by Coleridge, or some ideas expressed by him when they exchanged views in the years of their deepest intimacy, from 1797 to 1804.

First and foremost, Wordsworth lays a special stress on the notion that poetry is an impassioned expression. He advocates the concept that poetry is 'The spontaneous overflow of powerful feeling', that it takes' its origin from emotions recollected in tranquility', that it is the outcome of a natural response, and the vehicle of an emotional state of mind, that it is the expression of feeling in thought, that because it is deeply felt and unaffected the impassioned expression must flow in

taste. Miss Barstow, in her most illuminating study of Wordsworth's poetic diction, finds the substance of this article parallels closely Wordsworth's Preface. Enfield cites Blair's Lecture (together with the Platonic doctrine of inspiration) as source of his poetry. He believes also that simple people feel strong passions and express them strongly in a language which would be bold and figurative, and would sometimes flow in a kind of wild and unfettered melody, and that in any age the excited state of mind, which poetry supposes naturally prompts a figurative style.

As a matter of fact we are not quite sure that Enfield's article had prompted the writing of Wordsworth's Preface or formed its germ.

Another document mignt have influenced the Preface of 1800; namely, Blair's Lecture on "Rhetoric and Belle Letter", published in 1783. Before Wordsworth's preface, Blair's article served as a manuel of oratory, composition, poetics and general aesthetict. In his article Blair rejects both notions, that the essence of poetry is fiction and that its defining character is imitation. He defines poetry as "the language of passion, or of enlivened imagination, formed, most commonly, into regular numbers".

According to Blair, "the praimary aim of poetry is to please, and to move, and therefore, it is to the imagination, and the passions, that he speaks". to justify his definition Blair reminds us of the kind of poetry described by travellers like the primtive Indians in north America. This type of poetry is mainly in the lyric form and is characterized by the use of figures of speech, for words would appear in the order 'most accomodated to the cadence of passion', and objects would be described not such as they really are, but as the pas-

Lamb shared with Coleridge his love for simplicity. In his letter to Coleridge, Lamb advises him to"cultivate simplicity" and to "banish elaborateness; for simplicity springs spontaneously from the heart and carries into daylight its own mod est buds, genuine, sweet, and clear flowers of expression." 3 Both Coleridge and Lamb found this simplicity in Bowles "The only natural poet in our language," says Coleridge.

By that time, both Southey and Coleridge were condemned by "The Critical Review" for their revolutionary views. This magazine represented the conventional attitude with regard to poetic diction; poetry has a language peculiar to itself. The prevailing eighteenth – century attitude was, in brief, no liberties with order, grammar, and syntax;but a vocabulary raised above prose and averse that always scans in the approved fashion. 4

About the same time, an article appeared in the monthly magazine of July 1796 which anticipated Wordsworth's preface and the Appendix on poetic diction. The article was entitled "Is Verse Essential to Poetry?" No one knows whether Coleridge was responsible for it or not, but it reflected his nion. The writer decides that verse is not essential to poetry. His argument goes as follows:

> "Those writers appear to have approached nearest to a true definition of poetry, who have understood it to be the immediate offspring of a vigorous imagination and quick sensibility, and have called it the language of fancy and passion." 5

at a later date the writer of the article who was thought by Miss Barstow to be Coleridge, happened to have been the Rev. William Enfield. essayist, anthologist and author of a book on

So, Wordsworth must have shared Colerige some views on poetic principles and poetic criteria. Coleridge was indeed friend, a collaborator and a guide. He was also an inspiring figure with whom Wordsworth walked and conversed most of his days when they lived as neighbours, This also means that, while dealing with Wordsworth, Coleridge's presence is inescapable. It is therefore impossible to isolate Wordsworth's concept of imagination from that of Coleridge, even though they differ in many things. "The Prelude" afterall is said to be Wordsworth's letter to Coleridge and "The Biographia Literaria" was Coleridge's reply. It was Coleridge who had persuaded Wordsworth to write "The Preface" to the edition of 1800, to defend their book and to illustrate their experiment. No wonder then that he claims that "The Preface" is "Half the Child of his brain."2

There is no doubt that during the years of their deep intimacy, every one of them left his imprint on the other one. But what concerns me for the moment is to investigate Wordsworth's indebtedness to Coleridge as aprominent romantic theorist.

Before Coleridge met With Wordsworth, he expressed dissatisfaction with the French School of Poetry which had predomonated in Pope's time. He declared that many had formed their taste and their notions of poetry from the writings of Pope and his followers, but Pope's poems gave him little pleasure. He admitted that he even denied such poets the legitimate name of poets. He thought that the excellence of this kind consisted in just an acute observation of men and manners in an artificial society. However, he admired Bowle's Sonnets and considered them models of simplicity and tenderness.

make them seem as if natural. Like any revolutionary book, 'The Lyrical Ballads' was not a welcome. Wordsworth was advised by friends to "prefix a systematic defence of the theory upon which the poems were written". I But he was unwilling to undertake the task at first, as he did not like to influence the reader into an approbation of his poems.

Wordsworth 's great concern for his new poems, most of which he called experimentary, together with his desire to give his word about the revolutionay currents of thought recently brought about by his contemporaries, i. e. Lamb, Coleridge, Blair and others instigated him to write his essay which accompanied his edition of 1800. This philosophical treatise lays down Wordsworth 's principles on the writing of poetry and poetic criteria. In 1802, the essay is supplemened by an Appendix.

The addition made ofWordsworth's preface of 1800 twice as long, and indicates an important change in this poetic theory Like any other revolutionary document, the preface became an object of controversy; highly praised by some and condemned by others. But before one could justly evaluate this important literary document one has first to know what concepts it advocates and how far original these concepts are.

Before listing the propositions made by Wordsworth in his preface and deciding whether or not they are entirely original, abrief survey of the currents of thought prevailing during the eighteenth-century is necessary, together with the new concepts brought about by his predecessors. Such asurvey would throw light on Wordsworth' soriginality as a theorist.

It is apparent that wordsworth collabrated with Coleridge to produce "The Lyrical Ballads" and that its publication in 1798 mrvked the beginning of romanticism in England.

Wordsworth did not stick to this concept in his later days. The concluding book of the 'Prelude' speaks of adifferent kind of imitation, because the poet's imgination does not imitate the products of nature, but rather her creative action, especially her power to transform and to unify natural objects. Through this approach the meaning of these objects is revealed–a meaning not imposed upon them, but discovered within them.

What Wordsworth had demonstrated in his poetry, was either laid as aprinciple of poetic creation, or poetic criteria in his prose work, or hinted at in his comments on his poems. His preocupation with his work persuaded him to study his experience as apoet, or his poetry as acritic and so, created of him an interesting theorist.

In his letters, essays, recorded fragments of conversation and often in his potery, Wordsworth gives us an insight into the way his poetry was made and his imagination responded to the world about him. The most interesting of these works which shed light on his concept of imagination is his Preface to 'the Lyrical Ballads'. An essay, probably started at first by both Wordsworth and Coleridge together, and then became one of the most significant landmarks in English criticism. A sound literary document which introduced ' The Lyrical Ballads' of 1800.

'The Lyrical Ballads' was first published in 1798 in collaboration with Coleridge. A collection of Lyrics the longest of which is Coleridge's 'The Rime of the Ancient Mariner'. We were told that they had decided to divide the task among themselves; that Wordsworth was to give the charm of novelty to common things, so that they may look unusual by throwing upon them certain colouring of the imagination, and that Coleridge was to deal with supernatural events in such a way as to

Darbishire (oxford, 1952). Except where revisions materially affect the meaning of a passage, I have quoted from the final (1850) text of all poems. From this edition also quotations are made from his comments on his poems which Wordsworth indicated to Isabella Fenwick in 1843, and the following critical papers: "Advertisement to the Lyrical Ballsds, 1798, "cited as Advertisement of 1798; "Preface to the Second Edition of Several of the Foregoing Poems, Published, with an Additional Volume under the Title of 'Lyrical Ballads," cited as Preface of 1800; "Appendix," cited as Appendix of 1802; "Essay, Supplementary to the Preface," cited as Essay of 1815; and "Preface to the Edition of 1815, "cited as Preface of 1815.

WORDSWORTH AND THE THEORY OF IMAGINATION

Wordsworth, the first great romantic poet is also the most influential theorist. To study his theory of poetry, we must consider his concept of poetic creation, in general and his concept of imagination in particular.

It is well known that wordsworth's revolutionary predecessors; Blair, Blake and others had dethroned reason and installed imagination as the king of the mind's faculty.Wordsworth went one step further when he led the reaction of feeling against form, and made the poet's feeling the center of poetic reference. By doing so, he prompted a shift from the eighteenth–century concept of poetry as an imitation of nature, to the nineteenth–century concept of poetry as an impassioned product of the poet's mind and heart.

Abbreviations

BL	S. T. Coleridge. Biographia Literaria. Ed. J. T. Shawcross. 2 volt. Oxford, 1907.
CR	Henry Crabb Robinson on Books and Their Wrie ers. Ed. Edith J. Morley. 3 vols. London, 1938.
BY	The Letters of William and Dorothy Wordsworth: The Early Years, 1787-1805. Ed. Ernest de Selincourt. 2d ed. rev. by Chester L. Shaver, Oxford, 1967.
LC	Collected Letters of Samuel Taylor Colerige. Ed, Earl Leslie Griggs. 4 vols. to date,. Oxford, 1956 1959.
LY	The Letters of William and Dorothy Wordsworth: The Later Years. Ed. Ernest de Selincourt. 3 vols. Oxford, 1939.
MY	The Letters of William and Dorothy Wordsworth: The Middle Years, Ed. Ernest de Selincourt,. 2 vols. Oxford, 1937.
Prelude	William Wordsworth. The Prelude: or, Grouth of a Poet's Mind. Ed. Ernest de Selincourt. 2d ed. rev. by Helen Darbishire. Oxford, 1959.. Unless otherwise indicated, references are to the text of 1805-1806. References to pages vii-lxxiv and to pages 509-642 are to the editor's Introduction and and Notes.
PrW	The Prose Works of William Wordsworth. Ed. Alexander B. Grosart. vols. London, 1876.
PW	The Poetical Works of William Wordsworth. Ed. Ernest de Selincourt and Helen Darbishire. 5 vol. Oxford, 1940-1949. 2d ed. of Vol. II rev. by Helen

Notes

Introductory Note

1– C. M. Bowra, *The Romantic Imagination*, (Cambridge, 1949) p. 1
2– Ibid, p. 3.
3– Ibid, p. 4.
4– S. T. Coleridge, *Biographia Literaria*, ed. by Shawcross 2 vols. (Oxford, 1907), I, 59.
5– Bowra, p. 7.
6– Letters of S. T. Coleridge, ed. by Ernest Hartley Coleridge 2 vols. , (Lond n, 1895), I, 352.
7– Vision of the Last Judgement in Poetry and Prose, ed.G. Keynes, (London, 1946), 651.
8– Bowra, p. 9.

intuition, is more likely than the analytical reason to make discoveries on matters which really concern us. "8

From this brief commentary it may sound logical to attempt a closer examination of at least the three greatest literary documents on the doctrine of imagioation: namely, Wordsworth' s ' Preface to the Lyrical Ballads'. and the'Appendix' of 1802, Coleridge's Biographia Literaria' and Shelley 's' Defence of Poetry'. This effort aims at a better understanding of the concept of imagintion as expounded by these three great romantic theorists, and then to see whether or not these theories are put into practice. After all, we all know that the romantic writers are not theorists in the broad sense of the word, and that the theories laid in these outststanding manifestoes of romanticism usually defend or illustrate what had already been written rather than show how poetry ought to be written.

> " If the mind be not passive, if it be indeed made in God's Image , and that, too , in the sublimest sense , the Image of the Creator , there is ground for the suspicion that any system built on the passiveness of the mind must be false as a system. " 6

Such an argument forms the ideological loundation of romantic poetry. The romantic poet, unlike the Augustan poet is under no restraint to follow nature, because he has a special access to the secrets of nature. Hence there is a split between the poet and the man of the world, which was unknown to the eighteenth-century. The Coleridgean doctrine of imagination provides the philosophic background for Shelley's dictum, "Poets are the unacknowledged legislators of the world,"

Shelley defines poetry as the expression of the imaginat-ion in his 'Defence of Poetry', and Keats assures us in his letter to his brother George 18 Sept. 1819, that he "describes" what he"imagines". These remarks coincide with Ficht's subjective philosophy that "the very existence and shape of the world depend entirely on the vision of the individual imagination. The table or the tree is because and as we see it; or, as Blake put it when he was asked "When the sun rises, do gou not see a round disc of fire somewhat like a Guinea? 0 No, no I see an Innumerable company of Heavenly host crying "Holy, Holy, Holy is the Lord God Al-mighty". 7

Coleridge too stressed the supremacy of the world of spirit which was denied by John Locke. To him, the world of the spirit is the only reality. Bowra is right to believe that this Coleridgean conception was due to the fact that, being a poet and a metaphysician as well, Coleridge had an intense sense of an inner life, together with a belief that, "working with

or the philosopher. The latter describes things as they actually are, whereas the first portrays the facts combined with and controlled by a peculiar insight. Coleridge praised Wordsworth for this in his 'Biographia Literaria'.

> It was the union of deep feeling with profound thought ; the fine balance of truth in observing , with the imaginative faculty in modifying the objects observed ; and above all the original gift of spreading the tone , the atmos - phere , and with it depth and height of the ideal world around forms, incidents, and situations , of which, for the common view, custom had bedimmed all lustre,had dried up the sparkle and the dew drops.4

Moreover, imagination and insight, for them are inseprable. Insight awakes the imagination to work and is in turn sharpened by it when it is at work. Bowra thinks that this is the assumption on which romantics wrote poetry. So "when their creative gifts are engaged," he argues, " they are inspired by their sense of the mystry of things to probe it with a pecuiar insight and to shape their discoveries into imaginative forms."5

This reasoning led to the acceptable conclusion that, so long as imagination works in this way, it cannot be accused of an escape from life or of being no more than an agreeable relaxation.

Being concerned with an insight into the nature of things the romantics rejected Locke's limitation of the perception of physical objects. They thought that such an assumption robs the mind of of its most significant function which is not only to perceive but to create. On this Coleridge makes his conclusion:

escape from it. Bacon expresses this view in his "Advancement of learning,"

> "The imagination, being not tied to the laws of matter, may at pleasure jo n that which nature hath severed and sever that which nature hath joined, and so make unlawful matches and divorce of things."

But the romantics were not contented with an escape from the cares of ordinary life. They held the notion that imagination is a divine faculty, concerned with the central issues that are unseeo forces at work. Its essence is to fashion, shape and display these forces. The poet who acquires this divine facwlty is capable of giving these forces their significance. He could make these forces appealing to the reader and comprehensible, by throwing upon them the light of his imagination.

In his 'Preface' to 'The Lyaical Ballads', Wordsworth speaks of poetry as the work of imagination and assures us that common incidents and situations could be presented to the reader as if they were unusual things just by throwing over them "certain colouring of imaginatiin".He shares Coleridge's views that the poetis aiman with an exceptional power and that he may assume the role of a prophet since the eye of imagination allows him to see beyond the surface of reality to the immanent ideal. The poet is a so conscious of the chasm between the transient commonsense of appearance and the eternal infinite realm of truth, godness and beauty.

The romantics insisted that when imagination is at work, it reveals a special kind of truth to which the ordinary intelligence is blind. The romantic artist has a special insight which enables him to see into things and to discover the truth. Yet his representation of the truth differs from that of the scientist,

Blake considers the world of imagination as the world of "Eternity". This world to him is "the divine bosom into which we shall all go after the death of the Vegetated body."[2]

According to Coleridge, imagination is of first importance, because it partakes of the creative activity of God. In his 'Biographia literaria' ,he expounds his theory of imagination while discussing the distinction between imagination and fancy, and the differences between primary imagination aod poetic imagination. His concept claims that the poet is in possession of some voluntary power, which is in some sense not only one with the power that is active in all human perception, but is even a human analogy to the creative power of God. This exalts the poet as a man with some special insight into the nature of things. This claim was held by Wordsworth, Shelley and Keats. To them, imagination is concerned with a supernatural order. Bowra tends to believe that the romantic poetry derives much that is most magical in it from such a claim, "but the danger of so bold an assumptiom," he argues, "is that the poet may be so absorbed in his own private universe and in the exploration of its remoter corners, that he may be unable to convey his essential experience to other men and fail to convert them to his special creed."[3] Whatever their claim was, they were convinced that imagination is related to truth. The difficulty they faced is to convince the reader that what they portray in their poetry is the truth when they give free play to their imagination. Many readers tend to take these creations of the imagination as mere fantasies. This problem had troubled the Elizabethans before. Shakespeare associated the poet with the lunatic and the lover. To most of them the creation of the imagination has nothing to do with actual life and provides no more than an agreeable

This emphasis on imagination according to I.A. Richards, was strengthened by consideratiens which are both religious and metaphysical.

Both Blake and Coleridge rejected Locke's sphilosophy which had predominated for a century and which assumes that the mind of man is passive, "a lazy looker on an external world" This viewpoint found support in an age of scientific speculation as that of Newton. Both Locke and Newton found aplace for God in their Universe.The first one the grounds that in every aspect of nature there is an evidence of the existence of God. The latter on the principle that the great machine of the world implies a mechanic.

Such convictions did not satisfy the romantics, because they ignored the instincts of the individual. So, Locke's views on poetry became atarget of both Blake and Coleridge. Locke stressed the notion that poetry is the task of wit. that wit is to combine ideas and create pleasant pictures and agreeakle visions in the fancy. But it is irresponsible and not troubled with truth or reality.

The rgomantics reeicted this notion on the assumption that it robs their work of its essential connection with life. To both Blake and Coleridge, Locke represents a deadly her-esy on the nature of existence .They rejected his conception of the universe and replaced it by their own sytsem in which the mind of man is their central point and governing factor . They insist, being poets, that the most vital activity of the mind is imagination.

With the romantics imagination came to the forefront and became one of the major concerns of the romantic theo rists.

Intorductory Note:

As far as the eigteenth–century poets are concerned, imagination is not a cardinal point in poetical theory. For Dryden, Pope, Addison and others it has little importance. They thought that what matters most in poetry, is truth to the emotions. But they approved of fancy, provided that it is controlled by judgement. Also, they admired the use of images.

They neglected personal feelings and wished to speak in general terms. For them the poet is an interpreter rather than a creator. His business is to display the mystries of life with as much charm as possible and to adhere to the truth as far as he can manage.

For the romantics, imagination is fundamental because without it poetry is impossible. The born poet is a gifted person. His gift is a capacity to create imaginary world. To curb such a capacity is to deny the poet something vital for his existence. But if he experiences this exceptional capacity without restrictions or restraints, he will produce genuine and strong poetry.

Before the romantics, a group of poets came to lay stress on naturalness, spontaneity and primitiveness in poetry. These tendencies could easily be traced in Thomson's " Castle of Indolence,"Young's "Night's Thoughts,"Gray's "Elegy written in a Country Churchyard,"and Blair's"The Grave". The romantics came later to emphasize the selfsame concepts and to lay special stress on imagination. Sir Maurice Bowra calls our attention to this fact in the first statement he makes in his remarkable study of the romantic imagination.

> "If we wish to distinguish a single characteristic which differentiates the English Romantics from the poets of eighteenth–century, it is to be found in the importance which they attached to the imagination and in the special view which they held of it"[1]

The Concept of Imaginatim Between Theory and Practice

Fatima Saeed Daoud





9 . J.W. Oller and D. H. Obrecht, Pattern Drill and Cmmunicative Activity: A psycholinguistic Experiment. IRAL, Vol. VI/2, May 1968.

10. J. Ornstein and V. Lado, Research in Foreign Language Teaching Methodology. IRAL 1967.

(P. T. O.)

11. G.A.C. Scherer and M. Wertheimer, *A Psycholinguistic Experiment in Foreign Language Teaching*. New York 1964.

12. D. A. Wilkins, *Linguistics in Language Teaching*. London, 1974.

13. D. A. Wilkins, *Notional Syllabuses*. London: O.U.P. 1976.

BIBLIOGRAPHY

1 . S. Belasco, *C'est la guerre? Or Can Cognition and Verbal Behaviour Co-exist In Second Languge Learning?* MIJ. Vol. LIV/6. Oct. 1970.

2 . N. Brooks, *Language and Language Learning: Theory and Practice*, New York, 1964.

3 . J.B. Carroll, Research on Teaching Foreign Languages. In N. L. Gage, *Handbook of Research on Teaching*. Chicago: Rand McNally, 1963.

4 . T. Chomei and R. Houlihan, *Comparative Effectiveness of Five Language Laboratory Methods in Relation to Visuals.* IRAL, Vol XII/4. Nov. 1974.

5 . T. von Elek and M. Oskarsson, An Experiment Assessing the Relative Effectiveness of Two Methods of Teaching English Grammatical Structures To Adults. IRAL, Vol. XII, February 1972.

6 . S.A. Freeman, Problems and Opportunities for the Seveties. MIJ Vol. LV/3. 1971.

7 . H. Hammerly and S. Fraser, Recent Methods and Trends in Second Language Teaching MIJ. Vol. LV/8. 1971.

8 . F.R. Morton *The Lab as aTeaching Machine*: Notes on the Mechanization of Language Learning, Ann Arbor 1960.

syllabuses, he goes on to say that the former takes the communicative capacity as the starting-point; it has the advantage that "it takes the communicative facts of language into account from the beginning without losing sight of grammatical and situational factors". Grammatical and situational syllabuses, on the other hand, fall short of providing the learner with adequate communicative capacity.

According to this approach the teaching materials should be based on "consideration of what the learners should most usefully be able to communicate in the foreign language". It is only after this has been established that the most appropriate forms for each type of communication can be decided. The learning units in asyllabus of this sort are given semantic lables, and the concepts and functions contained in it are those that are likely to be of widest value.

It is hoped that the few statements we have made about the notional syllabus have served the purpose for which our final remark has been included. To carry the present discussion any further would be to go beyend the scope of our paper which has primarily been intended to cncern itself with the problems and difficulties of experimentation in empirical research. For further information about notional syllabuses as well as other recent developments in the field of second language teaching/learning, the reader may refer to an excellent book edited by C. J. Brumfit and K. Johnson and entitled *The Coommunicative Approach to Language Teaching* (O.U.P. 1979). Equal help may also be derived from H.G. Widdowson's two books: *Teaching Language as Communication* (O.U.P. 1978) and *Explorations in Applied Linguistics* (O.U.P. 1979).

it is hoped that the facts, observations and arguments contained in the preceding pages have contributed to the clarification of the factors underlying the difference of opinion about second–language teaching and the recurrent discrepancy and incopatibility of the results and conclusions drawn from empirical research. It is also hoped that by identifying and illustrating a number of weaknesses, short– Comings and misconception tcenis about empirical research , we have been able to draw the attention of pedagogical researchers to what may have so far esca-ped the notice of at least some of them .

One final remark seems to be necessary before we come to the end of our discussion. Language learning and teaching is aprocess in a constant state of development due to the fact that attempts are continuously being made in linguistics as well as many other related fields e.g. psychology, sociology, anthrepology, etc.) to acquire a better understanding and to form a more comprehensive theory of the nature of language and linguistic behaviour . It is not surprising then that new ideas concerning the process in question are put forward every now and then. Thus in addition to the types of approach discussed in the preceding pages, it seems plausible to familiarize the reader, though briefly, with a sample of the views and approaches that have relatively recently been advanced . One such. approach is put forward by D . A . Wilkins in his book *National Syllabuses* (1976). As is indicated by the title of his book, Wilkins' approach consists in that language teaching should be organized in terms of the content rather than the form of the language. "In drawing up a notional syllabus" he argues, "instead of asking how speakers of the language express themselves or when and where they use the lanbuage, we ask what it is they communicate through language." By way of contrasing lhe noitonal syllabus with grammatical and situational

and over a large period of time helps neutralize the different variables involved in the research. (Thre argument is that language learning does not occur in a few brief trials). In other words, if a sufficient number of subjects and teachers find avariety of methods and teaching situations are involved in a large-scale project, these variables cancel one another out. Unfortunately, however, projects of this kind present us with all kinds of unforeseeable problems–the experiment carried out by Scherer and Wertheimer, amention of which has already been made above, is a good case in point.

The failure of an experiment to attain to the desired level of accuracy and of its results and conclusions to be sign ificant and generalizable may be attributed among other factors, to the experimenter himself. It is often the case that the experimenter is one of three persons: the casual educational researcher who may lack the adequate level of sophistication in linguistic science or the knowledge of foreign lenguages which is essential for the success of the experiment; the language teacher whose experience in research methodology has not been sufficiently adequate; or the psychologist whose experimental setting has been too remote from actual classroom situations. There is also the fact that experimenters may be influenced, though unconsciously, dy their bias towards particular theories of learning, which will consequently affect the results of their experiments.

Concluding Remarks

It should be mentioned that the difficulties discussed above do not constitute a conclusive list of the problems facing empirical researchers in the field of second-language learning and teaching; we have tried not to go beyond the scope of this paper as illustrated in the first part of our discussion. However,

passive voice and indirect speech; etc. The process of lang- uage learning.definitely involves far more factors than those we have just mentioned. This, nevertheless, need not obscure the fact that establishing the significance of any number of these factors represents a praiseworthy achievement along the way towards better understanding of the nature of language learning, which in turn constitutes a vital step towards greater effectiveness in teaching.

The crux of the matter, however, is that, as D. Wilkins (1974) puts it,"it is the very multiplicity of factors involved in learning that makes it difficult for such research to be carr- ied out. If we wish to study the effects of only one variable, it is necessary to hold all the others constant and in any real teaching situation this is difficult, if not impossible. If one atte- mpts to take these problems into account and compares not isolated factors but groups of variables, it becomes impossible to decide which of the factors is responsible for the results one has obtained". Besides, the linguistic factors mentioned above are not the only variables to be taken into considerat- ion in pedagogical experimentation. Others like learner, met- hod, teacher and the teaching situation which are of no less significance, also involve factors the control of which repres- ents an equally important prerequisite for empirical investi- gation. In the case of the learner, for instance, there are fac- tors lik age, motivation, level of intelligence, previous lear- ning experience of the target language, degree of willingness or enthusiasm to undergo the experiment, instinctive ability for learning languages, etc.

The task of empirical research is no less difficult in small-scale experiments than in large-scale ones. It is sometimes assumed that carrying out empirical research on a large scale

imply that no useful achievements could be or have already been made and that we should give up experimentation and sit back. Rather our intention is to stress the need for further intensification of our efforts so that the best possible results can be attained.

To go back to the question of discrepancy in pedagogical experimentation, it has already been hinted that this discrepancy is largely attributable to the complexity inherent in the process of language learning/teaching on the one hand, and the consequent difficulty of subjecting this process to fully controlled and scientifically based experimentation on the other. For the sake of illustrating this statement let us discuss specifically and in some detail a number of the most significant issues in this respect.

An important decision to be made prior to the conducting of any experiment in empirical research is to choose between investigating the effects of either only one variable or a group of variables. A pedagogical experiment based on the former approach may thus be designed to study any one of a host of linguistic or non–linguistic variables which are all involved in the process under discussion. Linguistic variables include such factors as, for instance: the use of mother tongue as a method for teaching meaning; the advantages of more or less intensive use of audiovisual aids; the effectiveness of relating pattern drills to communicative activity; the benefits of adopting cognitive or habit–forming approaches in the teaching of grammar; the need for comparing the two linguistic systems, i.e. the mother–tongue and the target language; the practicability or usefulness of a particular order of presentation, e.g. writing and meaning, grammar and vocabulary, and (within grammar) negation and interrogation,

(2) Learning a non–native language in a school setting is a process whereby the learner normally starts from scratch and gradually acquires a series of linguistic habits which, despite their numerousness, variedness and complexity, in theory can be listed and precisely described. (Carroll 1963). (3) The choice of stimuli presented to the learner and the kinds of response he is likely to make to them can, to a considerable extent, be brought under our control. It also lies within our capability to programme the instruction to the last detail. (5) There is also the fact that a certain degree of reliability and validity of measures of aptitude can be attained to assist in the design and excution of experiments.

However, a close exmination of these factors is bound to reveal an indispensible need on our part to combine the encouragement we derive from them with a comparable, if not greater, degree of caution. Otherwise our attempts (i.e. experiments, tests, assessments, etc) will fall short of attaining the level of accuracy and adequacy we aspire to. Lack of such caution may thus be said to constitute an important reason behind the discrepancy in pedagogical experimentation. Different variables in one and the same experiment or the same variables in different experiments may not be equally fully controlled, which would consequently lead to different conclusions. Yet, it has to be admitted that in language teaching/learning, as is the case in many other fields, it is practically difficult to have full control over everthing that falls within the scope of the experiment. The task of both teaching and learning a language is an exceedingly complex one and involves so many variables that it would not be an overstatement to say that it is impossible in pedagogical experimentation to achieve results that are one hundred per cent reliable. This, of course, should not be taken to

Colorado, the experimenters were unable to separate the two types of students in the second year. Therefore, they were forced to amalgamate the students and teach them by a compromise method. Moreover, there was a relatively high degree of attrition from the first to the second year; at the end of the first year test results were obtained for 99 control and 128 experimental students, whereas at the end of the second year the number was 24 control and 25 experimental. However, the experimenters concluded that while the two methods yielded occasionally strong differences in various aspects of proficiency in German, they showed no superiority over each other in overall proficiency.

III. Second language Learning and Teaching: A Field for Scientific Investigation .

Now that we have illustrated the lack of total agreement among pedagogical investigators about the nature of the second language learning/teaching process and the difficulties involved in it., let us try to account for this disagreement while at the same time acquainting ourselves with the most important principles underlying the process at issue and the extent to which it can be subjected to scientific investigation.

Mention should first be made of the fact that second language learning as a field of investigation has attracted the attention of an increasingly large number of researchers. This may be accounted for in terms of a number of factors which underly the great enthusiasm displayed by these researchers.

(1) In the absence of total agreement about how language learning takes place and the nature of the process involved in it, researchers have felt encouraged to test experimentally the various theories and hypotheses that have been put forward by way of putting an end to the prolonged disputes over the matter in question.

No sooner had the experiment begun than the experimenters found themselves face to face with a number of problems which affected the implementation of their plan. Their control of the situation was not as firm as they had wished it to be. They found that it was practically difficult to use a "matched-pair" design, and so they replaced it by a "matched-group" design. During the first twelve weeks of the experiment the audiolingual group was at a disadvantage, "the assigned laboratory was not ready"- (Imagine). Therefore, while the control group studied an average of 1 hour and 24 minutes per assignment (according to the record the students kept), the experimental group averaged only 31 minutes per assignment. Another problem was the motivational variable. Many of the students in the traditional group wanted to transfer to the audiolingual group when they learned that the latter followed a new method of teaching. Moreover, "the local newspaper and radio station publicized the presumed virtues of an audiolingual method and broadcasted the news that an experiment was being conducted". In spite of the experimenters' attempt to belittle the "Hawthorne effect" in their study, it cannot be denied that the motivation of the audiolingual subjects was increased by their awareness of the fact that special attention was paid to them; they were allowed to make use of such expensive instruments as taperecorders, time clocks, booths, etc., a privilege which the other group did not have. The statement that the use of such equipment by the traditional group "would not be consistent with the chief aim of the experiment" is true as far as the ideal application of the two methods in question is concerned, but this does alter the fact that the two groups were not equally motivated.

Strictly speaking, the experiment lasted really for only one school year. For, due to the registration procedures at